عدد ممتاز

ربيع الآخر ١٤٠٦هـ - يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦

العربي



وجهاً لوجه مع:

محمد حسنين هيكل

نتيجة مسابقة القصة القصيرة

هدية بالألوان: المعادن والأحجار الكريمة



نيبال

سقف العالم ومجمع المعابد والأساطير

فكرة عظيمة اخرى.





فيشر

FISHER

العدد ٣٢٦ السنة التاسعة والعشرون يناير ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No.: 326 Jan. 1986 P. O. Box 748
Kuwait. A Cultural Monthly Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information. State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص.ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تليفون [illegible]
برقياً "العربي" الكويت، تلكس [illegible]
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الاشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام [illegible]
[illegible]

ثمن النسخة

الكويت	[illegible] فلس	تونس	[illegible] مليم	الإمارات	٤ دراهم
العراق	[illegible] فلساً	الجزائر	٤ دنانير	المغرب	٣ دراهم
الأردن	[illegible] فلس	السعودية	٥ ريالات	ليبيا	[illegible] درهم
البحرين	[illegible] فلس	اليمن الشمالي	٧ ريالات	سلطنة عمان	ريال
اليمن الجنوبي	[illegible] فلساً	قطر	٦ ريالات	[illegible]	[illegible]
مصر	[illegible] مليماً	لبنان	٧ ليرات	[illegible]	[illegible]
السودان	٢٠ قرشاً	سوريا	٣ ليرات	أمريكا	دولاران

١٥ يناير

موعدك مع كتاب العربي



هل هي مصادفة أن يأتي هذا الكتاب في مناسبة جديدة لتجربة الكويت الإنسانية والحضارية وهي تحتفل بمرور ربع قرن على استقلالها الحديث؟

نحن سنخضع بأن يكون ذلك مصادفة بحتة، فالكويت منذ ذلك الزمن - أي زمن الاستقلال - استطاعت من خلالها أن تقدم مجموعة الإنجازات التي جعلتها تسهم في صنع الأسلوب الكويتي العربي على صعيد النهضة العربية من الأرض، تجربة ثقافية رائدة أيضا.

ونحن نتاج هذا التفاعل والتطور هو إصدارنا هذا الكتاب الذي نقدمه للقارئ العربي، كي يطلع على عمق هذه التجربة وأصالتها.

عزيزي القارئ

في مطلع هذا العام الذي نرجو ، نحن أسرة العربي ، أن يكون عاما مختلفا عن الأعوام القليلة الماضية التي سبقته ، من حيث توحيد كلمة العرب والمسلمين ، وتماسك صفوفهم ضد أعدائهم . في هذا العدد نقدم لك حدثين : الأول هو أسماء جديدة أسهمت العربي في إضاءتها في سماء الثقافة العربية المتجددة ، منها ، سحاب محمد نوري الصمصام ، وفاروق حسان السيد والفاضل محمد عشاق . نذكر فقط ثلاثة أسماء من عدد كبير من الأسماء التي شاركت في مسابقة القصة العربية القصيرة وفازت . ونحن إذ نقدم القصة الفائزة الأولى في هذا العدد فإننا بذلك نضيف جهدا ونفتح بابا ونرتاد اتجاها صحيحا لإثراء الإبداع العربي المعاصر ، وسوف نقوم بتقديم القصص القصيرة الفائزة تباعا في أعدادنا القادمة إن شاء الله .

وهذا العام لم تقتصر في إسهاماتنا الثقافي على استحداث مسابقة القصة ، فقد بلغ مشروعنا في إصدار مجلة للفتيان والفتيات العرب مرحلة الاكتمال والنضوج بعد أن بذلت له أسرة العربي جهودا أسعدها جميعا أن تقدمه هنا لمشروع الجليل . لقد جاءت الأصداء إيجابية على عدد الصفر (رقم واحد) وعندما طبعنا عدد الصفر (رقم اثنين) في منتصف نوفمبر بعد أن أخذنا بمعظم الملاحظات الجادة على التجربة الأولى . كانت الأصداء على عدد الصفر الثاني رائعة في استجاباتها ، فريدة في تميزها .

لذلك فإننا نزف لأبنائنا وبناتنا خبر الإصدار الجديد الذي سيصافح عيونهم وقلوبهم حينما يوزع مع بداية فبراير من هذا العام . وهو بذلك يحقق إسهاما آخر في مسيرة الثقافة العربية الجادة ، يصدر من الكويت ـ التي احتضنت كثيرا من مشاريع الثقافة العربية ـ في وقت تحتفل هذه الأرض وشعبها بالعيد الخامس والعشرين لاستقلالها ، مستمرة ممتدة طموحة إلى غد أفضل يجمعها في عقد منتظم مع شقيقاتها من الأقطار العربية ، حتى تتوج أمتنا العربية بأنبل معاني العزة والمعرفة لصالح الإنسان العربي في كل مكان .

ومنه التوفيق والسداد

المحرر

محتويات العدد



قناة من نيبال.. سقف العالم وجميع المعابد والأساطير.. إن أيقوناتها تحكي قصة شعب.
طالع الاستطلاع ص ٣٦.

استطلاعات ومقابلات

أبـواب العـربي

المراسلات باسم رئيس التحرير والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .



البيت العربي

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

وفرص السلام في العام الجديد

- أكثر القضايا الساخنة بعد الحرب الثانية لم تحل ولا يبدو أنها ستحل على مستوى القمة .
- واشنطن : التدخل السوفييتي في العالم الثالث يسبب التوتر .
- لينين : الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية ، وسقوط النموذج الرأسمالي بدأ بخلاص المستعمرات .

هذا العام هو العام الدولي للسلام ، تلك الكلمة المحببة للشعوب البشرية جمعاء ، فقد أصبح السلام والأمن أمنية غالية يحرص العالم - كل العالم - على تحقيقها واستقرارها .

ولعل الاجتماع الذي عقد في نهاية شهر نوفمبر الماضي بين زعيمي أكبر قوتين في العالم اليوم : رونالد ريجان وميخائيل جورباتشوف ، لعل ذلك اللقاء هو مقدمة منطقية لمحاولة إحلال السلام على الأرض ، وطمأنة البشرية أنها لن تصحو فجأة في صباح أحد الأيام القريبة ، لتصطدم بأن العالم الذي نعيش فيه قد أصبح - أو كاد - هباء منثورا .

ولكن قصة السلام قصة طويلة ، والوصول اليه في كل بقاع العالم محاولة شبه مستحيلة . وهي أقرب في استحالتها – في تقديري – الى إمكان أن يقفز الانسان منه على ظله .

لا أدري لماذا شعرت – أنا وربما ملايين غيري – ونحن نتابع التمهيد للقاء الزعيمين العظميين ، ثم وقائع لقائهما ، ومن بعد تلك التعليقات الكثيرة التي انهمرت في الصحافة العالمية تفسر وتبرر ما وصلا اليه وربما تعتبره أنه من قضايا العالم . . . .

لا أدري لماذا شعرت وأنا أتابع كل ذلك ، أن الزعيمين – في تحركهما حول مشكلات العالم – كانا في الحقيقة يحاولان القفز على ظليهما .

ولكن لنبدأ القصة من البداية .

□ القصة تبدأ هنا أيضاً بسؤال منطقي : –

هل يشعر العالم حقيقة بالخطر الماثل أمامه ، وهو خطر جاثم يتهدده بالفناء عن بكرة أبيه نتيجة هذا المخزون الهائل من السلاح النووي ، أو أن العالم يعيش في صراعاته الجانبية دون الالتفات بشكل جادي لذلك الخطر وكأنه غير قائم . هذا الخطر مرهون في وقت ما بحسابات خاصة ورجال هنا أو هناك . قابعين في مخابئ الخبرات الموغلة في التحصين التي تحفر كثيراً تحت الأرض . وفي حساباتهم والتقاطهم بما يمكن الخيار بين استمرار الحياة والحضارة على كوكبنا ، أو شلها على أقل تقدير شللاً قد لا تشفى منه .

والسؤال الأكثر تحديداً ودقة : هل يشعر القادة الكبار ومعاونوهم ، خاصة قادة الدولتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، بأن هذا الخطر المحدق بالانسانية قائم ومؤكد الوقوع أو أن المصالح الآنية والقومية الضيقة نسبياً هي التي سوف يكون لها الكلمة العليا ، كما كان لها دائماً الكلمة العليا في تاريخ البشرية الحزين والمليء بالمآسي ؟

لقد كانت قمة جنيف في نهاية نوفمبر الماضي هي القمة الثانية عشرة في سلسلة لقاءات الزعماء الغربيين . ولقد أسهمت في بعض منها دولتان أخريان بجانب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي هما بريطانيا وفرنسا ، ومع مرور الزمن وتضاؤل فاعلية الدولتين الأخريين على المستوى الدولي ، أصبحت القمة تحوي على الأرجح لقاء زعيم الولايات المتحدة مع زعيم الاتحاد السوفيتي فقط لا غير .

إحدى عشرة قمة عقدت منذ أن توقف التحالف بين الاشتراكية والرأسمالية بعد الحرب العالمية الثانية ، وأصدقاء الأمس أعداء اليوم يبحثون عن طرق مقبولة لكلا المعسكرين لتثبيت السلام بينهما ، أو على الأقل لعدم التورط في حرب شاملة . وإن نشبت بين فترة وأخرى حروب صغيرة هنا وهناك سواء أكانوا طرفاً مباشراً فيها أم غير مباشر .

□ تلك القمم الإحدى عشرة – ومعها القمة الأخيرة – لم تكن كلها ايجابية كما لم يكن طريق التفاهم فيها سهلاً مذللاً ، بل أفرز بعضها نتائج سلبية أدخلت العالم في عرف دائم . ولكن كل تلك القمم – عدا الأولى والثانية ثم الأخيرة – كانت لقاءات جرت تحت مظلة المجابهة بين الشرق والغرب . كانت القمة الأولى في يوليو ١٩٤٥ في بوتسدام

وكانت الفرض من تقسيم ألمانيا بعد الحرب ، وكانت اللقاء الآخر بعد عشر سنوات في يوليو ١٩٥٥ في جنيف والذي حضرته القوى الأربع : بريطانيا وفرنسا بجانب الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، وفيها شهد العالم هذا التفاؤل الذي انعكس على الإعلام والرأي العام العالمي في المؤتمر وسمي هذا التفاؤل « بروح جنيف » حيث بدا للعالم وقتها أن القوى الكبرى مقدمة على فترة استرخاء ، خاصة بعد تعادل ميزان القوى ووقوف الاتحاد السوفييتي موقف الند للولايات المتحدة ، فقد سقطت الحصانة الاستراتيجية للولايات المتحدة بعد أن طور الاتحاد السوفييتي قوته النووية . هذا التفاؤل ما لبث أن تلاشى ، فدخل العالم في أزمة سميت وقتها « قضية برلين » عقد من أجلها ثلاث قمم في سبتمبر ١٩٥٩ في « كامب ديفيد » بين أيزنهاور وخروتشوف ، ثم في مايو ١٩٦٠ في باريس ثم في يونيو ١٩٦١ في فيينا .

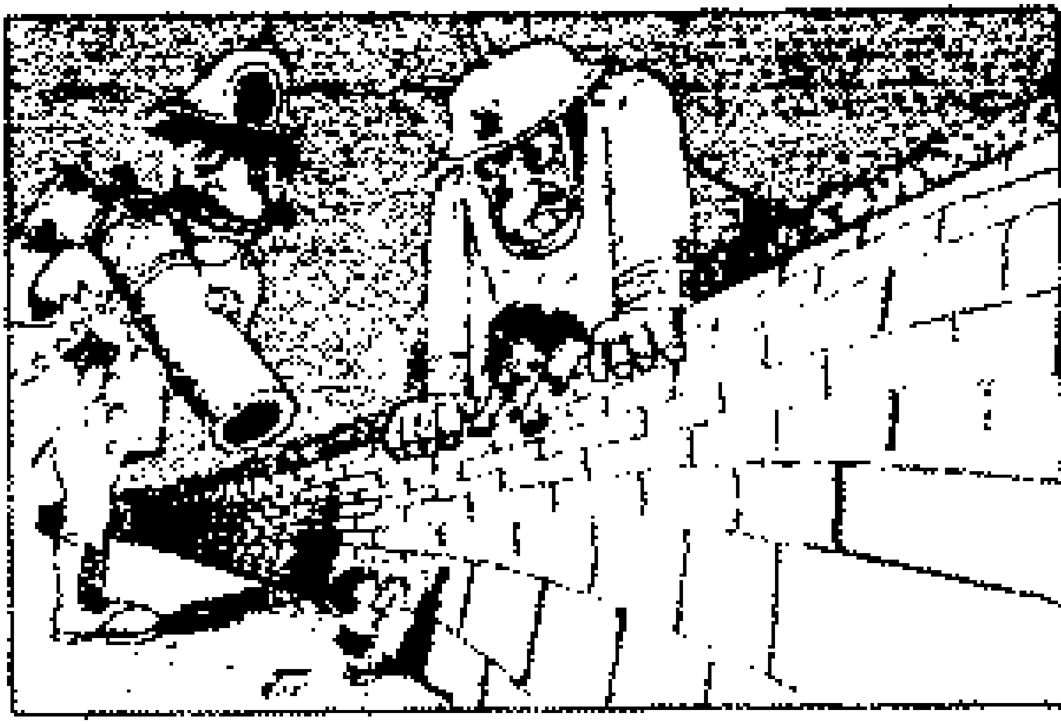
وبعد مشكلة برلين انتظر العالم ست سنوات تقريباً ليشهد قمة أخرى هذه المرة بسبب قضية الشرق الأوسط واشتعال أزمته ونتائج « حرب الأيام الستة » بين العرب وإسرائيل وهي القمة التي عقدت في يونيو ١٩٦٧ بين جونسون وكوسيجين في جلاسبورو بنيوجيرسي في الولايات المتحدة . وبعد ست سنوات أخرى انعقدت القمة الخامسة هذه المرة في موسكو بين نيكسون وبريجنيف في مايو ١٩٧٢ وكان من نتائجها الاتفاق على المعاهدة الأولى للحد من الأسلحة النووية . وأعقب ذلك في السنة التي تليها في يونيو ١٩٧٣ لقاء نيكسون وبريجنيف في واشنطن وهي القمة التي وضعت فيها معاهدة الانفراج الدولي . وفي يونيو ويوليو ١٩٧٤ تم لقاءات بين نيكسون وبريجنيف أيضاً في موسكو ويالطا وكانت المحادثات تدور حول الحد من الأسلحة النووية . وفي نفس العام في نوفمبر عقدت قمة أخرى في فلاديفوستك في الاتحاد السوفييتي ، وبعد خروج نيكسون من الحكم في الولايات المتحدة ، وكانت بين جيرالد فورد وبريجنيف . ثم جاءت القمة الحادية عشرة بين جيمي كارتر وبريجنيف في فيينا في يونيو ١٩٧٩ . وأخيراً قمة « مدينة النور » في جنيف بين ريجان وجورباتشوف في نوفمبر الماضي .

□ لم يتابع العالم قمة من قمم اجتماع الزعماء الكبار كما تابعها في اجتماعات جنيف الأخيرة ، والتي أعادت إلى البعض ذكرى « روح جنيف » الخافتة قبل ثلاثين سنة على وجه التقريب (قمة يوليو ١٩٥٥) .

لقد كانت هذه القمة ـ كما كانت قمة جنيف الأولى ـ قد عقدت دون وجود أزمة حادة يراد حلها بشكل سريع ، بل كانت لاستطلاع آفاق سلام عند بعد قطيعة طويلة ، وفي أجواء توازن دولي .

لقد استمر اللقاء بين الجانبين في محادثات طويلة إلى ما يقارب الخمس عشرة ساعة ، كان من بينها ستة اجتماعات خاصة لم يرافق الزعيمين فيهما غير المترجمين المختصين ، ويبلغ مجموع ساعاتها خمس ساعات . أي أن ثلث وقت الاجتماع قد قضاه الزعيمان منفردين لكي يتحدثا بصفة دون جدول أعمال مسبق .

سبق هذا الاجتماع في جنيف حملات إعلامية متبادلة أحيط فيها ميخائيل جورباتشوف بهالة الرجل القوي في الظهور للعالم الذي استطاع أن يشق طريقه إلى



لمة السلطة في بلاده ، في وجه مزاحمة معقدا وفي سن صغيرة نسبياً ، بنجاح غير مسبوق ، مستندا إلى فهم واسع لمشكلات العالم ، تبينه تصريحاته للصحافة الأمريكية التي لم تخف إعجابها الشديد بطريقته في معالجته لمشكلات بلاده الاقتصادية والسياسية ، مشيدة بحيويته وصدق نواياه . كما أن رونالد ريجان نفسه - الذي كان البعض يتخوف من أن غريمه سوف يسيطر عليه وهو بمعزل عن مستشاريه وبرغم تقدمه في السن ، وانصراف اهتمامه إلى تصفح القضايا الشاملة دون تفاصيلها - استطاع أن يشن حملة إعلامية مضادة مظهراً التشدد في كل القضايا المحتمل طرحها للنقاش .

وبعد يومين من المناقشات والاجتماعات أسفر الالتقاء بينهما - في حدود ضيقة - عن اتفاقية مكتوبة للتبادل الثقافي وتصريح للصحافة قالا فيه : إننا أصبحنا على درجة من التفهم المتبادل أكثر مما كنا في السابق !

ولكن هذا ما ظهر على السطح أما ما ترسب في الأعماق فقد ظهرت منه مؤشرات قليلة سوف يلاحظ ظهورها على مر الأيام ، فإن لم يكن أحد يستطيع أن يقفز على ظله ، فلا بد إذن من التعايش مع هذا الظل والقفز على ظل الآخرين !!

الرجلان فقط ريجان وجورباتشوف ومعهما مترجمان مؤهلان .. هؤلاء الأربعة فقط يعرفون على وجه الدقة كيف سارت الأمور وما على الجميع - قريبين وبعيدين - إلا انتظار النتائج التي تظهر شيئاً فشيئاً ، وكل ما نعرفه الآن ليس سوى تلك التفاصيل الظاهرة لما سوف يكشفه التاريخ في وقت لاحق عن قمة مدفأة النار في جنيف .

□ ثلاث قضايا رئيسية دار حولها النقاش ، وربما صار إليها اتفاق إذا وضعت بين أيدي الخبراء في أوقات لاحقة ، تلك القضايا في خطوطها العريضة هي : سباق التسلح وخاصة تسليح الفضاء الخارجي (المبادرة الدفاعية الاستراتيجية) أو ما يسمى

تسميه « بحرب النجوم » ، ثم موضوع حقوق الانسان ، وأخيراً الصراعات في العالم الثالث ، التي يقف كل من الطرفين حيالها إما مؤيداً وإما معارضاً .

ومن الملفت للنظر أن القضية الأولى (سباق التسلح) والقضية الثانية (حقوق الانسان) هما القضيتان الأسهل معالجة رغم كل الضجة الاعلامية والتهويل حولها .

فالقضية الأولى « سباق التسلح » هي قضية خطيرة عرفها الطرفان منذ مدة طويلة وعلى وجه التحديد منذ أغسطس ١٩٤٩ ، عندما فجر الاتحاد السوفييتي أول قنبلة نووية ، وامتلك بذلك التوازن الاستراتيجي . عندها أصبحت القضية قضية كم أكثر منها قضية كيف . فقد حكمت العلاقة بين القوتين حقيقة انه لا الاتحاد السوفييتي ولا الولايات المتحدة يستطيع أي منهما مهاجمة الآخر دون أن يواجه التدمير بالمقدرات انتقاماً مؤثراً ، كما أن أياً منهما لا يملك القدرة على توجيه الضربة الأولى وأن يأمن دمار الضربة الثانية .

تلك الحقيقة هي التي جعلت لقاء الطرفين ممكنا وأصبحت محاولة الوصول الى اتفاق بهذا الشأن هي الشغل الشاغل لكليهما .

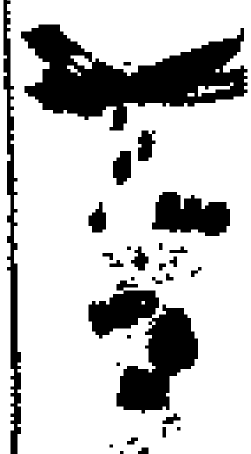
المبادرة الدفاعية الاستراتيجية الأمريكية أو « حرب النجوم » وفكرتها هي الوصول الى درع لتحطيم أية قوة صاروخية هجومية وهي في الفضاء قبل وصولها الى هدفها ، وبالتالي ابعاد تأثيرها عن أهدافها الأرضية ، هي بمثابة مظلة فضائية لحماية الولايات المتحدة . وعلى الرغم من البلايين من الدولارات التي سوف تنفق على هذا البرنامج شبه الخيالي فإن الاتحاد السوفييتي الذي يتخوف في الأساس من الدخول من جديد في سباق تسلح باهظ التكاليف ، قد قدم اقتراحه الذي عرض في القمة الأخيرة ، وهو انه في مقابل وقف مبادرة الدفاع الاستراتيجية (برنامج حرب النجوم) يجري تخفيض خمسين بالمائة من المخزون النووي الاستراتيجي . وفي حقيقة الأمر فإن الموضوع المعروض هو تخفيض امكانية تدمير العالم عشرين مرة الى عشر مرات فقط ! أي أن القدرة على التدمير ستبقى كبيرة ، والمطلوب فقط هو الاكتفاء بما تحقق حتى الآن من موازنة القوتين وتوجيه الجهود للإنماء .

ساسة الولايات المتحدة لهم رأي آخر ، فهم أولاً متحمسون لنجاح برنامج « حرب النجوم » ، وهم فوق ذلك يعتقدون أن تمكين الاتحاد السوفييتي من التنفس الاقتصادي وتحويل مبلغ أكبر من ميزانيات السلاح الى الميزانية الانتاجية ، يجعل له مقدرة اقتصادية أكبر !

أما القضية الثانية (قضية حقوق الانسان) فهي في حقيقة الأمر تعني وضع اليهود السوفييت وتمكينهم من الهجرة الى الغرب أو الى اسرائيل . تقول لنا الصحافة عن أن رونالد ريجان قد ذكر ذلك لميخائيل جورباتشوف في أحد لقاءاتهما المنفردة ، ويرد عليه الأخير بأن حقوق الانسان في أمريكا ما زالت بحاجة الى عناية أكبر .

وهكذا انتهت القضية الى أن تصير مجرد استعراض شفوي لخدمة الاعلام لا أكثر .

ولكن بيت القصيد انما هو في القضية الثالثة وهي حروب العالم الثالث وتوابعه والتي ليست بعيدة عنا نحن العرب .



□ حتى نعرف كيف ستسير الأمور في إطار النزاعات في العالم الثالث ، لا بد أن نعرف كيف سارت الأمور في النزاعات السابقة .

قضية برلين مثلاً ، التي عقد حولها ثلاثة اجتماعات قمة ، وكانت قاب قوسين أو أدنى من التفجير ، حلّت عن طريق ترك الشرق بسور برلين الشرقية مع ترك برلين الغربية مفتوحة على ألمانيا الغربية ثم يأتي فيلي برانت بمبادرته السياسية « الاتجاه إلى الشرق » (أوستبوليتيك) في الستينات وبداية السبعينات ، لتخمد الجذوة من بعد ذلك وتتحول بؤر الصراع إلى أماكن أخرى . وهذا المؤشر يشيء من الاختلاف ، ينطبق على مناطق صراع سابقة مثل كوريا ، وفيتنام ، وأنجولا ، وكمبوديا

في معظم هذه المناطق الساخنة السابقة والتي كان يبدو لأول وهلة أن مشكلاتها غير قابلة للحل ، حلّت بشكل أو بآخر من خلال استخدام العناصر النشيطة المحلية عن طريق السياسة أو عن طريق السلاح .

ولكن الحقيقة الأخرى البادية للعيان هي أن الخلاف بين القوتين ظهر أكثر ما يكون بروزاً في مناطق العالم التي تسمى بالعالم الثالث ، هذه الدول وشعوبها دفعت عدداً من الضحايا في حروبها المحلية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى اليوم ، يعتقد المراقبون أنه يفوق عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية .

ففي الأربعين سنة الماضية بين ١٩٤٥ والعام الذي وصفه قبل أيام شهد العالم حوالي مائة وعشرين حرباً محدودة معظمها فيما بين الدول النامية أو على أرضها ، وحتى إذا كانت الأرقام المحددة غير دقيقة فإنها تحصدت ما عن عشرات الملايين من الضحايا في مناطق مختلفة من العالم ، هذه الحروب والنزاعات أشعلتها أو شجعتها بلاد مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل ، في كانت حروبها المحلية أو مقاومة شعبية كانت نتيجة لتدخل دولة كبيرة مثل الاتحاد السوفيتي كما في أفغانستان اليوم . هذه الحروب بمجملها استخدمت فيها جميع المعدات الحديثة للحرب ، ومن جرائها سقط ملايين القتلى والجرحى ، وحتى السلاح النووي فقد هدد باستخدامه تكتيكياً من قبل كل من إسرائيل وجنوب أفريقيا في وقت من الأوقات .

والمشكلة أن الأطراف المتدخلة في هذا النزاع تبرر هذا التدخل تبريراً أيديولوجياً وهو في حقيقته تسابق على اكتساب المواقع في العالم الثالث .

□ مناطق الاهتمامات بالتدخل في منازعات العالم الثالث متبادلة بين القوتين الأمريكية والسوفيتية ، كل تتهم الأخرى بالتوسع وبسط نفوذها على دول العالم الثالث ، سياسة الصراع الخفي ومجال المناورة وتحقيق الانتصارات أو الهزائم ، ولعل الساحة الإعلامية لم تشهد أهمية هذا النوع من الصراع ، فقد صدرت في العامين السابقين مجموعة كتب من الجانبين تدلل على أن هذا التدخل أو ذاك في العالم الثالث مشروع من هذه الفترة أو تلك .

ولي كتابين صدرا أخيراً ـ من جملة كتب كثيرة ـ أحدهما سوفيتي ألفه الكاتب السوفيتي ف . أ . كريمشوك وعنوانه « أمريكا وحركات التحرر الوطني (١٩٨٣) » . والآخر بعنوان « الاتحاد السوفيتي وصراعات العالم (١٩٨٦) » من تأليف بروس بورتر ، يدلل الكاتبان على استناد حملة الاتهامات من جهة وتبرير

التدخلات من جهة أخرى .

منذ عام ١٩٤٥ وحتى اليوم شهدت استراتيجية القوتين العظميين في العالم ، الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، تواجهاً متصاعداً على أراضي العالم الثالث وأقطاره . فالقاعدة الأيديولوجية التي ينطلق منها الاتحاد السوفيتي في مساعداته للعالم الثالث هي أفكار لينين قائد ثورة البولشفيك المنتصرة في ١٩١٧ ومؤسس الدولة السوفيتية الحديثة . وقبل أشهر من انتصار ثورة أكتوبر ١٩١٧ أصدر لينين مؤلفاً غدا مشهوراً بعد ذلك بعنوان « الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية » أضاف فيه لينين إضافات أخرى إلى نظرية كارل ماركس حول تطور الرأسمالية وذكر فيه أن الاحتكارات الضخمة التي تسيطر على النظام الاقتصادي الرأسمالي ستدفع بالدول الرأسمالية إلى البحث عن مناطق جديدة لتكون مناطق للاستعمار والربح . وأن هذه (الامبريالية) يمكن أن تؤجل إلى حد ما سقوط المشروع الرأسمالي في الداخل من خلال التدفق الاقتصادي الجديد من تلك المستعمرات والذي يؤخر بدوره انتشار حدة الصراع بين الطبقات المختلفة في تلك الدول الرأسمالية . لذلك فإنه كان من الصعب مواجهة الامبريالية في عقر دارها طالما لا تواجهها في مستعمراتها الجديدة ؟!

على هذه القاعدة الأيديولوجية سارت الدولة السوفيتية خاصة بعد أن أيدت بعض الصراعات التاريخية صحة الفكرة . فقد فشلت بين ١٩١٩ و ١٩٢٤ مجموعة من الانتفاضات الاشتراكية العمالية في مناطق مختلفة من أوروبا ، لأنها دول كبيرة وقوية نسبيا .

الدولة السوفيتية الوليدة نشطت في البداية في محاولة الالتفاف على (الامبريالية) المتوسعة بتشجيع الحركات الثورية المعادية للتوسع الاستعماري ، وكانت الخطوات الأولى هي تسليح كمال أتاتورك بعد معاهدة مارس ١٩٢١ بينه وبين الاتحاد السوفيتي ثم تلا ذلك الدعم الذي أعطي لحركة الصين الوطنية (صن يات صن) بين ١٩٢٣ - ١٩٢٧ . إلا أن هذا الخط الأيديولوجي لم يتطور بل انتكس أثناء حكم جوزيف ستالين في الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن ، وقد عكس ستالين القاعدة بعد أن شهد الدعم السوفيتي لبعض الحركات الثورية انتكاسات متعددة كما حدث على سبيل المثال في أسبانيا إبان الحرب الأهلية ونتيجة أيضا لانشغاله في برنامج التصنيع الداخلي للتطوير - ظهر جوزيف ستالين في تلك الفترة بوجهة نظر تقول : إن العالم يتكون من معسكرين فقط : المعسكر الاشتراكي والمعسكر الامبريالي ، وأن الدول حديثة الاستقلال في العالم الثالث ليست سوى « ذيل تابع » للاستعمار وأن قادتها البرجوازيين هم أعداء لحركة التحرر ولا يستحقون دعم الاتحاد السوفيتي !

هذه السياسة أدت إلى تهميش حركة الاتحاد السوفيتي في دول العالم الثالث حتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

بعد الحرب ، وخاصة بعد انتصارات الحزب الشيوعي في الصين ١٩٤٩ والتي أشعلت بدورها سلسلة من الحركات الوطنية في جنوب شرق آسيا ، رجع الاتحاد السوفيتي إلى مقولة لينين من جديد حول زيادة التناقض لدى الامبريالية عن طريق تقليص ممتلكاتها في الخارج .

ولكن أضيف إلى تلك الفكرة بعد أمر هو أن الاستغلال الأميركي لتلك الدول في العالم الثالث زاد من حدة الصراع الاقتصادي والاجتماعي في مجتمعاتها ، وبالتالي فإنه من الطبيعي أن تطلب الانعتاق من هذه التبعية ، وما الاتحاد السوفيتي إلا صديق ومعاون لتلك الشعوب . وهي الفكرة تقريباً التي قيل إن جورج كنيث قد استخدمها في رده على ريغان عندما أثار الأخير موضوع تدخل الاتحاد السوفيتي في مناطق الصراع الملتهبة ، خاصة أمريكا الوسطى وأفغانستان . لقد ذكر أن جورج كنيث قال إن مشكلة العالم الثالث ليست في تدخل الاتحاد السوفيتي في شؤونه ، فهناك قضايا اقتصادية واجتماعية وسياسية خلف ما يجري هناك ، ومن يرى أن يد موسكو خلف المشكلات الإقليمية فإن هذا الرأي غير مسؤول ، ومن الطبيعي أن يوصف أصحاب هذا الرأي بتهمة الغباء !!

□ ومنذ منتصف الخمسينات أصبحت قوى التحرر في العالم الثالث قوى جديدة محبة للسلام ، ونتج ذلك ظهور فكرة الحياد لدى تلك الدول بين المعسكرين الشرقي والغربي . ومنذ ذلك الوقت فإن مناطق النزاع كثيرة ، ولكن القوى الفاعلة هي هي . ولعل قمة التصعيد كانت حرب فيتنام التي منيت فيها الولايات المتحدة بهزيمة منكرة أجبرتها على التراجع وتغيير تكتيكاتها بشكل جذري .

وعلى الصعيد أيديولوجية مشابهة سيطرت الولايات المتحدة ، فهي حتى الحرب العالمية الأولى في ركن قصي من العالم ، وكانت اهتماماتها في ذلك الوقت لا تتعدى القارة الأوروبية منبع المهاجرين الأمريكان على أقصى حد . كما أن نقاط ولسون الأربع عشرة إبان الحرب الأولى كانت تدعو لتقرير المصير وتحرير المستعمرات وأصبح لها صدى إيجابي لدى كثير من زعماء العالم الثالث ، إلا أن الحرب العالمية الثانية وبعد التوسع الشديد الذي شهدته المؤسسة العسكرية الأمريكية عيناً لأمريكا دور جديد في العالم ، فقد أخذت الولايات المتحدة على عاتقها انتشال أوروبا التي خرجت من الحرب شبه خربة عن طريقين : اقتصادي وعسكري ، فبجانب التزام الولايات المتحدة بحلفائها في حلف شمال الأطلسي أصبح لها حتى الآن أكثر من خمسين التزاماً لمساعدة حلفاء مختلفين بين أنحاء العالم ، وبعض هذه الالتزامات مات ميتة طبيعية (كما في حلف بغداد) وبعضها مازال قائماً ، وكان « النضال ضد الخطر الشيوعي » هو القاعدة الأيديولوجية المشتركة لكل تلك الالتزامات . نظرت الولايات المتحدة بعد الحرب إلى كثير من حركات التحرر الوطني في العالم الثالث على أنها ثورات تخريبية ، خاصة تلك التي تعتبرها أمريكا ثورات متطرفة . ونجد أن جون فوستر دالاس ـ أحد أشهر وزراء الخارجية الأمريكان في الخمسينات (٥٣ ـ ٦١) وحتى قبيل تعيينه في وزارة الخارجية عام ١٩٥٣ ـ أعد مذكرة خاصة للحكومة الأمريكية ومجلس الشيوخ (٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٠) وقد أوصى في تلك المذكرة بالنظر إلى جميع الأحداث (الثورية) دون استثناء بما في ذلك حركات التحرر الشعبية سواء في بلدان أوروبا أو الصين أو جنوب شرق آسيا أو إفريقيا على أنها (فصول في برنامج أعمال التخريب المستقل الذي توجهه موسكو) . وكان هذا القول انعكاساً عن أطروحات الولايات المتحدة الليبرالية فيما بين الحربين ، التي كانت تدعو إلى إلغاء الاستعمار ، وعلى الأقل

تقدير كانت تقف موقفا ترقبيا من حركات التحرير الوطنية ، على الموقف الترقبي تحول الى معاداة ابان حكم ايزنهاور - دالاس ، والاستثناء الوحيد هو موقف الولايات المتحدة من الاعتداء الثلاثي البريطاني - الفرنسي - الاسرائيلي على مصر سنة ١٩٥٦ ، أما بعد ذلك فقد أعيدت الأمور الى سيرها الأول .

□ وفي بداية الستينيات عندما وصل جون كينيدي الى سدة الرئاسة الأولى في الولايات المتحدة وشهد نتائج السياسة الخاطئة في الدعم المتواصل للأنظمة المسلطة في العالم الثالث ، وان تلك السياسة تعود على الولايات المتحدة بالخسران قرر اعادة النظر في العلاقات القائمة مع البلدان المتحررة وعدم مساواة حركات التحرر في المستعمرات في العالم الثالث مع « الدول الاشتراكية » (ذلك « غلطة سياسية كبيرة ») . يمكن أن يدفع بتلك الحركات التحررية الى « احضان الشيوعية ») . وحلت في حكم كينيدي سياسة « دعم التطور » بدلا من سياسة « دعم الأمن » التي تبناها جون فوستر دالاس سابقا من منظور « الحرب الخفية » .

وقد وضع كينيدي برنامجا نشيطا لدعم السياسة الخارجية الجديدة للولايات المتحدة ، لهذا الغرض أعيد تنظيم نشاط وكالة الاعلام الامريكية (USIA) وتزايد استخدام الاقراض الاقتصادي وتوسيع برامج المواد الغذائية ، ولم تكن الآلة العسكرية بعيدة عن اطار هذا البرنامج فأعلن البرنامج العسكري (الاستجابة المرنة) وعني عدم التدخل العسكري المباشر ، ولكن المرن غير الملحوظ . وقد كان درس الفشل في كوبا هو أحد الدوافع لكينيدي لوضع ذلك البرنامج .

مقتل كينيدي المبكر ووصول جونسون الى الرئاسة والتطورات الداخلية الأخرى جعل جونسون يفرط في استخدام برنامج (الاستجابة المرنة) ثم تحول هذا البرنامج الى « تدخل شامل » منذ منتصف الستينيات ، الأمر الذي أدخل الولايات المتحدة - وبعض حلفائها - في نزاع مسلح وبشكل مباشر على أرض بلد من بلدان العالم الثالث « فيتنام » . وكان المشهد المركزي لسياسة الولايات المتحدة طوال عقد كامل (٦٥ - ١٩٧٥) هو مشهد الجندي الامريكي في فيتنام .

هزيمة أمريكا في فيتنام هي مفصل مركزي جعلت الولايات المتحدة تعيد النظر في التنافس التاريخي للقطبين العالميين ومن هنا شهد العالم لقاءات مكثفة على مستوى القمة (بين ٧٢ - ٧٤ أربعة لقاءات قمة) وأعلنت سياسة « الانفراج الدولي » . الا أن هذا الانفراج لم يلبث أن شهد حالة شد - وزعم منتقدو الانفراج في الولايات المتحدة أن السوفيت استخدموا الانفراج للتدخل في شؤون البلدان المتحررة حديثا في العالم الثالث - فهو - أي الانفراج - كما وصفه أحد الكتاب الأمريكان (شارع ذو اتجاه واحد يسمح للاتحاد السوفيتي بتحقيق أهدافه في الدول المتحررة حديثا دون التخوف من ردة فعل جوابية من الولايات المتحدة) . عقدة فيتنام هي التي حكمت هذه الفترة - خوفا من التدخل الامريكي المباشر - استبدل بها مبدأ نيكسون القائل بدعم قوى للحلفاء الاقليميين المحليين ثم جاء بعد ذلك تشكيل قوات « الانتشار السريع » التي قال بها كارتر سنة ١٩٧٧ .

وجاءت أحداث أفغانستان (ديسمبر ٧٩ - يناير ١٩٨٠) لتوقف خطر الانفراج ورفض الكونجرس التوقيع على المعاهدة الثانية للحد من الأسلحة النووية الموقعة بين كارتر وبريجنيف في فيينا يونيو ١٩٧٩ . وقاطعت الولايات المتحدة الألعاب الاولمبية التي أقيمت في موسكو صيف ١٩٨٠ . وقبل ذلك بقليل أقامت علاقات مع الصين وقررت تزويدها بصفقات من الأسلحة الأمريكية كما ساهمت الحرب الكلامية والضغوط المختلفة حتى وصل ريجان الى السلطة في الولايات المتحدة بسياساته الجديدة التي أدخلت العالم في مفاهيم عسكرية وسياسية جديدة سُمّي بعض منها « بحرب النجوم » و « إرهاب الإرهاب » . وانطلقت من ذلك الى حد لا يصدق كلمة الفيلسوف الامريكي ب . الكروس عندما كتب : (عندما يبدأ المجتمع بالشعور بأنه هالك بسبب بعض النذر الشريرة . . سيظهر شخص بنظرة زائغة في العيون اللامعة ويقول ما هو المخرج ؟ وسيتبعه العديد منا ظانًا انه يجهل تمامًا أنه يعرف الى أين يسير) .

يبدو أن البحث عن بطل لإزالة النذر مرحلة ليتم لقد وجدته الأمريكيون في شخص رونالد ريجان الذي انتخبوه مرتين والذي جعل أحد دعاة السياسة الأمريكية المعاصرين وهو كيسنجر يصفه بالقول : (انه ليس مفكرًا ولكن من جهة أخرى تراه يسيطر على كل عملية سياسية شارك فيها ، وغالبًا ما يقدم مقترحات غير مرضية من الناحية المنطقية ، ولكن غالبًا ما يتضح ان هذه المقترحات صحيحة !)

☐ من أي منظور ننظر في علاقاتنا - نحن العرب - بالقوتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، لأن مصالحنا ليست بالضرورة هي من أولويات العملاقين الجبارين ، والصراع الذي خلفه خروج الاستعمار من آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط في أعقاب الحرب العالمية الثانية برز الى الوجود بعد ظهور الدول الصغيرة والضعيفة التي شجعت شهية التوسع الاستعماري . وكان أفظع أشكال التوسع هو التوسع الاستيطاني في فلسطين .

كما أنه من غير المنطقي ألا نهتم بالعلاقات بين القوتين العظميين لأن موقفهما يؤثر بدرجة كبيرة على الموقف العام في العالم . وعلى تطور العلاقات الدولية اجمالاً ونحن جزء من هذا العالم .

الموقف الصحيح هو أن نعرف بالضبط أن حلول مشكلاتنا يكمن فينا أولاً ، في رغبتنا وقدرتنا على رص صفوفنا . وعلى فهم صحيح لرغبة شعبنا العربي الذي رفض في السابق ، ويرفض في الوقت الحالي ، أن يقع تحت أي من النفوذين خارج علاقات التعامل المتكافىء . واذا كنا كعرب نريد أن نسهم اسهامًا حقيقيًا في صنع السلام هذه . . فلا بد أن نبدأ بأنفسنا . . قبل كل شيء ☐



مؤتمر دولي للمسيحيين الصهاينة أيضا ..!

بقلم : يوسف الحسن
[illegible]

في المؤتمر الأول للحركة الصهيونية المنعقد في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ ، وصل القس البروتستانتي (وليام هشلر) إلى قاعة المؤتمر بصحبة هيرتزل ، ووقف يحيي الزعيم الصهيوني المؤسس قائلا « يحيا الملك » ، وخطب في المؤتمرين مطالبا بأن « استيقظوا يا أبناء إسرائيل ، فالرب يدعوكم للعودة إلى وطنكم القديم في فلسطين » .

كانت ثمة [illegible] الصهيونية في تاريخ الآخر [illegible] لأعداد [illegible] اليهود [illegible] الاستعمار [illegible] والتي [illegible] في [illegible] النبيل .

ومنذ ٨٨ عاما [illegible] أواخر أغسطس ١٨٩٧ [illegible] مؤتمر صهيوني [illegible] إسرائيل [illegible] المسيحي ، وصنعوا من أجل [illegible] الصهيونية [illegible] المسيحي ، ويعززون الاستيطان في الأرض [illegible] وحركة [illegible] المشروع الصهيوني . . . ومن أجل [illegible] الرب أيضا ..!

شيء من التاريخ

ثمة من المتحمسين للعمل العربي العام وخصوصية [illegible] الفكري ممن يعرفون أن أول من رفع [illegible] القتال عن فلسطين [illegible] بلا شعب ، لشعب

بلا أرض » عبر تيارات مسيحية أصولية أوروبية وأمريكية . وكان ذلك قبل بلوغ هيرتزل نفسه سن الرشد . وأن أول جماعة ضغط (لوبي) صهيونية يهدف دعم إقامة دولة لليهود في فلسطين قد أسسها مسيحيون أصوليون في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٨٧ ، بزعامة القس (وليام بلاكستون) ، حينما أنشأ في شيكاغو منظمة أسماها (البعثة العبرية بالنيابة عن إسرائيل) . ودعا لأول مؤتمر دولي لمناقشة (أوضاع الإسرائيليين ومطالبهم في فلسطين كوطن تاريخي لهم) . وأهدى هيرتزل نسخة من (العهد القديم) واضعاً علامات تحت النصوص التي تشير إلى استعادة فلسطين . ولقد حفظت هذه النسخة في ضريح هيرتزل بالقدس .

لقد استخدمت الصهيونية مقولات منذ نشأتها حتى الآن من مصادر متنوعة يهودية وغير يهودية ، وتعددت بين مرجعيات عديدة : سياسية ، واستراتيجية ، وعنصرية ، واستعمارية ، ودينية ... الخ . ولقد كتب الكثير حول هذه المقولات والبواعث ، لكن ميداناً هاماً من الصهيونية ظل مجهولاً ، ألا وهو دور فكر ومؤسسات الأصولية المسيحية (أو ما تسميه بعض الدارسين الكنيسة الأمريكية بالصهيونية المسيحية) في دعم التطرف وتوجيه الجسر التقني والعسكري اللازمين لولادة الحركة الصهيونية ، ودعمها في تنفيذ مشروعها وحمايته ، ودعم تطويره وتوسيعه وتمدده . بالإضافة إلى تعميق النزعة الصهيونية - الإسرائيلية لدى بعض شعوب أوروبا وأمريكا ، التي تجاوزت شعاراتها السياسية والاجتماعية ، لتصبح من الثوابت الدينية والثقافية ، والتي تطبع بطابعها العقل الشعبي والسياسي الرسمي ، وخصوصاً في الساحة الأمريكية ، لأنها ينبعث عن : إسرائيل ، الصهيونية ، على أنها (من تأويل العهد القديم) حضارات دينية سياسية ، وتم بمقارنة تجربة مطاردة الهنود الحمر في أمريكا الأمس ، مع تجربة مطاردة اليهود للكنعانيين في الماضي والفلسطينيين في الحاضر ، لتصبح عمليات التصفيات فلسفة وقناعة أمريكية - إسرائيلية مشتركة . وأن يعتبر المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة ، ليست غير شرعية ، كالاستيطان تجربة مشتركة أتاحت وجداناً أمريكياً إسرائيلياً واحداً .

الصهيونية أنشودة مسيحية

ولم يكن (كينين) أحد أبرز القيادات الصهيونية اليهودية الأمريكية المعاصرة مبالغاً حين كتب في كتابه (خط الدفاع الإسرائيلي) يقول : « كانت الصهيونية أنشودة مسيحية قبل أن تصبح حركة سياسية يهودية » . ولقد استمرت هذه الأنشودة الأصولية المسيحية طوال القرون الثلاثة الماضية ، واستخدمت بأشكال مختلفة ، كان من أبرزها صرخة « حركة البعث المسيحي البروتستانتية في أوروبا ، حيث اعتبر الأصوليون الحرفيون مسألة عودة اليهود إلى فلسطين بعد تشتتهم ، تمهيداً في المفاهيم الأولى للكنيسة ، على أنها « عودة اليهود كأمة إلى أرض فلسطين من أجل التحضير (للعودة الثانية للمسيح) » .

كما ساعد كثيراً في منتصف القرن السابع عشر ، وخصوصاً في عهد كرومويل ، الاتجاه العام الذي ساد بين الشعب البريطاني والمتعلق بفكرة العاطفة نحو فلسطين لأسلافهم العبرانيين ، وذهب البعض إلى اعتبار أن « العبرية » هي اللغة الإلهية للصلاة في الكنائس وقراءة الكتاب المقدس .

وفي مطلع القرن التاسع عشر ظهرت حركات كنسية أوروبية ، تنادي بضرورة استعادة اليهود للأرض المقدسة ، وأن اليهود هم ، بمثابة الخطوة الأولى للعودة الثانية للمسيح المنتظر . وتعددت المقولات والمواعظ والمؤلفات حول هذا المعنى في أوروبا ، مع ولادة الصهيونية السياسية في أواخر القرن التاسع عشر .

ولقد كان التطور الفكري والديني وخصوصاً عقيدة « الحركة البروتستانتية المؤمنة بعودة المسيح » تأثيراً كبيراً على مستقبل الموقف البريطاني الرسمي نحو الصهيونية ، وإقامة دولة لليهود في فلسطين ، حتى أن بلفور صاحب الوعد المشؤوم ، وبرغم اعتباراته وقناعاته السياسية بإقامة دولة لليهود في فلسطين ، فإنه أطروحات « شعب الله المختار » ، ودعمه في أرض الميعاد » ، وتحقيق النبوءة التوراتية بتجميع اليهود في

الدفاع عنها ..... وسوف كنا نصلي للقدس الموحدة تحت الحكم اليهودي ، أو من أجل الإفراج عن اليهود السوفييت . ولكننا يجب أن نبلغ بالشجاعة للتحدث بصوت عال أمام حكوماتنا ، وكل رسالة نبعث بها إلى أصدقاء حولنا ستحسم بالمسألة حول الشعب الإسرائيلي » .

وفي احتفالاتها في أكتوبر ١٩٨٤ ، حشدت السفارة سبعة آلاف من رجال الدين المسيحي جاءوا من أكثر من ٤٠ دولة ، وقد تجمعوا في القدس وزاروا المستوطنات وسيروا المظاهرات تأييدا « لإسرائيل » ودعما لها .

وتقول واشنطن بوست في عددها الصادر بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٨٥ :

« لقد حضر حفل الاحتفالات رئيس وزراء « إسرائيل » وقادتها ، وكذلك جنرالاتها ، والتمس كمناصرة أبدية « لإسرائيل » ..... و « أقيمت الصلوات المسيحية من أجل هذا الهدف » .

فرقة أغاني صهيون

وتستخدم السفارة شبكة واسعة من أجهزة الإعلام لنشر أهدافها وتكثيف أتباعها في كيفية خدمة القضية الإسرائيلية . فهي تصدر مجلة إخبارية ربع سنوية اسمها (الرابعة) بالإضافة إلى عشرات من الأوراق والنشرات والبيانات الدورية ، وتبعث فيها صهيونيا ، وشكلت لجانا للعمل السياسي ، ونظمت حملات مستمرة من الرسائل البريدية إلى صانعي القرار في عدد من دول العالم ، وصارت تحضر جلسات الاستماع في الكونجرس الأمريكي . وفي نفس الوقت رتبت حملات لجمع الدعم دعما لجنود « إسرائيل » أثناء غزو لبنان عام ١٩٨٢ ، وأنشأت فرقة للغناء أسمتها (فرقة أغاني صهيون) وجمعت المساعدات المالية ، وشجعت بيع السندات الإسرائيلية داخل الكنائس الأمريكية .

ويستشعر مسيحيو فلسطين المحتلة مدى خطورة هذه السفارة ، ففي مؤتمر صحفي عقده المطران (إيليا خوري) عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية (والذي أبعدته سلطات الاحتلال عام ١٩٦٩) في نوفمبر ١٩٨٤ قال :

« إنه وراء قيام هذه السفارة مجموعة من المسيحيين الصهيونيين ، وبتوجيه من القيادة الصهيونية ، ويتستر منها بدعوى الحفاظ على المصالح المسيحية في فلسطين . وإنني أؤكد أن المسيحيين هم براء من هذه السفارة وعلى رأسهم المسيحيون العرب » .

ولعل أبرز نشاطات هذه السفارة مؤخرا، ذلك المؤتمر الدولي الذي حرصت على عقده في نفس المكان الذي انعقد فيه أول مؤتمر للحركة الصهيونية السياسية في مدينة بازل بسويسرا . وقد عقد مؤتمر بازل الجديد في ٢٧ - ٢٩ أغسطس ١٩٨٥ م بحضور أكثر من ٦٠٠ من القيادات الصهيونية المسيحية ، قدموا من ٢٣ دولة ، إضافة إلى أكثر من هذا العدد من المراقبين - حضروا من الصين والهند وسريلانكا ونيجيريا وجنوب أفريقيا واليابان وسلطنة بروناي وتاهيتي . بخلاف ممثلين عن المنظمات الصهيونية اليهودية والمؤسسات الإسرائيلية . كما لوحظ مشاركة عدد من رجال الدين الكاثوليك الذين هاجموا موقف الفاتيكان من عدم اعترافه « بإسرائيل » .

وتقول واشنطن بوست في عددها الصادر يوم ٣١/٨/١٩٨٥ على لسان القس (جيمس لويس) أحد أبرز القيادات الصهيونية المسيحية الأمريكية :

« ستشهد الكنائس المسيحية في المرحلة القادمة أعظم انقلاب شهده العالم المسيحي بسبب موقف الكنيسة من « إسرائيل » .

إعلان بازل الجديد

وقد تركزت قرارات هذا المؤتمر على عدد من القضايا الرئيسية التي أبرزها :

١ - الضغط بالمطالبة بمزيد من الاعتراف الدولي « بإسرائيل » كدولة لليهود ، ودعم عمليات تهجيرهم من شتى أنحاء العالم ، وخصوصا من الاتحاد السوفيتي ، لاستيطان الضفة الغربية وغزة ، وتكملة المشروع الصهيوني الممتد من الفرات إلى النيل ، تحقيقا للنبوءات التوراتية .

٢ - مطالبة جميع الدول والمؤسسات الدولية الحكومية والخاصة فتح أبوابها كاملة للمشاركة الإسرائيلية ، وعلى الدول المقاطعة الانسحاب من هذه التجمعات إذا ما طردت منها « إسرائيل » .

٣ ـ مطالبة جميع الأمم بالاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية « لإسرائيل » . وبالتالي نقل سفاراتها إليها .

٤ ـ إدانة كل أشكال اللاسامية ضد اليهود .

٥ ـ مطالبة الدول الصديقة بالامتناع عن تسليح العرب بما فيهم مصر .

٦ ـ تشجيع المشروعات لتوطين الفلسطينيين (يسميهم المؤتمر اللاجئون من « إسرائيل ») في الوطن العربي . وتوفير العدالة للاجئين اليهود العرب إلى « إسرائيل » .

٧ ـ دعم وحماية الاقتصاد الإسرائيلي وإنشاء « صندوق استثمار مسيحي دولي » يكون مقره في أمستردام وبرأسمال يبلغ قدره مئة مليون دولار ـ ويخصص للمساعدات التقنية والسياحية في « إسرائيل » .

٨ ـ مطالبة العالم بعدم الانصياع لأنظمة المقاطعة العربية « لإسرائيل » .

٩ ـ تحث الكنائس لنصرة « إسرائيل » وإنشاء تنظيمات بجمهور شعبية لهذه الغاية . ومطالبة مجلس الكنائس العالمي بالاعتراف بالرابطة التوراتية بين الشعب اليهودي وأرضه الموعودة ودولته « إسرائيل » .

١٠ ـ الصلاة لتطهير المجيء الثاني للمسيح ومملكته الألفية في القدس .

ما العمـــل ؟

لا بد أن يشكل انتشار الصهيونية المسيحية الأصولية ، وصعودها على المسرح السياسي والثقافي والإعلامي ، وتأثيرها في عقل المجتمع المدني المؤسسي الغربي بشكل عام والأمريكي بشكل خاص ، خطورة وقلقاً بالغين .

فهذا التيار يشكل « مرحلة » جديدة تسيء إلى المسيحية الصحيحة ، ويتوازى مع خطر إمكانيات حدوث صدام ديني في القطاع من العالم . خصوصاً مع تصاعد وتنامي الاتجاهات الدينية في الوطن العربي والعالم الإسلامي ، وانتشار الاقتتال الطائفي في أنحاء متفرقة من العالم . وتزايد الدعم الأمريكي « لإسرائيل » وخصوصاً في استكمال مشروعاتها التهويدية وتهديد الأماكن المقدسة في القدس . وما تلعبه المنظمات الصهيونية المسيحية من أعمال استفزازية للمسيحية الدولية ، ومخالفة لتعاليم السيد ومنظومة (القيم الأخلاقية) . وغيرها الكثير في تدعيم السياسات التوسعية والتهويدية الإسرائيلية . وما تتركه هذه المنظمات من استفزاز للمشاعر الوطنية والقومية والدينية للعرب والمسلمين في شوارع المدن العربية المحتلة أو في المنابر الدولية .

كل ذلك مدعاة للتصدي من المجتمع العام الرسمي والشعبي في الوطن العربي وخارجه لاقتحام هذا الميدان . والتصدي معه وخطورته دون استمرار استغلال الصهيونية للكنيسة ومبادئها وشعبها .

ثمة مقترحات عديدة ومثمرة يمكن طرحها في هذا المجال . ابتداء من إنشاء مؤسسة للحوار إسلامي ـ مسيحي دائم ، وزيارات متبادلة ، وجسور مستمرة من اللقاءات والأعمال المشتركة يحضر فيها مفكرون وعلماء دين مسيحيون عرب بحيث ويمكن لهذه المبادرة دوراً مهماً . والتوجه بالتعاون مع الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية . وبعض الطوائف البروتستانتية ، غير المرتبطة « بالصهيونية » ، والكنيسة المنتشرة في أوروبا وأمريكا . والوعي بهذه الحقائق هو الخطوة الأولى نحو التعامل معه .

إن الصهيونية الأصولية المسيحية ليست مجرد منظمات تكتب تدعم مكانة « إسرائيل » وسياساتها تتجاوز من تحقيق « وعد » الله « لليهود » . بل تشكل تياراً رئيسياً وثقلاً شعبياً لا يجوز الاستخفاف به أو بالتقليل من تأثيره وتمدده . فقد وصلت رسالة الصهيونية المسيحية بفعل ما تملكه وتديره من وسائل إعلامية وخصوصاً التلفزيون ، إلى عقول وقلوب الملايين من الأمريكيين ، مستمدة بقوة عالمية ما تتمتع به الثقافة الأمريكية في عصر الصناعة من صبغة « شخصية » و « تقنية » . وتمكنت من تحويل جمهور الكنيسة إلى التأثير في الفكر والثقافة الشعبية وسيطرت على التوجه السياسي لتحكم في التصريحات من هذا القرن وفي تحويل دولته على الأرض . ويخطئ من يعتقد أن الكنيسة في أمريكا لا دور لها ، بسبب ما يقال عن علمانية المجتمع الأمريكي . والصحيح أنها تحظى بحرية عالية من الفعل والتأثير .

المستشار موقف

بقلم : الدكتور عبدالوهاب حومد*

الشخصيات العامة كانت وما زالت على خلاف . . . مع ذلك فإن التاريخ يقول كلمته في النهاية .

هنا في هذه الأوراق جانب جزئي عن موقف شخصية عامة ، لعبت دورا كبيرا في حياة الأمة حول قضية تتعلق بحياة أو موت بعض الأفراد !

فما الذي تحويه الأوراق ؟

حين تقرر اعلان قيام الوحدة الشكلية عام ١٩٥٨ بين مصر وسوريا،اصطرت برامة تضية خطيرة ، لاعتبارات داخلية خاصة بأوضاع بلدنا ، والتي كانت على ثقة راسخة بأننا - نحن السوريين - وضعنا عبء الأمانة القومية ، على كاهله وحملوه فوق كتف القائد العربي ، وأرسينا الأساس المتين للصرح القومي الشامخ ، الذي ظللنا حلمنا بتحقيقه ، وعملنا له منذ أن كنا أحداثاً في المدرسة الثانوية ، نتلقى بالسيطرة على جنود الاحتلال الفرنسي .

واستقبلت الوحدة في المناطق الرسمية بالمشاعر الشعبية ، كحدث جليل من أحداث التاريخ الكبرى ، كما استقبلتها الأوساط الشعبية ، على اختلاف شرائحها الاجتماعية بالأهازيج والمسيرات الكبيرة ، مما لم تشهده من قبل منذ العشرينيات إلى الستينيات،فقد كانت أول وحدة تتم بين قطرين عربيين على أساس من التفويض والرضا المتبادل ، تنازلت فيها سوريا ، راضية مرضية ، عن مظاهر

---

* وزير العدل في وزارة الوحدة ، استاذ ورئيس قسم القانون الجنائي في جامعات دمشق والرباط والكويت ما بين ١٩٤٩ - ١٩٨٣ .

الدولة ، ليصبح الشقيق الأصغر في الدولة الكبرى ، المتحدة .

ويتسم هذه الوحدة ، برئاسة الرئيس عبدالناصر ، ثبتت هيبة القائد الخالد في المسرح العالمي ، وأدرك العدو الصهيوني أنه أصبح بين فكي كماشة ، قادرة على أن تطبق عليه ذات يوم ، من الشمال والجنوب ، بعد أن كانت تستفرد كل جبهة على حدة لمواجهتها ومحاربتها . فيما تنتظر الجبهات الأخرى دورها .

ومن حق التاريخ أن أقول عن هذه الوحدة ، إنها جاءت تلبية لشعور قومي كامن في النفس العربية منذ الأزل ، فربما ظلت حبيسة في الصدور ، مشاعر جياشة وأحاسيس متوثبة .. حتى جاء عبدالناصر وأطلقها من حبسها ، فانطلقت تتدفق كالسيل العرم ، لا يقف في وجهه ، لا الرجعية المتزمتة ولا المتربصون في أوكار الشر ... لذلك كانت هذه الوحدة نصرا شخصيا له توج بها انتصاراته الباهرة ، في اخراج الانكليز من مصر ، وتأميم القناة ، وسحق العدوان على السويس ، وتساقط الحكومات المعادية ، من غي موليه في فرنسا ، الى انطوني ايدن في بريطانيا .

مظروف غامض

وفي هذه الأجواء المشبعة بالأمجاد القومية الخالدة ، دعاني متحمسا الى تولي حقيبة وزارة العدل في دولة الوحدة الفتية . ولقد أحسست ، وأنا أقبل التكليف ، بشعور غامر من العزة بهذا التكريم الشخصي . ولكني ، للأمانة ، شعرت أيضا بكثير من الحرج ، لأن الحقيبة الجديدة ستجعلني بزمالة رئيس كان اسمه يرن في أسماع الدنيا كلها ، حتى انه لما أراد زعيم كبير منحرف ، كان يكفيه أن يصرخ على الجبهة الأخرى ، بأنه يتركه لشعبه .. ولقد عرف عبدالناصر ويدرك الشعب ما يعنيه هذا القول على الحقيقة .

وكنا مازلنا في أجواء الثورة الظافرة ، حين دخل على مدير مكتبي ، ذات صباح ، يحمل الي مظروفا كبيرا ، أصفر اللون ، مختوما بالشمع الأحمر ، ومكتوبا عليه (سري ويفتح باليد) ..

وربما جال في خاطري ، وأنا أفتحه ، كل الاحتمالات ، الا احتمال ما وجدته فيه .... لقد كان يضم بين جانحيه على ترجمته ملفات كثيرة الخطر والخطر ، تتضمن تصديق رئيس الجمهورية على خمسة أحكام صادرة من القضاء السوري ، بإعدام خمسة من المجرمين ... ولم يكن ما قرأت باعثا للبهجة ، لأنه يعني أن علي أن أصدر الأمر الى النيابة العامة بنصب خمس مشانق في الساحات العامة ، لانتزاع أرواح خمسة من البشر ..... وإنها لمهمة شاقة ، يتحرج لها الصدر ، وتضيق بها النفس ، لأن نهايتها نهاية مكروهة ، ولو كان القضاء عليها سيرا في كتاب الله ، وينص القانون ويحكم القضاء .. وفي الحال حملت المظروف الى بيتي ، دون أن يكون أحد قد عرف بمضمونه ... لقد علمتني أحداث الحياة ، أن من الأفضل أن يحكم المرء بعض الأمور الصعبة والدقيقة ، لعله يستطيع أن يحول مجراها الى ما هو خير وأبقى .

وجلست في مكتبي بالمنزل أقرأ الملفات ، في هدأة الليل ... ومن اللحظة الأولى ، لم أعترف بأنني لا أملك حيال هذه المسألة الشائكة أي سلطة ، فحق التصديق على أحكام الاعدام أو الامتناع عن التصديق عليها ، يعود الى رئيس الجمهورية وحده ، باعتباره المرجع الأعلى والملاذ الأخير للذين حكم عليهم بالموت ، بموجب أحكام الدستور (المادة ٧٣ من دستور ١٩٣٠ والمادة ٨١ من دستور ١٩٥٠ والمادة ١٠٥ من دستور ١٩٧٣) ، وحين يستريح ضميره الى إعدام المجرم ويوقع على المرسوم ، يكون أمر جليا للنسيان ، كأنه أطلق في وجهه ، ولم يعد من حق أي مسؤول أن يحمل شبهة ، لا سيما اذا كان هذا المسؤول هو الذي أوصى بإصدار هذا المرسوم . صحيح أنني لم أكن ، شخصيا ، قد أوصيت بشيء ، لأن هذه الأحكام صدرت قبل قيام الوحدة ، وأرسلت الى رئاسة الجمهورية السورية آنذاك ، واحتفظ بها الرئيس السابق في مكتبه ، فقد كان المعروف عنه أنه كان لا يحب أن ينفذ هذا النوع من القرارات بل كان يهملها ويحجبها بشدة .... فقد أرسلت من قبل وزراء سابقين للعدل ، غير أن من شأن الدولة أن تنسى أمورها من قبل الأجهزة المختصة ، حرصا على

القعدة غير مألوفة ، مضيفها إلى ما جرى مصحوبا قبلا ، يظل كذلك إلى أن يأتي . . .

ثارات العائلات

ولقد استقر في روعي أن ثلاثة من القتلة يستحقون أن يموتوا جزاء ما اقترفت أيديهم من إزهاق أرواح بريئة حرم الله قتلها إلا بالحق . . . وهؤلاء قتلوا ضحاياهم في ظروف عنيفة ، بعيدة عن الحق . . . فكان اصدار الأمر إلى النيابة بإعدامهم ، تنفيذا لحكم الله فيهم ! ولكم في القصاص حياة ! ، حقا علينا . . لم نتراجع له يمنى . . . ومع بواكير الفجر في اليوم التالي ، لفظت ثلاثة أجسام ، عادة ، هزات عنيفة ، ثم صمتت ، لهذا لي أسبابها وجه عدم لوم للمعترض عليه في تملية الأخرى . .

ولكني وقعت في حيرة كبرى أمام تنفيذ الموت في الشكريين الاثنين الباقيين . . . وجوهر الحيرة طبيعة جريمتهم التي ارتكباها معا ، والظروف الشائكة التي أحاطت بارتكابها . فهما من أسرة جمعها وبين أسرة تجاورها في الحي عداوة قديمة ، من جراء تنافس موروث على الزعامة . وتضم كل أسرة بضع عشرات من شباب أشداء ، اشتبكوا صباح عيد ، إثر الخلاف حق ، مطلق بواجب . . . ولكن الكرامة الجريحة ، لا تستعاد إلا بدم مراق . . . ولقد حدث أن قتل واحد من الأسرة الأولى ، أحد كبراء الأسرة الثانية ، وتدخل أهل الإصلاح في الخلاف ، وحاولوا صلحا ، بقية متطرف عليها . . . ولكن كان معروفا لكل ذي بصيرة أنه صلح هش ، ليس في مقدوره أن يطفئ جذوة الحقد . . . وظل الثأر يتراءى بكثير من الغموض ، قتل شخص يكافئ به المقتول الأول في مكانته واعتباره . . . هكذا لم يلبثا أحد بإزهاق روح آخر للقاتل بعد فترة قصيرة . . وهاهم المتهمون ينحطون على عقابهم لاعتقاد الثأر . . . وتم صلح جديد ، على دية في حجم الدية التي دفعها قوية . . . واستدعي الشهود لأداء الشهادة فأكدوا جميعا على أنهم أبصروا شيئا ، وقضت المحكمة في الدعوى بقتل ما يمكن من الأسرار الثأرية ، لعلها تساعد في تلك على ترسيخ السلام . واقتنع القاضي بالحكم ظنا منهم أن كل جانب حصل على ترضية حققت تكافؤ التوازن الزعامي المتقابلين . غير أن والدي المقتول الثاني ثمة تحسرا في القضية ، وراحا يترجحان بوعد عن قتل أبيهما . . . وحين وضعه القضاء ذات يوم في حسرتي ترابها ، صباحا به بطرائه ، على حلقة الفرسان الذين لا يقتلون غدراً ـ وضعا عليه نوعين من الرصاص جعلته في حين ، لتسقط الرصاصات جسده يتلقى عشرة رصاصة بالغة . ولكن لقد كانت لفيفا به فاقتاده يتحمل تقدم الجراحة الطبية . . . وقبض على الفاعلين ، فأنكرا علمهما بشيء مما حدث ، وأحيلا إلى محكمة الجنايات ، بقرار اتهام حكم المقاتل من أبيك لتقضي الأسئلة . . . وحاكمتهما المحكمة على جريمتهما المنكرة ، وأدانتهما بجريمة الشروع في القتل وحكمت عليهما بالإعدام . . فطعنا بالحكم لدى محكمة النقض ، فنقضته الغرفة الجنائية من ناحية شكلية ، وأعيدت القضية إلى المحكمة التي أصدرته بتشكيلها السابق ، لأن القانون يقضي بذلك ، وأصرت على حكمها السابق بإعدامهما . وصدقت الغرفة الجنائية في محكمة النقض على هذا الحكم بإجماع أعضائها ، وأرسلته النيابة العامة إلى وزير العدل . ومن أسف أنه ليس في التشريع السوري ما يوجب على محكمة الموضوع أخذ رأي المفتي على غرار التشريع المصري ، ولو كان القضاء المصري لا يعتبر هذا الرأي ملزما ، ولكنه قد يرجح جانب اللين في عاطفة الرئيس قبل إصدار الحكم بالموت حين اتخاذ قراره الأخير . . كذلك ليس في قانوننا ما يوجب إصدار الأحكام بالإعدام بإجماع أعضاء المحكمة ، وهذه ضمانة أخرى وإن كانت موضع نظر ، إلا أنها قد تكون مفيدة في بعض الحالات (١) .

لم تأخذه العزة بالإثم !

ولكن القانون يشترط عرض الحكم على لجنة من القضاة في وزارة العدل ، مؤلفة من خمسة قضاة من المرتبة الأولى يصدرونه بمرسوم (المادة / ٤٤٩ / أصول جزائية) ، لتبدي رأيها فيه قبل أن يرفع إلى مكتب

(١) المادة / ٣٨١ / من مجموعة الإجراءات الجنائية ، المعدلة بالقانون رقم / ١٠٧ / لسنة ١٩٦٢ التي تشترط الإجماع .

الرئيس . كذلك فإن مكتب الرئيس يضم مستشارين قانونيين يطلعون على مراجعة هذه الأحكام الخطيرة ، وينصحون الرئيس بما تنتهي إليه رأيهم . . . وتعود الكلمة الأخيرة للرئيس ، فإن شاء صدق عليه ، وإن شاء أبدل بالإعدام عقوبة أخرى ، دون أن يكون ملزماً بأي تعليل . . . ولقد اكتفى الرئيس لسنوات بالتصديق على الحكم ، وبذلك تكون القضية قد حسمت نهائياً . ويقضي التسلسل أن ينقل هذا القرار سرياً إلى أن ينفذ ، رحمة بالمحكوم عليه ، وإشفاقاً على ذويه ، ومراعاة لمتطلبات الأمن العام . . . وبالتالي لم يعرف به أحد سواي . وبقي أنه نبأ لم يتسرب خارج مكتبي . تكفل للموضوع وضع أكثر صعوبة . لأن التأخير في تنفيذه ، سيفسر بأنه نوع من الاعتراض غير المألوف على رأس الدولة . وصاحب الحق . . . وقد يزين له بعض أعوانه بأنه تطاول على مقامه وعرقلة لأحكام القضاء ، بل ومساس بمبدأ فصل السلطات ، كما أن أصحاب الثأر يصرون على سرعة تنفيذ الحكم ، ويأمرون بالعدالة ، ويحرصون على الثأر رغم مراكزهم وسكناهم لإرواء غليلهم . وفي مثل هذا الجو ، كان الأسهل علي أن أنفذ الحكم . ولكن المشكلة أني إذا كنت مقتنعاً بسلامة الإجراءات القانونية من الناحية الشكلية ، فإني لم أكن مقتنعاً بسلامة الحكم من الناحية الموضوعية ، أي أنني إذا كنت مقتنعاً كقاضٍ للقضية ، فإني لم أكن مقتنعاً كإنسان ، كما كانوا يقولون في مرحلة الدراسة القانونية . وبحثت طوال الليل في صراع بين واجبي كمسؤول وبين حسي كإنسان . . . وكان أكثر ما يحز في نفسي هذا التطبيق الجامد للمساواة القانونية بين الشروع وبين الفعل التام ، على الرغم من أن القانون نفسه أجاز للمحكمة أن تخفض عقوبة الشروع في القتل إلى الأشغال الشاقة المؤبدة ، أو إلى الشاقة المؤقتة مدة تتراوح بين عشر سنوات وعشرين سنة ، ولكن المحكمة جنحت في هذه القضية إلى التشبث بالعقوبة الأكثر شدة ، ربما لأنه ظن أن اللمسة الإنسانية تمنع لاقتلاع الظلم ، وتحجب جذور الشر . وكان هذا مقنعاً غير صائب في ظني . لولا أن الذي تعرضا عليه لم يمت ، لم لا يأتيه في الصراع عاجل موتورات بطلقات نار ، وجعلوه مشلولاً ، لا يستطيع سعياً في تخليصهما عن الأصلاب نحو ولادتها . . . ولذلك فإنها حرمان من نوع خاص ، فكان من الإنصاف أن يكون عقوبتها سبباً في نظرة مختلفة .

وشقيقة الأطفال أن أعدمتهما . . ستكون سبباً لاشتعال ثأر ، ستكون وقوده أجيال وأجيال . . . ومن العاجز أن تستمر الأعمال الثأرية ، جيلاً بعد جيل ، حتى يرتقي المستوى الثقافي ، إلى درجة يقتنع فيها كل إنسان بقول الله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) . ويرتفع الحق بشيء بمثل بلاغة ، يأتي هذا اليوم ليس بقريب مع الأسف . . وانطلقت قراري الذي تمكنت إليه نفسي بالتوقف عن تنفيذ الحكم ، وتوجيه رسالة سرية مباشرة إلى الرئيس يبحث له فيها رأيي ، بصدد شرعية هذا الحكم من الناحية القانونية ، وبالعيوب الخطيرة التي سوف تترتب على تنفيذه ، ونصحته باعتباري مستشاره على مسائل العدل ، أن يعيد النظر في قراره ، ويبدل بهذا الحكم عقوبة جائزة شرعية ، مهما كانت صعبة . . . ولم يمض على هذه الرسالة عشرون يوماً ، حتى أعيد إلى مكتب الرئاسة كتاب رده بإقرار جديد بتخفيض عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة بدلاً من الإعدام . . وهذا يعني أن الحياة كتبت لهما من جديد . وكنت فرحاً جداً ، لأني ساهمت في إنقاذ شخصين لا يستحقان الموت في نظري . وكنت أكثر فرحاً لأن الرئيس لم يأخذ المسألة بالإثم ، فلم يصر على قراره السابق متعلقاً على صفة موضوعية . . . فرجع ، بوعي من ضميره ، إلى جانب الحق والرحمة .

ومن ذلك بعد فترة ، أشعر أن الموضوع بحاجة البحث مجدداً . وأكتشف أن النصيحة الجريئة تلقى الشرعية الجميلة ، من أصحاب القلوب الكبيرة . . .

ولقد كان هذا في حياتنا ، نحن الأردنيين . لقد أثبتت السنوات التالية ، أننا كنا على صواب ، فيما اجتهدنا ، فقد ساد الصلح بين الأسرتين المتحاربتين ، واستفاد المحكوم عليهما من تخفيف عقوبتهما ، فصدروا أبناءً ، ثم أفرج عنهما لتحسن سلوكهما وعادا إلى قريتهما ، فيمكن من سنوات ما مرت على القضية ، إلا أنهما عادا مواطنين صالحين . . . وحتى يومنا هذا ، لا يعرفان ، ولا يعرف غيرهما ، كيف أنقذ الله رقبتيهما من حبل المشنقة تحت ظل القتل . . □

العربي - العدد ٣٣٦ - نوفمبر ١٩٨٦

حمام زاجل

شعر: يوسف عبدالعزيز

صقرٌ أنتَ .
في شعب الوطن الفوضويّ
وفي سفر النسر للقمم العالية
كيف يكتب سفر نكبته النهائية
بقميص أنيق
وطائرتا
طريحاً في (الشهرزاد) (١)
عشيّة الشيخ .. والقهوة الساخنة ؟
كيف أسلمت الثأر للقلب ،
والشعر للمرحلة الحالكة !!
أنت صقرٌ
صقرٌ في المضيق
صقرٌ في الزفير
صقرٌ في الذي كان يبكي
عربات القلعة
وشيوخ الطريق
صقرٌ في طنين الرصيف
وبريد الحمام
أين تمضي ؟
لقد أرسلوا حمامةً للسلام



أين تمضي ؟
إلى فندقٍ في أقاصي البلاد
وما أنت بالسائح الأجنبي
أيها الولد الفوضوي
أنت تعرفك طرقٌ وتعرفك
جدرانٌ وسهام
ألستَ من نسلِ أميرةٍ في شعوب
الخيام :
سوف أعودُ إلى (الجلزون) (٢)
وأسأله :
عن فتى كان يصنعُ منه الوطنْ
في ثنايا الشهيد
عن شبه التواني ،
وفرس الطفولة ،
عن أمير الصعاليك ،
عن نجمةٍ ساهرة
في ظلام المقاهي
وعن ثعلبٍ حالمٍ في الشوارع
يبحث عن قصر سيدة
وعن أن أهانهُ
ملكٌ طافحٌ بالجنون
أيها الولد الفوضوي
من تكونُ ؟!
تمرّ على الشهب
أم طيوراً بعيدة ؟
شاعراً لم يقلها قصيدة ؟؟

---

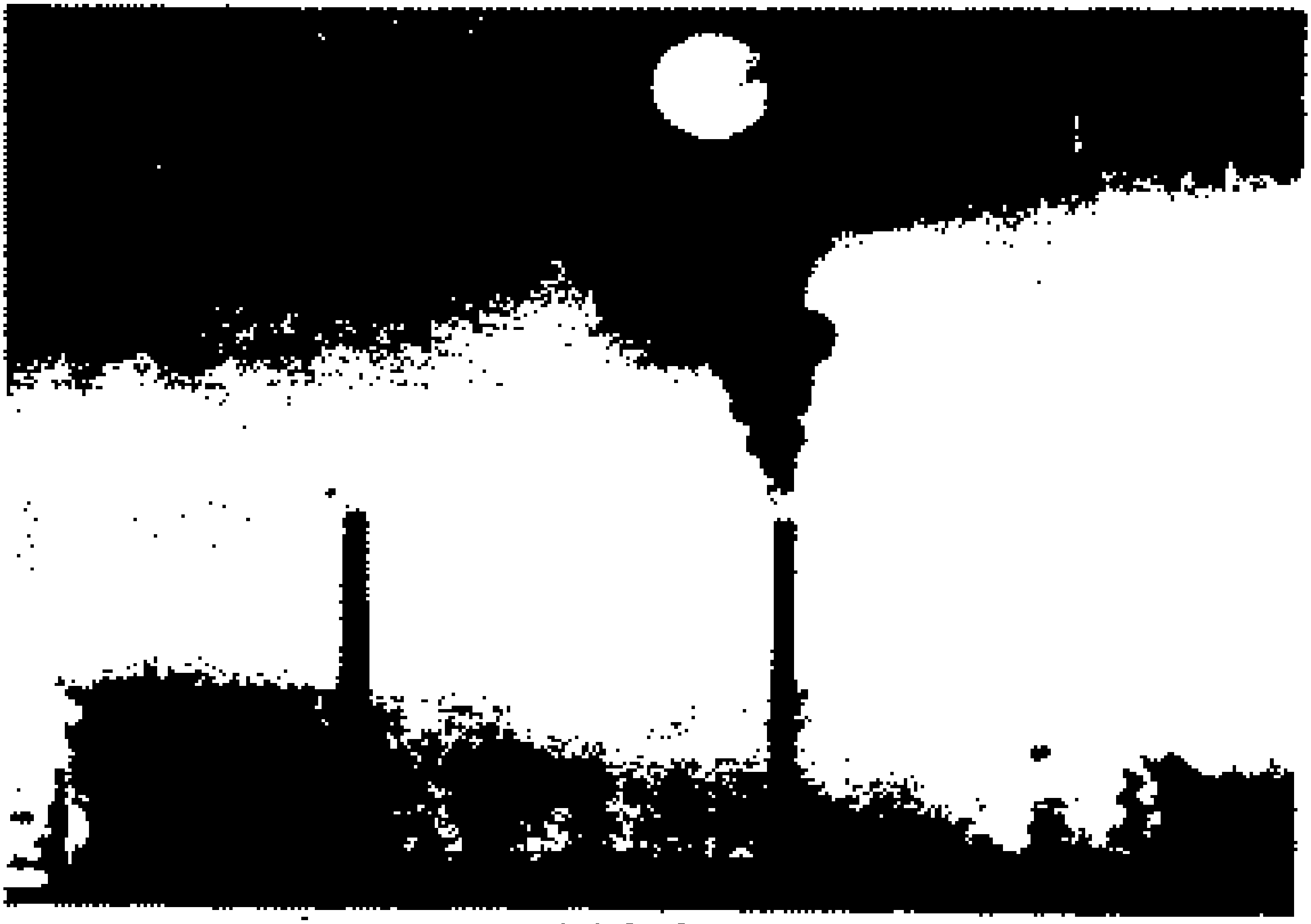
١ ـ الشهرزاد : مقهى في مدينة عمان .
٢ ـ الجلزون : مخيم فلسطيني بالقرب من مدينة رام الله المحتلة .

تلوث البيئة ناقوس خطر جديد في العالم الثالث !

بقلم : الدكتور أسامة أمين الخولي

يبدو أن كارثة مصنع شركة يونيون كاربايد في مدينة بوبال الهندية في أواخر عام ١٩٨٤ ، التي توفي فيها أكثر من ألفي شخص ، وأصيب مائة ألف آخرين بإصابات بالغة ستكون بداية عملية مراجعة شاملة لموقف الدول النامية من قضية حماية البيئة ، التي شغلت الدول الصناعية منذ عقد الستينيات حتى الآن .

بدأ الاهتمام المتصاعد على المستوى العالمي بقضية حماية البيئة في دول الشمال الصناعية في الستينيات ، عندما أثارت مسألة الأمطار الحمضية التي تسبب مصادر تلوث الطاقة في السويد والنرويج على غاباتها ، وعندما تبين من الدراسة أن مصادر هذا التلف البيئي هو الغازات المنبعثة من مداخن المحطات والمصانع في أمريكا الشمالية ، على الجانب الآخر من المحيط الأطلسي . وبدأت تكتسب المسألة بصفة عالمية تتجاوز الحدود السياسية للدول والاعتبارات الجغرافية المحلية . ولقد سبقت هذا بسنوات ثلاث ظواهر ، هامة ، تدهور البيئة نتيجة أنشطة التنمية الاقتصادية ، الاجتماعية ، وعلى رأسها التصنيع المكثف والتجمعات الحضرية التي غزت الريف وغيرت معالمه . وكان لكتاب واحد للروائية أمريكية أثر درامي في إثارة اهتمام الجماهير الأمريكية بقضية الحفاظ على البيئة . ونتج عن هذا الاهتمام



غيوم من دخان المداخن تلطخ صفاء الزرقة .

ناقرايد بأن قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة عقد مؤتمر عالمي عن البيئة في ستوكهولم في صيف عام ١٩٧٢ . وفي إطار الإعداد للمؤتمر عقدت عدة لقاءات تمهيدية في الأشهر السابقة للانعقاد . وكان من أهمها اجتماع ، يعتبر الآن علامة تاريخية في تطور حركة الحفاظ على البيئة ، في مدينة فونيه بالقرب من جنيف في سويسرا . ففي هذا الاجتماع برزت فروق جوهرية بين موقف دول الشمال الصناعية من الموضوع ، وموقف الدول النامية التي ما زالت تسعى لتطوير مجتمعاتها وتحسين نوعية الحياة لمواطنيها . فلقد كانت وجهة نظر هذه الأخيرة أن المشاكل التي برزت تمس مشاكل الدول الآخذة بسبيل التصنيع ، ولكن القضية بالصورة التي تطرح بها ليست من بين أولويات اهتمامات هذه الدول ، التي ما زالت تخطو خطواتها الأولى في التصنيع . وأبرزت المناقشات وجهة أخرى جديدة تماما للقضية ، ركز على أهمية اتساع مفهوم البيئة ، ليشمل البيئة الاجتماعية ، إلى جانب البيئة الطبيعية . ورفع لأول مرة الشعار القائل بأن « الفقر هو أكبر ملوث للبيئة » . وعلى هذا الفهم الجديد شاركت الدول النامية في المؤتمر بفعالية واضحة . وفي الساعات الأخيرة للمؤتمر تعرضت أزمة داخلية افتعلتها الصين التي كانت ترى أن انتشار الملاريا بشكل وبائي أشد خطرا وفتكا مما يمكن أن يحدثه استخدام المبيد (DDT) من آثار بيئية ضارة وأخطار صحية ، وأمكن في نهاية الأمر تجاوز الأزمة . وانتهى المؤتمر إلى تأسيس « برنامج الأمم المتحدة للبيئة » ليكون أول منظمة من منظمات الأمم المتحدة تتخذ من إحدى عواصم العالم الثالث ، نيروبي ، مقرا لها . وانتخب عالم عربي ، هو الدكتور مصطفى كمال طلبة ، نائبا لأول مدير تنفيذي للبرنامج ، ثم أصبح بعد سنوات قلائل مديره التنفيذي حتى يومنا هذا .

جدل، على نحو بصوت عالٍ حول دور الشركات المتعددة الجنسية في التنمية الصناعية في الدول النامية، إلى مستوى جديد من الحدة، واكتسبت حقائق جديدة، بل على الأصح برزت إلى السطح ووصلت إلى وسائل الإعلام الجماهيري، وأصبحت المسألة الآن هي تحديد مسئولية كل من الدولة النامية التي تنشأ فيها المصانع، وبين الشركات متعددة الجنسية التي تقيم هذه المصانع. ولقد غدا واضحاً الآن أن يونيون كاربايد ليست الشركة متعددة الجنسية الوحيدة التي تمارس مثل هذا الأسلوب، وأن هناك أمثلة أخرى كثيرة لشركات بريطانية وألمانية وأمريكية ويابانية، بل ربما كانت الشركات اليابانية أسوأ الجميع في تعاملها للاعتبارات البيئية في سعيها المسموم - بعد فضيحة تسمم الزئبق في اليابان ذاتها التي أكرهتها لتنقل الصناعات الملوثة إلى دول أخرى من بينها كوريا الجنوبية؟؟

عبر وعظات كثيرة

وفي الجدل الدائر حول هذا الأمر عبر وعظات كثيرة للدول النامية في الجنوب في تعاملها مع الدول المصنعة، والشركات المتعددة الجنسية بالذات، في الشمال. ولنتذكر بداية أن هذه الشركات هي صاحبة التقنيات المطبقة في المنشآت الصناعية، التي تبني الدول النامية الاقتصادية على أراضيها، وهي العالمة بأسرارها، وبما يكمن فيها من مخاطر، بحكم التعريف. ولنتذكر أيضاً أن التقنية في عالم اليوم، وككل يوم، سلعة تباع وتشترى، ومحاطة بحق أسرارها، كي تحقق الربح الوفير من الاستثمار في الإنفاق على تطويرها وتطبيقها وبيعها للراغبين في الاستفادة منها. والشركات صاحبة التقنية تكون إذاً ملتزمة دوماً بالاشتراطات الصحية والبيئية التي تفرضها الحكومات المضيفة. ويجب أن نضيف إلى هذا ملاحظة أخرى تبدو لأول وهلة وكأنها طعنة في خصوم هذه الحكومات. فالشركات تشير إلى أن ما تسببه أنشطتها من أضرار أقل مما تسببه الأنشطة التصنيعية المحلية والتي ليست هي طرفاً فيها.

ولكن إعمال الفكر، ولو قليلاً، يكشف عن أن هذه الشركات مطالبة بتطبيق اشتراطات الوقاية من الأخطار البيئية في الدول النامية، أكثر صرامة ودقة مما تطبقه حالياً، ومراعاتها بحزم أكبر وانضباط داخلي كامل لا تفرضه تعليمات الحكومات والأحزاب الوطنية، وذلك لسببين رئيسيين. أولهما أنها تطبق هذه الاشتراطات في بلادها والبلاد الأخرى المتقدمة. وهي بهذا لا تعمل أكثر من مجرد الكيل بمكيالين، بدلاً من الكيل بكيل واحد، أحدهما للمتقدم، والآخر للعالم المتخلف. ولقد اتضح من دراسات هيئات علمية في الشمال ذاته، وأخرى دولية، أنه لا توجد معايير مقننة تلتزم بها فروع هذه الشركات في الدول النامية فيما يختص بالاعتبارات البيئية. بل إن شركة يونيون كاربايد في دفاعها عن نفسها، ومحاولتها درء المسئولية عنها، ألقت باللوم على الإدارة الهندية لمصنع بوبال متهمة إياها بالإهمال الجسيم، فهل هذا معقول؟! وكان رد الحكومة الهندية أن الشركة مطالبة، بل ملزمة، بتدريب مديريها المحليين والرقابة على أدائهم، لأنها صاحبة المعرفة التقنية، والعالمة بحقيقة وحجم الأخطار البيئية.

ضرورة المراجعة

ومن هنا يجيء السبب الثاني لتحميل الشركات المتعددة الجنسية المسئولية كاملة. فهي صاحبة التقنية، وهي التي تحتكر أسراراً صناعية لا يمكن الاطلاع على دقائقها وتفاصيلها للمقاولين المحليين، بل إن جميع تعاقدات الحصول على المعرفة التقنية تتضمن بنوداً خاصة بالحفاظ على سرية أساليب التشغيل وأسرارها. فإن المديرين المحليين لو





هل يمكن أن يبقى أي شيء حي في ظل هذا الدخان ؟

السلطات المحلية . إذن ، فالمعرفة والقدرة على صياغة الاشتراطات البيئية الكفيلة بدرء المخاطر لا يعرفون عنها بوضوح ، ولا تستطيع حكوماتها ، مع ذلك سبيل مواجهتها ، والطرق السليمة لمعالجة النفايات الناتجة عن خلل في المنشآت . إلا أن الأمانة تقتضينا هنا أن ننبه إلى أن ما تضعه الدول الصناعية من اشتراطات في مصانع متطورة ليس سرا ، ولا أمرا يصعب التعرف عليه والحرص على تطبيقه . على أن الوضع الآن هو أن الدول النامية ، بشكل عام ، قد أصبحت تصر على تفعيل الاشتراطات البيئية الحديثة لإقامة صناعات مصرح بتطويرها ، في سعيها لاجتذاب رؤوس الأموال الأجنبية . والشركات متعددة الجنسية صاحبة التقنية والتطوير والإلزامية . ولقد كشفت تحقيقات بوبال عن أن قد سبقت الكارثة الكبيرة في نهاية العام الماضي عدة حوادث أقل خطورة ، لم تعالجها الحكومة أو الشركة بإجراءات رادعة .

وهناك اليوم العديد من الدراسات التخصصية والملاحية لعدد من منظمات الأمم المتحدة حول هذا الموضوع ، يحتل برنامج الأمم المتحدة للبيئة مركز الصدارة بينها . ومنها أيضا مكتب العمل الدولي ، ومركز الأمم المتحدة للشركات متعددة الجنسية . والغريب في الأمر ، أن نتذكر هذا المركز الأخير ، الموضوع في حجمه ، والمناطق الأخرى في مختلف نشاطه ، غير معروف بشكل دقيق وشامل في العالم النامي ، ولكن حكومات الدول النامية لا تهتم كثيرا بعمله . والأكثر أن المركز ، الذي كان قد جمع كثيرا جدا من البيانات التفصيلية عن هذه الشركات في دولها الأم ونشرها ، لم تستفد منها الدول النامية ، والمعلومات تلك التي لم تكتسب بعد خبرة كافية في التعامل معها ، قد شكا منذ بضع سنوات من أن محاولاته للحصول على حد أدنى من المعلومات عن ممارسات الشركات الفرعية في الدول النامية لم تحقق نجاحا كبيرا .

فهل يكون من المتوقع ، بعد هذا كله ، أن يتغير موقف الدول النامية من قضية البيئة على ما كان عليه في مطلع العقد الماضي . ولكن يقوم هذا الموقف على مقولة أن الاهتمامات البيئية والتلوث لا تهم الدول النامية بالحجم ذاته ، وهي الساعية للتنمية ، واللاهثة وراء فرص العمل لأهليها ، ومن ثم ، الاستثمارات الأجنبية والتقنية الصناعية ؟ يبدو أننا ، في العالم الثالث ، قد وصلنا الآن إلى ضرورة مراجعة هذا الموقف ، وأننا على عتبة مرحلة جديدة ، تكتسب فيها قضية البيئة أولوية متقدمة في مشروعات التنمية بشكل عام ، والتنمية الصناعية بشكل خاص .



متحف العالم ومجمع المعابد والأساطير

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر



• سهول وادي
كاتمندو
وخلفهم جبال
الهيمالايا .
يلتقيان في وقت
واحد في
نيبال
ويحسب
الناظرون
حولهم كأنها
هبط عليهم
الليل وهم
ينظرون نحو
قمة ايفرست
وهمهم تسلق
القمم بأمان .



يقولون .. ثلاثة في حكم المستحيل : الغول .. والعنقاء .. والخل الوفي ! ولكن إذا كانت عبارة الحكيم مازالت تنطبق على المستحيلين الآخرين .. إلا أن الأول لم يعد مستحيلا بعد ؟

أهل نيبال يؤكدون لك ذلك ، فالغول .. وهو بالنسبة لهم «اليتي» أو «الييتي» كما ينطقونه ويعني «إنسان الثلج الوحشي» .. ما زال يعيش في أعالي جبال الهيمالايا . وهم يحيكون حوله الأساطير ويتناقلون عنه الحكايات ، خلال جلوسهم حول نيران المدفأة في ليالي الشتاء . ويلاحقون بها أسماع متسلقي الجبال المرهقين ، والفلاحين الذين يؤمنون بالخرافة والأوهام . ولم يكن هؤلاء وحدهم من يحكون ويصدقون . ولكن حتى الذين كتبوا عن نيبال وجبال الهيمالايا تحدثوا في كتبهم عن أوصاف «الوحش البشري ذي الشعر الأشعث» الذي التقى به جنديان أوروبيان عام ١٤٠٠ قبل حوالي ستمائة سنة . تماما كما رآه عام ١٩٢١ المستكشفان البريطانيان هيورد وديلي والكولونيل هوارد بري حيث كانا يرأسان حملة من المتسلقين في الجانب الشمالي من قمة افرست . وذكر الاثنان أنهما تبعاه وتوقفا عند آثار الأقدام البشرية الضخمة على ثلوج السفح . ويقول عنه «الشيربا» إن جسده الضخم يغطيه شعر كثيف من قمة الرأس إلى أخمص القدمين ، وأنه يسير منتصب القامة . وأن أظافر أصابع كفيه وقدميه لا تختلف عن مخالب الوحوش

ويقولون أن الغول كان متجنبا بجنده كبير من جنده الوحوش البشرية ، وأن جمعا كثيرا تآمروا للتخلص منهم . فاتفقوا على أن يقيموا حفلا على السفح حيث يختفي ثلاثة من هذه الوحوش خلف المتاريس . وخلال الحفل راحوا يتظاهرون بتناول الخمر المصنوع من منقوع الأرز ، وحين بدا كأنهم سكروا حتى الثمالة ، راحوا يتناولون الطعام بسكاكين زائفة . ومع انتهاء الحفل بدأوا ينسحبون واحدا وراء الآخر منسحبين . وهنا خرجت الوحوش البشرية من جحورها ، وراحوا يقلدون الرهبان في التهام كل ما تركوه من خمر حتى انتشوا ، ثم راحوا يقطعون بعضهم بالسكاكين الحادة الحقيقية التي تركها الرهبان عن قصد . وكانت المعركة من العنف والشدة بحيث تساقط الجميع قتلى ، ولم ينج منهم سوى واحد فقط . هو الذي ما زال يجوب سفوح الهيمالايا مرعبا الناس بين الحين والحين !!

ويحكي لنا أحد المتسلقين من قبائل «الشيربا» الذين يرافقون المتسلقين أسطورة أخرى عن «إنسان الثلج الوحشي» فيقول : إن أحد تجار الفيروز كان يعبر الممر الجبلي ، حين فوجئ بالوحش الرهيب يوقفه ويرغمه على الذهاب معه إلى مغارة في عمق الجبل ، حيث كانت أنثاه تستلقي وهي تصرخ بعد أن سدت حلقها قطعة كبيرة من العظم حتى تعسر عليها التنفس . وطلب الوحش من التاجر أن ينقذها وإلا قتله . وفي دهشة الخوف عمد الرجل بقبضة يده المرتجفة ليضرب الأنثى على ظهرها بقوة ، فانطلقت قطعة العظم من حلقها وتنفست الصعداء . ومكافأة له أعطاه الوحش كيسا أغلقت فوهته ، وطلب منه ألا يفتحه إلا بعد أن يصل إلى داره . ولما فتح الكيس وجده مليئا بروث بشرية ، ومن كل ثمرة تتدلى حبة فيروز . وكانت الحصيلة مثلا كسب التاجر من ورائها ثروة ضخمة . ومن أجل الحصول على ثروة

عائلة يجوب رجال « الشربا » سفوح الجبل حاملين أمتعة المستكشفين ، على أمل أن تتاح لهم فرصة ملاقاة « انسان الثلج » .. ولن تكون أثقاله قد أصابهم ما أصيبت به من قبل !!

ومازال عدد من المغامرين يستهدفون من رحلات تسلق الهيملايا البحث عن انسان الثلوج ، حتى أن أحدهم أعلن عن اعتزامه القيام بحملة مسلحة للقبض عليه حياً أو ميتاً .. وقد أثار ذلك سكان الجبل الذين اعتبروا أنهم سيتصدون بكل قوة لأي انسان يحاول ارتكاب هذه الجريمة !!

التشكيلة السكانية :

كل ذلك بعض من الأساطير التي يتداولها الناس في نيبال ، التي تستلقي على السفوح الجنوبية الشرقية لسلسلة الهيملايا ، وتقع الى الشمال الشرقي من شبه القارة الهندية ، وتحدها الصين ومنطقة التيبت من الشمال ، وسيكيم وبنجلاديش من الشرق ، بينما تحدها الهند من جنوبها وكشمير من غربها . وبذلك فان نيبال بحكم موقعها الجغرافي بلدا على نوع ما محدود تشرف على البحار . وتمتد أراضيها الجبلية على شكل سلاسل عريضة من المرتفعات العالية وينفصل بين السلاسل التي تمتد من الغرب الى الشرق لها مناطق منبسطة مثل منخفضات تيراي ، أو مناطق غابية مثل غابات مرتفعات سيواليك . وتبلغ مساحة المملكة حوالي ١٤٠ ألف كم ، ويبلغ سكانها حسب احصاء (١٩٨١) حوالي ١٦,٠ مليون نسمة ، نصفهم من الذكور والنصف الآخر من الاناث ، أغلبهم جماعات قبلية يتحدث ٥٨٪ منهم اللغة النيبالية وهي اللغة الرسمية و ٣٪ بالنولوية و ٢٠٪ باللغات واللهجات المحلية ، بالاضافة الى لغات ولهجات أخرى متباينة . وهم ينقسمون حسب العقيدة الى ٩٠٪ من الهندوس و٥٪ من البوذيين و٣٪ من المسلمين ، وإن كانت الاحصاءات الظاهرية الأخيرة تقلل من نسبة الهندوس وترفع من نسبة البوذيين .

ويتشكل سكان نيبال من مجموعات مختلفة من القبائل ذات الأصول العرقية ، ويبلغ عددها أكثر من ٣٠ قبيلة .. ويرجع السكان الى أصول من الجنس



● هكذا تخيل الرسام « الجبار » انسان الثلوج .. أو الوحش البشري ذا الشعر الكثيف .. على ضوء الوصف الذي أدلى به المغامرون الذين تسلقوا على سفوح الهيملايا .

المغولي الآري والجنس المغولي اللذين امتزجا على مدى القرون .

ينتمي الشرخيون الى المنغوليين الذين جاءوا البلاد في القرن الرابع عشر مع الراجبوتيين ، ليمتد نسبها فيما بعد الى الطبقة الأرستقراطية للمحاربين الذين جاءت منهم أسرة رانا التي حكمت طوال مائة سنة انتهت مع عام ١٩٥١ . أما مختلف القبائل الجبلية الأخرى فتأتي جانب من الهند ، بالاضافة الى البوذيين الذين ينتمي اليهم عدد آخر من سكان نيبال .

الجوركا من السكان الذين ينتمون الى أصول قبلية . وكانت شهرتهم المتوارثة كجنود مرتزقة يسمون « الشجعان » في القوات البريطانية . وكان المصدر الرئيسي من الدخل القومي الخارجية لنيبال يأتي مما يحصل عليه جنود الجوركا من أجور عالية .

وإذا تتبعنا السكان في مختلف الأقاليم الرئيسية في نيبال ، فسنجد أن سكان الوادي الأوسط بعاصمته كاتمندو ينتمون الى البورميين التبتيين والنيواريين ، وهؤلاء هم البراهمة والأرستقراطية والتجار . بينما



• الآن يمضي في حركة واحدة يلوح للمشاهدين .. تستعيدها
للأطفال روحه الشكل في جسد واحد جديد ...







البوذية والاكثرية منتشرون في جميع انحاء البلاد، فالنيوار يتركزون في وادي كاتمندو والمدن والقرى المحيطة. أما سهول التيراي ومنحدرات التلال فيسكنها البرهمن والراجبوت والتهارو وآخرون بينهم المسلمون.

أما «الشيربا» .. أشهر شعوب الهيمالايا فهم ينتمون الى الجنس المغولي مثل غالبية النيوار الذين يسكنون في كاتمندو وتنتمي أصولهم الى هضبة التبت.

هؤلاء الشيربا هم أشهر من يلتقي به القادمون الى نيبال، والراغبون في رحلة تسلق للصعود الى سقف العالم .. جبال الهيمالايا ..

الصعود الى القمة :

رحلة التسلق الى قمم الهيمالايا لا يقدر عليها الا من لديه خبرة بهذا الغرض، [illegible] يزيد عن [illegible]، ويتمتع بصحة جيدة تمكنه من احتمال تقلبات الطقس وقلة الاكسجين وصعوبة التنفس. أما نحن - [illegible] التسلق من شروط الأصعب - فتيسر لنا [illegible] لا تحتاج الى الوصول الى القمة على الأقدام [illegible] الفرصة سانحة للعبور فوق الهضبة كلها على متن طائرة سياحية تطير لمدة ساعة فوق الهيمالايا [illegible]. [illegible] الفرصة حتى يمكننا التحليق فوق قمم الهيمالايا [illegible]. والرحلة خطرة على الأرض من فوق سطح الجبل.

الطائرة [illegible] صفحة الثلج الصحية أن تكون [illegible]. فالشروط الاضطرارية [illegible] هناك حالة غامضة [illegible] فوق سطح الأرض. وخلال الرحلة يسمح قائد الطائرة بفتحة [illegible] الكاميرا [illegible] وهو مكان [illegible] .. فهي فرصة لا تتكرر مرتين.

المشهد رائع جداً .. القمم الشاهقة تخترق ضبوة السحب وهي [illegible] وكأنها [illegible] سقف العالم. [illegible] كأنها [illegible] قمة ايفرست حيث أعلى نقطة على سطح الأرض.

يعتقد الشيربا أن جبال الهيمالايا هي مقر الآلهة. وهم يتصورون أن قمة ايفرست انما هي «الآلهة شومولونجما» [illegible] يحترق به موكب السحب المزاحمة. وعند عشاق التسلق والنيباليين يعتقدون أن الآلهة تطل من قمم الهيمالايا الراقية [illegible] .. [illegible] ونزلت غضبها بالمتسلقين. وهم يعتقدون أن في «قمة [illegible]» حيث تقيم الآلهة «شيفا» وزوجته «بارفاتي»، وابنه الاله الفيل «جانيش» وابنته [illegible] «انا بورنا».

وهنا أيضاً - وكما يبدو المشهد من الطائرة - ترتفع أعمدة الجليد متراصة لا يوجد لها مثيل في العالم .. ايفرست أعلى قمة في العالم (٨٨٤٨ متراً) وحولها قمم لوتسي (٨٥٠١ م) ونوبتسي (٧٨٥٦ م) و[illegible] (٨٤٦٣ م) و[illegible] (٧٢٦٩ م) و[illegible] (٨٤٧٥ م) وكانشين جونجا (٨٥٩٨ م) ..

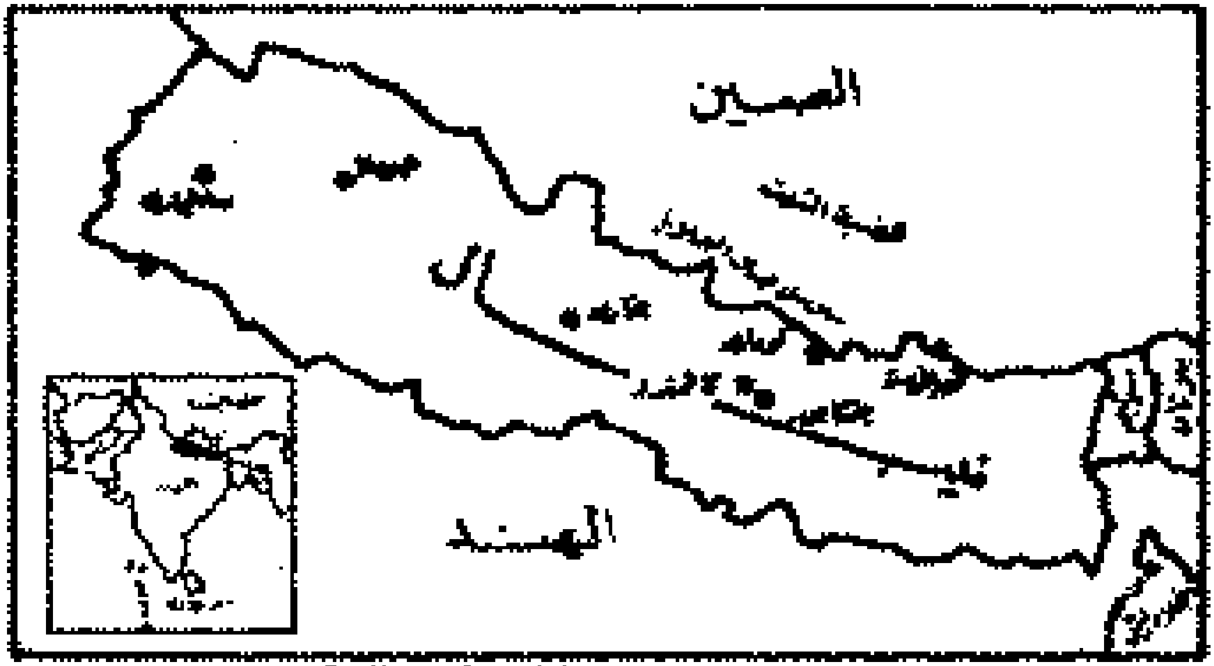
مشهد لا يمكن للانسان أن ينساه ..

لقاء مع المتسلقين :

التحليق فوق قمم الهيمالايا لا يمنع من الانطلاق مرة أخرى الى احدى المناطق [illegible] حيث يبدأ المتسلقون رحلة الصعود.

كانت البداية [illegible] بعد جولة [illegible] في كاتمندو للذهاب الى أحد المراكز التي تبدأ منها رحلات التسلق. وكانت الفرصة مواتية [illegible] للقاء مع المتسلقين وهم يبدأون رحلة الصعود الى القمة.

قطعت الطريق من كاتمندو بالطائرة الى منطقة [illegible] في «سولوخومبو» الواقعة على السفح على ارتفاع لا يقل عن ٣٨٠٠ متر. واستغرقت المسافة سيراً على الأقدام من مهبط الطائرة الى فندق ايفرست حوالي ساعة. الفندق مبني [illegible] في أوائل السبعينات، ويكاد يكون أعلى فندق في العالم .. وهذه هي مشكلته الرئيسية مع النزلاء والسياح .. فهؤلاء أغلبهم من سكان المدن كبار السن والعجائز ومتوسطي العمر الذين لم يعتادوا [illegible]



● خريطة نيبال .. جغرافيا وادي كاتماندو . وتبدو سلسلة جبال الهيمالايا كحصن على طول المنطقة الشمالية وهي تبدو معزولة عن العالم من كل الجوانب .

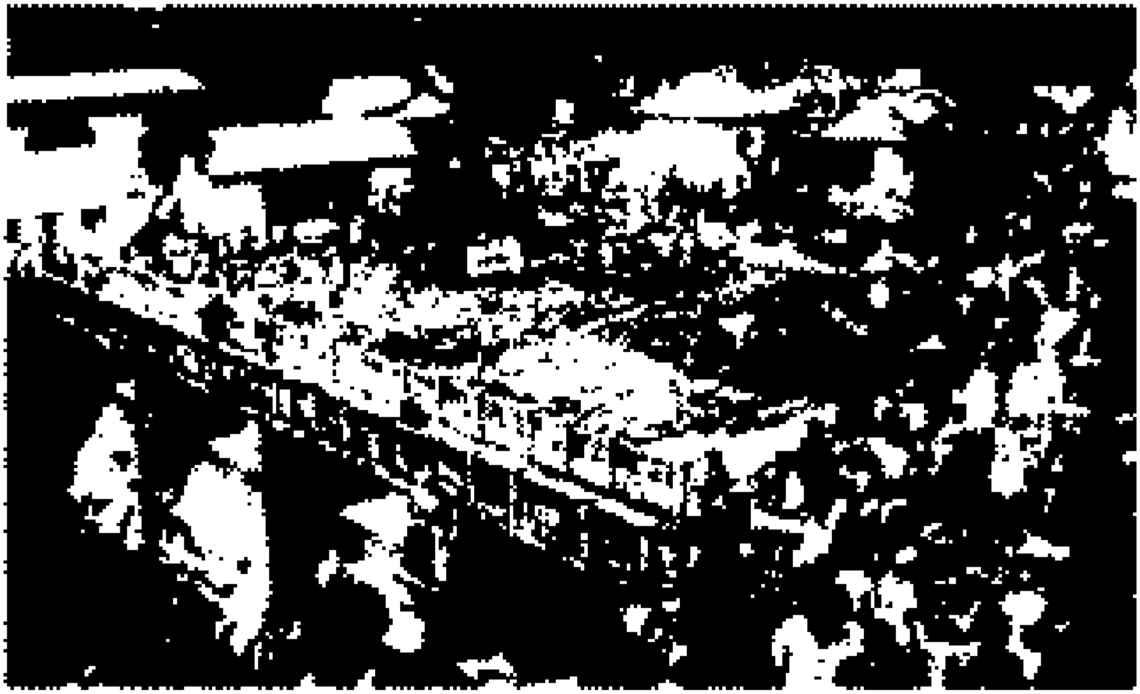
التسلق ولكن ثلاثة منهم من مضمونهم الهيمالايا فنحن مستضيفون لنا مخاوف الاقامة الشاهقة . وهم بطبيعتهم غير مؤهلين لاحتمال البرد القارس والارتفاعات الكبيرة . فهم معرضون لأمراض المرتفعات وضيق التنفس . ولمواجهة هذه المشكلة زود الفندق كل الغرف بالأوكسجين . وكانت تعليمات الفندق لنا حين غادرنا السير لنقوم على كوامل الصعود مع المتسلقين أن نصعد ببطء شديد حتى لا نصاب بالدوار وأمراض المرتفعات التي تصيب من يتسلقون بسرعة كبيرة .. فأمراض المرتفعات قد تكون مهلكة .

في الصباح انطلقنا الى قرية « نامتشي بازار » موطن قبائل « الشيربا » ـ الشهير المتسلقين المرافقين لحملات التسلق ـ حيث اتفقنا مع بعض الأشخاص من يصحبوننا للاتفاق معهم على حمل حاجياتنا في رحلة التسلق .

على مدى البصر كانت تحيط بنا صور بانورامية رائعة . سفوح جبلية عملاقة ولكنها لا تكاد تصلح لإقامة الإنسان . وغير بعيد يخترق المنبع ممر كان منذ القدم طريقا للتجارة مع التبت قبل أن تغلق الحدود مع نيبال . ولكن الانطلاق على هذا الممر بالنسبة للشيربا أصبحت للجلد بالقوة يجب أن تجذبه الشباب قبل أن يصبحوا في عداد الرجال .

حدثنا مرافقنا ونحن جلوس في مقر الشيربا عن مسيرة الحياة كما يعيشونها فقال : كان الشيربا في الأساس تجارا ورحالة . وكانت هذه المنطقة كما يقال ليست سهلة وممتدة كمنطقة حيث يحمل الشيربا وتجار التبت البضائع الأساسية التي يحتاجها سكان المنطقة ، مثل الملح والأصواف والحبوب من المناطق الأكثر اعتدالا في الجنوب .

وكان الناس هنا يربون الثيران الضخمة ويبيعونها لزارعي التبت الجبليين . ولكن التجارة توقفت فعليا بشكل كامل عندما دخل الصينيون بلاد التبت واضطر الشيربا للبحث عن مصادر أخرى للتجارة . وحقق الشيربا بجهد كبير الحصول على مستوى معيشي يفوق مصادرهم المحدودة الى أن جاءتهم الفرصة عندما تحول كثير منهم من التجارة الى تسلق الجبال ومرافقة المتسلقين . فهم يعرفون مسالك الجبال والكثير من طرق التسلق الى منطقة شومولو لصعود إيفرست وغيرها من القمم . وكانوا جميعا يحتاجون الى عمال الشيربا الذين يملكون ميزة وراثية يتفوقون بها على من يعيشون على مستوى سطح البحر .









محاولات تسلق ايفرست :

قال لنا مرافقنا قائد الشيرباس في المنطقة واسمه « انج تسيرنج » . انه واحد من مئات الشيرباس الذين يكسبون عيشهم من العمل الخطر بحمل المؤن لحملات التسلق . قال لنا انج : منذ بدأ تسلق جبال الهيمالايا كان الشيرباس رواد في هذا العمل . وكانت أول محاولة ناجحة لتسلق ايفرست هي التي قام بها نيوزلندي وشيرباسي يدعى تونزنج نورجاي .. وهو من تعلمت منه حرفة التسلق . كان والدي حمالا ومرشدا في الثلاثينات عندما كانت حملات التسلق البريطانية تبدأ من « دار جيلنج » في الهند . وكانت الحدود الى نيبال مغلقة في تلك الايام . فكانوا يحاولون ايفرست من الناحية الشمالية في التبت . ومازال أبي العجوز يتذكر أسماء وحكايات الايام المثيرة

ونواصل الاستماع الى ذكريات الفتى الذي أصبح الآن في الاربعين . من خلال حديثه يبدو أن لديه طموحات أكبر . فهو يريد الوقوف على قمة ايفرست مرتين على الاقل . وهو يقول في ذلك : « في هذه الايام وبعد أن وصل الكثيرون الى هذه القمة فان مرافقتهم لم تعد تحقق الكثير من الشهرة والتي كما كانت تحدث في البدايات . برغم أن الاخطار لم تتغير . العواصف والشرائع الجليدية والانهيارات والعواصف الثلجية .. ومع هذا فان هدف الشيرباس المشاركة بالعيش في كل الاحوال والاعتياد على هذه الحياة » .

جاء الشيرباس من التبت قبل ثلاثة قرون . ولم يكن لديهم سبب يدفعهم لتحدي الجبال وتسلق القمم الشاهقة . فيبدو أن سعيهم بقصد الهجرة شيء .. وتسلق الجبال شيء آخر .

على كل الاحوال فان الجبال بالنسبة لهؤلاء السكان الذين يعود أصلهم للقبائل بوذية قديمة ، تسكنها الآلهة والارواح والعفاريت . ولقد جاء الرحالة الغربيون الى هذه الاماكن البعيدة ليمارسوا هواياتهم بعيدا عن صخب العالم في عظمة الطبيعة وبين أمواج العواطف والرغبات . ولقد اكتشفوا في هذا المكان معبد « تيانج بوتشي » على مقربة من ايفرست حيث تساعدهم طبيعة الجبل على تركيز التفكير في نظرية الخلود ..

وكان الشيرباس في بداية الأمر قبل عشرينات القرن .. ولم تكتف الضرورة بالنسبة لمواردهم الزراعية الا حين استعانهم احد الرحالة البريطانيين كحمالين للبطاطس بما ضمن لهم محصولا زراعيا وافرا ولم يمكنهم من بناء منازلهم . واستطاعت الاسر الثرية أن تهب ابنها الثاني أيضا لمعبد قبل سن الرابعة ليصبح راهبا . وكان البعض يرسلون بناتهم أيضا ليصبحن راهبات . وينطبق هذا الأمر على عائلات القبيلة .

مزيد من حملات التسلق :

نتوجه مع الفتى الشيرباسي الى المعسكر الذي يبدأ المتسلقون منه رحلاتهم ، حيث يجري فحص أحوال الطقس ويعد المعسكر مكانا لاقامة المركز الرئيسي للحملات القادمة . ونمر في الطريق على نصب لستة من الشيرباس قتلوا في انهيار جليدي وهو على صورة شلال مائي متجمد سقطوا من قمة ايفرست . وكان هؤلاء الحمالون يرافقون حملة يابانية عام ١٩٧٠ عندما اخذ التهور بأحد المتسلقين الراغب بالتزلج بطريقة مبالغ فيها . وعندما حدث الانهيار انقذ الرجل بمعجزة بينما مات الحمالون تحت الجليد .

ومثل كل الشيرباس المخلصين كان انج المؤمن بالخرافات رفض ان يقترب من النصب التذكاري حتى لا يطاله حظهم العاثر .

والذي لا شك فيه أن الشيرباس - كرهبان بوذيين - لا يهابون المخاطر ويمتلكون صفات تجعلهم يواجهونها وهم يبتسمون ويتحركون دون حدة أو غضب أو ضيق صدر وهم يبتعدون عن أي صفات عدوانية أو أنانية .

ويقول الفتى انه أعظم يوم في حياته هو وصوله الى القمة عام ١٩٧٥ ففي ذلك العام وبعد عودة الحملة الناجحة جرى استقبال كبير للمتسلقين في كاتمندو ، وأجريت مقابلات صحفية ، ونشرت قصص كثيرة نشرت في عدد كبير من الصحف في جميع انحاء العالم ، وقد تلقى بعضا منها وهي تحمل صورته فزادت من سعادته . يعترف انج صراحة بأنه يشعر بالخوف والرهبة في الوقت الذي يكون فيه صاعدا على الجبل ولكنه يعتقد ان الأمر يستحق المجازفة .

ان الأجنبي يعرف بالطبع جنود الجوركا الشجعان .. والشيرباسي مشهور بجلده وشجاعته وبصبره على التحمل .

مجمع المعابد والأساطير :

الآن عودة الى كوتندي ..

الى كاتماندو .. العاصمة .. مجمع المعابد ومجمع الأساطير .. كان لابد في البداية من زيارة لوزارة السياحة لتتعرف على نيبال الحديثة .. وعاصمتها كاتماندو ..

قال لنا وزير السياحة بالنيابة « شيلندرا راج شارما » عندما استقبلنا في مكتبه : « نيبال مملكة مستقلة وهي الدولة الوحيدة في العالم التي تعلن الهندوسية دينا رسميا للدولة . الملك بيرندرا منتخب ويحكم شاه يحكم البلاد بمعاونة الجمعية الوطنية . ولا توجد في البلاد أحزاب سياسية برغم أنه قبل عام ١٩٧٥ كانت هناك محاولات لقيام نظام حزبي . والايجابيات الرئيسية للنظام البرلماني القائم الآن انه يتيح الفرصة لمشاركة أكبر عدد ممكن من المواطنين ليكونوا طرفا في أمور الحكم . ويجري تشجيع التمثيل الشعبي في الجمعية الوطنية حيث يختار الوزراء من بين أعضائها البالغ عددهم ١٤٠ عضوا يتم اختيار ١١٢ منهم بالانتخاب بينما يعين الملك ٢٨ عضوا . وتبدأ العملية الانتخابية بالتصويت الشعبي لاختيار مجالس القرى ، وينتخب أعضاؤه بعضهم لمجالس الأحياء الذين يختارون من بينهم أعضاء مجالس الأقاليم .. وهؤلاء هم الذين ينتخبون أعضاء الجمعية الوطنية . ويختار الملك رئيس الوزراء من بين أعضاء الجمعية وكذلك الوزراء الذين يكونون مسؤولين أمامها . ومع حظر الأحزاب تشكل مجلس الدولة عام ١٩٧٥ ليتولى الشئون السياسية والتخطيط وحماية الثورة للمملكة .

وحين تسأل الوزير عن الموقف الاقتصادي في نيبال يقول : « ان البلاد تعتمد على مصدرين رئيسيين للدخل القومي هما الزراعة والسياحة . أما الصناعة فما تزال في مراحلها الأولى . ان عددا من النيباليين يعملون في الزراعة سواء زراعة الأرز أو القمح وغيرها وكذلك في زراعة التبغ والجوت ، كما أن مناطق التراي تزرع القطن والشمل والفاكهة الاستوائية . ولأن نيبال بلد مغلق لا يطل على البحار فانه يعتمد على علاقاته الطيبة مع جيرانه . وما بين ٨٠ و ٩٠٪ من التجارة تمر عبر الهند وخاصة مع مواد كالحقيبة وصادرات البلاد أهمها الأرز والجوت الى جانب المشغولات اليدوية والهدايا الفنية . أما دخل الفرد فهو منخفض جدا حيث لا يتجاوز ٩٦ دولارا في السنة . وكل محاولات الوزير يقول انها هي سعي لتحسين مستوى الدخل والمعيشة لأبناء الشعب الذي عاش تاريخه كله من خلال النضال .. ولكن في عزة وكرامة واستقلال .»

ان ذلك في حقيقتها تاريخ يحتاج الى مجلدات .. ويمكن معرفة الكثير منه عندما ترجعون الى وثائق قسم الاعلام السياحي ... وستجدون انه دائرة معارف حية ..

أساطير كاتماندو :

ما الذي سنعرفه وكيف ستشهد التفاصيل ؟

قال لنا السيد « كنجور » الذي يؤكد عن نفسه أنه دائرة معارف يرجع اليها المسؤولون في كل مناسبة . نقطة البداية تبدأ مع ما تحكيه الأساطير القديمة من أنه قبل آلاف السنين كان وادي كاتماندو عبارة عن بحيرة فيروزية . وفي وسط البحيرة كانت هناك زهرة لوتس كبيرة رائعة .. يخرج منها لهب أزرق ملتهب يبعث البهجة في النفوس .. انها الصورة الرائعة « لسوايامبو » .. اللهب الأزلي الأصيل . ما أروع البحيرة وأنقى الشعلة . لقد كان الناس يأتون من جميع الأنحاء ليحجوا اليها ليتعبدوا على ضفاف البحيرة .. يبتهلون ويحصلون على البركة المقدسة .

ومن الصين جاء زاهد صيني هابطا من جبال الهيمالايا اسمه « منجوسري » ومن أجل أن يزيد المسافة من قرب امام شعلة اللهب المقدسة .. فقد ضرب بسيف حكمته القاطع جدار البحيرة فشقه ، مما أدى الى تسرب مياه البحيرة الى أعماق الأرض واستقرار زهرة اللوتس على قاع البحيرة التي جفت وتحولت الى واد خصب أطلق عليه اسم « وادي كاتماندو » . وفي نفس المكان أقام الزاهد هيكلا للعبادة ظل يتعاظم بعد ذلك ليصبح معبد « سوايامبوناث » أي معبد بوذا

● البحيرة والجبل .. في بشري .. القوارب ليست للصيد وإنما لنزهة السواح ..



● عرس الشلالات الأرز أسفل شطول الأمطار





● في الطريق إلى غابة في أحد المنعرجات الجبلية المتفرعة من مدينة بشري .



■ حتى يتمكن هذا الصبي المصري مساعدة أمه يرمي أسمدة في الطريق الى مزرعة الأرز .





الأصيل .. وغير بعيد عن المعبد تقوم مبنية من الخشب والطين سطحا ، مانجوشاكا ، ونصبه واحيا من أتباعه المخلصين ملكا على الوادي .

وهناك أسطورة تضيف .. عاقلة ، ولكنها تنسب الأمر كله الى الاله كرشنا الذي قذف صاعقة على جدار البحيرة ليزيح مائها . وسواء كان قد غيض أم الصاعقة هو الذي شق الجدار ، فانه من شك في أن هذه الشق الذي حتى اليوم ممرا طبيعيا على طريق شوبار ، وهو يطور خطا متعطفا شكل شق ناتئ ، من ضربة سيف ضخم .. وأسفل هذا الممر يقبع حجر ضخم يشبه الى حد كبير شكل جانابتي .. الإله برأس فيل . ويعتقد الناس أنه هو الصاعقة التي قذفها كرشنا .

وفي الحقيقة ان كلتا الاسطورتين تكادان أن تكونا حقيقتين علميتين . وقد اثبت الجيولوجيون أن وادي كاتماندو كان مغمورا بالماء ذات يوم ..

ويقال ان كرشنا أسكن بالوادي جماعات الجوبال من رعاة البقر الذين شيدوا مملكتهم ليبدأ عصر السلالة الحاكمة الجوبالية . وبعد الجوباليين جاءت موجات متلاحقة من المهاجرين من بورما والتبت كما جاءت جماعات أخرى من مناطق البنغال الشمالية لتتابع عصور الحكم . وفي القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد جاءت جماعات الكيراتيين الغازية من الشرق وأقاموا ممالكهم في وادي كاتماندو .

تولى الحكم من الكيراتيين ٢٨ ملكا ، وخلال حكم الملك السابع يعتقد أن جاوتاما بوذا ، وهو البوذا السابع لم يسبقه ستة آخرون الى بلوغ النيرفانا ، جاء لزيارة الوادي ومعه حواريه أناندا . وهناك حكايات تروى حول اقامة بوذا في مدينة باتان حيث قام بتحويل طبقة الحدادين الى طبقة الصياغ ، وأطلق عليهم اسم الطبقة التي جاء منها .. الساكيا ..

بين المالا .. والرانا :

تعرض آخر الملوك الكيراتيين للغزو من الليتشافيين الزاحفين سنة ٣٠٠ ميلادية من بيهار وأوتار براديش في الهند . ومع الغزاة الجدد بدأ العصر الذهبي للفن في نيبال .. ولكن بدأ معهم أيضا التقسيم الطبقي للمجتمع حسب ما تقوم عليه الهندية الهندوسية .

تتابعت العصور الملكية المختلفة على وادي كاتماندو حتى كان عام ١٢٠٠ حين تولى الحكم الملك ، أري ديفا ، الذي أطلق على نفسه بعد ذلك اسم ، مالا ، أي المصارع . وأقام فيها مملكة قوية موحدة ليتوالى من بعده سلسلة الملوك الذين حملوا اسم ، مالا ، واستمر حكمهم من القرن ١٣ حتى ١٨ م .. وهي فترة تسمى بالعصر الوسيط لنيبال .

ثم جاء التوسع الانجليزي الزاحف عام ١٨١٤ في آسيا ، مما أدى الى وقوع الحرب بين نيبال والجيوش الانجليزية التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية . وانتهت الحرب بتوقيع اتفاقية تنازلت نيبال بمقتضاها عن بعض أراضيها . وفي خضم الموقف العصيب الذي تلا ذلك استطاع جانج بهادور رانا أن يصبح صاحب القوة الأول عندما تولى رئاسة الوزارة التي استمرت وراثية في أسرته فيما بين عامي ١٨٤٦ و ١٩٥٠ بينما كان الملك يحكم بالاسم فقط .

وفي نوفمبر ١٩٥٠ قاد الملك تريبوفان ثورة شعبية ضد أسرة رانا ، مما أدى الى سقوطها بعد ١٠٤ سنوات من السيطرة والقوة . وبعد وفاة الملك تريبوفان عام ١٩٥٥ خلفه ابنه الملك ماهندرا ليعتلي العرش من بعده عام ١٩٧٢ ابنه الملك بيرندرا شاه . ولقد ظلت مملكة نيبال باستمرار مملكة مستقلة لم تقع ابدا في براثن الاستعمار ..

كوماري .. الآلهة الحية !

ونبدأ جولتنا في شوارع كاتماندو .. ولعل أغرب بداية هي لقاؤنا مع الآلهة الحية .. التي تعيش على الأرض .. !

الآلهة الحية يسمونها هنا .. « كوماري » .. أي العذراء .. يدعون وأشهد أنا لم نصدق أن تلك الفتاة الصغيرة يمكن أن يعبدها قوم يعيشون في أواخر القرن العشرين في عصر بلغ قمة العلم والتقدم والتحضر ، ولكنهم لم يأخذوا من نوره الا قبسا واحدا ..

الديمقراطية .. فهم يختارون آلهتهم .. اختيارا واحدا .. بالانتخاب .. !!

أما طريقة انتخاب الكوماري فلها طقوس لا بد من تنفيذها بدقة لدى طائفة الساكيا من طوائف

الهندوس . فهم يعتقدون ان « كوماري » تجسيد حي للإلهة « برافاتي » زوجة الإله « شيفا » ..

سار بنا مرافقنا الى حيث تقيم الإلهة الحية . باب القصر الخشبي يحيط به من الجانبين تمثالان لأسدين يكشران عن انيابهما . وصعدنا الدرجات القليلة المؤدية الى الساحة الداخلية حيث يقوم بناء من ثلاث طبقات ذي شرفات خشبية بتماثيل منحوتة لمختلف آلهة الهندوس . الشرفة الخشبية الطويلة التي تطل من كل جانب على الساحة تعلوها تماثيل لطيور يتوسطها طاووس .

وقفنا وسط الساحة وعيوننا متجهة الى نوافذ الطابق الثاني . وتحدث مرافقنا مع حارس كان يطل من النافذة ، وفهمنا منه أن يخبر الكوماري أن في الساحة زوارا جاءوا من بلد بعيد على أمل أن تمنحهم بركتها .. ومضت فترة .. أطلت علينا بعدها من النافذة طفلة لا يتجاوز عمرها خمس سنوات .. رشيقة تزهو في احتفالها من يعرف قدر نفسه .. على رأسها تاج مرصع بالمجوهرات الذهبية .. وعلى صدرها وذراعيها حلي الألوان تحوي مشغولة بالذهب .. وحول عنقها قلادة ثقيلة يتوسطها هلال ذهبي تزينه مجموعة من الأحجار الكريمة . نظرنا اليها بإمعان وهي تشرف علينا من موقعها لثوان تشرف بزينة وجهها .. وأشارت بأصابعها الصغيرة في حركة مليئة بالثقة بالنفس ، ثم تراجعت وراء النافذة بعد أن منحتنا بركتها الإلهية .. !

هذه الطفلة هي الإلهة الحية .. وقد تحدث لي مكانها هذا البناء بعد أن تنحت الإلهة السابقة إذ بلغت سن الحلم وخرجت من القداسة .

كيف تنتخب الآلهة ؟ !

قال لنا مرافقنا ان من الضروري أن تستجيب الكوماري لمن يجلسون في انتظار أن تطل عليهم وتمنحهم بركتها .. فالمعتقد أنها تطل من الشرفة لتبارك أتباعها مرة واحدة كل عام .. فيحتشدون ويمنحون إجلالا واحتراما بينما يلتصق بعضهم بالأرض تقديسا وتبجيلا .. تلك بعض الطقوس التي تمارسها منذ اختيارها للرهبانية لتكون إلهة .

تجري عملية انتخاب الكوماري من بين مجموعة من الاناث من عائلة بوذية معينة بشرط أن يكونوا من طبقة الساكيا ويعمل آباؤهن في صناعة الذهب . البنات المختارات يشترط الا تتجاوز أعمارهن الرابعة أو الخامسة ويكن متميزات بالذكاء والشجاعة والفطنة . ويختار الكاهن الهندوسي الأكبر ومساعدوه من بين الفتيات من تنطبق عليهن مجموعة شروط منها التميز بالجمال والخلو من أية عيوب جسدية بالاضافة الى علامات فلكية معينة . وتتعرض الفتيات المختارات لاختبار في غاية الخطورة يتم في الظلام الدامس بالقاعة المقدسة ، حيث تجري إثارة الرعب بوجوه وحوش مهولة وجماجم تنطلق من عيونها الشرر وشياطين وعفاريت يتظاهرون بالانقضاض عليهن . وحين ينتهي الاختبار يقع اختيار الكهنة على الطفلة التي بدت أكثر ثباتا وثقة وشجاعة لتكون هي التجسيد الحي للإلهة برافاتي ، باعتبار أن هذه الميزات لا تكون إلا في طفلة تتلبس بالروح الإلهية المقدسة كي تتجسد فيها .

تخضع الطفلة بعد ذلك لامتحان آخر عسير ، لمعرفة مقدار طهارة روحها وسلامة طويتها ، وللتأكد من أن أحدا لم يمسها أو يلمسها الى تلك اللحظة . وحين يثبت أحقيتها بالمهمة المقدسة تجرى احتفالات ضخمة لتنصيبها إلهة . فيسير موكب مهيب ترتفع خلاله دقات الطبول والأهازيج في الطريق حتى القصر الذي ستقيم فيه طالما استمرت قداستها وطهارتها . وتنتهي هذه القدسية إذا بلغت سن الحلم وخرج من جسدها دم الطمث أو لو حدث أن تعرضت لاصابة دامية . عندئذ تنتزع عنها الألوهية وتسقط قداستها ويتحولون الى اختيار من تؤهلها صفاتها لتكون إلهة أخرى حية .. كوماري .. وتذهب الإلهة السابقة بعد تنحيتها الى بيت أسرتها محملة بالهدايا والعطايا .. ولكن مستقبلها يكون سيئا بعد ذلك .. إذ أنها تعجز عن الحصول على زوج لأنها ستكون شؤما على الرجل الذي يتزوجها إذ سيكون قريبا الى الموت .

ويقول لنا مرافقنا ان هناك حكايات كثيرة تدور حول الكوماري ، فيقال انه حدث في القرن الثامن الميلادي أن ادعت احدى فتيات الساكيا أن روح الإلهة برافاتي قد تجسدت فيها .. فأمر الملك بنفيها وطردها من البلاد . ولكن الملكة ثار غضبها وأصابتها علة لم



● [illegible] يحضرون [illegible] في [illegible] الأواني من أجل [illegible] [illegible] الجاهزة للعرض

● مسلمات في طريقهن إلى [illegible] [illegible] [illegible]

● امرأة لا تستطيع أن تفصح عن وجهها [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] على رأسها







[illegible]

تبرأ منها إلا بعد أن أمر الملك بإعادة الجثة ورفعها معلقا عليها دبابيس للعبد .

وهناك حكاية أخرى تقول إن أحد ملوك « الفايلا » تعود أن يلعب النرد مع الآلهة « تاليجو » التي كانت تبدو في هيئة بشرية . وذات ليلة حاول الملك اغتصابها لكنها أفلتت منه وأقسمت ألا تعود إلى البلاد ثم اختفت وكأنها انصهرت في الهواء . وأدرك الملك أنها لم تكن امرأة حقيقية بل كانت إحدى الآلهة ، فأعلن توبته وندمه ورغبته في التكفير عما ارتكبه . وهجره النوم طوال شهور .. واستجابت الآلهة في النهاية لتوسلاته ، ورضيت بتوبته ، فسلبت عينيه النوم ثم ظهرت له في الحلم . وقالت له إنها ستعود ولكن في صورة طفلة لتختبره وترى إلى أي مدى كان صادقا في توبته .

وهكذا أصبحت الآلهة تتجسد في طفلة عذراء صغيرة تنتقى إلى طهارتها ونقائها .. ويقوم بزيارتها الملك في احتفال مهيب مرة كل سنة .. وهو تقليد ما زال مستمرا حتى الآن ، حيث تذهب في ذلك اليوم . وقد تحلت بأجمل الثياب وعقصت رأسها وعنقها بالحلي والمجوهرات . إلى قصر الملك في موكب مهيب ، تركب فيه عربة تجرها جياد مزينة بالذهب والورود وتتقدمه الكهنة . ويستقبلها الملك ليضع على جبهته علامة « التيكا » الحمراء المقدسة رمز البركة الإلهية ..!

قطعة من القطيفة :

نغادر قصر الآلهة الحية .. ونحن نتنفس الصعداء .. ونطلق صوتنا . نمضي إلى أحضان قطعة زاخرة بالقطيفة المختلفة الأشكال والألوان والنقوش والرسوم والتماثيل ..

أنها ساحة « دوربار » ..

في وسط الساحة يقوم معبد نارايان الذي بني عام ١٦٢٠ وهو أكبر معبد من المعابد التي تتناثر بارتفاعات وأشكال متباينة .. تختلف باختلاف الديانات والعقائد والطوائف والآلهة .. هذا وساحة الساحة تزدحم فيها باعة الخضروات والفاكهة والتوابل والتماثيل والملابس والأحذية والزهور . سوق غريب يختلط فيه الحابل بالنابل ... الساحة والمشترون والسياح والرهبان والكهنة والزهاد والنساء والعجائز والأطفال والمتسولون .. حتى شرفات المعابد بحلي خشبها وأركانها وأفاريزها تمتلئ بمعارض صيانة للملابس وإصلاح الأحذية وجدل السلال وحفر الخشب وكل ما يمكن تصوره من الصناعات والمشغولات اليدوية . وبين هؤلاء وأولئك تتنقل الفلاحات حاملات سلال بها غلات من الخضر والبطاطس والبصل والأعشاب للطبخ والفواكه والحلويات ومن يصعدن من مكان عال يبسطن عليه بضاعتهن ويبدأن تسويقها والنداء عليها لاجتذاب المشترين والمتجهين إلى المعبد لتقديم النذور والقرابين ..

في هذا الزحام .. وكل شيء هنا في زحام ، غرقنا في دوامة من الألوان والروائح المنبعثة من الأجساد المتلاصقة بعضها ببعض .. وبينها بين الوجوه التي تختلط فيها الملامح الصينية والمغولية والهندية والنيبالية . واضطربت خطواتنا الضائعة وسط مئات الأبقار التي تغطي الأرض مستلقية على قارعة الطرقات دون أن تعبأ بالمارة والسائرين .. فهي تعلم أنها تتمتع بمكانة مقدسة باعتبارها رمز الخصوبة والحياة . لذلك تسير في دلال وتبختر في سعادة وتزحزح أي شيء يقف في طريقها من سلال الباعة دون أن يجرؤ أي إنسان على إزعاجها أو المساس بقدسيتها .

فجأة تنبعث من معبد قريب ضجيج وموسيقى صاخبة . ونتطلع إلى معبد هناك موكب عرس كبير تتقدمه فرقة موسيقية وراقصون يتمايلون على الأنغام وهم يعزفون ألحانا مرحة يرقصون فوق الأرض ... ويسبقهم زميل للعرس . ولا يكاد يصل بموكبه حصانه إلى العريس الذي يتربع فوق حصان مكسو بالذهب ، حتى يظهر بصحبته شيخ المعبد من نوع وشكل ، وقد توج رأسه بالورود والرياحين وأحاط عنقه بعقود كبيرة من الزهور ، والفرحة تغمره تماما ووجهه وعينيه . ولا يكاد العجوز يقترب من عنقه حتى يشير بيده حامل المظلة ورجال الموكب ليتوقفوا حتى يلتقط المصور صورته وهو على حصانه في سعادة . ولكن لا بد من تساؤل : وأين العروس ؟

ويأتي الجواب : العجوز لا يحتاج إلى عروس . فالموكب الاحتفالي ليس موكب عرس ، ولكنه احتفال

وداعي للرجل وقد بلغ سن الخمسين . فبعد هذا الاحتفال ستنطلق روحه بعيداً عن جسده ، لتسكن جسد طفل وليد تواصل معه مسيرة الحياة .. !

أما هو .. فلا أحد يدري كيف سيواصل الحياة بغير روح ، بعد أن تكون روحه قد تقمصت سواه ، كل ما يعرفونه أن دور الرجل قد انتهى ، وأن حياة جديدة ستبدأ داخل جسد جديد .. !

ويواصل الموكب طريقه . ونلتفت نحن إلى عمود طويل من حجر يشبه المسلة ويتوسط الساحة . وحين ترتفع أبصارنا إلى قمته نجد تمثال الملك « بارتاب مالا » الذي شيدت في عهده غالبية المعابد في ساحة دوربار . إن وجه الملك يتجه نحو غرفة العبادة التي كان يؤدي فيها صلواته في الطابق الثالث من معبد « ديجوتالاجو » حيث يقوم تمثال كريشنا في الركن الأيمن يمسك فوقه مظلة يحمي وجهه من الشمس والمطر لا يتزاح إلا خلال المهرجان الديني الكبير المسمى « إندراجاترا » . في ذلك اليوم يكشف النقاب عن الوجه الفضي للإله وهو محاط بباقات وعقود الورود والأزهار وسنابل الأرز . ومنذ اللحظة الأولى تنطلق من بين شفتي التمثال نافورة من النبيذ تنسكب من خرطوم يتبع وراء الرأس ، ويتزاحم المحتفلون ليتلقوا من السائل المقدس حتى يرتوي الجميع .. !

باتان .. والقصر الملكي القديم :

ونترك دوربار لننتقل إلى ساحة باتان .. هنا نجد أنفسنا في مواجهة القصر الملكي القديم . عند مدخل القصر يقوم تمثال الإله « هانومان » الذي يقدسونه لأنه أنقذ الأميرة « سيتا » زوجة الأمير « راما » من ملك الشر « رافانا » كما جاء في الرامايانا الهندية القديمة . فالتمثال أقيم في عام ١٩٧٢ عند مدخل القصر وتغطيه عباءة حمراء لا تخلع عنه إلا في أيام المهرجانات الدينية والمناسبات الرسمية . ويعتبر « هانومان » رمزاً للتفوق في الخير والنصر . ومن هنا كنا وقوفاً نتطلع إليه كنا نرى المصلين يقدمون إليه قرابين الأرز ويلقون تحت قدميه النقود المعدنية ويشعلون أعواد البخور . كما يلقي إليه البعض بمثل ما يكتبونه على قطع صغيرة من الورق تحمل أمانيهم أو تعبر عن توبتهم .

بوابة القصر الملكي التي يقف أمامها جنود « الجوركا » بملابسهم السوداء يحرسها تمثالان لأسدين من الحجر . الأول يمتطيه شيفا ، والآخر تمتطيه زوجته بارفاتي . وفوق بوابة القصر تماثيل مجموعة من الآلهة يتوسطها تمثال كريشنا وإلى جواره الملك « بارتاب مالا » .. ويحدثنا مرشدنا أن الإله شيفا . وفشنو هما المعبودان من ثالوث الآلهة الذين يسيطرون على الكون ، وهم براهما الخالق ، وفشنو الحافظ ، وشيفا المدمر .. إنه يرمز إلى القوة الخالقة في الطبيعة وإن كانت عبادته مهملة . وأما فشنو فهو الإله الطيب الذي يتقلب كثيراً إلى أشكال عديدة لينقذ البشر ، ومن أشهر ما تجسد فيه هو شخصية كريشنا البطل الأسطوري الذي ولد في السجن وأتى بكثير من الأعمال البطولية ومغامرات الغرام .. وكان يشفي الصم والعمي ويحيي الموتى ويبعث الفرح من القبور . ويرسم الموحد من أتباعه على جبهته كل صباح بالمرهم الأحمر علامة الفشنو .. وهي شوكة ذات أسنان ثلاث ، بينما الشيفي المخلص لعقيدته يرسم ثلاثة خطوط أفقية على جبهته بمرهم من روث البقر . وينظر الأتباع إلى شيفا على أنه إله القسوة والتدمير وأنه خصوبة الطبيعة الكونية التي تعمل عن طريقها جميع الصور التي تتجلى فيها حقيقة الكون .

يقول لنا مرافقنا : اليوم سبت وهي فرصتكم لتذهبوا إلى معبد الآلهة كالي زوجة شيفا .. ولتشهدوا احتفالات تقديم القرابين وذبائح الدم ..

وانطلقت بنا السيارة لأكثر من ساعة جنوبي العاصمة . وخلال الطريق توقفنا عند الممر الضيق الذي يذكر الجميع بضربة سيف بوذا الأول أو صاعقة كريشنا التي شقت مجرى البحيرة لتخليص المياه وتظهر وادي كاتمندو . وبعد مسيرة حوالي عشرين كيلو متراً نصل إلى معبد كالي . وننحدر سيراً على الأقدام في طريق طويل ننتهي في نهايته على درجات لا يقل عددها عن مائة . ونقابل بزحام شديد يمتد على مرمى البصر . طوابير طويلة من أتباع كالي يحملون الأضحيات والقرابين التي يقدمونها لها .. مئات من الماعز والخراف والخنازير والبط والأوز والدجاج

وغيرها من الحيوانات والطيور كلها طوفت برأس سوداء . يحملها أو يجليها أصحاب النذور وفي أعناق كل منهم الأمنية التي سيتقدم بها إلى الآلهة كالي . فقد تدفق دم الذبيحة ، بعد أن يكون قد غمس في لحمها المكون مستعدا للتضحية بنفسها قربانا لإرضاء زوجة شيفا . ويقف الجميع واحدا وراء الآخر إلى قمة تنتهي بدرجات قليلة ، تنحدر إلى ساحة تشبه البئر الواسع تحت أقدام تمثال كالي . على أرض البلاطات يقف رجال نعرف سيماهم الفارقة في مصر من جم الغرابين الذين يتلقونها من أصحاب النذور ليقوموا بذبحها بطريقة غريبة .. فهم يضعون كمية من الملح على رأس الضحية ، ويتبعون ذلك بضربة على الرأس بعنف . بينما الذبيح مسكوب حتى يصير العنق المذبوح يمتد إلى الجدار الذي تحول إلى اللون الأحمر القاني لتتلطخ معه أشياء جلوة ، بينما صاحب النذر يمضي بالمسكة ونذره متجها صوب ناحية التمثال الأسود للآلهة كالي القائم في صدر الساحة .

يحكي لنا بعض أصحاب النذور عن أسطورة معتقداتهم في كالي . إنها زوجة شيفا الإله المدمر . تمركزت في معبد قوة الآلهة لتصبح مصدر القدسية والسلطة لكل المخلوقات . [illegible] كانت شخصية عدائية ترقص في وحشية وترتعش فوق شيطان وتنصب نفسها على [illegible] . [illegible] تكون آلهة فهي تبدو قاسية جميلة تبيح الغضب والتسامح والخير .

وتطل من معبد كالي وجوه كثيرة . [illegible] [illegible] ونساء [illegible] . وهي [illegible] وترقص على [illegible] [illegible] . [illegible] . والدم ينبثق [illegible] . [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] ..

الأنوف المقطوعة والشفاه والممزقة :

في طريق العودة من معبد كالي دارت في رؤوسنا أفكار كثيرة .. لقد كيف يفكر هذا المجتمع البشري من يمجدون ويقدسون عشرات الآلاف من الآلهة في بلاد كثيرة من هذه الأرض ؟ وكيف يؤمنون بكل هذه الآلهة وهم يعيشون في أواخر القرن العشرين بعقلية عميقة ما تزال تعبد التماثيل وتقدس الأبقار وتضحي بالماعز والنذور من دون الله . بينما يلمع عدد كبير منهم في التعليم وقدرة العلم ويشاركون بفكرهم وجهدهم في كل مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع .. بل والوصول إلى الفضاء .. !

واستيقظنا فجأة من هذا الاستمرار في التفكير إلى أن السيارة قد توقفت بنا عند غرفة « كريشنا » . ونزلنا من السيارة عند بداية مدخل تقل بعيدا عن الأقدام وتتداخل الغرفة التي تشتهر في كل أنحاء الهند بأنها عرفت « غرفة الأنوف المقطوعة » .

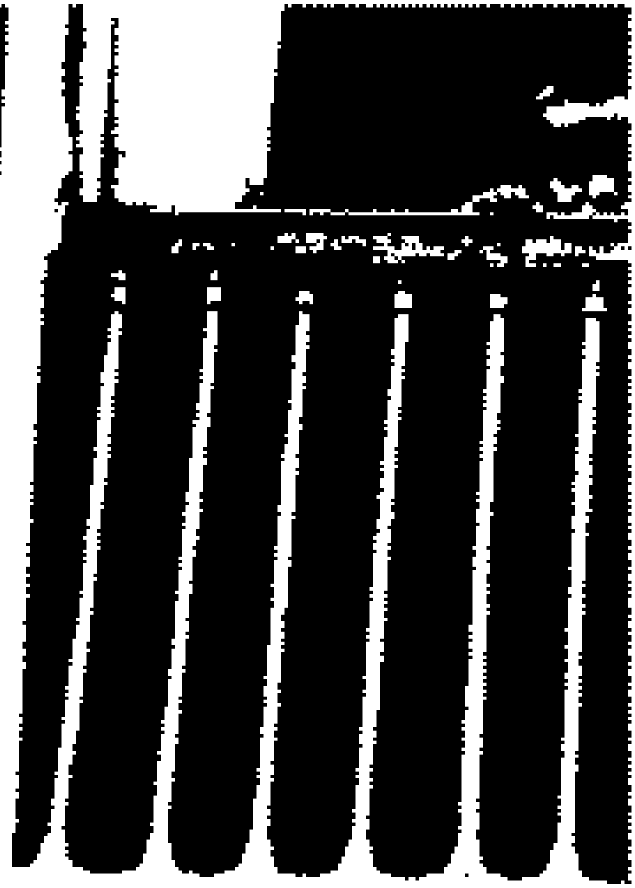
التسمية لها قصة [illegible] عشرة

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] « [illegible] » [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] [illegible] .

هنا .. ولد بوذا

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]





[illegible]

[illegible]



[illegible]

والواقع أننا نتتبع رحلة مقدسة عند البوذيين .. ففيها ولد جاوتاما بوذا .. وحول مضمونها تكشفت الحكمة ، وفي ظل شجرتها اكتسب استنارته ، وإلى واديها كانت زيارته الأخيرة قبل الصعود إلى النيرفانا .

نحن الآن على مسافة قصيرة من مدينة « لومبيني » في المنطقة الغربية من نيبال . نقف وبين حولنا الحجاج والرهبان البوذيون ، في نفس الموقع الذي شهد مولد جاوتاما بوذا حوالي عام ٥٦٣ قبل الميلاد ..

في وسط هذا الحشد البشري من الرهبان والحجاج البوذيين نتوقف عند معبد « مايادفي » أم البوذا .. وهو معبد أقيمت عنده حفريات للاحتفاظ به كأثر ديني وتاريخي يشير إلى مولد الحكيم الذي لم يدع أبدا أنه إله ، ولكنهم بعد موته بسنين ألّهوه وعبدوه من دون الله .

ويحكي الرهبان هنا قصة ميلاد جاوتاما بأسلوب أسطوري مثير .

بينما الملكة مايا نائمة على فراشها إذ رأت في الحلم أربعة من الملائكة في ثياب بيض ، يحملون مهدها ويحملونها بكل محتويات غرفة نومها ويطيرون بها : إلى أعلى قمة في جبال الهيمالايا ، حيث تقوم شجرة باسقة خضراء ووضعوها تحت ظلها .

واقتربت من الملكة أربع ملكات لحمايتها مصطحبات معهن ثيابا جميلة وعطرنها بعطور زكية الرائحة . ثم حملنها إلى منزل أعد خصيصا لها من الفضة ووضعنها على فراش أعد بنسيج من النور . وهناك هبط فيل أبيض من فوق جبل ذهبي وتقدم منها وفي خرطومه غصن من نبات اللوتس ، وطاف الفيل حول الفراش ثلاث مرات ، ثم مس جانب الملكة الأيمن ودخل في رحمها . واضطرب الملك وهو يستمع إلى زوجته . وأرسل يستدعي حكماء المملكة للحضور إلى قصره في الصباح ليفسروا له الحلم .

قال الحكماء : لا يشغلن بالك شيء أيها الملك السعيد .. فالملكة قد حملت بغلام سيصبح ملكا على البلاد إذا استقر في بيته . أما إذا غادره هائما على وجهه في الأرض ، فعندئذ سيصبح بوذا كاشفا للحجب عن وجه هذا العالم ..

ولم تمض أيام حتى تحقق ما قاله الحكماء . وأحست الملكة بالحمل . وكان هناك شيء عجيب . فقد كان الجنين ينمو واضحا وهو قابع القرفصاء في رحم أمه ، وظل على هذه الصورة حتى اقترب موعد الوضع . وطلبت الملكة أن تسافر إلى أهلها لتضع مولودها هناك . وإذا هي في الطريق فوجئت بالمخاض وهي تحت شجرة ساك في بستان يسمى « لومبيني » . وكانت الشجرة الوارفة الظلال بمثابة مظلة للملكة القرفصاء بعد أن حمتها الخادم من الانتظار .

ولما ولدت الصبي مدت يدها إلى غصن الشجرة المنحني من تلقاء نفسه حتى اقترب منها . ولم تكد تنهض حتى كانت تحتها تلقفه أيدي أربعة من البراهمة في شبكة نسجت خيوطها من أسلاك الذهب . ووقف المولود فجأة وتقدم إلى الأمام سبع خطوات ثم صاح في صوت عذب : « أنا سيد هذا العالم .. وهذه الحياة هي آخر حياة لي .. » .

شجرة الحكمة ومعبد البرج :

موقع آخر له قدسيته عند البوذيين انطلقنا إليه ونحن في طريق العودة . هناك بعيدا عن إقليم بيهار الشمالي وفي داخل منطقة بهاتان ، ورأيت شجرة لم يبق منها سوى رمز مكتوب على لافتة أمامه « تحت شجرة التين المقدسة ـ شجرة الحكمة ـ بلغ الأمير جاوتاما في عملية التأمل مرتبة البوذا .. وأصبح المستنير » .

وعندما هجر الأمير قصر أبيه ليصبح راهبا متسولا وهو في سن التاسعة والعشرين ، راح يتجول في الغابات والقرى باحثا عن الحكمة وحقيقة الحياة . وعندما بلغ منه الجهد جلس تحت شجرة وهو يقول لنفسه « هنا سأجلس وأفكر في كل ما تعلمت ، وفي كل ما رأيته في حياتي ، ولن أقوم حتى أكتسب الحكمة . فليجف جلدي وتتفتت عظامي ويعتم العالم من حولي .. ولكني سوف لا أبرح مكاني هذا قبل أن تتكشف لي الحقيقة وأحيط بأسرار الحياة » .

واستمر جاوتاما مستغرقا في حياة التأمل والتفكير والبحث عن الحقيقة . وفجأة تألق وجهه ابتهاجا وهو يقول : « أخيرا وجدت مفاتيح الحكمة . إنه قانون للحياة .. من الخير يجيء الخير .. ومن الشر يجيء الشر » .

ويروي جاوتاما أنه عرف عن طريق هذا البحث الطويل عن الحكمة وأنه الآن أصبح البوذا المستنير .

فتلك هي حكمة بوذا .. تعالوا معنا ونحن نتهيأ على درجات السلم الحجري الطويل لنصعد على السفح الشرقي الضيق للوصول الى معبد البرج ..

بوذا الأصيل :

البرج يطلق عليه اسم معبد « سوايمبوناث » .. وهو معبد أروع المنشآت في كل نيبال ، وواحد من اقدم المعابد البوذية في العالم . على الدرجات الصاعدة الثلاثمائة التقينا بأحد الدارسين البوذيين ، لحسن الحظ كان يجيد الانجليزية ، وكلفناه ان يصحبنا في مرافقتنا خلال جولتنا بين ارجاء المعبد ..

ووقفنا امام البرج الرئيسي المخروطي الشكل الذي يمكن رؤيته من أي مكان من وادي كاتماندو . على كل جانب من الجوانب الاربعة للبرج التاريخي الذي ترتفع فوقه قمة هرمية ، نقشت نظرات ثاقبة من عيون رسمت بالذهب بحيث تتجه نظرات بوذا الى القلب والعقل كاتماندو . النظرات المشرعة على العالم من كل الجهات تشع فيها الرحمة بتسامح مع الرؤية تحت حاجبين اسودين كثيفين . وبين العينين رسمت عين ثالثة خاصة تعبر عن الحكمة المطلقة . اما الانف فهو يبدو في شكل علامة استفهام ناقصة ، وهي تشبه رقم ١ في اللغة النيبالية ، فهو يعبر عن ترابط البلاد وان « الكل في واحد » .. قال لنا الراهب البوذي :

لقد انصبت في تشييد البرج قواعد دقيقة حتى يبدو مرتفعا بارزا من بعيد . وكل جزء او قطعة منه لها معناها . فتمثل الجدران الخمس الخارجية العناصر الاربعة في العالم : الارض والنار والهواء والماء ، والدرجات الثلاث عشرة التي تحيط بقمة البرج هي درجات المعرفة الثلاثة عشر ، وتمثل درج الصعود الى النيرفانا التي تمثلها المظلة الذهبية فوق قمة البرج . وحول قاعدة البرج تبرز عجلة الصلاة الاسطوانية التي كلما أدارها احد الاتباع المتعبدين على مدار الساعة ، ابتعدت دورة الحياة والموت على الارض .

وهناك طقوس يتبعها البوذيون كلما جاءوا الى المعبد . فالأب يأتي ومعه ابنه وابنته يقيم طقوس العمر ، ويخلع حذاءه ثم يركع على ركبتيه امام الهيكل الرئيسي عدة مرات . وتتبعه زوجته وابناؤه الذين ارضعوا الزهور للآلهة والمعبودات . ثم يتجه الجميع ليضع الراهب على جباههم علامة الشكر تكريماً رغم انها علامة هندوسية .. كل ذلك يبدو كأنه تتلاشى الفروق هنا وهناك بين الزائرين وتختلف من ايديهم كل ما يسهل احتماله ، وخاصة إذا كانت فاكهة طازجة ..

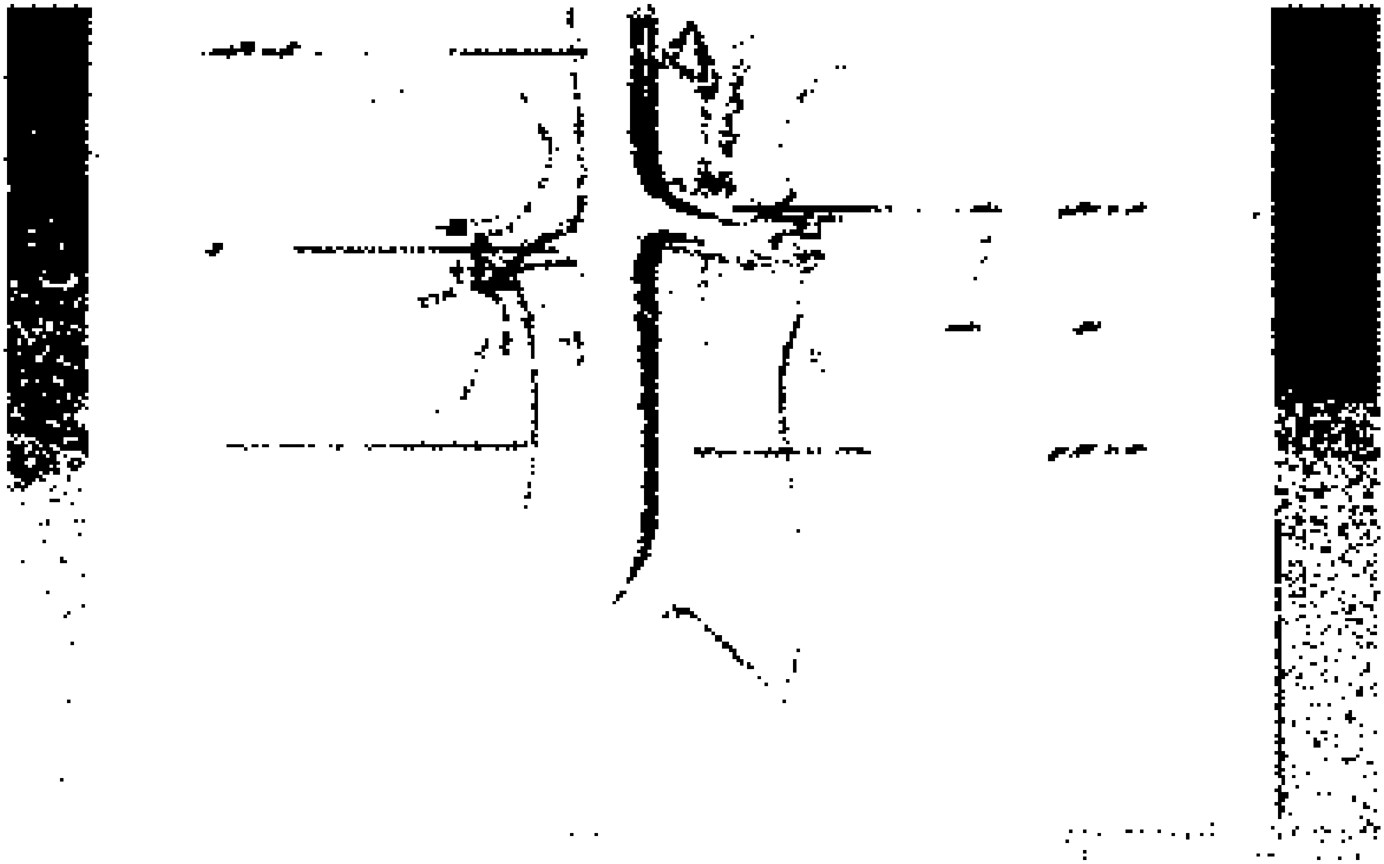
ثم ماذا بعد ؟

ليس من الممكن تجاهل الجهود الضخمة التي يبذلها الملك وحكومته لرفع مستوى حياة الشعب ، وتطوير المجتمع المتجمد الاعرق المتباين الطبقات المغرق في الفقر الذي يستعين عليه الغالبية المعتقدين بالخرافات والاساطير .

ولكن هذه التحولات لا تحول دون قيام حركات معارضة تطالب بالمزيد من الاصلاح وبذل الجهد من اجل نهضة اجتماعية واقتصادية وسياسية شاملة في البلاد ..

ورغم ان الاحزاب ممنوعة في نيبال ، الا ان تجمعات المعارضة تظهر على السطح في كثير من الاحيان . وتنشط المعارضة ضد الحكومة ورئيس وزرائها حول الاصلاح الاقتصادي ، ولقد كان سقوط عدة الحكومات يعود الى اشتداد ضغوط المعارضة التي تستطيع في كثير من الاحيان ان تستقطب جماهير الشعب المطالبة بتغيير الوزارات حتى ان الملك اضطر قبل ثلاث سنوات الى اقالة الحكومة .. وهي اول اقالة في تاريخ الحكم في نيبال .

وليس ادل على فاعلية هذه الحركات المعارضة من اننا فوجئنا ونحن في طريقنا الى المطار لمغادرة كاتماندو ، بثلاثة تفجيرات عنيفة تحدث في وقت واحد تقريبا .. كان اولها انفجارا على مدخل الجمعية الوطنية بينما كان موكب الملك يتحرك في الطريق لحضور حفل افتتاح الدورة الجديدة والاستماع الى بيان الحكومة . وكان الانفجار الثاني وسط الميدان الرئيسي في قلب العاصمة .. اما القنبلة الثالثة فقد انفجرت بالقرب من القصر الملكي .. برغم ان الملك هو نفسه تجسيد للإله فشنو . موضع تقديس الجميع .. ! □



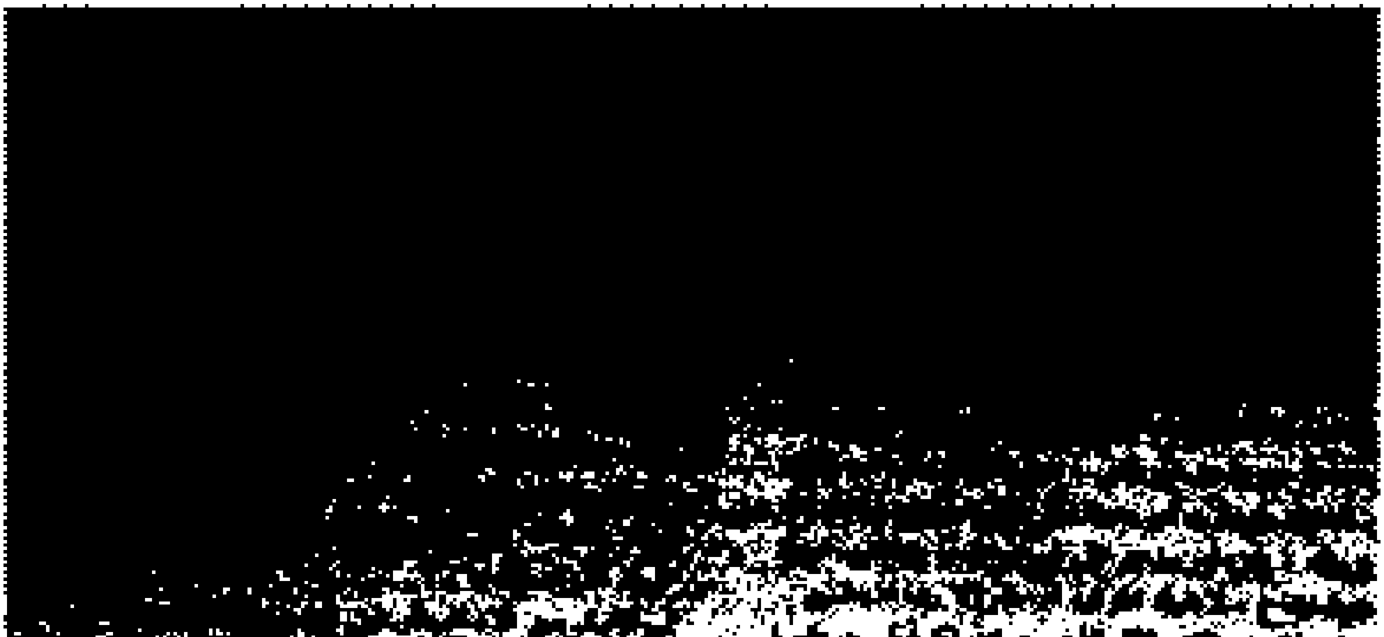
الحصيات الكلوية

حصاة واحدة .. نوبة واحدة ..

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

تظل الحصوة الكلوية حتى غير موجعة ، وتلعب لعبة عض وخداع .. لكن آلامها لا توصف إذا تحركت وانحشرت ، وحتى وقت قريب كانت الجراحة وشق البطن لاستئصال الحصاة الكلوية هي العلاج الوحيد ..

أما الآن ، ومع تقدم الطب فقد أصبحت العملية سهلة سريعة ، وأصبحت الحصوة الأولى هي الأخيرة .. فما الذي حدث ؟



ويتلخص ذلك بأن القلب حركة [illegible]
وقلبية ، بطفة تراها مرة عن مستوى حالك [illegible]
ممن عاشوا الرئيس الثالث : النوبة القلبية !!

ونستطيع نحن أنحن نظرا إلى التطورات العلمية عن العمليات الجراحية في استخراج العضلة ، عمليات سهلة لا تقتضي - كالسابق - شق البطن جرحا يترك على الصدر طويلا أو كبيرا (مرافقه مريضة هذه المرة لا طبيا) ، بل كل ما تتطلبه جرحا يسيرا ثم تدخل منظار إلى الكلية بعد تحديد موضعها وموضع العضلة فيها بالأشعة والأمواج فوق الصوتية . وتستخرج العضلة ويخرج المريض من المستشفى بسرعة ، بعد يوم فقط ، ويعود إلى عمله وكأن ما كان لم يكن .

ونظرا من القيام الجديدة أن النوبة الأولى يجب أن تكون النوبة الأخيرة ، وأن العضلة لا ينبغي لها أن تتشكل ثانية .

ولئن كانت النوبة الأولى تأتت على غير ما موعد ، ولا سبيل إلى توقع حدوثها أو الوقاية منها فإن طرق الوقاية من عودة تشكل حصيات جديدة تطبيقه ممكنة بطاقتنا الإمكانات الطبية بالجهود منها كل يوم .

وتشير الدراسات إلى أن احتمال تكرر حدوث الحصيات لدى من كانت لديه حصاة واحدة هو ٤٠٪ خلال خمسة أعوام ، بينما ترتفع هذه النسبة لدى من تشكل لديه حصاتان إلى ٨٠٪ خلال عامين .

ويقف الطب اليوم أمام التحدي ، فلا يكتفي باستئصال الحصاة كما كانت تفعل في الماضي ، بل لا بد

[illegible] العظمية ، ويعود [illegible] الكلي في [illegible] البول ، أو وجود هذه [illegible] في الجهاز البولي ، أو كانت الحصاة [illegible]

ولا بد من السؤال عن الأغذية [illegible] الأغذية التي تحوي الحصيات ، ومن المعروف مثلا احتمال أن تكون الفيتامين C بكثرة ، ومع الذي يعتبره بعضهم دواء لكل داء ، فإنه يؤدي لدى ٢٠٪ من الناس إلى تشكل الحصيات لا يتحول في أجسامهم إلى أوكسالات ، لذلك يجب على هؤلاء الناس الامتناع



من شقوقه نموا بأي شكل من الأشكال عندما تكون لديهم زيادة في طرح الأوكسالات .

تتشكل الحصيات عموما وتتركب من الكلس والأوكسالات وحمض البول والفوسفات بعضها أو كلها . وبالتالي فإن الوقاية منها يجب أن تتركز على هذه المواد . وأي آلية اضطرابات ولو جزئية في زيادة هذه المواد أو تغير نسبها قد تؤدي إلى تشكل الحصيات .

وإن ٩٠٪ من الحصيات تحوي الكلس ، بينما جزء قليل منها يحوي الفوسفات الثلاثية (الكالسيوم والأمونيوم والمغنزيوم) وهذه الحصيات الأخيرة تنشأ بسبب تكرر حدوث الالتهابات البولية الناجمة غالبا عن وجود انسداد في المجاري البولية .

إن فحص كافة الحصيات سواء الخارجة تلقائيا أو المستخرجة جراحيا يساعد على تبين نوعها وتركيبها ، ولابد من إجراء فحوص أخرى .

يأتي في مقدمة هذه الفحوص تحري مقدار كلس الدم ، وقد ظهر أن ٣ ـ ٥٪ من الحصيات تنشأ عن زيادة في كلس الدم سببها فرط نشاط الغدد المجاورة للدرق واستئصال هذه الغدة يمنع تكرر حدوث الحصيات .

ولابد من فحص كلس البول وأوكسالات البول وحمض البول ، وذلك في البول المجموع خلال ٢٤ ساعة بينما المريض على حمية عادية .

فإذا كان حمض البول مرتفعا فيمكن له أن يشكل نواة يتوضع عليها الكالسيوم ، وبإعطاء مثبطات هذا الحمض وبعض القلويات يمكن منع تشكل الحصيات .

أما من يطرح الكلس في البول بكثرة ، وتشاهد هذه الحالة لدى ٥٠٪ من المرضى المصابين ، فهنا نميز ثلاث حالات ، فإذا كان مقدار الكلس في الدم مرتفعا أيضا كان لابد لنا من التفكير في حالات فرط نشاط مجاورات الدرق كما أسلفنا ، أما إذا كان مقدار الكلس في الدم طبيعيا ، يكون الإطراح البولي ناجما إما عن زيادة الامتصاص المعوي للكلس ، أو زيادة الإطراح الكلوي بسبب آفة كلوية ، ويتم التفريق بين هاتين الحالتين بمنع المريض من الطعام لفترة معينة بعدها يعاير الكلس في البول فإذا كانت الزيادة ناجمة عن اضطراب في الامتصاص في المعي نقص مقداره ، بينما إذا كانت ناجمة عن فرط الإطراح في الكلية لم ينقص المقدار ، ويعد هذا التمييز ضروريا جدا ، إذ يجب في الحالة الأولى تحديد تناول الكلس بينما لا يجوز ذلك في الحالة الثانية إذ يؤدي إلى نقص مخزون الكلس في العظام .

توصيات وقائية عامة :

ثمة وصايا عامة ينصح بها للوقاية من الحصيات الكلوية .

أولها وأهمها هو شرب الماء مكثرا ، فالماء يغسل المجاري البولية غسلا ميكانيكيا ويطيب الأملاح التي يمكن أن تترسب .

وثانيها اتباع حمية مناسبة ، فمن كانت حصياته أو رماله كلسية يستفيد من الامتناع عن الحليب ومشتقاته ، ومن كان في حصياته أوكسالات فلابد له من الامتناع عن تناول كل ما يحوي هذه المادة كالخضار والفواكه غير الناضجة والبندورة والسبانخ والكرز والفريز وما شابه . ويمنع تناول الفيتامين ج دوائيا كما أسلفنا .

أما من كان في رماله أو حصياته حمض البول فلابد له من الامتناع عن تناول اللحوم والسوابط بكثرة وهنا تفيد أيضا مثبطات حمض البول وبعض القلويات الطبيعية .

ونشير إلى أن الحمية المطلوبة في هذه الحالات في تذبذب بين صعود وهبوط لكن الدراسات الحديثة توصي بارتفاع أسسها .

ثم لابد من الوقاية من التهابات المجاري البولية ، وإصلاح أي تشوه في الكلية أو المجاري يمكن أن يؤهب لحدوث الحصيات .

وإن الحياة النشيطة الحافلة بالحركة ، واللجوء إلى التمارين الرياضية المنتظمة تؤدي إلى الوقاية من تشكل الحصيات .

ونستبشر خيرا ، فالأبحاث العلمية مستمرة ، ومن كان يظن أنه سيأتي يوم تستخرج فيه الحصيات من شق لا يكاد يزيد عن قطرها إلا قليلا ؟

ونتطلع بأمل إلى ما يعدنا به طب علم هذا العصر والمستقبل ، من أن الثورة الأولى ينبغي أن تكون الثورة الأخيرة ، وأن المعالجة الأولى يجب أن تبقى المعالجة الدوائية ، وأن تصبح المعالجة الجراحية فالجراحة سهلة هينة . □

هدية العربي

المعادن والأحجار الكريمة وخاماتها الصناعية

مع هذا العدد الممتاز تقدم « العربي » لقرائها « هدية العدد » ، وهي لوحة بالألوان للمعادن والأحجار الكريمة وخاماتها الصناعية . وقد حاولنا قدر استطاعتنا أن ننشر المعلومات عن كل معدن أو حجر كريم في المساحات التي تتناسب معها .. ورغم ذلك فقد ضاقت المساحة عن كل المعلومات التي كان علينا تقديمها للقارىء .....

وهنا نورد بعض الايضاحات عن معيار القيراط وقياس صلابة الأحجار .. وأسماء المراجع التي استعان بها الكاتب في تنظيم هذه المعلومات .

القيراط

القيراط معياران مختلفان لاسم واحد . فهو معيار وزن فيما يتصل بالماس والأحجار الكريمة . ويساوي القيراط المتري ، وهو الذي أقر دولياً سنة ١٩٣٢ ، خمس الغرام أي ٢٠٠ مليغرام . والقيراط معيار نقاء فيما يختص بالذهب . فهناك ذهب ٢٤ قيراطاً اذا كان الذهب خالصاً ١٠٠٪ . وبذلك فالذهب عيار ١٨ اذا كان مخلوطاً بمعدن آخر بنسبة ١٨ قيراطاً ذهب و٦ قراريط من المعدن الآخر .

الصلابة

الصلابة من خواص الأحجار الكريمة المميزة .. وتعني لغة القسوة والصلابة وبالانجليزية hardness وتعني اصطلاحاً مقاومة الحك أو التآكل أو الانسحاج (abrasion) . ويجري قياس الصلابة بجهاز اسمه (Sclerometer) وهو يقيس مقدار الضغط اللازم لحك المعدن لمعرفة صلابته .. ويتم ذلك وفقاً لمعيار أو جدول اسمه Moh's scale .. ويعطي هذا الجدول مقدار صلابة المعادن الرئيسية كالتالي :

١ ـ بودرة تلك ٢ ـ الجبس ٣ ـ الكالسيت ٤ ـ الفلوريت ٥ ـ الاباتيت ٦ ـ أورثوكليز ٧ ـ الكوارتز ٨ ـ توباز ٩ ـ الياقوت ١٠ ـ الماس .

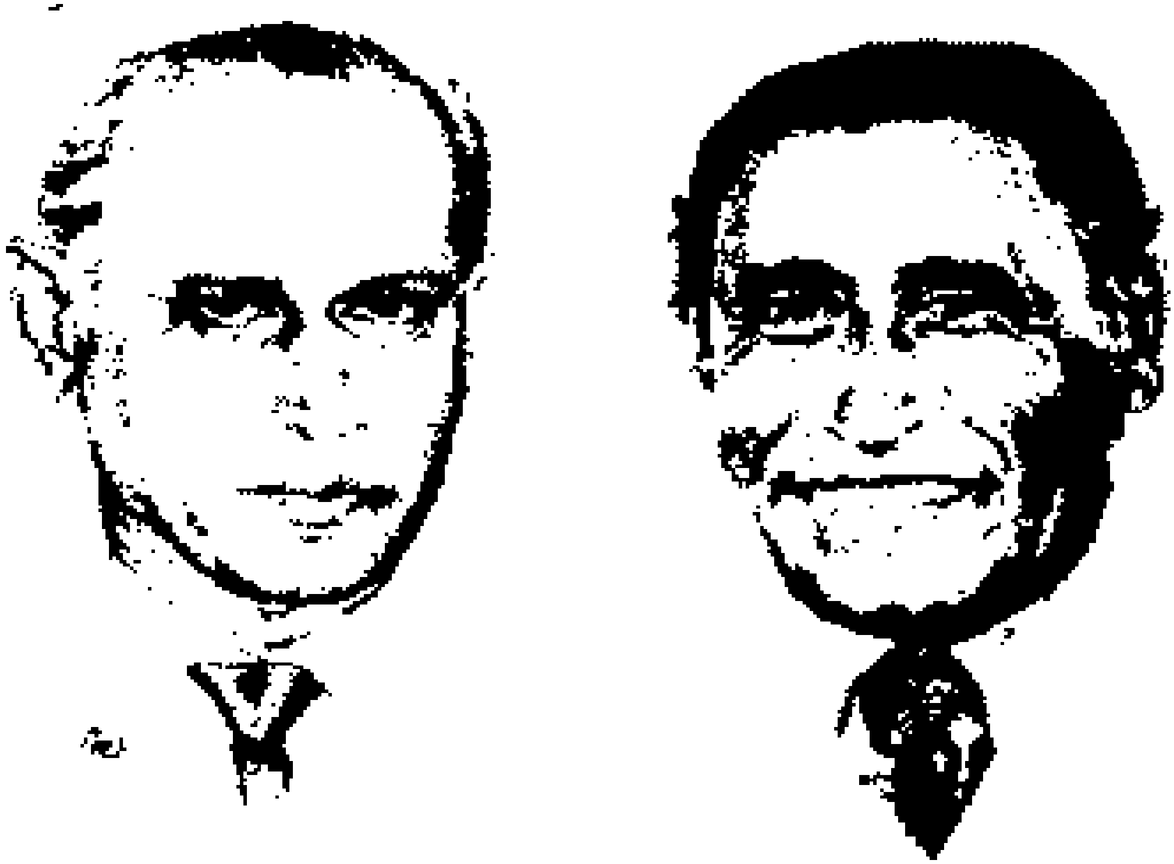
فالطلك اذن هو أقل المعادن صلابة ، وتقدر صلابته برقم (١) والماس هو أصلبها بلا نزاع وتقدر صلابته برقم (١٠) . ويفحص المعدن المطلوب تحديد صلابته بحكه بهذه المعادن العشرة . فاذا استطاع المعدن حك الفلورايت بلغت صلابته (٥) أي أكثر من الفلورايت درجة .

المراجع

المراجع التالية هي التي استعنا بها شاكرين في تحديد أسماء ومصطلحات المعادن الكريمة في اللغة العربية ...

- موسوعة بهجة المعرفة ـ دار المختار جنيف
- معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية ـ أحمد الخطيب ، مكتبة لبنان ، بيروت .
- لسان العرب ، دار الفكر بيروت وخصوصاً المعجم الملحق به ، وهو مجلد رابع أعده يوسف خياط ... فهذا معجم مهم يورد المصطلحات العلمية العربية وما يقابلها في اللغات الأجنبية ، ويعتمد فيما يعتمد وفيما يختص بالأحجار الكريمة ، كتاب الجماهر في معرفة الجواهر للبيروني ـ وكتاب نخب الذخائر في معرفة الجواهر (للتيفاشي) . □

وجها لوجه



محمد حسنين هيكل و محمود المراغي

- لا حرية صحفية في غيبة الوقائع!
- على الصحفي أن يختار أين يقف: قريبا من رأس السلطة أم.. من ذيلها
- الخبر هو المعرفة.. والرأي هو التوجيه
- برحيل عبد الناصر.. انتهت الثورة.. وبقيت السلطة
- المشاركة في صنع القرار.. تهمة لا أدفعها.. وشرف لا أدعيه.

لا يحتاج محمد حسنين هيكل الى تعريف ، فهو الأبرز بين الصحفيين العرب، وهو من أبرز الكتاب الصحفيين في العالم . ولكن . . لأن المحاور يختار جانبا من الشخصية ، فإننا نستطيع القول اننا نحاور شاهدا على العصر .

بدأت شهادته من موقع الأحداث الكبرى في الأربعينات وبداية الخمسينات . الحرب الكورية ، الثورة الايرانية التي غطاها صحفيا ، حرب فلسطين ، ما سبقها من تفاعلات في القاهرة انتهت الى الثورة ، ونقلت موقع الشاهد ليصبح أكثر اتصالا بالأحداث . . بل . . أكثر اندماجا في خصوصها بحكم قربه من زعيم الثورة جمال عبد الناصر .

لكن . .

محمد حسنين هيكل شاهد غير عادي ، كان دائما في الدائرة السياسية ، لكنه رفض الاشتغال فيها ، دخل الوزارة ورفض الاستمرار ، حاول الكثيرون جذبه الى مجالات العمل الحزبي والنقابي . لكنه آثر أن يكون بالدرجة الأولى كاتبا صحفيا . . يرى . . ويسمع . . يقرأ ويكتب ويقول .

من خلال ذلك كله أصبح أحد أعمدة التحديث في الصحافة العربية ، وأحد رواد مدرسة يمكن أن نسميها . . . مدرسة صحافة المعلومات .

وهي نفس المدرسة التي يعتقد محاوره ـ محمود المراغي ـ أنه ينتمي اليها ، مع فارق بسيط . أنه بينما كان المدخل عند هيكل . . السياسة والحرب . . كان مدخل محمود المراغي ومنذ أن بدأ عمله الصحفي عام ١٩٥٧ هو . . . الاقتصاد والأرقام وعالم المال .

وبينما كان هيكل عازفا عن أن يلعب السياسة بشكل مباشر ، شارك المراغي في قيادة وتأسيس أحد أحزاب المعارضة المصرية في السبعينات ، كما شارك منذ الستينات في العمل النقابي كعضو ، ووكيل نقابة للصحفيين المصريين لعدة دورات ، وكأمين عام لاتحاد الصحفيين العرب في دورة واحدة .

وأخيرا ، فبينما كانت التجربة العريضة لمحمد حسنين هيكل في ملاعب صاحبة الجلالة . . الصحافة اليومية محررا ومديرا ورئيسا لتحرير أكبر صحيفة عربية وهي الأهرام

كانت التجربة الرئيسية للمراغي في الصحافة الاسبوعية كمحرر ومدير التحرير ونائب لرئيس تحرير روز اليوسف ، مع انطلاقة صغيرة بالصحافة اليومية كمدير لتحرير جريدة الوطن الكويتية .

المراغي . . . ٢٨ عاما من العمل الصحفي و ٤ كتب في الاقتصاد والادارة يحاور محمد حسنين هيكل (٤٠) عاما من العمل الصحفي و أكثر من ٣٠ كتابا

وجها لوجه . . . يبدأ الحديث

الصحفي والسلطة

المراغي : فلنبدأ حيث تتجه الانظار الى محمد حسنين هيكل . صحفي كبير أتيحت له الظروف أن يكون قريبا من السلطة ، وكانت معظم التجربة مع عبد الناصر ، وهو زعيم من طراز خاص ، وكانت السلطة في عهده أقوى ما تكون السلطة

والسؤال : هناك وجهتا نظر . . واحدة تقول ان الاقتراب من السلطة ضروري للصحفي ، لأنها مصدر المعلومات ، والثانية ترى أن الاقتراب منها يلغي حرية الصحفي ، ويؤثر على رأيه . أستاذ هيكل . . على ضوء التجربة

ماذا تقول ؟

أجاب هيكل . . . .

أولاً لا يجب أن نتكلم عن الصحفي بالوصف التعميمي الذي يشمل كل العاملين في المهنة . لابد أن نفرق بين ثلاثة أنواع من الصحفيين . . . .

** مخبر صحفي .

** صاحب الرأي وهو المقصود من السؤال .

** محلل الشئون .

وأيضاً . . عندما نتكلم عن المخبر الصحفي فلابد أن نتكلم عن ثلاث مهام . . . .

** جمع الأخبار .

** تقديم الأخبار بحيث تصل إلى فهم القارىء وإدراكه .

** التعليق على الأخبار . . أي مجال إبداء الرأي والسؤال . ومازال الكلام للأستاذ هيكل - من يملك المعلومة . من هو صانع الخبر ؟

بالطبع هو الذي في مواقع السلطة أياً كانت، ومن هنا لابد للمخبر الصحفي أن يكون على علاقة وثيقة بمصادر الأخبار . الصحفي من وجهة نظري ليس إلا مجرد مخبر . أنا لا أتكلم عن مخبر يتنصت ليتحرى أو يجري أو يتعقبه . لكني أتحدث عن المخبر الصحفي كما ينبغي أن يكون .

أي المخبر الذي مهمته الرئيسية هي العثور على الخبر الصحيح . هنا . . لابد أن يكون للصحفي علاقة وثيقة بالسلطة . وهي علاقة بين طرفين . السلطة وهي صاحب القرار . يريد أن يحتفظ بالخبر . ولو أن مصلحته في أن يصل الخبر إلى الناس بشكل معين .

والطرف الثاني ، وهو الصحفي . . يريد الوصول إلى الحقيقة ، كل الحقيقة . . وأن ينشرها كما هي .

أنا أقول ليس هناك صحفي يستطيع أن يبتعد أو ينأى عن من يحكم أو يصنع القرار .

من تجربتي الخاصة التي هي في نفس الوقت تجربة الصحافة في العالم الثالث يمكن القول . . إنه كلما اقترب الصحفي من السلطة اقترب من صنع القرار .

وعندما تكون السلطة وطنية والموضوعات لاخلاف عليها ، لايكون التناقض صعباً بين الصحفي وصانع القرار .

نعم . . يوجد خلاف لكنه بسيط .

هذا النوع من العلاقة ، وهذا النوع من الصحفيين وكتاب الرأي البارزين ، موجودون في العالم كله ، بشكل أو بآخر يعبرون عن صنع القرار .

حتى أصحاب الرأي . . لابد أن يكونوا حريصين على اقترابهم من السلطة ، فإذا أرادوا أن يقنعوا برأيهم في قضية ما . هذا . . إلا إذا كنا نتكلم عن مخبر صحفي في صحيفة معارضة ، وهنا يفكر عمله بحكم وجوده بالحزب ، ويحكم ذاته بعملية توظيف الرأي من خلال هذا الحزب . فهو . . يهتم بأخبار معينة ، ويهتم باتجاهات معينة .

وبصفة عامة لايمكن فصل السياسة عن الصحافة ، لأن الصحافة هي جزء من العمل السياسي .

الأستاذ هيكل مازال يتحدث . .

ان تجربة العالم الثالث بصفة عامة ، بل تجربة العالم كله تؤكد على أن الصحافة جزء من العملية السياسية ، وبالتالي فإذا كانت هناك تعددية في الحياة الاجتماعية ، سواء كان ذلك عن طريق العملية لتوزيع الثروة أو الوصول ، لكن . . في مجتمع يمر بمرحلة غير معينة ، أو لم يكتمل فيه نمو طبقاته ، لاتجد فيه تعدد سلطات ، بل سلطة واحدة ، في العالم الثالث لايمكن أن تكون موجودة تعدد السلطات ، وربما تعددت المؤسسات فالسلطة في النهاية واحدة . . أي لاتوجد صحافة حرة .

حتى في انجلترا . . لاتوجد صحافة حرة . لا أحد يقول رأيه في انجلترا . . لكن رأي ينتمي إلى شيء ، سواء كان هذا الشيء شخصاً أو حزباً .

بعد ذلك يعود الأستاذ هيكل إلى الحديث عن الصحفي وعلاقته بالسياسة ، فيسأل أو يتساءل . . . .

من الذي كتب إعلان ويلسون بمبادئه الـ ١٤ ؟ والتر ليبمان . هذا منذ أول القرن وحتى في المجتمع الأمريكي . حيث الصحافة المتقدمة والحرية والصحفيون الكبار في مواقع صنع القرار . ولقد وجد « ليبمان » نفسه ليس فقط قريباً من مواقع صنع القرار . بل يكتب للرئيس نقاطه الأربع عشرة

ويعرض في البنتاجون، أو على الأقل يحضر اجتماع البنتاجون.

المشكلة في وطننا العربي أننا نتكلم كثيرا. نتكلم عن حرية الصحافة وحرية المعلومات وكأننا نتكلم في المطلق، ذلك أنه عندما يعجز الانسان عن [illegible] يعوض هذا العجز بالكلام. [illegible] الصحفي عن [illegible] صناعة الخبر غير عملي، والمهم [illegible] أن يكون [illegible] في صنع الخبر.

[illegible] أنه في العالم الثالث، حيث [illegible] من التطور السياسي، يكون فيها الاختلاف بين الصحفي وصانع الخبر ليس كبيرا، والتناقض بين الصحفي والسلطة الوطنية ليس حادا. والصحفي [illegible] مشدودا إلى صنع القرار، [illegible] أين يقف.. هل يقف قريبا من [illegible] السلطة أم من [illegible].

سلطان [illegible]

المراغي: [illegible] في الاستاذ هيكل بوقفة قصيرة

تقول ان التناقض بين الصحفي والسلطة الوطنية ليس كبيرا. ومن هنا فالاقتراب لا يشكل تهديدا على الصحفي، ولكن ماذا لو كانت السلطة غير وطنية، أو غير متوافقة في الاتجاه مع ما يعتقده الصحفي.

أقول ذلك وعيني على تجربتين عاشهما محمد حسنين هيكل: الأولى.. مع سلطة وطنية تمثلت في عبد الناصر. والثانية.. مع طراز آخر هو أنور السادات، وانتهت بأن [illegible] صحفيا وشغلا بصورة أو بأخرى، والغيرة أو [illegible] في [illegible] من القراءات الخاصة.

هيكل: بالنسبة للنقطة الأولى.. نعم كانت [illegible] لعلها تكون في [illegible] صنع القرار لا يمكن أن تكون [illegible]... صانع القرار الوطني [illegible] من حوله. والحصول على الأخبار ليس فقط [illegible] الخبر، ولكنه أيضا [illegible] في الحوار.

[illegible] هذا القرار [illegible]

مشاركات، ولكنها كنت مهتما بالقضايا المطروحة [illegible] درجة المشاركة بالضرورة.

وعندما تقول. أني شاركت في صنع القرار، [illegible] كما قال سعد زغلول تهمة لا أدفعها، وشرف لا أدعيه.

نعم كنت موجودا. وكنت [illegible] بالتالي [illegible] عندما تقول سلطة وطنية وأخرى غير وطنية..

أقول.... عندما [illegible] لي، لم [illegible] بالشك في نوايا أنور السادات.. [illegible] واختلفت معه

[illegible] لا [illegible] أن السلطة قد تغيرت في ١٤ مايو ١٩٧١ [illegible] السلطة لا في [illegible].. [illegible] [illegible]، [illegible] في [illegible] بين الثورة.. والسلطة والدولة.

انتهت ثورة يوليه ١٩٥٢ برحيل عبد الناصر [illegible] في [illegible] وعشر [illegible] من الثامن والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٧٠... [illegible] [illegible] عن [illegible]، لكنها الظروف.

انتهت الثورة وبقيت السلطة.. [illegible] عناصرها التي تركها عبد الناصر. لا [illegible] أن [illegible] قد حدث [illegible]، ولأسباب لا علاقة لها بالاتجاه، وكانت ١٤ مايو هو الفيصل. وما [illegible] بعد ذلك ليس [illegible].

في البداية.. [illegible] ١٤ مايو، حتى [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] بعد، [illegible] ما حدث في ١٤ مايو، وطبعا لا أستطيع أن أحكم بالنوايا أو الاتجاهات [illegible].

[illegible] من أنور السادات حتى ٦ اكتوبر. ثم [illegible] بعد ذلك.

بعد فصل القوات [illegible] إلى [illegible]، [illegible] إلى [illegible]. [illegible] ذلك في مقالات [illegible] بالاضطراب، وكانت سبب الانفصال النهائي بيننا.

[illegible]، شاركت في صنع القرار مع سلطة وطنية لا [illegible] فيها، وحتى الآن [illegible] في [illegible] [illegible].

شاركت مع عبد الناصر وبعده، لأني كنت [illegible] أن [illegible] لا [illegible] كي [illegible]، كنت [illegible] أن

الحرب هدف يجمع بين كل الناس . فمن كتابة أمر القتال للمشير أحمد إسماعيل ، كتبت خطبة العبور للسادات التي ألقاها في مجلس الشعب . اشتركت في وضع الخطة الإعلامية والسياسية لحرب أكتوبر ومواقفنا في مجلس الأمن .

كان ذلك آخر ما صنعته في عهد السادات . ثم اختلفت الاتجاهات لتفترق الطرق . فأصبحت لا أشترك ولا أعبر عنه ولا حتى كصحفي .

أعلنت خلافي أكثر من مرة . بعد حرب أكتوبر كتبت مجموعة مقالات بعنوان « عند مفترق الطرق » ثم قلت رأيي في كتابي « الطريق إلى رمضان » وهكذا أعلنت الخلاف بيني وبين السادات .

الصحفي .. والوزير

المراقب : قبل أن ننتقل من قضية الصحفي والسلطة أقول .. لقد مررت بتجربتين في هذا المجال .

تجربة أطول وأعرض وهي .. التجربة الصحفية .

تجربة قصيرة لم تستمر طويلا . وهي تجربة الوزير المشترك في السلطة مشاركة مباشرة من خلال التجربتين . أيهما أكثر تأثيرا في رأيك .. الصحفي ومهمته الطويلة . أم الوزير ووظيفته الفعلية ؟

هيكل : أقول : الصحفي أكثر تأثيرا .

الوثيقة يجب الصورة إلى خطاب الاعتذار عن الوزارة بعنوان « ابتسم » ؟ في هذه الوثيقة وضحت أسباب ترددي في قبول الوزارة ، حدث ذلك أربع مرات ..

الأولى في عام ١٩٥٦ ، وكانت في أول وزارة شكلها عبد الناصر .

الثانية .. في وزارة الوحدة عام ١٩٥٨ . وكانت الثالثة عام ١٩٦١ بعد الانفصال ، والأخيرة في عام ١٩٦٧ بعد الحرب ، في كل ذلك قلت .. لا .

حتى كان عام ١٩٧٠ . حيث قبلت الوزارة . وعشت بها من التجربة ولم أكن أعرفه .



جمال عبد الناصر

بعد رحيل عبد الناصر بأربعة أيام كتبت خطاب اعتذار عن الاستمرار ، وكان ذلك في يوم الجمعة ٢ أكتوبر . وكانت مناقشة طويلة قبل اجتماع مجلس الوزراء ، ويومها قال لي وزير الدولة سامي شرف .. ماذا تريد للناس أن تقول ؟ .. ولماذا فقط عندك وفاء ، ولا يستطيع العمل بعد عبد الناصر .. ؟

وكان ردي .. لا .. إنني أعرف ذاتي بأعصابي نفسها . كما أنني قبلت الوزارة بشروط ، وفي شخص معين . أما وقد حدث ما حدث فإنه في حل من وعدي . أنا أعتقد أن مكاني الأصلي .

المهم . أعود إلى الحقيقة السابقة لأقول إن الصحفي أكثر أهمية من الوزير .

لأن أي قرار ينفذه الوزير لقا لم يفهمه ويستوعبه الناس . ولقد قلت من قبل إن مهمة الصحفي هي جلب الخبر .. وعرضه بطريقة مفهومة ... وتحليل خلفيته . أي أن يضع الصحفي الخلفية في موقع الخبر على الخريطة العامة . من هنا أؤكد على أن أي تصرف لا قيمة له إلا إذا استوعبه الناس ، ووضع الجماهير في كامل أجواء الخبر والصورة .

المراغي : هل تقصد من ذلك .. أنك تعتقد أن الرأي العام أكبر من السلطة ؟

هيكل : حين أنا لم أقل هذا .. أعتقد أن الرأي العام ليس أكبر من السلطة بهذا التصور . أنا ضد كلاسيكيات الصحافة .. الرأي العام والسلطة .. لابد من تكامل بين الحق والقوة . وقضية الصحافة ليست الكلمة وحدها . ولكن قضيتها هي كلمة قادرة على الحق . الكلمة الانشائية تنتهي في خطابها . والاستمرار للكلمة تعبيرا عن حقيقة وقائع هو جزء من تصور النفس

حرية الرأي وحرية التوجيه

المراغي : تصوره الى الاصل . الصحفي والسلطة .. الى أي حد يمكن أن تكون علاقة الصحفي المشتغل بالرأي مع السلطة قيدا عليه ؟

هيكل : القيود موجودة داخل كل الناس .. ولذلك فهي قائمة في عمل الصحفي أيضا . ورغم أي صداقة ترد بين الصحفي والسلطة فالصراع بينهما موجود . والتناقض قائم . وهذا طبيعي ، بسبب وجود ضرورات تقتضي في عمل السلطة عدم القول بكل شيء . بينما يريد الصحفي أن يقول الحقيقة . أي يقول كل شيء .

أروي لك تجربتي في هذا المجال ..

لقد طرحت للقدم في مصر فكرة تنظيم الصحافة حتى عام ١٩٦٠ . وكنت أعتبر التنظيم خطوة الى الوراء . وأن ملكية الدولة أمر غير مستحب ، لذا فقد تم اختيار صيغة أخرى للحل في الصحافة المصرية . حينذاك صدر قرار تنظيم الصحافة عام ١٩٦٠ ، وهو ينص على أن نصف الأرباح للعاملين في الصحيفة ، والنصف الآخر ، للاصلاح والتجديد ، بينما يحتفظ الاتحاد الاشتراكي بالرخصة فقط .

وتقدمت بفكرة الصحافة العربية المتحدة ، الأولى تجمع بين صيغة الملكية وفكرة الاستقلال . ولم يكن ذلك تكرارا لما كتبته اعتقد .

ملكية الصحافة في العصر الحديث أمر غير محدد ، ليس في مصر وحدها بل في العالم كله . جريدة الأوبزرفر البريطانية تصدر مباشر عن مصالح صاحبها .

جريدة « التايمز » ظلت حتى عام ١٩٤٠ متمسكة بفكرة مهنية المهنة . وظلت اختياراتها الى ما بعد الحرب تعبر عن ذلك . ملكية لأصحاب العمل ومعبرة عن أصحابها .

في مصر ، كانت معركتي مع الاتحاد الاشتراكي ، من أجل تجنب الوضع الآخر ، وهو سيطرة الدولة أو التنظيم السياسي الرسمي للدولة ، ثم يرسلون ملكية الصحافة وتنظيمها ، وكنا نطالب بالتعاونية كحل وسط بين التأميم والملكية الفردية . وأظن أن البحث عن حل وسط ظل هاجس أغلب المفكرين ، من بعد ثورتنا في مصر . كانت هناك تجربة « الموقف » « التعاونية » . وجاءت المشاكل الوقتية التي نشأت عن طريق الأمر مع التأميم وغير الملكية الفردية

على أي حال ان ما أريد التأكيد عليه هو أن الرأي يتصل بالملكية . وأن الرأي في الجريدة اضافة . فالجوهر الحقيقي في الجريدة هو الخبر .. هو ما يجري .

الخبر رجل يحصل على خبر ، وهذا هو صميم الديمقراطية . جوهر الصحافة هو الخبر ، أنت تكون خبر صحفي . أستطيع أن أعيش اذا قلت لي كل ما يجري وبدون آراء ، لكن كيف أعيش بالآراء وحدها دون أن أعرف ما يجري ؟!

ان ما يحدث الآن في الصحافة هو آراء .. آراء لكن لم يقل أحد ماذا يجري ؟ ماذا حدث ؟ حتى يمكن التعليق عليه .

حرية الصحافة هي حق الناس في أن تعرف حقيقة ما يجري . وقد انتهت عقدة القضية في العالم كله في هذا العالم المختلف . هذا العالم لا تنقصه الآراء ، ولكنه يحجب الاخبار أي يحجب معرفة ما يجري .

ان كتابة رأيي في الجريدة يساعد على الحكم على ما يجري ، لكن ما أكون به رأيا فيما يجري هو حقه أن أعرف ، لذلك فإن حرية الصحافة متعلقة بمهمة الخبر الدقيق ، الذي يقول للقارئ ما يجري . ولكن

مع الأسف ان النظم حتى الحضاري منها لا تتيح لي إبداء الرأي. لكنها تتحكم في حجب الأخبار. والرقابة الحقيقية في العالم كله هي انتقاء الأخبار ونشر أو حذف .. هذه الحرية في تصوري هي حرية المعرفة وليست حرية التوجيه.

المراغي: بهذا المقياس أين تضع الصحافة العربية؟

هيكل: كنت أريد .. غير مسموح في العالم العربي كله بتداول المعلومات. أو معرفة ما يجري، ولكن المسموح هو إبداء الرأي في كل شيء من الزحام .. حتى أصغر الأشياء والسبب ببساطة .. إن الآراء لا تخيف أحداً، لأنها مرتبطة بأصحابها. أما الخطر ما فيه هو المعرفة. الخبر هو المعرفة والرأي هو التوجيه.

الثورة .. والثروة .. والصحافة

المراغي: أستاذ هيكل لننتقل من العام إلى الخاص، الأوضاع الصحفية، من النظرية إلى التطبيق. إذ قضايا عديدة في أوضاع الصحافة العربية. ولنأخذ الثروة، والثورة وتأثيرهما على الصحافة خلال ثلث القرن الماضي.

لقد كانت أبرز وقائع هذا الثلث من القرن .. العديد من الثورات التي أبرزت مثل التركيبة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وكانت من أبرز الملامح أيضاً .. دور الثروة في العديد من البلدان، وهي أمر ملموس، وتأثيره بعمق على الحياة العربية كلها من المحيط إلى الخليج.

في رأي الأستاذ هيكل أيهما كان أشد تأثيراً على الصحافة العربية الثروة أم الثورة؟

هيكل: الثروة بلا شك كانت أكثر تأثيراً، فالثورة صاحبة مصلحة في فترات نشوئها، حتى وإن تسببت أحياناً في حرمان إبداء الرأي، أو حجبت بعض الأخبار، لأن تدفق المعلومات يعني وجود

فالثورة كما قلت صاحبة مصلحة في كسب الجماهير. مثال على ذلك، كان جمال عبد الناصر يخاطب في الجماهير بالأخبار، كل خطبه أخبار، لأنه يريد من جماهيره أن تقف معه.

الثروة تريد العكس .. الثروة تريد أن تبعد عن مصادرها، والسبب واضح. فالفرق بين الثورة والثروة كبير. الثورة تريد المشاركة، بينما الثروة تريد الانفراد.

الثورة تبعات ومسؤوليات والثروة ... مطلب الأولى المشاركة .. وطموح الثانية الانفراد

المراغي ... لكن الصورة تبدو غير ذلك؟

هيكل: الصورة العامة غير ذلك، لكنها واضحة جداً في مجال إبداء الرأي، حيث يكون التوجه من المجال الاستهلاكي ودون تعرض لجوهر ما يجري. حينما يحدث هذا تقل المعلومات، وهنا هي أزمة العالم العربي وعجزه عن الفعل.

الصحافة العربية مليئة بالآراء والوعظ والإرشاد ولكن أحداً لا يعرف ما يجري .. انحسرت الجماهير فانتهت إلى السلبية.

المراغي. في المنطقة العربية هل نبالغ فيما يسمى بأسرار الدولة؟

هيكل: في العصر الحديث لا يوجد أسرار. بعد أن أصبح كيندي رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية صرح بقوله الشهير ما كان يعرفه .. عندما أصبح رئيساً لم تضف إليه الرئاسة إلا ١٠٪ من المعلومات عن طريق الأجهزة السرية.

جزء من زعامة عبد الناصر كان قائماً على نزاهة كثير مما يسمى بأسرار الدولة. والسؤال الآن هو: ماهي الأسرار الآن؟ خصوصاً في ظل الأوضاع الراهنة، والأسطول السادس يطل على كل شبر.

ثم يضرب الأستاذ هيكل المثل بتجربته قائلاً:

أنا صحفي أساساً. ليس عندي الآن أوراق في الصحف، واقتربت من السلطة وقرأت كل التقارير السرية لوزارة الخارجية والمخابرات، ولكنني الآن بعيد لكني ما زلت متابعاً. والأخطر أن التقارير لا تحوي شيئاً مهماً. وأقول أن هناك مبالغة فيما يسمى بأسرار الدولة، إنه جزء من كهنوت الدولة المتضخمة.

المراغي : أعتقد أن قضية المعلومات التي تواجهها الصحافة العربية هي جزء من قضية أكبر . هناك تخلف عربي عام . وأحد سمات هذا التخلف عدم ادراك أهمية المعلومات ، سواء في الحصول عليها أو تداولها ، أو في اتخاذ القرارات على أساسها . أو اطلاع الرأي العام عليها ، من المعلومات لدينا الشخصي حسو الأمم . وما يتصل بالأفراد قد يكون أكثر استحواذا على اهتمام الحاكم . ألست معي في أن ما تعانيه الصحافة جزء من مشكلة أكبر وليس مجرد قضية صحفية ؟

هيكل : أتفق في ذلك . وأقول انه حينما تكون أكبر لسلطة السلطة أن تخفي عن الناس ، فإن منطق الاخفاء يمتد ولا يعرف أين يقف .

لابد أن يكون هناك وعي بأهمية المعلومات . فأنت لا تستطيع أن تتابع شيئا متابعة حقيقية ، إلا إذا وضعته في إطاره ، وهو ما لا يتوافر إلا بمتابعة المعلومات .

أنت لا تستطيع أن تضع تكتيكا ، إلا إذا كانت هناك استراتيجية . وأهمية المعلومات أن الحدث فيها يرتبط بشيء ما قبلها . وتكون صورا متكاملة . فإذا أخذتها كشيء تصبح المعلومات شرذم .. وشظايا متناثرة

الثروة وتقنية الصحافة

المراغي : نعود قليلا الى قضية الصحافة العربية بين الثروة والثورة . وأقول .. انه إذا كانت للثروة سلبياتها فإن لها إيجابياتها أيضا . هناك نقلة تقنية واسعة شهدتها الصحافة العربية في الآونة الأخيرة ، وكانت أساس هذه النقلة وفرة المال .. ألا ترى أن لذلك التطور التقني أثره الإيجابي على الصحافة العربية ؟!

هيكل : التقنية أداة هائلة .. تقدم معلومات . فالأساس هو المعلومات . ونحن في استخدامنا للتقنية نهتم فقط على اعتبار الوقت الضائع ، بخصوص المساحة الزمنية اللازمة لنقل الأخبار والطباعة والتوزيع ، ولكن .. هناك الضغط للمضمون ، وهذا أيضا للقارئ في الوصول اليه مبكرا ؟!

المراغي : .. هناك نقطة أخرى ، وهي أن التقنية سلاح ذو حدين . فكما أنها تضيف تسهيلات للعمل الصحفي . فإنها تضع عليه قيودا . ذلك أن ما تكلفه من أموال تحتاج لإقامة مؤسسات اقتصادية . وحين يكون الأمر متعلقا بمؤسسة ورأسمال كبير ، تكون فرصة الخلاف مع السلطة أقل ، والرغبة في ترضيتها أكبر ، خوفا على المصالح الاقتصادية للمؤسسة .

هيكل : في ذلك أيضا أعود الى قضية الملكية ، فوسائل الاعلام العربية في معظمها مملوكة لتنظيم ، وهذه نفس الأشخاص من الذين يشترون التقنية ، وليس لديها مساحة حرية تركها . ان التقنية لن يستعملها .

صحافتنا العربية .. الى أين ؟!

المراغي : .. على ضوء ذلك كله .. هل نستطيع الاجابة على سؤال يقول .. الى أين تتجه الصحافة العربية ؟!

هيكل : قبل أن نقول ذلك لا بد أن نسأل الى أين تتجه السياسة العربية ؟ فالصحافة جزء من السياسة ، كل مجتمع متحرك ، وأزمة العالم العربي هي السياسة . لا أظنني أبالغ حين أقول انه لن يحدث جديد مهم في الصحافة العربية ، ما لم تتغير السياسة العربية ، ويوجد ما ليس موجودا الآن .

وأقول . انني لا يمكن أن أفصل بين الاثنين ، فنفترض أن الطباعة تتطور بمفردها .. والتلفزيون أو الاذاعة يتطور بمفرده ، والصحافة تتطور بمفردها ، وفي معزل عما حولها ، هذا مستحيل .

المراغي : هل يفسر ذلك ما يقال عن أزمة الثقة بين الصحافة والرأي العام ؟

هيكل : لأن الصحافة جزء من تركيبة السياسة ،

ولأن الحياة السياسية في العالم الثالث سلطة .. سلطة استقلال .. أو سلطة مع الاستقلال .. أو سلطة مجتمع رأسمالي .. فالقارىء العادي يشعر أن الأخبار التي تقدمها الصحافة تخرج عليه ما ، وعندئذ الصحافي صادق . فالقارىء يثق بما يعرف عن طريقك . أنا هنا أتكلم عن الصحافة بشكل عام ، لا عن الصحافة الحزبية أو المهنية .

أقول - من أجل الأمر الأول والتوجيهات .. في المسائل .. القارىء يريد أن يعرف أولا ، ماذا يجري ؟ وقد كانت تجربتي في ذلك أن القارىء يتضح من خلال « بصراحة » وهو يتساءل ، ماذا يريد هيكل أن يقول له ، ويعني أنني لا أريد أن أقول شيئا . لكني أريد إعطاء القارىء علما بما يجري ، والمساعدة على الفهم والتحليل ، ثم أترك عقله وحده .

الصحافة المطبوعة هل تندثر ؟

المراغي : .. سؤال أخير . هناك رأي يقول .. إن التطور الصحفي في العالم مرتبط بصورة أكبر ، هو التقدم الضخم وسائل المواصلات والاتصالات .. ويقولون إنه لا بد يأتي يوم .. يستغني فيه القارىء عن الصحيفة المطبوعة ، ويأخذ الصحيفة المرئية التي يستدعي معلوماتها حين يشاء .. وحيث يشاء بواسطة جهاز في منزله أو سيارته ، ستتراجع الكلمة المطبوعة وتتقدم الكلمة المرئية .. والتوسع في تقديم المعلومات والآراء والصور بما يمثل صحيفة كاملة في متناول القارىء دون قراءة .. ما رأيك ؟

هيكل : بالتأكيد سيصبح ما هو مرئي أكبر مما هو مسموع أو مقروء ، لكنه لا يستغني عن وجود الصحافة المقروءة ، سيظل ما هو مقروء يرتبط بالصور أكثر مما تعطيه الصورة في التلفزيون مثلا . الصورة تعطي ظاهر موقف معين . وقد يستطيع غير صحفي بالتلفزيون أن يكمل الصورة بالكلمة .. لكن .. تبقى الكلمة المقروءة مهمة جدا . في حديث من بضعة أشهر في مؤتمر التلفزيون عن الصحافة بالمكسيك



مصر والتعدد السياسي

المراغي : يكاد حديثنا يقتصر على قضية أساسية واحدة ، هي « الحرية » حرية الصحافة في مواجهة السلطة ورقيب ذلك . حرية المعلومات .. وحرية إبداء الرأي والتعبير الفني .

أظن أنه قد حان الوقت لتناول تجربة محددة . هي تجربة الصحافة العربية المصرية في الآونة الأخيرة .

لقد تعددت المنابر والأحزاب السياسية واتسعت معها فرص إبداء الرأي . ألا ترى معي أن ذلك يشكل خطوة للأمام ونحن بصدد الحديث عنه ؟ .. أليس التعدد السياسي هو الذي حقق سندا لحرية صحفية أكبر ؟

هيكل : .. مصر تسبق ما حولها ، تسبق بقية أمثالها بسبب طبيعة ظروفها .. والناس .. حتى بالأكيد .. حجم ما هو متداول فيها ، أكبر من حجم ما هو منشور . نحن أحسن حالا من آخرين في العالم الثالث . لكني لا أستطيع أن أسلم بحرية الصحافة إلا بمعرفة كل ما يجري أو على الأقل أكثر قدر .. في ضبة الوقائع لا حرية صحافة .

يزيد عدد القراء في العالم كله . فقد خلق التلفزيون الاهتمام الأوسع . نقل العالم إلى جهاز لم يكن يصل إليه فخلق اهتمامات متعددة .

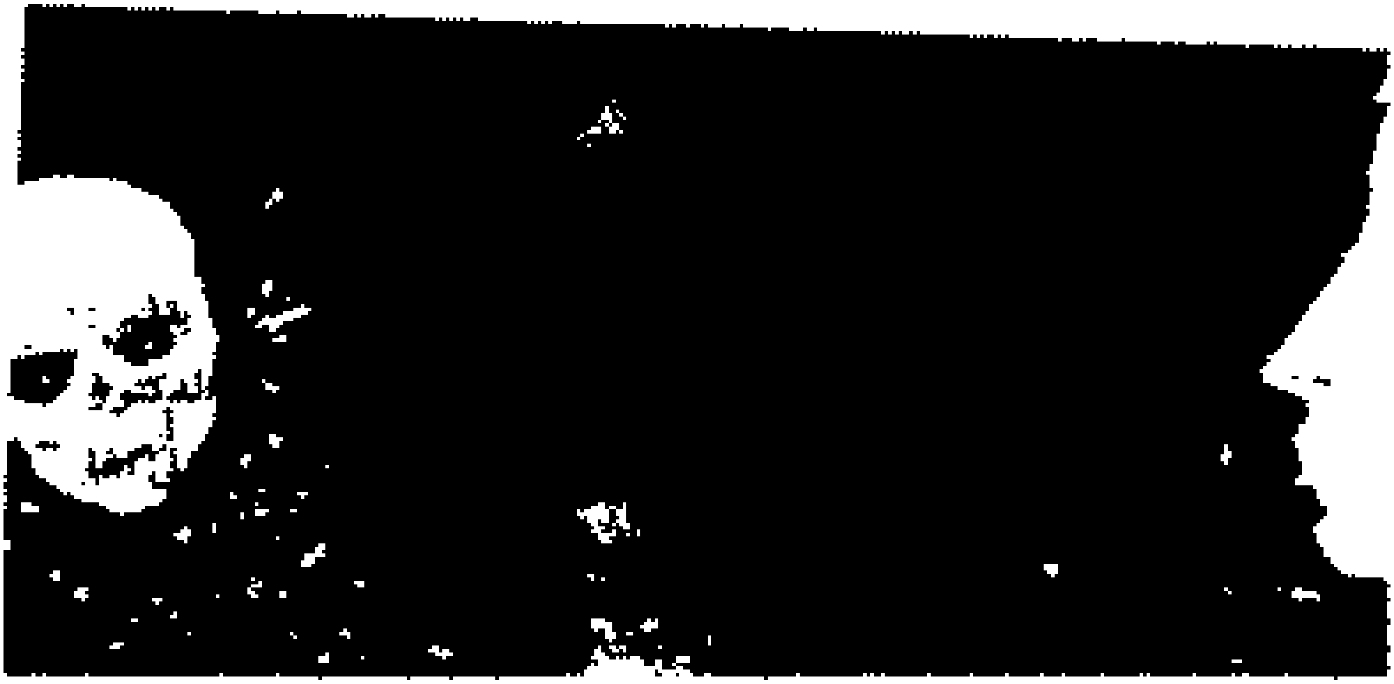
من توزيع الصحف العالمية والعربية يزيد ، لأن التلفزيون أوجد اهتمامات بما يجري . ودفع الناس إلى أن تستكمل المعرفة . الأزمة في الصحافة هي عندما تكرر الصورة ... عندئذ تصالح ... تجري ... تكرر الصورة بطريقة باهتة . خذ مثلا .. أخبار الرؤساء .. سفر الرئيس ، وذهب إلى المطار ، واستعرض حرس الشرف .... كل هذه المعلومات قدمها التلفزيون بالصورة . وهنا يأتي دور الصحافة ، وهو الانتقال من سطح الأحداث إلى عمقها .. وذلك بالأخبار ..

حتى لو استعيضت المطبوعات بأجهزة منزلية خاصة .. فهي في النهاية أرسلت بالتلفزيون ، ولا تتوفر لها الاستمرار ، فهناك وقت محدد .. أما الكلمة المكتوبة فهي تحت تصرفك . وأنت ستقرأ أو ستترك . في أمريكا مثلا يوجد ٢٤ ساعة أخبار مستمرة تلفزيونية .. لكن ذلك لم يقلل من أهميتها ، وتوزيع الصحف يزيد . الناس تريد أن تقرأ .. وأن تنظر وتتمهل ، والجورنال ما زال أقرب جليس ويرافق ... لك ما حدث .

انتهى الحوار ....

أصبحت الصورة أكثر وضوحا . أصبحت الصحافة أكثر استحقاقا للقراءة ، وأصبحت ... الحرية الصحفية مطلقة بمطلب ... .

انتهى الحوار . واستأنف هيكل عمله في كتابه ... السويس ... مرور ثلاثين عاما على ... الشهيرة ، وعاد هيكل إلى أوراقه التي لم ... بها ، ... أزمة الصحفي العربي .. فالأمر بين الصحفيين العرب غير واضح في الاحتفاء بالصحافة الباردة . ومنذ أحد عشر عاما ومشاهد الكتاب .. ... الإملاء بآرائه على شكل أحاديث بين وقت وآخر ◻



انفعالاتنا من حين لآخر ، فيصدق ويجتذب ونكتب أعمال عناوين كبيرة . ثم تخدع مشاعر الناس وعواطفهم ، وتستغل تلهفهم لاستطلاع الجوانب المجهولة من نفوسهم ، وتفسير الأنماط المختلفة من سلوكهم ، كمثل « اعرف نفسك » تعرف على شخصيتك ، من أي الطراز أنت ، أي نمط من الناس أنت ، إلى آخر هذه السلسلة من العناوين تتبعها بضع عشرات من العبارات أو الأسئلة أو التصنيفات . من أجاب على عدد منها يتمتع بشخصية قوية منبسطة ، أو مرحة بسيطة أو حساسة عاطفية ، وغيرها من التوصيفات التي تعود بنا إلى الأجزاء الأولى لنظريات الشخصية .

بين الكهانة والعلم

قد يكون الغرض من هذه الاختبارات من الاختبارات التسلية وتمضية الوقت ، وشغل أوقات الفراغ وتطرح في جو اجتماعي معين ، لكنها لا تخلو لأنه تكون اختبارات علمية يعتمد عليها في تحديد شخصية الأفراد ، وإبراز السمات الأساسية التي تميز كلا منها ، أو تكشف عن الاضطرابات والأمراض النفسية والعقلية ، هنا تكمن الخطورة التي تأتي منها ، حين يتسلم كل فرد نتيجته النهائية ، فيتصرف تبعا لها وكأنها كشف أو استبصار لم يكن يعلمه في ذاته ، وربما يصدق به من صفات . وينطلق أساليب من السلوك قد يلتقي بها نفسه ويلتقي غيره من الناس . وأن جوانب تلك الصفات على غير ما يرى كانت نتائج إحباط لعزيمته ومعنوياته ، وتحول به إلى نوع من الانطواء أو التمركز حول الذات وغيرها من الصفات ، تكون قد أسهمت في توجيه الفرد إليها عن غير قصد منا ، وتسببنا في تثبيت أو تنمية مجموعة من الصفات فيه .

ان كل هذه الممارسات وإن اختلفت مسمياتها لا تعدو أن تكون نوعا من المحاولات اللاعلمية لتفسير السلوك الإنساني وكشف اللبس والغموض الذي يكتنف شخصية الأفراد ومناحي تصرفاتهم ونشاطاتهم ، وهو ما سعى إليه البشر منذ أقدم العصور عن طريق الكهان والعرافين والعلماء مستعينين بأساليب معرفية متنوعة شملت التنجيم والفراسة والفرينولوجي (وهي دراسة شكل الجمجمة للاستدلال منها على شخصية الفرد وملكاته العقلية) بالقرائن وطرز الشخصية وأنماطها ، وغير ذلك من البحوث والدراسات وهي وإن صدقت أحيانا ، وخصصت ونأت أحيانا أخرى عن المنهج العلمي الصحيح ، لكنها ما لبثت أن وصلت إلى توضيح كبير لمعالم الشخصية . وظل النشاط الإنساني يتقلب بين الأسطورة وسلوك طريق البحث العلمي الصحيح ، من خلال أساليب ومصطلحات وأدوات يستخدم كل في مجاله وضمن شروطه وتحت الشروط المناسبة وبالأساليب العلمية الجيدة التي تنأى عن الارتجال وتتمتع بالدقة والموضوعية .

الشخصية القوية والشخصية الضعيفة

قد يقول قائل: إن بعض تلك الاختبارات أو العبارات التي تطرح تعتبر مأخوذة عن مقالات لها في لغات حية أخرى، وقد صيغت نتيجة دراسات علمية قام بها باحثون مشهود لهم في هذا البحث العلمي، وانتهت إلى وضعها بالصيغة المطلوبة. ونرد على ذلك بأن الاختبار حتى يكون علميا صالحا للقياس، ينبغي أن تجرى فيه تجارب معينة تكون ما يسمى تقنين الاختبار، تنطبق على أعداد الاختبار، وتمثل جميع الفئات المختلفة في المجتمعات مختلفة.

هناك تصنيفات كثيرة من الناس يعتبرون ذوي شخصيات بعضهم في الحياة اليومية محكوما عليهم نتيجة ما يكونونه لديهم من انطباعات في أثناء تعاملهم وإدارتهم العملية، أو ملاحظاتهم غير المقصودة، فيقال عن فلان إنه ذو شخصية قوية، وعن فلان إنه ذو شخصية ضعيفة مهزوزة، وعن آخر أنه شخصية مرحة محبة وذات علاقة ذكية، وعلاقة داخلية. وطبعا لا تعدو تلك الانطباعات والأحكام أن تكون مطلقة عامة، تدخل ضمن مفهوم الفراسة الذي مارست عليه البشرية فترة طويلة من تاريخها. وقد تناول علم النفس هذا المفهوم وغيره، وعني بدراسة السلوك الإنساني دراسة علمية معتمدة على القياس والتجريب، وشملت جوانب مختلفة من شخصية الأفراد عن طريق تتبع السمات المكونة لهذه الشخصية والتي تتميز بها عن غيرها. وسمات الشخصية بلغة الانكليزية قد حصر وقد أحصى منها ألبورت وأودبرت ١٧٩٥٣ صفة. وقد عمد علماء النفس إلى الخروج بوصف عدد من السمات الأولية الأساسية التي يتكون منها بناء الشخصية الأساسي، والتي تكون الأرضية وراء العديد من السمات السطحية، وكل تلك السمات أو الصفات تشكل وحدة متكاملة يكمل بعضها بعضا ويتفاعل بعضها مع بعض. وبذلك تعرف الشخصية بأنها جملة الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية والخلقية التي تميز الشخص عن غيره تميزا واضحا، وتحدد أسلوب تكيفه مع البيئة التي يعيش فيها، وتبعا لذلك تتبع علماء النفس والمربيون طرق الاختبارات والاستبانات وموازين التقدير للحكم على الشخصية وقياسها، معتمدين على بروز عدد من السمات لدى المفحوصين التي تظهر بوضوح في شخصياتهم والتي يستدل عليها من الإجابة عن مجموعة من الأسئلة أو العبارات أو المواقف، وتحليل تلك الإجابات تحليلا علميا وكميا مستخدمين الأساليب الإحصائية المناسبة.

اختبارات واستبيانات

عند إعداد المختصين لتلك الاختبارات، فإنها أو الاختبارات لا توضع من قبل هيئة متخصصة بالتوجيه التربوي أو المهني، أو متخصصين أكفاء في ميدان علم النفس، وتعرف على مظاهر الشخصية، وعلى الاضطراب النفسي والعقلي الذي يصيب عددا كبيرا من الأشخاص. وتتم بعد البحث في صياغتها بعبارات محددة، فيتكون مجموعة من الأسئلة أو العبارات لتشكل اختبارا نفسيا.

والاختبار الجيد هو ما توضحت تعليماته، ووضحت أسئلته وطريقة إجرائه، ومكان الإجراء وزمنه، هذا إضافة إلى تحديد معنى المصطلحات التي يراد التحكم فيها أثناء إجرائه حتى لا يفهمها الأفراد فهما خاطئا، وتثبيت جميع العوامل والظروف التي يمكن أن تؤثر في نتيجة الاختبار إضافة إلى تحديد المعايير التي تفسر على أساسها نتيجة الأفراد. ويكون كل ذلك بعد التجربة على عينات استطلاعية محددة. ثم يعقب ذلك التأكد من صدق الاختبار، أي أنه يقيس فعلا الصفة التي يراد منه قياسها، وأنه قادر على التمييز والتمييز، وكذا التأكد من ثباته بإعادة إجرائه أو مقارنة نتائجه بنتائج اختبار مكافئ له على نفس الأفراد.

هذا ولا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أن تكون الاختبارات متفقة مع الهدف الذي استخدم من أجله، وإلا استخدمت نتائجه في غير الغرض الموضوع له. ولا يجري التعميم من نتائج الاختبار أكثر مما تسمح به طبيعته، إضافة بالإشارة إلى أن نتائج الاختبار لا ينبغي أن نعتمد وحدها وخصوصا في أمر التوجيه والتشخيص، إذ لا بد من أدوات أخرى مصاحبة كالملاحظة والمقابلة ودراسة تاريخ الحالة، وغير ذلك مما له دلالته وأهميته. ■

الإسلام والتعدد الحضاري المعاصر

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

ما المقصود بالتعدد الحضاري المعاصر ؟ وما المراحل الحضارية التي سبقته ؟ وما وضع الإسلام كحضارة في هذا المسار ؟ ثم : كيف يستطيع الإسلام - في عالمنا المعاصر - أن يجمع بين مقوماته التي بها يتميز ، وتفاعلاته التي يستطيع بها أن يشارك في الحياة بوعي ؟

وبدءاً بالتقسيم الثلاثي إلى مراحل ثلاث للحضارة الإنسانية تكون لنا صورتنا في أمر التعدد الحضاري .

المرحلة الأولى :

من فجر التاريخ إلى نهاية القرن الخامس عشر .

وكانت فيها ثقافات حضارية ، بعيدة عن المحيط الأطلسي . وكانت وراءه حاجزاً حضارياً ، أطلقوا عليه اسم « بحر الظلمات » ، وسبقت محاولات لعبوره ، أو الاتصال بجزائر قريبة منه . كما كانت للمسلمين محاولات في عروضه الوسطى ، وللفايكنج محاولات في عروضه العليا ، ولكنها كانت محاولات لم تصل إلى أهدافها الكبيرة : وهي كشف أرض ، والاتصال المباشر بأطلنطا . . .

ومع أن التراكم الحضاري في الأندلس ، والإبداع الفكري فيها ، جعل منها منارة حضارية إسلامية تشع على أوروبا . . إلا أن جانباً كبيراً من هذه الخصوبة استنزفته الصراعات الداخلية من ناحية ، وما وراءها من تحد أوروبي من ناحية أخرى .

ولم يكن هناك من تحول بين قوتين إسلاميتين في القرن الخامس عشر : قوة زاحفة صاعدة ، هي الدولة العثمانية ، التي استطاعت فتح القسطنطينية

عام ١٤٩٢ ، وأسلموا مسيحية ، هي الإسلام في الأندلس ، وكانت حروب شديدة هناك عام ١٤٩٢ ، وتدعم الآن الدولة الصفوية في ايران ، والمغولية في الهند ، في مشكلات البنية الداخلي والدفاع عن الذات .

وقبل أن ينتهي هذا القرن كان الأسبان والبرتغال قد اكتشفوا العالم الجديد والطريق إلى الهند حول رأس الرجاء الصالح ، ومع انتهاء الربع الأول من القرن السادس عشر تمت الرحلة الأولى البحرية حول العالم والتي بدأها ماجلان عام ١٥٢١ .

في هذه المرحلة الأولى كانت الحضارات الانسانية ، حضارات ، متصلة أو متفرقة ، ولكل منها خصوصيتها ونموها الداخلي . وعلى الخريطة العالمية نرى مواطن الحضارات المصرية والهندية والاوربية والبيزنطية والرومانية في عزها أولى ثم المسيحية والحضارة الاسلامية . وقد امتدت من عهد الهجرة النبوية متخطية فرق أرض فارس والهند والروم ، ووصلت إلى شواطىء المحيط الهندي ، وكونت هلالا اسلاميا يمتد قرنه في أوروبا من الشرق والغرب ، والتقت عبر المحيط الاطلسي ، وامتدت في قلب آسيا وجزائرها الشرقية ، وفي قلب أفريقيا وغربها .

كانت الروابط المدنية في كل من هذه الحضارات أقوى من الروابط الخارجية التي تربط بينها ، من هذه الحضارات ما حصرتها تموضعت البنيان والبه في مواقعها كالصين ، ومنها ما أعطتها مجالا للامتداد كحضارات الشرق الأوسط وحضارة البحر المتوسط ووسط آسيا . . ولكن هذا الامتداد أيضا كانت له عواقبه على الأطراف أولا ، حيث صعبت السيطرة عليها ، وأدى الامتداد إلى تفكك الدولة وقيام وحدات حضارية محلية ، تتكون منها صيغتها التاريخية ، وإن ربط بينها جميعا رابط حضاري مرن ، والنموذج الاسلامي والمسيحي مثال واضح لذلك .

هذا هو « التعدد الحضاري » الأول ، وهو تعدد نرى فيه مستويات : مستوى الحضارة الشاملة . ومستويات الحضارات المحلية أو الاقليمية في اطار الحضارة الشاملة .

المرحلة الثانيـــة :

وتبدأ مع عهد الكشوف الجغرافية وقد أخذت القيادة العالمية فيها تتركز شيئا فشيئا في غرب أوروبا : لقد تم طريق الرجاء الصالح للمسيحيات تجارة العبور في العالم الاسلامي ، وكانت وسيطا بين الشرق الأقصى وأوروبا . . وتراجعت أهمية موانىء الخليج ، والبحر الأحمر ، والبحر المتوسط . بدأ مركز الثقل يتحول إلى المحيط الأطلسي . وانطلقت أساطيل الشركات التجارية للسيطرة على هذه الثروات الجديدة والأرض الجديدة .

واكتسحوا في طريقهم حضارات . لم تبق منها إلا آثار محدودة وخصوصا في العالم الجديد : حضارات المايا والانكا والازتك . . ولم يكن لدى الأسبان والبرتغال في العالم الجديد إلا نهب الثروات وتدمير الآثار ، واقتلاع السكان من الأرض . . وجاء الانجلو ساكسون والالمان فاستوطنوا في المنطقة المعتدلة الخضر ومطاردتهم ، واستعباد حيواناتهم . . ولم تبق منهم إلا بقايا ، تاريخية ، تدل على آثار مجد قديم . .

واستعبدت افريقيا وآسيا بنفس الوتيرة ، وقد نقصت القارة هنا البلد ، وتهجير السكان أكبر من أن يعد ، ونقل الأمريكيون الملايين من الافريقيين ليكونوا زراعا وعبيدا في العالم الجديد ، لا يطالبون بحق في الأرض ، ولا في الحكم . . واستطاعت الحروب الأوروبية في الحروب والفتح والصراع والكشف الجغرافي ، والشعور بالخطر العثماني من ناحية والرغبة في التوسع الاستعماري من جهة : استطاع هذا كله أن يضع أوروبا في مركز القيادة العالمية في القرن التاسع عشر ، وأن تمسك بمقاليد النظام الذي يحرك زراع حروب أفريقية ، وزراعة يابانيين في أمريكا الجنوبية ، وزراع ولمراء الصين ، وزنجيات وعبوات وزراع الهند ، ومصري القطن في مصر ، وشعوب أسوار شرق أوروبا في وجه العثمانيين . . وأن تشعل الأوروبية نار الحروب سلاحا ، وأن تخطط المواصلات بالطائرات ، وعبر المحيطات سفنا ، وفي الحياة اليومية زبدها وإنتاجها وموادها مصنوعة ، وأن تجعل من بقية العالم حقولا ومناجم ومراعي للمواد الخام ، وأسواقا

لتصريف الإنتاج .

والتحول الثقافي من « مجزأة » حضارية إلى « جرم » حضاري اسمه أوروبا ..

المرحلـــة الثالثـــة :

وجاء القرن العشرون وبدأت تتفكك فيه المركزية الأوروبية . وتتضح الملامح لصورة جديدة من « التعددية الحضارية » .

ولم تعد الحضارة الأوروبية ، ولا غرب أوروبا ، أو الحضارة الغربية ، النموذج الوحيد أو الأمثل ..

وظهرت بدائل حضارية تمتد على جبهة من أقصى اليابان شرقاً إلى الولايات المتحدة وكندا غرباً . بدائل تتعدد فيها الخصوصيات الحضارية والثقافية . وتتباين في النظم والتوجه : الرأسمالية المتمثلة في الولايات المتحدة وكندا . المجتمعات التي تمزج بين الرأسمالية والاشتراكية في غرب أوروبا . المجتمعات الاشتراكية في شرق أوروبا وشرق آسيا ... صور من المجتمعات النامية التي استطاعت أن تشق لنفسها طريقاً . من قلب العالم الثالث ، صاعدة إلى العالم المتقدم ..

هذه التعددية ظاهرة جديدة وصحية ، وهي تختلف عن التعددية الأولى التي سبقت القرن السادس عشر في تكتلها « الجزري » الأول ، وعن الصورة « الغربية » التي شهدناها بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر ..

من التعددية المعاصرة أوجه تشابه وأوجه تباين :

١ ـ وأبرز أوجه الشبه أن الاتصال بينها أصبح ميسراً : براً وبحراً وجواً . سلكياً ولاسلكياً . الأقمار الصناعية . المؤتمرات العلمية العالمية . شبكات الإعلام .. حتى أن الوسائل التي أصبح بها العالم « قرية عالمية » كما يقول ماكلوهان . انتهت العزلة القديمة وحل بينها الاتصال . نعيش « عصر الاتصال » أو « ثورة الاتصال » .

وأصبحت حرية المعلومات وتدفقها قضية عالمية ، ومجالاً للصراع بين الدول التي تملك الكثير لأجهزة الاتصال والمعرفة ، ومن حرمها من الدول . فالاتصال قوة وتأثير وتوجيه .. والتحكم فيه تحكم في جبهة لها خطرها من جبهات الاستقلال والمحافظة على الذاتية الحضارية .

٢ ـ وأصبحت معايير التقدم العلمي والتقني ، من أهم المقاييس على قوة الدول . والتقدم العلمي هدفه الإبداع . ولا إبداع بدون تكوين قاعدة علمية ، قادرة أولاً على الاستيعاب ، ثم المشاركة ، ثم الانطلاق .

ولا تستطيع أي قاعدة علمية الآن أن تعيش بمعزل عن القواعد الأخرى . ذلك أن الإبداع العلمي الآن أصبح تعاوناً وتنافساً في نفس الوقت . وتسابقاً وسبقاً ، والذين خارج المساحة معزولون .. لا أكثر .

٣ ـ وصار الإبداع العلمي له متطلباته : من الإيمان به ، والتنظيم الذي يقوم عليه ، وتوفير الأجهزة ، والصبر والدقة ، والحب للحوار وتكامل الفئات . والنظر إلى مصلحة الجماعة أو الإنسانية ، حسب أفق الباحث الذي تتمثل فيه خصوصية الباحث .

٤ ـ أما التباين فيبدو في الخصوصيات الحضارية لكل من هذه الجزائر أو القارات الحضارية .

فيظهر مثلاً كتساؤل ، حين نقارن بين الأنماط الصينية واليابانية والسوفيتية وغرب أوروبا ، على فروق بينها ، وتطور ذاتي لكل منها . وهي مقارنة تصدق أكثر الإبداع العلمي من الناحية « الكمية والنوعية » إلى « كيفية » الحياة و « أهدافها » .

وأصبحت تشغل سؤال « كم عندي وماذا عندي ؟ » إلى « ماذا تريد من الحياة ؟ » .

٥ ـ واتسعت حقوق الفرد وحقوق الآخرين واحترامها بطبيعة .. تتوقف في آفاق ، تلك إلى الرعب ، أسيرة أرصدة البنوك ومصادر الربح والمسلوبة ، واللعبة السريعة الزائلة . والمنفذ تحقيق الذات صورة أسمى .. عندما تسمو بالإنسان أن « الآخرين » هم أيضاً وجود وكيان واحترام ..

لا تنكر انتشار العنف ، ولا إهدار حقوق شعوب العالم الثالث ، ولا انتشار الجوع والفقر وزحف الصحراء . وانتشار التلوث .

ولا تنكر الصراعات الدامية والحروب المدمرة بين أبناء الوطن الواحد والمنطقة الواحدة والجيران رغم مضي القرون ..

ولكن يبدو من النموذج الذي عرضناه على امتداد الحضارة الإنسانية زمناً ومكاناً ، ومن الصورة التي بسطناها : أن التحديات الحضارية حقيقة قائمة ، وأنها ثمرة جهود تفاعلت مع العوامل الطبيعية والبشرية التي تحيط بها من قريب ، أو تتصل بها عن البعد العالمي .

إن هذه النماذج هي صورة من صناعة التاريخ ، ومن الواقع الذي يعيشه أي مجتمع ليس حتمياً ولا فكاك منه ، ولكننا نستطيع أن نتصور ، ثم نصور الغد ، في حالة تحققت فيه التصورات والصور . .

ملامح الحضارة الإسلامية :

والآن ما أهم ملامح الحضارة الإسلامية في عصر التحدي الحضاري ؟

لنتأمل أولاً العناصر الأساسية التي يمكن أن نلتقي عليها ، ولنحددها فيه بأربعة أساسية :

الربانية ، الإخاء الإنساني ، الشمول ، المنهجية العلمية بمفهومها الإسلامي الذي يجمع بين الوحي والعقل .

ولو عدنا إلى القرون الإسلامية التي شهدت قيام الحضارة الإسلامية وازدهارها ، لوجدنا هذه العناصر أو الركائز الأربعة الأساسية متماسكة إيجابياً ، وبها وعليها قامت حضارة الإسلام :

ـ فالربانية صلة بين الإنسان وربه .

ـ والإخاء صلة بين الإنسان والإنسان .

ـ والشمول صلة بين الإنسان والكون ومكونات البيئة .

ـ والمنهجية العلمية طريق للتعامل المتوازن من الوحي والعقل ، مع الكون والإنسان .

وإذا انتقلنا إلى المرحلة الثانية بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر وجدنا بعض هذه العناصر تعمل إيجابياً ، وبعضها قد شوهته مفاهيم أو فروع غير سليمة :

ظلت العقيدة في شمولها قائمة ، ولكن تصدعت الركائز الحضارية ، ولم يعد يجمعها تماسكها . . ودخلت في صراعات استنزفت الكثير من طاقة الإسلام . والنموذج الساطع في هذه القرون أن ترجع إلى الصراع المرير بين الدولتين العثمانية والصفوية ، والدور الذي قامت به بعض الدول الأوروبية عن طريق الخبراء الأوروبيين والعسكريين في إذكاء هذا الصراع .

ثم الصراع في الإمبراطورية العثمانية بين الأتراك والعرب ، وخصوصاً في المشرق العربي ، حيث ارتفعت موجات القومية العربية ، تقابلها ـ في نفس الوقت ـ موجات القومية في شرق أوروبا .

لا نستطيع هنا أن نعرف بأن الركائز الأربعة كانت تعمل إيجاباً على الصعيد الإسلامي في المرحلة الثانية وإلا : فكيف نفسر هذه الحروب الطويلة بين شعوب العالم الإسلامي : المغول ، المصريين ، الأتراك العثمانيين ، العرب . . . فقد عبر الإخاء الطريق للعصبيات العنصرية ، والشمول حلت محله تحالفات ضيقة تستهدف السيطرة والتحكم والمنهجية العلمية تراجعت أمام الأحقاد والثارات والمطامع . .

. . وجاءت المرحلة الحالية من التحديات الحضارية . . ولكن هل اختفت العصبيات القديمة ؟ هل انتهى الصراع بين العثمانيين والصفويين ؟ أو استمر تحت أسماء جديدة ، وبصفات جديدة ، وشعارات جديدة ؟

فلنعترف أن العالم الإسلامي الآن يعاني من مواريث التمزق السابقة ، ويعاني اليوم نفوذ الاستعمار الجديد بعد أن انحسر الاستعمار العسكري . .

وأصبحت مناطق الشعوب تحمل اسماً جديداً : « العالم الثالث » ، وما مفهوم العالم الثالث ، وعالمنا الإسلامي جزء منه ؟

لعل أقرب تعاريفه ـ عملياً ـ أنه الأقطار أو الأقاليم التي تسهم بشروط غير متكافئة فيما أسميه السوق الاقتصادية العالمية ، ولعل أهم ما يميز أقطار العالم الثالث ، هو انخفاض مستوى المعيشة عن المستوى السائد في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية واستراليا ونيوزلنده ، إلا أن عناصر أخرى أساسية تدخل في قياس التنمية ، وتحدد الطريق الذي يعوق التقدم : وهي قدرة القوى البشرية المحلية على استغلال الموارد المادية استغلالاً متعمداً ، بعبارة أخرى : القدرة على تغيير الواقع المادي والبشري ، ومقاومة ذلك بنجاح ، للوصول إلى مستويات أعلى

تصور وتصوير :

وهنا يطلعنا إلى الأهداف المتوخاة من التقدم الإسلامي المعاصر . والعودة مرة أخرى إلى الركائز الأربع لتحول الأمة منها ماديا وبشريا . ويقتضي هذا :

١ ـ أن نعترف بالوحدة والتعددية الحضارية في إطار الوجود الإسلامي . وأن نمنع التفكير الوحدوي الأحادي . . . فهناك نطاق عام من الإيمان بالله والاتجاه الإنساني والتعامل مع الكون والبيئة الطبيعية بحيث . فلنجعل هذه النواحي تتفاعل إيجابيا .

٢ ـ ولنضع أمامنا التحدي الحضاري الكبير الذي يقابل العالم الإسلامي الآن : وهو التخلف . فليس الاستقلال السياسي وحده ، ولا الاستقلال الاقتصادي وحده يكفيان ، وإنما العالم الإسلامي في حاجة إلى « الاستقلال العقلي » . . الاستقلال ، لا الاعتزال ، ولا التبعية . ولا يتوافر هذا إلا بتكوين القواعد العلمية المطلوبة على الصعيد الإسلامي فيما بينها أولا ، ومع المراكز العلمية العالمية أخيرا . والاستقلال قدرة على الاختيار ، وعلى تنفيذ القرار .

٣ ـ ونحن محتاجون إلى تأكيد مفهوم « التعايش » في الحياة الإسلامية ، كما تعايش المسلمون الأوائل ، وكما تتعايش المذاهب في إطار العالم المسيحي المعاصر ، بغرب أوروبا وسوقه المشتركة وبرلمانه نموذج أمامنا . . لتنصرف جهودنا إلى التحدي العلمي .

٤ ـ هل نستطيع تصور مناطق حضارية متعددة ومتكاملة داخل نطاق الحضارة الإسلامية الكبيرة ؟ . تصور نكتبه ونتصور فيه ، ونحاول الدفاع بحثنا بعدئذ به ، ثم نحاول تصحيحه . .

وإن الفكر لا يقف إلا قليلا . فلنحرك الأقلام نحو هذا الهدف . والطريق إليه ليس سهلا . .

٥ ـ فقد المناطق الحضارية الإسلامية لكل منها خصوصيتها التي تبرز ـ كمثال ـ في الإنتاج الأدبي والفني والزي والعمارة . . وهذا تعكسها الوثائق في مجال البحث العلمي ـ وهو بطبيعته عالمي النزعة والقيمة والهدف ، وإن من قدر الأرض التي يسود فيها الإسلام أن اختصت كل منها بناحية أو أكثر من نواحي القوة ، ولم تتوافر جميع العناصر أو أكثرها في واحدة منها ، كما نجد في الصين والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، حيث حجم السكان كبير ، والتخصصات المتنوعة المتكاملة متوافرة وموارد البيئة الطبيعية بحكم الاتساع والتكوين الجيولوجي وموارد الطاقة متوافرة . . ومن أجل ذلك كان قدر العالم الإسلامي التعاون ـ ولا يزال .

٦ ـ يأتي بعد ذلك ـ أو قبله ـ عامل تاريخي عميق الأثر ، وهو التنوع الحضاري في الأقاليم : وتعدد السلالات البشرية والأجناس والمذاهب . ومن الممكن ـ عن طريق التعايش ـ أن تكون هذه مصدر إثراء فكري وحضاري ، ومن الممكن عن طريق التنافر والصراع أن تصبح نزعة داخل جسم الوطن الإسلامي . ولقد جربنا وما زلنا نجرب الصراع والحروب ، والقطيعة حولنا وأصبح نزوعنا منهجنا التكفير واضطهاد الفرصة للمعارضة في إطار الوحدة الوطنية . . فما نطالب به ليس معجزة ولا خيالا ، وإنما هو أمر مارسه غيرنا ونجحوا فيه وعلينا أن نجتهد فيه ونمارسه ، وننجح فيه كما أردنا لأنفسنا ولأبنائنا أن نصنع تاريخا جديدا ، وحضارة إسلامية متقدمة ، في إطار التقدم الحضاري الذي تتطلبه الإنسانية في مرحلتها الحالية . ◻

العقل

سئل الأحنف بن قيس عن العقل فقال : العقل رأس الأشياء فيه قوامها ، وبه تمامها ، وهو سراج ما بطن ، وملاك ما علن ، وسائس الجسد ، وزينة كل أحد ، لا تستقيم الحياة إلا به ، ولا تدور الأمور إلا عليه .



بقلم : أحمد رأفت بهجت

لئن كان التاريخ يؤكد أن الاحتكارات البترولية بمساندة الصهيونية العالمية كانت وراء العديد من الأحداث السياسية والانقلابات والعمليات المشبوهة ... فهو يؤكد أيضا أنها لعبت دورا بالغ الخطورة منذ بداية الثلاثينات ، في جعل السينما تواكب أحداثها الاقتصادية والسياسية .

يأتي فيلم (زيت من أجل مصابيح الصين) الذي انتجته شركة (وارنر) عام ١٩٣٥ واخرجه (ميرفن ليروي) ليلعب دورا رائدا في مساندة الاحتكارات البترولية الأمريكية في الصين ، في وقت كانت فيه حروب السياسة والمنازعات والحروب تزداد اشتعالا في المنطقة الصينية .

ويبدو أن تصوير الأشياء في غير أحجامها

الطبيعية . فإن من الواضح وضوحا أن الأفلام التي صورت موضوع العرب والبترول كانت تخضع في معظمها لمقتضيات كل مرحلة . ففي مرحلة ما قبل ١٩٧٣ كانت صورة الشخصية العربية في الأفلام تعكس إلى حد كبير الآراء المعاصرة للمستشرقين ، التي تعكس - على حد تعبير المفكر إدوارد سعيد - على المخيلة والعقل الشعبي الأوربي والأمريكي . فالعرب شهوانيون فاسقون تمثل ثروتهم التي لا يستحقونها إهانة للحضارة الطبيعية ووليدة الغرائز مريض يأكل المستهلك الغربي ، رغم كونه ينتمي إلى أقلية ضئيلة .. فهو حق شرعي ، بما أن استهلاك معظم الموارد الطبيعية في العالم أمر في استهلاكها لوحده كلها !!

بعد أكتوبر :

لم تكن من شأن الصدمة المفاجئة لحرب ١٩٧٣ وزيادة أسعار البترول ، وتحول العرب إلى قوة لها شأنها أن تسبب السينما الغربية الانتقال إلى مرحلة أخرى ، فالأفلام فيها أقل اهتماما بالعنصر الطبيعية في المجتمع العربي بالمقارنة إلى الاهتمام بالجانب التقني ورغم في وضع العرض الذي يتخصص بعد غيرها مصورة إلى الغرب الموجهة لأركان الشخصية العربية ، والارتباطات الاقتصادية في المشكلات العربية الدولية . وفي النهاية يوجه نقده قويا يدعو فيه إلى تحقيق رغبة المورد الغربي ، بعيدا عن تسلط العرب وتحكمهم البترولي !!

ومن البيانات والإحصائيات المستقاة من جامعة الدول العربية ، حول الأفلام التي حظر عرضها في الدول العربية لأسباب سياسية ، منذ عام ١٩٥٥ وحتى نهاية ١٩٦٧ نرى أن مجموعها بلغ ٣٠٢ فيلما ، منها ٢٨ فيلما عام ١٩٦٧ فقط .

وليس من شك في أن ظهور الأفلام المتعصبة للشخصية العربية المذكورة ، كان يتوافق مع الانعكاسات السياسية الغربية تجاه الأمة العربية ، خصوصا بالنسبة للصراع العربي - الإسرائيلي ، ويعتبر البترول كعامل محرك للتيارات السياسية العالمية ، في المنطقة العربية المتميزة بالاعتبارات الاستعمارية ، الملوحة بأن استمرار السيطرة على الموارد البترولية لا يكون أمرا سهلا في ظل عدم الاستقرار السياسي .

وعندما ننظر إلى ملامح الخريطة السينمائية العالمية ، سنكتشف أن ما بين عامي ١٩٦٥ ، ١٩٦٧ ظهرت أغلب الأفلام التي تحدثت عن البترول العربي ، وعالجت بشراسة الشخصية العربية ، وهو ما يتوافق تماما مع قرارات الجامعة العربية . فالأفلام هذه الفترة كما سيتضح في الفقرات التالية لم تقدم بشكل عفوي وبدون تخطيط مسبق ، وعندما نربطها بطبيعة الأوضاع السياسية التالية لظهورها نتوقع أنها كانت تمهد بشكل مدروس لحرب الأيام الستة ، وهي الحرب التي كان من أهدافها بالإضافة إلى مشروع « إسرائيل الكبرى » استغلال حقول البترول التي اكتشفت في سيناء عام ١٩٥٦ ، وموقع شرم الشيخ الاستراتيجي المطل على البحر الأحمر في الجنوب وعلى بترول المملكة العربية السعودية .

وقد كانت أفلام الستينيات من القرن العشرين التي لعبت الصهيونية في صنعها الركن الهام لهذه الحكام العرب ، وصورت كيف أن هؤلاء الحكام يستغلون ثروات البترول لمصالحهم الذاتية على حساب شعوبهم المعدمة .. ويأتي فيلم « هروب من الظهران » (١٩٦٦) ليمثل بداية في هذا المجال ، ويطلق الشعب العربي المظلوم من تسلط الموت خيانته في بلده ، بل من يأكل أعداءه بمكابرته ، لأنهم يظنون أنه على حق ، لأن ما يهمه هو النفس المتصورة حيويا بالحضارة وجهلا ، رغم أنهم يعيشون في بلد غني بالبترول .

ومن الطبيعي أن يتخاطر التطرح مثل هذا التصرف ، ويلعب دوره الممثل الشهير « يول براينر » في سعيه ورغبته في البحث عن الحقيقة ، وتصويره في صورة الشخص الذي أسطورته مكانه ، فتقشعه رغبة حقيقية تسمى تغيير شعبه ، وبذلك يتحقق للعالم عامة حقائق مؤكدة ، أهمها أن ما كانت تحصل عليه البلدان العربية في شرق السادات القيام عن كل برميل بترول يستخرج من أراضيها - إلى ٦٠٪ فقط من السعر الذي يدفعه المستهلك ، وإن العمال العرب ظلوا يعيشون في ظل أقسى شروط الاستخدام والتعسف من قبل الاحتكارات البترولية ، وإن أجورهم لا تزيد على ٢٪ من أجور العمال الأجانب في نفس الموقع .



لقطة من فيلم « حفلة تنكرية » ١٩٦٦م

وهذا التزييف في الوقائع التاريخية وصل إلى مداه في بعض الأفلام الصهيونية ، التي حاولت إلغاء الفواصل الزمنية والمكانية بين أحداث التاريخ ، وجعل الأمكنة والأزمنة والشخصيات تتحد وتتداخل حسب مقتضيات الفكر الدعائي الصهيوني الموجه ضد الأمة العربية .

منطقة مضطربة

وعندما نتأمل أفلاما ظهرت ما قبل حرب ١٩٦٧ ، فإننا سنجدها تردد دون ملل ، لعبة التهكم والسخرية بالعرب الذين لا يسهمون في تحسين حال البشرية ، أو في ترشيد منجزات العصر الحديث ومكتشفاته ، ومنها (جولد فنجر .. ضد الجواسيس) ١٩٦٥ ، (حفلة تنكرية) ١٩٦٥ ، (مناورة) ١٩٦٦ (سوبر جاسوس) ١٩٦٦ (ارابيسك) ١٩٦٦ .. وغيرها .

وليس في هذه الأفلام لمسات بسيطة للمقترح الواقعي أيا تكن أغوارها ، فهي تركز على شخصية البطل الغربي ، وغالبا ما يكون يهوديا كما يوصف خصما لشخصية الشرقي العربي ، وإنه كمتطفل متآمر يستحق موقفه حفاوة كثيرين للهجاء والتعليقات الساخرة .

ولعل الملامح الرئيسية لأبطال أفلام (حفلة تنكرية) و (سوبر جاسوس) و (ارابيسك) لتنازل عربي عالمي ضوءا على سمة من سمات السينما اليهودية الصهيونية ، وتظهر جانبا من مظاهر الإنتاج السينمائي ، الذي نحن معنيون بمتابعته إلى اكتشافه واستلهامه من حقبتنا . وهو عدم التفريق بين البطل اليهودي والبطل الأمريكي أو الأوروبي الغربي . فقد كان - ولا يزال - الاثنان بالنسبة لنا شيئا واحدا . ومرجع في الوقوع إلى جملة ملامح التربية اليهودية ، والأسس اليهودية والموضوعات المتصلة لكتاب اليهود ، والعلاقة بين الموضوعات اليهودية والموضوعات التي تعالج مشاكل الأقليات في أمريكا وأوروبا ، وكلها أمور ترتبط أساسا بطبيعة الحساسيات اليهودية والصهيونية .

إن اليهوديين بالأمس فرضوا بطل الفيلم الأول ، واليوم بذلك يطل الفيلم الثاني عبر ذلك من النوع الذي ليبيا يخص أمور الشرق الأوسط ، وربما شخصية العربي والشعور بكل الخصائص التي يحملان معا ، فالأول كان شهيرا في حضوره الشرق الأوسط

السياسية ، ويحس ما يدور فيه من أحداث ، ويتعرف على سمات الشخصية العربية بحس دقيق ، بالإضافة إلى دوره العسكري أثناء حملات الحرب العالمية الثانية . لذا فقد شكلت أحداثا للقيادات الغربية في جامعة أوكسفورد ، وخبيرا في اللغة الهيروغليفية .

فقد تنوعت حياته كل منها عن الشخصية الفذة عصبا ماهرا .. بحيث يصبح وجوده في الشرق الأوسط له قيمة كبرى للاستعمار عن أي جهد على المنطقة ، فالأول يصحب الكولونيل [illegible] المستشار الإنجليزي في ولاية حضرموت الغنية بالبترول ، لكي يحمي الأمير العربي [illegible] المستقبل السياسة الإنجليزية ، في استغلال البترول ، بعد أن ثارت المنافسة الشديدة للإنجليز بوساطة الشيخ الشهير أحمد بن طالب على الاتفاقية البترولية بين إنجلترا وحضرموت .. وينتقل بعد ذلك إلى الشرق الأوسط بناء على دعوة من رئيس [illegible] تمثيل الدول النفطية العربية ، ليشكله رسول رسالة خاصة بالقلة الهيروغليفية هنا علاقة بثروات المنطقة .

وفي سبيل تحقيق أهداف الشركة الغربية يواجه الإنجليز مواصلات الاتصال ، بسبب خلافات القبائل والقسمة .. فالمستشار يخطف الأمير العربي من أجل سيوصيه عن طريق الشركة بحكم بلاده .. ومن ثم يبدأ البطل اليهودي في صراعه من أجل إنقاذ الأمير الصغير .. والأستاذ الأمريكي بعد [illegible] المعروف في الصراع للبحث بين رجال رئيس الوزراء ومنافسه .

ويتنقل الباحث الصحفي في صراعات الحكومات العربية والدولية المتشابكة ، ويطالعنا على صفحات تتميز بالتشويق والحكم والمغامرة ، والنيل إلى السلب والنهب والتجسس والاستغلال .. لديها منطقة مهمة .. والكتاب يرتكز على كثير من الصراعات ، ورغم دورها الإيجابي في تحقيق الهدف الذي أرادته أصحابه .. إلا أنها تعبيرا عن مسيرة الأشخاص والمصادر التي يحقق بها معظم الناس في المنطقة العربية !

الأميرة الراقصة

وفي عام ١٩٧٢ أثيرت ضجة حول الفيلم الإيطالي (القضية ماتيه) بعد فوزه بالجائزة الكبرى في مهرجان كان عام ١٩٧٢ .. والحقيقة تعطي ثقافتنا العربي إمكانات قوية للإعلام العربي لتناصر قضاياه العربية .. على اختيار الأفكار المطروحة من خلال تناول قصة رجل البترول الإيطالي (إنريكو ماتيه) رئيس مؤسسة إيني الإيطالية للبترول ، الذي لقي مصرعه عام ١٩٦٢ ، تحدث عن خطره البترولي : « سوف أحطم الاحتكار في كل مكان .. وأن أجمع سوف تجمع الشعوب التي تمتلك البترول .

والواقع أن مواقف ماتيه سواء من العرب أو من غيرهم .. كانت مواقف إنسانية تتلاءم مع مواقفه السياسية فقد كان في تعامله مع العرب .. يحاول زعزعة شركات البترول الأمريكية في البلاد العربية ، من منطلق ، أن إيطاليا في حاجة إلى البترول العربي ، وعلى هذا الأساس تحدد سياستها ، ويعطي الجزائريين السلاح ليحاربوا القوات الفرنسية ، ويعادي وليست فرنسا . حتى لا تخون العرب لأن هناك نضال الجزائر ، أن وجهات نظرنا متفقة .. وعندما يصل شركته تعطي نسبة للحكومات العربية من ملك بترولها أكثر مما تعطي الشركات الأمريكية ، تكون حجته ، أن هذه هي الطريقة الوحيدة لكي تكسب صداقتنا جميعا في يوم ما .. أن نعاملهم كبشر وليس كأشياء فقط !! » .

١٩٧٣ .. وأزمة الطاقة

وبعد حرب ١٩٧٣ اقترن تعبير « أزمة الطاقة » بالشخصية العربية .. وانقلبت هذه الأزمة بشكل أو بآخر إلى سلاح أكيد للتحول في يد الصهيونية ، فقد حاولت هي والسيطرة الأولى الخوض معها حولها مع منطق الإنسان الأوربي والأمريكي نتيجة ارتفاع أسعار البترول .. وبدأ عديد من البحث عن الأساليب الملائمة في الهجوم على العرب .. وتطلب ذلك أن يتم الإنتاج في منطق من العالم .. لا يجوز أن يزيح الفصل بين السينمائيين الأمريكيين والأوروبيين ، ولكن القيام بعملية خلق ما يمكن تسميته « رأي عام سينمائي » .. بحيث أصبح عنصر الكلام في استخدامات بعض الأفلام يصبح من جانب مشكل من مكونات الأفكار اللازمة للعربي .

وبسرعة استخدامه رغبت تطلب الأفلام رؤية



وجوه عربية وكيفية معالجتها بالتشويه عبر الشاشة

المصريين على الانقسام بين العرب حتى كل المستويات .. العسكري (أيام الكوندور الثلاثة) ١٩٧٥ ، الشعبي (شبكة التلفزيون) ١٩٧٦ ، الفردي (ملف الشعب الأسود) ١٩٧٨ والاقتصادي (روسوم) ١٩٨١ ، العاطفي (الخطأ والصواب) ١٩٨٢ .. الخ .

وفي سبيل ذلك تم تصوير أحداث مؤلفات أدبية شهيرة عند تحويلها إلى السينما ، وكتبت أفلام لتنفيذها مباشرة بواسطة أهم كتاب السينما الأمريكية ، واستخدمت امكانيات مجموعة من المخرجين الأمريكيين الكبار من أمثال سيدني بولاك وسيدني لوميت ، الآن باكولا ، وريتشارد بروكس .. وجميعهم من اليهود الذين جندوا لتعميق مشاعر السخط ضد العرب .

في فيلم (أيام الكوندور الثلاثة) تتبدل أحداث الرواية التي أخذ عنها الفيلم ، ويحول مخرجه سيدني بولاك ، .. توصلنا إلى شبكة جديدة لقلب مخابرات سياسية وعلى الأخص أحداث الشرق الأوسط .

وفي ذلك الفيلم (الكوندور) بشكل خاص معاني تحتوي على العرب إدانة صارخة للمخابرات الأمريكية .. فهو من ناحية أخرى يؤكد الحصة الاستغلالية لهذه العمليات لصالح المواطن الأمريكي العادي !! ..

وفي فيلم « شبكة التلفزيون » تمضي الطلق .. فهو يهاجم شبكات التلفزيون التجارية ، ويكشف تسلطها على الانسان الأمريكي ، إلى أن يظهر الشيخ المصري ، هوارد بيل ، الذي يقوم بدوره بيتر فينش !

على الهواء ليحذر الجمهور من تسلط البترول العربي على مقدرات الحياة الأمريكية ، ومن خلال عرض بعض اللقطات من أخبار اجتماعات الأوبك لرفع أسعار البترول ، واللقطات لمسئول عربي له شهرته في عالم البترول : يتردد صدى صرخات هوارد بيل « لست في حاجة إلى أن أقول لكم أن موجة الكساد تنتشر ... الدولار يتدهور ... ولا أحد يعرف ماذا يفعل » .

جرائم القتل تزيد .. كل شيء ينهار .. والعالم ينهار ، أريد أن أعيش وحدي .

لا أريد منكم استجابة أو ثورة ،

أريد منكم أن تنهضوا وترفعوا أصواتكم هنا

وهناك ، بعد تفكير في الكساد وأزمة البترول .

اصرخ وقل لن أقبل هذا بعد الآن !! .

ويطلق المصريون هوارد بيل تكاليفه .. ويصرخ الجماهير وسط الأمطار ورده الشديد للكرسي ، في ظل أزمة الطاقة .. وهي تردد في صوت واحد : لن نقبل هذا بعد الآن !!

ومع تجاوب الجماهير مع بيل يتشجع في إطار تسلط العرب على الشركات الأمريكية .. ويكشف أن الأثرياء العرب أصبحوا يتحكمون في اقتصاد أمريكا ، مما يعني أن محاولي العرب يهدف للسيطرة الاقتصادية .. وتواجه كلمات بيل بالسخرية من رئيس الهيئة المشرفة على التلفزيون .. فهو يفسر له طبيعة العلاقات الجديدة في ظل التطورات التي فرضها رجال

البترول العربي؟

ويستكمل المخرج الآن باكولا في فيلمه، رحيق الأفكار التي طرحها فيلم «شبكة التلفزيون» للمشاهد الغربية بحقد كبير السياسي والاقتصادي والاجتماعي ليتم تزويد الثروات العربية البترولية. ويعمد الفيلم في تشكيل أكبر الأخطار الناتجة عن تضخم الثروات العربية البترولية في البنوك الغربية. ويصف افتراضا خياليا عن حال المجتمع الغربي، لو قرر العرب سحب ثرواتهم فجأة من البنوك الأمريكية والأوروبية.. ومن خلال علاقة بين أرملة ثرية (جين فوندا) وأحد رجال المال في وول ستريت (كريس كريستوفرسون) نكتشف أن زوج هذه الأرملة قتل في ظروف غامضة.. وأنها معرضة هي الأخرى للقتل، لأن زوجها اكتشف السبب كل أصحاب الثروات من رجال البترول العرب قرروا سحب ثرواتهم من وول ستريت.

ويصعد الآن باكولا من خلال هذا الحدث البوليسي تلك المسائل المتصلة بقضية الأغنياء العرب في العالم الغربي، المرتبطة بواقع الارتباط بالبترول العربي مثل: الإفلاس الذي يهدد بعض أجهزة العالم الغربي.. القوة المالية العربية غير المعروفة!! الخطورة الدولية.. المترتبة على موقف موحد لهؤلاء العرب.. ويحاول أن يلم بكافة التفاصيل التشريعية والمالية والأمنية الزائفة، لتثبيت الفكر الغربي، وكيف ينبغي على الإنسان الغربي مواجهته ومقاومته.

نغمة جديدة

وعندما خفت حدة أزمة الطاقة، بدأت في الأفق نغمة جديدة، محاولات لأن تربط بين الثروات العربية والإرهاب.. وجاء فيلمهم «الكلمة والصوت» لريتشارد بروكس ليستخدم براعته في هذه المسألة.. قصة الفيلم تدور حول الإرهابيين العرب المدعومين بزعامة أحد القادة العرب.. يحاولون واحدا من عملاء المخابرات الأمريكية، في اللحظة التي اكتشف فيها أن واحدا من كبار مديري الأسلحة على وشك أن يبيع لليبيين قنابل ذرية لأن القائد عربي يحيط بلده طريق بحيرة من النفط!!

ويقتل القائد العربي.. ويتهم الإرهابيون رئيس الولايات المتحدة بأنه وراء الاغتيال.. ويحاول تحالفت في لعبة الانتخابات الأمريكية، ويظهر شون كونري - جيمس بوند سابقا - ليلعب دور مخبر صحفي يجري وراء الأحداث، ويحاول أن يعرف الحقيقة ولكن يكتشف مدى الصراع بين المخابرات الأمريكية والروسية.. يدور منظمة الإرهاب.. والإرهابيين العرب.. وأزمة الرهائن، وواقعة موت أحد المحتجزين أول ضحايا الرهائن الأمريكيين.. في إيران.

والدور الذي يلعبه شون كونري في هذا الفيلم يقترب من دور سبق عمله في شبكة التلفزيون. فهو واحد من كبار مذيعي التلفزيون الأمريكي، يحاول من خلال تحقيقاته الذاتية أن يكتشف مدى تعرض شبكات التلفزيون للضغوط العربية في توجيه الإعلام الأمريكي!! وبطبيعة الحال يحاول الفيلم الحقيقة الأزلية التي تؤكد أن هذا الإعلام يسيطر عليه الصهيونية بشكل كامل وأن أموال العرب غالبا ما تكيف كي تخدم أغراض الاتجاهات الإعلامية والسياسية والاقتصادية!!

العودة إلى التهكم

ومع تشبع سوق البترول العالمي.. وقلة الطلب على النفط عربيا لم يعد منطق التهويل والإثارة والتحريض في مواجهة العرب سينعكس له فاعليته السابقة.. وبقي اللجوء للتقليد بالتهكم والسخرية هو الوسيلة المفضلة للسيطرة على الكثير من الشخصية العربية. فالدول الغربية كانت تلك المال لشراء الأسلحة المتطورة، ولكنها تعتقد النساء على مستهلكة (الطريق الحاج) ١٩٨٤. ومع رغم أن زعماءهم مترفون ويعيشون في ظل السلطة القبلية، التي لا يقدر عليها الإنسان الغربي المتحضر (سباحة مع الريح) مثلا.. وثرواتهم هي التي تتحكم في الكثير من أمورهم الاقتصادية (بترول.. بترول) فرنسا.. الخ.

وأخيرا، فإن هذه الأفلام وغيرها تمثل ملامح حرب نفسية مخططة ومدروسة بعناية وذكاء.. والمطلوب من الأفكار الغربية الناجحة للبترول، هو أكثر ما يمكن من الكراهية والتعصب الجميل.. وأكثر ما يمكن من الملاءمة بمعطيات الحرب النفسية التي تروج لها مختلف عناصر الإعلام الغربي. ◘

العلم والتعليم



فـي الأرض المحتـلة

بقلم : توفيق أبو بكر

منذ افتتاح الجامعة العبرية في القدس عام ١٩٢٤ ، قال الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن « الآن تم بناء الدولة » .

ويتساءل كل من يعرف هذه الحقيقة عن أهمية العلم والتعليم بالنسبة لهذه الدولة يجعل كل عقل وسعة خيال عنده من أهم عناصر التقدم . فكيف تخطط الدولة الصهيونية لإبقاء عرب الأرض المحتلة متخلفين وجاهلين ، كما يقول أحد مستشاري تلك الدولة ؟

المقالة التالية محاولة للإجابة عن هذا التساؤل .

لقد أدرك الصهاينة أنفسهم بوعي كامل بخطورة المؤسسات الثقافية والتعليمية في أوساط الشعب الفلسطيني وعلى أرضه . وحين شيدوا جامعتهم العبرية في القدس سنة ١٩٢٤ م . قال حاييم وايزمن : أحد مؤسسي الصهيونية السياسية : « الآن تم بناء الدولة اليهودية » وفي البرنامج الصهيوني الأول الذي صدر في مدينة بازل بسويسرا في أغسطس سنة ١٨٩٧ نصت في البند الثاني من ضمن البنود الأربعة التي تناولها الاتحاد الصهيوني عن ضرورة حماية الثقافة اليهودية والتعليم اليهودي . ومنذ ذلك بعد التأكيد في البند الأول حول بناء وطن قومي لليهود مباشرة . وانطلاقاً فهم يعرفون عن تجربتهم الماضية والتاريخية المعاصرة ، أهمية هذه المدارس والمعاهد العليا ، والجامعات التي تنتشر في كل مكان داخل المنطقة العربية وخارج فلسطين . لذلك بالضبط فهم يعملون بوعي كامل والتخطيط طويل

بالدعم ، حتى الحرب سحق العلم في فلسطين المحتلة ، حتى لا يصبح المثقف الأول الذي تخرج به التيارات السياسية والثقافية والفكرية للشعب الفلسطيني . وبدون مثل هذه التيارات ، يصبح المجتمع الفلسطيني في الداخل متزعزع الأركان ، يسهل هضمه تدريجيا ، والتحكم فيه بشكل كامل .

مخاوف ومخاوف

منذها ، بدأت مأساة شعب فلسطين ، قال أول مستشار للشؤون العربية لدى رئاسة الوزارة الصهيونية : أوري لوبراني (الذي يعمل الآن مستشارهم لشؤون لبنان) وكان ذلك في مطلع الستينات :

لو بقي العرب حطابين وسقائين لكان الوضع خيرا وأبقى ، لكن الأمور لا تخضع للرغبات دائما .

وبعد أكثر من ثلاثة عقود مرت على تلك الأمنية الصهيونية التي لم تتحقق ، رغم كل سياسة التجهيل التي بذلوا فيها جهدا كبيرا ، قال المستشار الحالي للشؤون العربية لدى الحكم العسكري الصهيوني (وبعد أن فشلت سياسة التجهيل) :

« إن الهدف الأساسي للجامعات الفلسطينية في الداخل هو تنمية طبقة من المثقفين ، وتلك خدمة لاحتياجات الدولة الفلسطينية المقبلة » . وحين أغلقت جامعة بير زيت مدة طويلة في بداية السبعينات ، قال مناحيم ميلسون البروفيسور في الأدب العربي ومسؤول ما كان يسمى بالإدارة المدنية لوفد من الأكاديميين الأمريكيين ، جاءوا يحتجون على إغلاق الجامعة ، لأسباب علمية صرفة ، « إن هذه الجامعة وأمثالها خطر علينا ، لأنها النواة الأولى للدولة الفلسطينية التي يحلم بها هؤلاء الشباب : شباب الجامعة » .

إن إسرائيل تتبع سياسة محكمة طويلة النفس في مواجهة مسيرة العلم الفلسطيني في الداخل منذ المرحلة المدرسية الأولى ، هذه السياسة التعليمية تبذل جهود طوال فيها ، لم تحقق كل النجاحات لكنها تمكنت بالتأكيد من منع مسيرة التعليم الفلسطيني أن تأخذ مسيرتها ، لاكمال الصورة الحضارية للشعب الفلسطيني ، والمساهمة في النهضة الفلسطينية كلها .

العلم والتحديات

الحقائق والأرقام المنشورة تقول إنه ما زالت هناك تحديات كبيرة تواجه التعليم والمتعلمين في بلادنا .

هناك أولا : النزيف البشري المتواصل الذي يتعرض له الشباب في داخل وطننا ، ويضطرون معه للهجرة للخارج . في العام الماضي على سبيل المثال كان عدد خريجي التوجيهية في الضفة والقطاع ١٢٢٠٠ طالب . والجامعات الفلسطينية في الداخل . تستوعب حسب إحصاءات مجلس التعليم العالي في الضفة الغربية ٢٥ - ٣٠٪ من هؤلاء الطلاب ، وتستوعب المعاهد المتوسطة المهنية الحرفية : وهي معاهد الزراعة والتقنيات والبوليتكنيك وتدريب المعلمين ، تستوعب ألف طالب تقريبا . وتبقى هناك مشكلة حوالي عشرة آلاف طالب سنويا يشتغل جزء منهم بسوق العمالة الصهيونية ، وينضم إلى جيش البطالة المتزايد في الضفة والقطاع ، بينما يهاجر بعضهم للدراسة في الخارج .

وسلطات الاحتلال بدأت منذ مدة تفرض إجراءات قاسية لوضع أكبر العراقيل الممكنة في وجه عودة هؤلاء المتخرجين ، حيث تمنع عودتهم قبل ستة شهور من تاريخ التخرج ، وهذا له أثر نفسي ومادي على الطلاب وعائلاتهم . كما تسعى هذه السلطات إلى التحقيق المتواصل والسجن الاحترازي للعائدين منهم لانتزاع اعترافات مستحيلة كمحاولة لتخويفهم لمنع العودة نهائيا . وتقول إحصائية إسرائيلية تفصيلية في حديث نشرته مؤخرا واحدة من كبرى الصحف الإيطالية ، أنه منذ عام ١٩٦٧ وحتى الآن حققت إسرائيل مع ما يقارب ٣٠٠ ألف طالب وشاب فلسطيني .

في فلسطين المحتلة ، يتعلق الأمر بقضية أكثر خطورة . إذ من النادر أن يحصل أكثر من ١٠٪ من الطلاب العرب المتقدمين للحصول على الشهادة الثانوية

(الصهيونية) يحرمون الطالب أن يستمع لهم بمحاضرات الجامعات الصهيونية . إلا أن عدد الطلاب العرب في جامعات إسرائيل حسب إحصائية عام ١٩٨٠ - ١٩٨١ م ، هو ٢٧٧٤ طالبا فقط ، يدرس أغلبهم الإنسانيات ، ويحشرون حالة حرجة ، ويميز الطلاب عن الطلاب اليهود . وهذه النسبة لا تشكل ١٪ من طلاب الجامعات ، رغم أن العرب داخل الكيان الإسرائيلي يصلون إلى نسبة ١٤٪ حسب الإحصاءات غير الرسمية .

ظهور الحركة الطلابية

كانت « إسرائيل كينيج » حاكم لواء الشمال الذي تقع في منطقة الجليل حيث التمركز العربي الفلسطيني الكثيف قد اقترح منذ أواسط السبعينات دفع الطلاب العرب من الجليل والمثلث والنقب للدراسة في الخارج ، لم وضع إسرائيل أمام عيونهم ، وذلك في وثيقة تسربت للصحافة ... أن تجمع الطلبة تلتقي في أوساط العرب بشكل المسيرة لتكون حركة قومية ، وأن على المسؤولين في إسرائيل حسب زعمه توقع مثل الاحتمال والتخطيط للتدخل له بين الأجهزة المختلفة .

ولذلك منعت إسرائيل إقامة جامعة في الناصرة ومنعت إقامة جامعة في نابلس للطلاب العرب من داخل إسرائيل فقط ، ورمت على ذلك بتشجيع الإسراع الدائم لإقامة جامعة صهيونية في المستوطنات الإسرائيلية في المناطق المحتلة ، تكون مشابهة في مناهجها لجامعة القدس وجامعة [illegible] .

ولذلك فإن الرقم المنشور حديثا والذي يتحدث عن ٥٠٪ من الطلاب العرب ليس في الضفة والقطاع فحسب ، وإنما من داخل إسرائيل ، يدرسون الآن في الخارج أمر يدعو للتساؤل وهي أزمة ستواجهه حتما الآن لمساعدة مشكلة التسرب البشري من مناطق جديدة لم تكن تعاني من هذه المشكلة .

إن نسبة السكان ، من قبل أعمارهم من عشرين سنة في الضفة والقطاع ، تصل إلى ٥٠ - ٦٠٪ حسب إحصاءات مختلفة ، وهي من أعلى النسب في العالم ، وتشير إلى فقدان جيل الشباب من سن ٢٠ - ٤٥ منه ، كثيرة يجب أن تحتل نسبة عالية من سكان المجتمع ، كما هو الحال لدى غالبية العالم .

هناك أيضا الإجراءات المباشرة في سلك التعليم الذي تم اختراقه بأعداد كبيرة من غير المؤهلين ، ولاعتبارات تتصل بالولاء للسلطة العسكرية وتتصل بخطط التهجير للفلسطينيين .

الأرقام المنشورة عن مجلس التعليم العالي في الضفة والقطاع تشير إلى ٢٤٪ من معلمي المرحلة الابتدائية ، ٨٪ من معلمي المرحلة الإعدادية ، ٣٤٪ من معلمي المرحلة الثانوية بحاجة إلى رفع المؤهلات الأكاديمية والتربوية وبحاجة إلى دورات تأهيلية . ويتعرض المعلمون للطرد التعسفي والإبعاد وإنهاء العمل ، دون مبرر سوى الجهود الأمنية التي لا تعرف السلطات وتتهم أي تفسير لها . وقد تعرض مئات المدرسين لكل هذه الإجراءات التعسفية على امتداد سنوات الاحتلال .

وتبقى السلطات الصهيونية مستوى دخل المدرس متدنيا عن اللوازم حتى تدفعه إلى ترك عمله والالتحاق بسوق العمالة الصهيونية . أمام عدم قدرته على الوفاء بالتزاماته الأسرية والعائلية ، أو تدفعه للهجرة وقد نشرت هذا العام اللجنة العامة للمعلمين في الضفة الغربية جدولا لرواتب المعلمين ، وكشفت فيه أرقام مرعبة حقا في عام ١٩٨٣ ، حسب هذه الجداول ، كانت الرواتب المتوسطة لرتبة الرواتب ١٢٥ دينارا أردنيا . ومع انخفاض قيمة العملة الصهيونية وارتفاع الأسعار وازدياد التضخم لم تعد الزيادات الممنوحة في الرواتب التي اقترحتها اللجنة ، فإنه كان متوسط الرواتب مع بدء العام الحالي هو ٨٧ دينارا ، أي بنقص قدره ثمانية وثلاثون دينارا . وهذا يعطي فكرة واضحة عن وضع المعلم داخل الأرض المحتلة .

ووضع المعلمين داخل فلسطين المحتلة ، أسوأ كثيرا من وضعهم في الضفة والقطاع ، حيث تزداد نسبة محاولات التجهيل في صفوفهم ، وتتزايد محاولات دفع الطلاب للالتحاق بسوق العمل ويدل عليه تقرير رابطة المعلمين العرب في « إسرائيل » الذي يؤكد أن ٣٧٪ من الطلاب من سن ١٤ - ١٧ يغادرون المدارس ، بينما لا تتجاوز هذه النسبة ١٠٪ لدى الطلاب اليهود .

والفعاليات في الوسط الجامعي أكثر حدة، وأشد قسوة، وخصوصا في جامعات بيرزيت ونابلس وبيت لحم والخليل وغزة والقدس، فهي القلاع الوطنية الشابة في مواجهة الاحتلال. وعبر التاريخ المعاصر للبشرية، فقد شكلت معاهد العلم في مواجهة الاحتلال النازي لأوروبا الثورات والقلاع المحصنة التي كانت مطابخ للمجابهين.

لذلك تنصب السلطات الصهيونية، وعلى الدوام بإغلاق هذه الجامعة الفلسطينية أو تلك لأتفه الأسباب. آخر هذه القرارات كان إغلاق جامعة النجاح في الثلاثين من يوليو الماضي - ولمدة أربعة شهور - بسبب عرض طلبتها ملصقات فلسطينية في معرض للقرارات أقامته الجامعة.

والأمر الملفت للنظر، أن اسحق رابين الذي يعتبر أكثر رموز حزب العمل تطرفا، وأشهرهم في المناطق المحتلة، بإعلانه الحرب للعرب، أعلن أنه سيتبع سياسة ليبرالية في المنطقة. لكنه رفض كل النداءات الصادرة من كل المؤسسات الأكاديمية في العالم لإعادة فتح جامعة النجاح الوطنية، لأنه يعرف أن الفكر الشامل والصحيح هو أن تتوجه نحو الجامعات.

أشكال من التضييق

وفي العام الماضي تم إغلاق نفس الجامعة قبيل الامتحانات النهائية مباشرة لتعطيل عملية تخريج الطلاب والطالبات. والأمر تكرر بصورة مختلفة مع كل جامعات الداخل.

إضافة إلى ذلك فإن المعاهد رغم أهمية التعريب، التي تزداد عددا بسبب الضجة المثارة حوله، وتجري محاولات كل المؤسسات الجامعية في المناطق المحتلة، وترفض تمرير القيود عليها ومنع تملكها، وإنه يحظر تنقل طالب من منطقة لأخرى، وكل مدرس من منطقة لأخرى، إلا بموافقة السلطات العسكرية، ويجبر الجامعات على الحصول على تصريح مسبق للعمل.

ثم جاءت قوانين الإقرار التي رفضه المدرسون الجامعيون العرب والأجانب، والتي لا يجد عدد من مدرسي الجامعات في الضفة والقطاع، وعبر إقرار يتعهد بموجبه الأستاذ الجامعي بعدم ممارسة نشاط قد يكون في النهاية معاديا لإسرائيل وبعدم السكوت عليه.

وانعكس هذا الوضع على ظروف التعليم الجامعي. إذ أنه من بين ٢٩٧ محاضرا في جامعات الداخل، فإن نسبة الحاصلين على الدكتوراه تتراوح حسب إحصاءات متباينة لسنوات متعددة بين ١٨٪ - ٢٢٪، أي ٢٠٪ فقط من هيئة التدريس وهي من أقل النسب الموجودة في الجامعات. فهناك حامل دكتوراه واحد لكل ٥٠ طالبا في جامعات الداخل، وهي أيضا نسبة متدنية جدا، وفق المعايير العصرية، وخصوصا في الكليات التقنية والفنية.

والصعوبات تنطبق على التمويل لشراء الكتب والتطبيق في خصوصها، وعلى نقص المباني. إذ يقول مدير الجامعة الإسلامية في غزة في تصريح رسمي نشرته صحيفة القبس الكويتية، إن الجامعة هناك تستخدم عشر خيام كقاعات للدراسة بسبب نقص الأبنية، الأمر الذي لم يسبق أن حصل في العالم من قبل.

كل هذه المشكلات: مشكلات التزييف الفكري الدراسي ومشكلات الترويج ومشكلات مضايقة ورواتب للمعلمين ومشكلات دفع الطلاب للتسرب والتحول إلى سوق العمالة الصهيونية، ومشكلات مضايقة التعليم الجامعي وإغلاق الجامعات المستمر، أضيفت إليها مؤخرا مشكلة جديدة سبق أن عرضها مجلس التعليم العالي في الضفة، ومجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم التابع لمنظمة التحرير، والتي جلت آخر صورة لها في حملة في يوليو الماضي وهي تزايد البطالة في أوساط الخريجين. حيث قال د. ... ناصر إنه يوجد في الضفة الآن ٢٠٠٠ خريج عاطل عن العمل، وفي القطاع ١٥٠ خريجا. وهو عدد كبير قياسا بعدد السكان، وسيكون لمجابهته حافزا للنزوح من ما تبقى هؤلاء الشباب أنه من الممكن توفر العمل في الخارج.

كل هذه المشكلات، لا يمكن هنا أن تلغي صورة المواجهة الباسلة التي يخوضها قطاع المثقفين في مواجهة سلطات الاحتلال. فرغم ... أقوالت جامعة صغيرة

حتى بيرزيت عام ١٩٦٧م الى جامعة كبيرة تقاعدها وتغلقها تتبوء وتأسيس خمس جامعات أخرى تضم الآن ١٢٧٠٠ طالب وطالبة . وأقيمت معاهد عديدة للتعليم المتوسط ، وحققت حركة تسرب الطلاب لسوق العمل في السنوات الأخيرة . وازداد تمسك الفلسطينيين بالتعليم ، كواحد من السبل الأساسية لمقاومة الاحتلال واضراب ثلاثة ربع ، الذي قام به المدرسون في أوائل الثمانينات خير شاهد على التحدي والصمود .

لكن ذلك يضع على عاتق المؤسسات الفلسطينية كل في موقعها دراسة هذا الوضع ، دراسة ثورية ووضع الحلول للمشكلة في اطار التصدي الشامل للاحتلال .

ان دعم المؤسسات التعليمية في الداخل ، هو الذي يعطي المصداقية للصمود والتحرير الحقيقي ، وهو الذي يوقف الى أقصى حد ممكن حملة التزييف المترتبة المتواصل ، ويمكن هذه الجامعات من توسيع امكانياتها واستيعاب أعداد متزايدة من الطلاب . وهو يتطلب مساهمة طوعية من الجامعيين حملة الدكتوراة من الشباب الفلسطيني .

وان بناء المؤسسات الانتاجية ، وتوفير امكانيات تسويقها هو الذي يوفر الاساس الموضوعي للانغراس في الأرض ، وتخفيف البطالة بعيدا عن سياسات الصمود الفلسطينية والعامة .

ولابد من سياسة مركزة لعودة الطلاب الفلسطينيين في جامعات الخارج وتوفير كل السبل أمامهم للعودة للوطن .

ولابد من فلسفة وطنية متماسكة تضع لها التعليم الفلسطيني في الحدود الممكنة ، وتأخذ في الاعتبار حاجات الشعب الفلسطيني أولا وقبل كل شيء . وهذه مسؤولية كبيرة لابد أن تنهض منظمة التحرير الفلسطينية لأعبائها . ذلك أن المنظمة تقوم بحكم ظروف خارجة عن ارادتها بمهام الدولة والثورة في وقت واحد والى حد كبير .

ان الفلسطينيين يشكلون ٢,٠٪ من سكان الوطن العربي ، ويشكلون له ٤٠٪ من الخريجين ، ونسبة التعليم العالي في أوساطهم تتجاوز النسبة المذكورة للعديد من الدول الأوروبية المتقدمة . لكن هذا الكم الواسع يجب أن يكون في خدمة معركة التحرير الوطني الفلسطيني ، وفي خدمة التنمية الفلسطينية ، أولا وقبل كل شيء .

يقول تقرير منشور لوكالة الغوث ، حول هذا الموضوع : ان هدفنا من تعليم الفلسطينيين هو تمكينهم من متابعة حياة مفيدة ومنتجة ، بغض النظر عن المكان الذي يمكن أن يعيشوا فيه ، كما نهدف لتعزيز الاستقرار العام في الشرق الأوسط ، وهذا بدوره سوف يؤدي لخلق مناخ يمكن القوى التي تسعى الى تشكيل مستقبل الشرق الأوسط من العمل بشكل أكثر انتظاما .

ان الاستثمار في الانسان وهو الأساس هو جانب التنمية التعليمية والاجتماعية في العالم . والمعركة الشاملة مع العدو لا يمكن أن يتم فيها النصر دون تقدم حضاري شامل ، ويتطلب فيه الثقافة والسياسة والتنمية الشاملة علميا واجتماعيا ، أمورا متكاملة ◻

أكبراه وأصغراه

كان البحتري شاعرا من كبار شعراء الدولة العباسية ، وقد قضى حياته زاهدا لا يهتم بهندامه ، ولا يركن الى نعيم العيش ، مع أنه اتصل بكبار رجال الدولة العباسية وخلفائها . حكي أن يحيى بن خالد البرمكي عاتبه على لباسه فقال : أيها لله رجلا همه أن يكون جماله في لباسه وعطره ، انما ذلك حظ النسوة وأهل الأعراف . حتى يرضيه أكبراه : عقله ولبه ، ويعلو أصغراه : لسانه وقلبه .

نتيجة مسابقة العربي للقصة القصيرة

استجابة لمسابقة القصة القصيرة التي أعلنت عنها مجلة «العربي» في عددها الصادر في شهر يناير - كانون الثاني - من سنة ١٩٨٤ .

فقد وصل إلى المجلة حتى نهاية شهر نيسان - أبريل - من سنة ١٩٨٥ ، عدد ٢٩٦ قصة قصيرة من جميع أقطار الوطن العربي .

وقد تم تشكيل لجنة فرز أولية في مجلة «العربي» تكونت من :-

سليمان الشيخ ، حسن عبيدي ، محمود عبد الوهاب ، نجم الكيلاني .

وقد قامت هذه اللجنة بقراءة جميع القصص التي وصلت إلى المجلة ، بحيث أصبح لكل قصة مشتركة أن تقرأ من كل عضو من أعضائها ، واستبعدت اللجنة القصص التي لا تتوفر فيها مقومات القصة القصيرة ، وأحالت منها ما مجموعه ١١٨ قصة كي تعرض على لجنة التحكيم الأساسية المكونة من : د. أبو المعاطي أبو النجا ، إسماعيل فهد إسماعيل ، عبد العزيز السريع ، سليمان الخليفي ، ليلى العثمان ، سليمان الشيخ - مقررا - .

وقد قامت لجنة التحكيم الأساسية بقراءة جميع القصص المختارة من قبل لجنة الفرز الأولية ، وأعطتها درجة من عشرة ، وبمقارنة جميع الدرجات المعطاة من كل عضو من أعضاء اللجنة لكل قصة ، تبين أن القصص الثلاث قد حصلت على أعلى الدرجات وفقا للشروط والمعايير التي تم الإعلان عنها من قبل .

والقصص هي :-

- «نهر» للكاتب محمد نوري العصام وفازت بالجائزة الأولى .
- «الرفاق» لفاروق حسان السيد وفازت بالجائزة الثانية .
- «العرس» للدكتور كامل محمد مشالي وفازت بالجائزة الثالثة .



سحاب محمد نوري الحسيني
الأولى



فاروق صلاح السيد
الثانية

- « الطوق » لمحمد رضا محرم وفازت بالجائزة الرابعة .
- « الفتنة » لشريف مصطفى فتحي حسين وفازت بالجائزة الخامسة .
- « وجهها خلف الجدار » لمرسي فتحي ثنا وفازت بالجائزة السادسة .
- « الضريح » لأحمد محمد علي وفازت بالجائزة السابعة .

وقد حصلت القصص الأربع التالية على تقديرات متساوية ، مما أهلها للحصول على الجوائز الباقية وهي :-

- « عملية انتحار » (أ . ش) لسميحة البلهي إبراهيم محمد .
- « القمر رحل عن الخيمة » لأميرة يوسف عودة .
- « السيدة العجوز » لخميس أحمد بكر .
- « عشق » لأكرم عز الدين الصغير .



الدكتور خليل محمد الخلي
الثالثة

العربي - العدد ٣٢٦ - يناير ١٩٨٦

القصة الفائزة بالجائزة الأولى
في مسابقة العربي للقصة القصيرة



بقلم : سحاب محمد نوري الصمصام



منظمة .. وقراءته في المسجد مرتبة ومنظمة .. وتربيته
طويلة . ويختم مرتين في الأسبوع ويدرسه اليومي .. نحو
عرضه المرعي .. كان لسانه كيف يتصرف . كيف يقنع
الطلاب . وكيف ينطقه . وكيف يشارك الخطباء والقراءة
والتعليم .. كنت ألمس منذ رأيته سنة صغيرة . وأرسله

إلى شكل حسن للتعليم بعد أن لم يجد بها أثرها محققا .

منذ عشر سنوات .. كان يضع القسم في السلة . مع
كمية من الحلوى كالطعام الخبز . فيخرج بها إلى البيت حيث أن
يصنعها . مع طعامه . ولكنه يتذكر حيث الطعام له .. لم

يحدث لمية أن تفقد نصيبه بنفسه .. . كأنه ينتظر حتى تتمه له بكيمياء .

أرجوك يا سيدي القاضي .. حتى أكمل .. إن تيسير هو صاحب الموضوع ، وإن كلهم يعاني مثل أمر كاتب حكاية تيسير .. شكرا .. شكرا يا سيدي .

ومرض تيسير .. مرض مثل سوداني سنة .. لم يعد بكائي .. ولم يعد يذهب إلى مكان حجر الحمام أو يفتح الباب .. الزمن في الثلاجة .. من يتوجع ، وظللت يا سيدي القاضي - أكثر سنين الأثر الذي شعرنا به كأننا مذبوحين .

أصبح هزيلا .. شاحبا يجري بين الغرفة ، والغرفة بصوت ضعيف متقطع ، وكأنه يتوسل إلينا أن نتركه !

وأخذته إلى عيادة الطبيب البيطري - الدكتور عبد الفتاح .. فحصه بعمق إليه والتفت نحوي وكأني أنظره وراني .. إن الحيوان مريض عليك أن تعامل الطفل بالحب وبالرقة وبملاطفة ، وبملاعبة لأطفال من شكواه .. ولقد شعرت بأني لا أستطيع أن أعامل الطفل بالحب وبالرقة وبالملاطفة ، ولا أستطيع أن أمنع طفلا أن يسمر مريضا .. وأصل برجعني طيب ، مستحكم الصرامة ، لتعطيه مع الناس .. ولكنا لا أريد أن أعطيه ، لأني أصلحت له تأثير الكلب .

ورحت أجوب الطرقات وحملته إلى دوائه ، فالتجأت إلى الصيدلية الأخرى .. صيدلية المقابلة بحثت عن علبة مسرع .. صيدلية تخدم الأدوية البيطرية .. صاحب صيدلية الأمل لم يسمع باسم الدواء من قبل .. فدواء الأدوية مقابل مسبب الصلاحيات ولكن الدكتور ! ذهبت إلى جميع الصيدليات في المدينة .. وإلى مركز الطب البيطري ، وتوسلت إلى طبيب ، وحتى الموزعين والوكلاء ، ولم أجد الدواء !

اتصلت بالدكتور عبد الفتاح .. لعل أحدا منهم يقدر له أن يصف له دواء آخر متوفرا في السوق .. فقال لي - وهو جدا يسمع كل كلمة أقولها .. قال لي : نعم عندي منه .. ولكني لا أستطيع أن أعطيه لك .. لأني أحتفظ بها للقطة ابنة السيد موسى الأزهري !

ولقطة ابنة السيد موسى الأزهري - يا سيدي القاضي - لم تكن وقتها مصابة بالمرض .. بل إنها ما زالت صحيحة سليمة حتى هذه اللحظة .

وحاولت أن أشتريه .. عشت خمسين ليرة .. وسبعين وماية ومائتين .. قلت .. مائتي ليرة سورية ثمنا لعلبة دواء واحدة !

والدكتور عبد الفتاح يرفض .. أليس كذلك يا دكتور ؟ حسنا .. حسنا يا سيدي القاضي ..

فهمت .. ساومته كثيرا فأبى ولا علاقة لي بأمرك .

رجعت إلى البيت .. حزينا مهموما ألعن المناصب والنقود والصيدليات والكلاب ، ولكني لم ألعن الدكتور عبد الفتاح .. والله لم ألعنه .

ويوم .. رأيت تيسير .. تحولت قبل .. تمددت أمامي يبكي ويتعذب شعرها .. كان ممددا على الأرض ، وكان يجهد نفسه ، وصدره يعلو ويهبط في حركة متتابعة .. وتوسلت إلى زوجتي أن أقتل فيها .. وماذا أستطيع أن أفعل ؟ إنها مشيئة الله عز وجل ، ولا اعتراض على مشيئته .. (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

ولكن منظر تيسير يؤلمني ، أنت تتصور - يا سيدي القاضي - كيف كنت أشعر .. طفل صغير وكلب علي بالمرض .. ؟ نعم يهمه .. كانت تيسير ابني .. أرجو بمعذرتك يا سيدي القاضي .. ولكني أرجو أن تقدر كل شيء تعتبر يكفيني أمر .

وذهبت إلى غرفتي فصليت ركعتين ، ورفعت أستغفر الله وأدعو الله طويلا أن أشعر بتعبي .. وفعلا فرغت كأني قليل له التصفيق .

وسمعت صوته ضعيفا ، وكأنه يكتم حالي ، ويستنجد بي ... وسمعت زوجتي تتحمل .. فخرجت .. خرجت من البيت .. لم أستطع أن أتحمل أكثر من ذلك .. ومشيت على وجهي ...

كنت أدرك أن لا اعتراض على مشيئة الله .. ولعل مشيئة الله هي التي ساقت بي إلى الشارع (الطريق) وأوقفتني بقرب عيادة الطبيب البيطري .

لا أعتقد أنك تصدقني .. أليس كذلك يا سيدي القاضي ؟ ولكني أقسم لك بأني لم أفكر لحظة واحدة بالهجوم الصباحة .. أبدا .. ولكن المفاتيح التي تركها أمام خالته .. كلها إلى جيب .. لأنه يعلم أن الأطباء الكلاب البرادون في مكتبها موجودا في صيدلية فتحها .. لم أكن .. لا أدري ماذا يسمون وضعي في علم النفس ، ولكني لم أكن أفكر بالسرقة .. ومطولة مقيتة .. حاولت بعد ساعة أن أترك العيادة بعد أن أخذت الدواء .. أخذته مسرعا ولحقت تيسير .. ولكن الكلمة .. بعد طلوعي الليل وأمسكت بي . أعتقد أن كل أب سيتصرف مثلما تصرفت لو حدث له ما حدث لي .. هل كنت أستطيع غير ذلك لو كنت مكاني يا سيدي القاضي ؟

أعرف أنه لا بد من عقوبة توقعها علي ، ولكننا مستعد .. مستعد لأية عقوبة .. فلتسجن بالقرصنة وكل شيء .. ولكني أرجوك .. أرجوك أن لا تحكم بها علي بتهمة السرقة . □

قاموس العربي

حوار الشمال والجنوب

تعبير سياسي واقتصادي تجاوز معنى اسمه ومناسبة انطلاقه . ليستخدم كتعبير عن أزمة النظام الاقتصادي للدول النامية ، وضرورة البحث عن نظام اقتصادي جديد .

ولقد كانت مناسبة انطلاق الاسم هي : عقد مؤتمر باريس حول التعاون الاقتصادي الدولي من أجل الحوار بين الشمال والجنوب ، ويقصد هنا بالشمال دول الغرب الرأسمالية والدول الأوروبية الاشتراكية ، وبالجنوب دول العالم الثالث الفقيرة النامية .

ورغم أن الدعوة إلى حوار الشمال والجنوب تبلورت في أواخر السبعينيات ، وكثرت حولها المؤتمرات والدراسات ، برغم هذا ، إلا أن فكرة الحوار نفسها تعود إلى زمن أبعد من ذلك ، فالظلم والغبن اللذان عانت منهما اقتصاديات دول العالم الثالث هي نتاج النظام الاقتصادي العالمي الذي يكرس التبعية والامتيازات ، ويستنزف الموارد الأولية ، ويسوق إليها السلع بأغلى الأسعار ، ويكرس التخلف والتبعية ، ويحول دون عملية التنمية والتطوير ، هذا الظلم هو الذي دفع العديد من القادة الوطنيين في العالم الثالث إلى المطالبة بانتهاج سياسات مستقلة عن التبعية ، وإلى التكتلات الإقليمية في العالم ، ويعد مؤتمر باندونج (ابريل ١٩٥٥) أول تأكيد على هذا المعنى وما نتج عنه من ظهور تكتل مجموعة عدم الانحياز ، ولقد ظلت هذه المجموعة تقف موقفا سياسيا لا يؤدي إلى نتائج اقتصادية وسياسية ملموسة ، رغم أن المؤتمر قد أعلن في توصياته عن إدانة النظام الاقتصادي الذي فرضته الحرب العالمية الثانية ، وطالب بضرورة إعادة النظر في هذا النظام الذي ألحق الظلم باقتصاديات البلدان النامية كلها .

وانصرفت دعوات القادة الوطنيين عقب مؤتمر باندونج - في فترة المد الوطني في العالم الثالث - وأدت إلى ظهور تكتل الدول النامية في القارات الثلاث لمواجهة الدول الغربية ، عندما انعقد مؤتمر الأمم المتحدة الأول حول التجارة والتنمية (أونكتاد) عام ١٩٦٤ . ويعد هذا المؤتمر بمثابة جرس الإنذار الذي دفع الأمم المتحدة إلى الاهتمام بمشكلات وقضايا التنمية والتخلف في العالم . ولقد ظلت الدول النامية محافظة على هذا التكتل ، الذي أصبح وسيلة ضغط ومساومة لدى الدول النامية ، الأمر الذي أضفى على المفاوضات بين الجنوب والشمال طابعا جماعيا ، ومع استمرار انعقاد دورات مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية ، أصبحت دول المجموعة الـ ٧٧ التي شاركت في أول مؤتمر ، والتي تزايد عددها بعد ذلك إلى ١٢١ بلدا ، أسهمت في طرح وتناول القضايا الاقتصادية الخطيرة مثل دور الشركات المتعددة



مؤتمر حوار الشمال والجنوب عام ١٩٧٧

الجنسية ، إصلاح نظام النقد الدولي ، نقل التقنية ، ولكن ظلت هذه القضايا وأمثالها في دور النقاش والدراسات وأوراق العمل محدودة التنفيذ .

ومع زيادة أسعار النفط في أوائل السبعينيات ، نشط الغرب في الدعوة إلى حوار عربي أوروبي وحوار بين منتجي ومستهلكي النفط ، ولكن توصيات مؤتمر قمة الانحياز الرابع دعت بالاسم للدعوة إلى عقد دورة استثنائية لمناقشة مشكلة التنمية والحوار بين الشمال والجنوب ، وقدمت دول الجنوب في هذا المؤتمر برنامجاً يحتوي على مجموعة مبادئ تقوم على النظام الاقتصادي العالمي الجديد كما يتصوره ، وكان أهم ما في البرنامج مطالبته بـ : تنظيم دور الشركات متعددة الجنسية ، وتنظيم علاقات عادلة ومنصفة بين أسعار المواد الخام والمنتجات المصنعة ، وإصلاح النظام الاقتصادي الدولي ، وحل للمشكلات المترتبة عليه ، كما اهتم البرنامج بتصويب المشكلات المتعلقة بالتنمية والتصنيع وأموال التنمية وتنظيم الشركات متعددة الجنسية ، وقد عارضت الدول الغربية البرنامج ، ووضعت سلسلة سياسات وتحركات تهدف إلى الالتفاف حول فكرة الحوار ، ونسفها من خلال تحطيم دول الأوبك ، وأيضاً بسبب أزمة النظام النقدي ، وبالفعل فشلت محاولات توفيقية للقاء بين بعض دول الشمال وممثلين لدول الجنوب ، وانتهى المؤتمر إلى إصرار دول الشمال على ضرورة اتباع الدول النامية لسياسات اقتصادية منفتحة على الغرب والحلول الجزئية لتحقيق الاستمرار للطرفين !! . وبرغم هذه المغالطة الواضحة التي لن تزيد الجنوب إلا مزيداً من التبعية والفقر والاستنزاف ، فإن الغرب ما زال يصر عليها ، ورغم أزمة الحلول الجزئية وعجز كثير من الدول النامية عن سداد قروضها ، ورغم عجز النظام الاقتصادي العالمي الحالي في حل مشكلات التضخم للشمال ومشكلات التنمية للجنوب ، فإن دول الغرب تصر على تجميد الحوار أو السير به في طريق مسدود . □

●

الرهان على حيوانات غريبة ، فهم يعلمون أن حصانه ما يستطيع أن يركض أسرع من حصان آخر ، ومع ذلك فإنهم يخسرون الملايين من الدولارات والجنيهات سنوياً ليروا هذه الحقيقة البسيطة تتكرر المرة تلو الأخرى .

تحولات ابن خلدون

من قصور الحكام إلى كهوف العلماء

بقلم : الدكتور حسن فتح الباب*

هل كان العلم - عند ابن خلدون - هو غايته من علم الحياة ؟ وهل مثلت الأسفار نفسها لا كنتيجة كان الدافع إلى رحلته إلى المشرق والمغرب .. ثم إنه لم يجد سبيلاً بعد ذلك إلا التفرغ للفكر والتأليف ، كما ترجمت في المصدر الثاني .. ؟

تتجدد الاحتفالات التي تعقدها وزارات الثقافة والمراكز العلمية في أقطار المغرب العربي الثلاثة باستمرار حول العلامة العربي « ابن خلدون » . والدافع إلى هذا التجدد المستمر هو انتماء العلامة العربي إليها ، والدور الذي لعبه على مسرح أحداثها التاريخية في عصره . فهو يختص بالولاء إلى تونس التي كانت تعرف بالمغرب الأدنى ، وبالانتماء والمصاهرة إلى الجزائر ، وكانت يطلق عليها المغرب الأوسط ، كما كتب فيها مقدمته . أما المغرب الأقصى فقد عرفه مسرح السياسة المتقلبة في مختلف المناصب التي تولاها ، بالإضافة إلى علاقته الوثيقة بالأندلس التي كانت امتدادا للمغرب ، وفي رحلتها تنقل بين عاصمة والعربي في عصر ملوك الطوائف ، مواصلا نشاطه السياسي والوظيفي .

وآخر المؤتمرات التي عقدت في الوطن العربي حول فكر العلامة عبد الرحمن بن خلدون ، هو الملتقى الدولي والمنتدى الفكري الذي نظمته ولاية تيهرت ، الواقعة على مسيرة ثلاثمائة كيلومتر تقريبا من عاصمة القطر الجزائري .

وقد وقع الاختيار على عقد الملتقى في هذه المنطقة نظرا لأهميتها في حياة ابن خلدون العلمية ، إذ تضم أطلال قلعة بني سلامة التي اتخذها مقرا لخلوته بضع سنين استغرقها تأليف المقدمة . فكانت بذلك منعطفا حاسما في تلك الحياة الخصبة ، وتحولا من السياسة

* أستاذ مادة القانون في جامعة وهران ، كاتب وشاعر



إلى العلم ، ثم منطلقاً بعد أن فرغ من كتابة المقدمة إلى المشرق .

ولقد كان لقلعة ابن خلدون فضل اجتذاب الأنظار إلى منطقة تاوغزوت وتيهرت ، فبات لها من المكانة التاريخية ما جعلها جديرة بالذكر ، إذ كانت تيهرت عاصمة للرستميين ، وهم من الخوارج الإباضية الذين انتشروا في المغرب العربي ، بعد أن ذاع مذهبهم الديني والفكري . أسس زعيمهم عبد الرحمن بن رستم دولة عاصمتها تيهرت ، وقد استمر حكمها منذ ١٤٤ هـ - ٧٦١ م حتى ٢٩٦ هـ - ٩٠٨ م فكانت [illegible] من السيطرة على معظم المغرب الأوسط (من جبال أوراس إلى وهران) وعلى نصف تونس الجنوبي والمغرب أيضاً ، وانتهت بقيام الدولة الفاطمية .

وتحتوي تاوغزوت على معالم تاريخية تشهد على الحضارات التي تعاقبت عليها . والمعالم الموجودة الباقية منها بعد اندثارها هي الكهوف التي حفروها في الحجر الصخري ، ومنها المغارة أو الكهف الذي أوى إليه ابن خلدون عام ٧٧٦ هـ - ١٣٧٤ م ، لينقطع فيه إلى التأمل والبحث ، وكتابة مقدمة كتابه الضخم الكبير ، الذي أطلق عليه اسم (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) .

لقد كانت خلوة ابن خلدون على مدى أربعة أعوام

(١٣٧٤ - ١٣٧٨ م) في قلعة بني سلامة - حيث أبدع تلك الدراسة التي أصبحت ثروة علمية وثقافية ، تميزت بجدتها وطابعها الفكري المستقل - عصارة للمرحلة الأولى من مسيرة طويلة ، تقلب فيها بمعظم المناصب التي عرفت في عصره شرقا وغربا ، كموظف سياسي ودبلوماسي يعتز بالقدرات الذهنية الخاصة ، والقدرة في السلوك ، والطموح إلى بلوغ أعلى مراتب السلطة ، كما يصحب ذلك الإرادة والنسق الذي يهب روحه الهائلة ، والقفز إلى كثير من الأحوال في سبيل تحقيق مطامحه ، التي لم يجد عنها حتى السجن الذي ألقي فيه ، بعد فشل إحدى المؤامرات التي اشترك فيها بهدف العمل على قلب نظام الدولة ، والاستيلاء على الحكم بالقوة أو المشاركة في تنظيمها ، كما يسمى في مصطلح عصرنا . ولولا ما قدر من حظ عظيم للإنسانية عامة وللحضارة العربية خاصة لكانت هذه المغامرة القاتلة ، ورجل الدولة الطموح قد لقي حتفه في إحدى مغامراته ، وربما كان أكثرها ، مثلما كان مصير كثير من الوزراء وأصحاب السلطان في ذلك العصر وفي غيره من العصور .

ولذا كان من المسلم به أن ابن خلدون قد سبق زمانه بعبقريته وإبداعه المتفردين في مقدمته الفذة ، منها في تاريخه ، بالنظر إلى عدم توزعه في بعض الأحوال بالطموح والأفكار والنظريات التي جاء بها في المقدمة ، لأسباب لا مجال لمناقشتها في هذا المقال ، فإنه من الصحيح أيضا أنه كان ابن عصره ، فيما اتسم به من تحولات من موقف سياسي إلى آخر ، دون مراعاة للجانب الأخلاقي أحيانا ، وخصوصا في وقته للمستقبل أو صاحب النفوذ ، الأمر الذي يأخذه عليه كثير من الباحثين . وكان - في هذه الوجهة - مرآة انعكست عليها صورة ذلك العصر المضطرب المتقلب القلق واضطرابها . فما كانت أن تنشأ سلطة وتقوى حتى تثب عليها قوة معادية تسقطها ، ثم تدور الدائرة على الغالب ، والويل دائما للمغلوب والشماتة للمغلوب . ويستمر الصراع في موجة من الأحداث المثيرة ، حتى يستشري الوهن في المغرب العربي وفي الأندلس ، وينتهي الأمر بتلك المنطقة العريقة بتقاطعها لتصل إلى التردي في هاوية التفكك والتخلف بعد عهد دام عدة قرون .

عقل الجسد

ورحلة حافلة حقاً تلك التي قطعها ابن خلدون في ذلك الزمن البعيد ، فلم يكن له السفر يخلو من خير موقعه أو رياسته ، ليخفي جهله الدائم بالتجوال والسفر الحافل الشاسعة ، وقد يحول ما يكفي من التزود والقلق والإقلاع - ابتداء باستقبال وطنه ، وانتهت عينه على المقام في تونس ، إذ كان مولده بها سنة ٧٣٢ هـ - ١٣٣٢ م ، ووفاته في مصر إذ مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م - وبين هذين التاريخين أمضى عمره الطويل بالمضطرب الكثيرة ، والسير للمشقة ما بين مغرب الوطن العربي ومشرقه ، من القسطنطينية على المحيط إلى ما يقرب قريبا من الخليج . فاتسمت حياته بكثرة التنقل والترحال ، مما يصدق فيه قول الشاعر القديم (ما آب من سفر إلا إلى سفر) ، وكذلك مثلما تميز عصره بكثرة التحولات . وما كان للبعد والغربة وأثره ، فلا غرو أن كان مشتركا في الحياة العامة أينما استقرت به النوى .

لم يحفل مقامه في تونس ، إذ هاجر منها إلى بجاية فالمغرب الأوسط (الجزائر) ، وانتقل من بجاية ليطوي عصا الترحال في تلمسان ثم فاس بالمغرب الأقصى ، متنقلا في هذه البلدان جميعا ، بين قصور الملوك والحكام ، متقلدا أرفع المناصب الإدارية والسياسية والدينية والعلمية من كتابة السر والإنشاء والتدريس والخطابة والإمامة والقضاء والسفارة والإمارة - مجيرا بأساليب الإعلام والدعاية لمن يواليه من هؤلاء فيوليه منصبا مرموقا ، معرضا عمن يخذل نجمه ، أو منقلبا عليه عرضا ومؤيدا للزعيم الطموح ، حتى الخلعه من عرشه ويتلقى بالولاء لخصمه الذي توسم فيه ابن خلدون القوة ، ويتطلع إلى المعالي في ركابه ، فيصير معه كبيرا . لذا قال بعض معرضا بالرحيل : (المناصب مزيدها من تمرغ) ، ويرد على ذلك أن العصر كان في جانبه السياسي مظلم عصر سوء ، فلقي بعض من محنته على شخصية ابن خلدون أيما ... وليس هو منصفا في هذا التناقض بين العلم والخلق في بعض الأحيان ، وإن ظل حتى الآن مقترنا بما سجله من معرفة متوجة الآفاق ، وما كشفه من قوانين تحكم المجتمعات

البشرية . وبالرغم من عظمة بلوغ القمة بمقالته الفكرية والحضارية ومشاركته الشخصية في السياسة ، يبقى أن التشخيص لحياته ، ولا سيما إذا كان قد ربط حياته مثل ابن خلدون ببلاط السلطان وصار من حاشيته ، لو كان له مثله من الأمل الكبير ، ما يجعله لا يأتي على أحد أن يسبق كتابته ، مما ألقى من حتفه وحين . لقد كان هذا المفكر العبقري يعرف كيف تقسو معركة الزمن وتقلب موازينه وظروفه ، فأراد أن يجد له مكانا لائقا . فسلك الطريق حيث الزمن كان صعبا رائعا بتلك الأحداث عصفها ، والتراجع العربي عن الفعل في تصوير الفكرة القائمة من الرجال . وبذلك لتحدي المشكلات التي استعصى حلها حتى عليه العقل البشري . وبذلك العالم المسلم الذي انطوى فيه العالم الأكبر كما قال شاعر قديم حكيم :

وتحسب أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

ويقطع رحلات ابن خلدون ، فتراه يشد الرحال منتقلا من مدينة فاس التي كانت أحد مراكز الحضارة بين مراكز الإشعاع الحضاري للعرب في عاصمتها الأندلس ، بعد أن عصفت أيامه في السلطان الذي نزل عن أزره العرش . ولم تكن الأندلس حينه بالبلد الغريب ، فقد ينحدر من أسلاف أسرته إسبانية حضرمية ، نزح فرع منها قديما إلى الحجاز ، ومنها إلى بلاد المغرب في فتح الأندلس أو بعده ، ثم إلى اشبيلية ، وذلك في القرن الثالث الهجري ، طبقا لأوسع الروايات التاريخية ، بالإضافة إلى ما قاله ابن خلدون في سيرته الذاتية ، التي تسبغ كتابه التاريخي . إذ عدد فروع شجرة النسب التي ينتمي إليها . وما لبث أجداده أن هاجروا إلى تونس ، بعد أن أخذ النصر ينحسر عنهم في اشبيلية ، وكانوا قد احتلوا فيها مراكز رفيعة في قمة السلطة .

هجرة إلى أرض جديدة

فلم يكن وصول ابن خلدون هذا إلى الأندلس بمثابة العودة إلى غرناطة ، أو بمثابة الحنين إلى وطن الأسلاف والأجداد من بنيه وسلالته قبله ، بل كان هجرة إلى أرض جديدة تسع آماله المتجددة . ومكانة تليق بالعلم السياسي اللامع الصيت في مدينة (سبتة) المغربية المرتفعة على البحر الأبيض (استولت عليها إسبانيا ، واحتفظت على مدينة مليلة المتاخمة ، بعد استقلال الدولة العربية بالمغرب ومازالت تحتلها إلى اليوم) حاملا معه إلى غرناطة - في عصر ملوك بني الأحمر ، والوزير لسان الدين بن الخطيب صاحب الموشح المشهور -

جادك الغيث إذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالأندلس

وفي طموح ابن خلدون لا أن يودع الفردوس الأندلسي عائدا إلى بجاية إحدى العواصم الزاهرة في المغرب الوسيط ، حيث بلغ جاهه وسلطته مبلغا ، إذ استوزره أميرها الحفصي . وكانت الوزارة أخطر المناصب وأعلاها قدرا . وكانت تسمى أيضا الحجابة ويسمى صاحبها الحاجب ، وهو من تسميه اليوم الوزير الأول . بيد أن استيلاء والي (قسنطينة) على بجاية كان إيذانا بفرار ابن خلدون إلى (بسكرة) . ثم هرب إلى قلعة من أعمال ولاية تلمسان ، ويسرى منها مرة أخرى إلى بسكرة ، ويبيت الفارس المغامر ، فلا يستقر له غير الكر والفر ، حتى يبعد هاربا ثم مستقرا ، ومن أين لابن خلدون أن يعرف الاستقرار ، وهو يحمل بين ضلوعه فؤادا متمردا جسورا ، ونفسه عالم ثائر تقلب في قرارته لا يقر له قرار ، وعقليته لا يهدأ له أوار .

لقد أمضى في بسكرة حينا من الزمن متنقلا في مناصرا سلطان المغرب الأقصى . ولكن الزمن لم يصحب له بكثرة ما جرت عليه المؤامرات وتعاقب الانقلابات من خصومه ، وما جلبه عليه الثورات فيها من خصومات . وكانت رحلته ، هذه المرة على ما يبدو ، إلى فاس ثم إلى غرناطة ، التي كان قد حل بها ثم غادرها منذ سنوات .

واستمر به السبيل في المغامرة الأندلسية الثالثة على رحلتها ، حين تنكر له سلطانها ، وتنكر له بعد أن وشى به الوشاة ، واتهموا في سلطتهم ، فولى مهاجرا إلى تلمسان ، وقد تبعث نفسه بالسأم من العمل السياسي ، وما ترتب عليه من اضطراب حياته ، وتأثيره العاطفي في أشغال الأرض . فمضى فكره في البحث عن موطن يكفل له السكينة ، ويتيح له أن يهيئ الملاذ الآمن للنفس التي يطلبه ، ولا سيما أن الفراغ للتحرير عن خلاصة تجاربه وما اكتسبه



منظر عام في منطقة اعتكاف ابن خلدون

من معرفة بالمجتمعات وطبائع الحاكمين والرعية أصبح هاجسه وشغله الشاغل . ولم يكن ذلك التعبير أو التطلع للشهرة ليتحقق عنده لما توفر له من علم معرفي . فقد انتقل من نظم الحكم المختلفة وأساليب الإدارة والسلطة ، وعرف ما آلت إليه في العصور من عصائب ، وبأي تؤدي بها الأساليب جميعها . كما تهيأ له عمله في نفسه الوقوف على شتى التشكلات الاجتماعية ، من خلال القضايا التي مر بها .

انقطاع عن الحياة

واستبدت به الذاكرة الثقافية والعلمية وحضره ، فقصد حتى لصحابه له من بني عريف ، كانوا يحضنونه ، قلعة تسمى قلعة بني سلامة ، وتقع في منطقة تلزوت التي ذكرنا اسمها آنفا . فأكرموا وفادته ، وأنزلوه بينهم ، ومكثه في تلك القلعة كانت نهاية مطاف مضن في عالم السياسة ، وبداية رحلة تأمل وتفكير في عالم الفكر ، اكتسب العالم الجليل عصارة ما كانت

تشرد عنه في متاهات السياسة ، كي اكتسب العلم والثقافة والسياسية خبرة لربما كان ومازال لها أثرها في تطور الفكر . وفي هؤلاء الذين أسدوا فضلا إلى ابن خلدون باستضافتهم له واحتضانهم إلى السلطان أبي حمو موسى الزياني في تلمسان نيابة عنه ، إذ كان قد وعده بالبقاء في بلاطه ريثما يرتب له بعض المهام . يقول ابن خلدون في سياق سيرته الذاتية

« وأجمعوا الطلب إلى السلطان مني في التخلي عن قضاء خدمته . وانزلوني بأهلي في قلعة ابن سلامة من بلاد توجين . فأقمت بها أربعة أعوام متخليا عن الشواغل ، وشرعت في تأليف هذا الكتاب ، وأنا مقيم بها ، وأكملت المقدمة منه على ذلك النحو الغريب الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة »

وفي شأن تاريخ تلك القلعة وأصحابها يحدثنا المؤرخون للقبائل أن بني سلامة ينتسبون إلى بطن من بطون قبيلة توجين الزناتية في المغرب ، استقروا في عهد عبد القوي التوجيني . واختط زعيمهم « سلامة بن علي » تلك القلعة في عهد محمد بن عبد القوي . واليوم تعرف « ... » من جملة سلاطين في

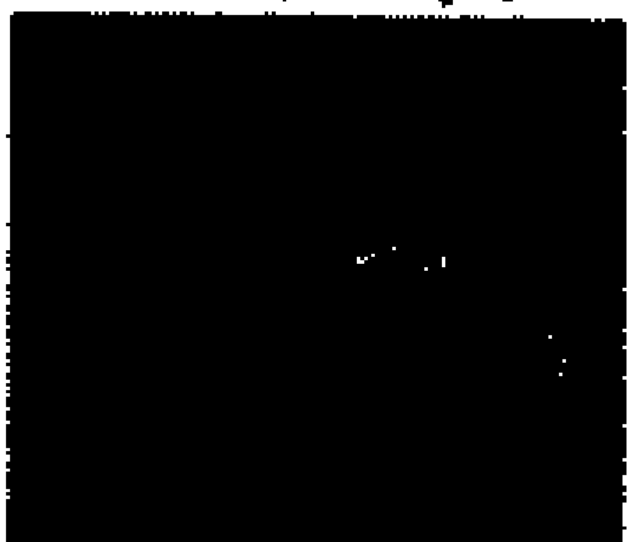
عبد الواد ، المعروفين ببني زيان ، وصاحب تلمسان ، الى أن اعترفوا به ، فحصل منو سلامة في طلعتهم . ورأت الطغمة أثناء الاعتقال تشريفه الى قبيلة سويد التي أقطعها لها السلطان أبو عنان ، والحق سليمان بن محمد بن سلامة بجيشه . ثم عقدت الطائفة باجتيازها الى أصحابها في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني . وأصبحت في جهة الأمير أبي عريف ، لأن خصهم بها هذا السلطان مقابل عز ازرهم له وما قدموه اليه من خدمات .

لقد استكمل ابن خلدون « المقدمة » وشرع في كتابة سفره التاريخي ، ولكنه يفاجئنا كعادته بقطع رحلته المعتادة ، فيسوق اثر ذلك تعريفه بنفسه [illegible] . كأنه يستأنف الحياة ، أو كأنما لم يكفه عالم الفكر الذي يعطي الحياة ويستحق أن يبذل في سبيله العمر كله . ورحلته هذه المرة كانت الى عالم جديد لم يكن له به عهد فلعله أراد المزيد من التجارب ليكتشف عليه ، وعيا منه بأن المعرفة بحر لا ساحل له . ولكن المجتمعات التي تولع بمراقبتها لا تقف عند حدود المغرب العربي والأندلس ، بل هناك مجتمعات أخرى في المشرق مما ما يتشوق اليه الحكام الآخرون .

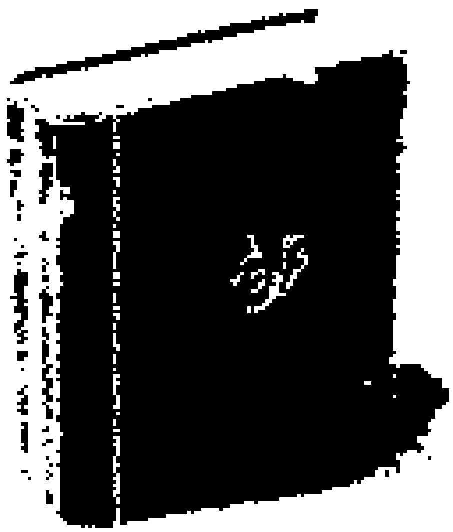
الرؤية الشاملة

انها شمعة الحياة التي لا تنطفئ في نفسه ، والرغبة الملحة في تحسس أبعادها ، والتوق الى الرؤية الشاملة . تلك هي العوامل التي لم تترك له مجالا للاختيار . لا شك أنه يضيف شيئا مختلفا بالسياحة ، وطموحه الى تبوء المناصب الرفيعة ، فهو كما تحدثنا سيرته ، لم يكن يجد نفسه الا في التجربة بل المغامرة ، وهو ابن الحياة المجبول بجبلتها ، العاشق لسرائها وآلامها ، فهدفه هو الحياة ذاتها ، ولا علم عنده الا من خلال الحياة ، بعيدا عن الأبراج العاجية ، التي يلوذ بها بعض المفكرين والمتصوفين طلبا للمعرفة والحقيقة . ولولا ذلك لما صعدت المقدمة الى هذا المستوى الفطري من الابداع وسلطة الفكر ، ولما حدثت بها ثورة علمية وفلسفية ما زالت تستقطب الباحثين في العالم حولها ، لاستيعاب جوانبها المختلفة والارتواء من معينها الذي لا ينضب . ولولا ذلك أيضا لما برز هذا الشهاب الساطع في ظلمات العصور الوسطى ، وظل من جملة المقلات الانسانية ، وهداتها ، حتى نهاية القرن العشرين ، وربما لبقي كثير من أشعته الوضاءة تنير الطريق لمن بعدنا ، اذا قدر لأهل هذه الكرة الأرضية أن يخرجوا من لعبة الجحيم النووي ، التي يلهو بها العابثون من أعداء الحياة والانسان والحضارة والتقدم .

على أن هذا الدرس الذي يقدمه لنا ابن خلدون في فهمه للعلاقة بين العلم والحياة ليس هو الدرس الوحيد المستفاد من مسيرة حياته . فثمة عبرة بالغة الأهمية نستخلصها من هذه المسيرة . فتلك مراحل من مرحلة تاريخية تميزت بصراع الملوك والحكام ، وتنافسهم بعضهم لبعض ، حتى في الأسرة الواحدة بين الأخ وأخيه والولد وأبيه في سبيل الاستحواذ على السلطة . ولكن الشعوب العربية الاسلامية التي حكمتها الفرق والأسر والعروش المتصارعة ، لم تعرف فيما بينها الانقسام والتفكك ، في ظل التحولات التي تحولت الى ضيعات من فرط تشرذمها ، حتى يستقل كل حاكم بجهة ، وينصب عليها نفسه ملكا ، ويولاها أولاده من بعده حتى يجيء [illegible] . والمغامرة الخلدونية في التنقل شرقا وغربا بين افريقيا (تونس) والمغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأقصى والأندلس كلها تشكل حركة واحدة لا عديدا من الممالك ، ثم المضي منها الى مصر ثم دمشق التي شاهدنا على هذه الحقيقة التاريخية ما يحملنا أن نستوعب عبرتها الآن وقبل أن تعيد الفرقة الى ضيعات حربية [illegible] . وهذا درس التاريخ وعبرته . □



القصر الذي يعتقد أن ابن خلدون اعتكف به



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

جاء في قوله تعالى : «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله . ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون» (النحل ١٢٥ - ١٢٧) .

هزم جيش المسلمين في وقعة أحد ، وشرعوا في جمع قتلاهم لدفنهم ، ومضت النسوة مسرعات لتعرفهم ومداواتهم . وخرجت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم إلى أبيها تضمد جرحا أصابه وجهه ، ينزف الدم منه حتى يستمسك الدم . فإذا به يهتف فجأة : «ما فعل عمي ؟ ما فعل عمي حمزة ؟» .

فمضى علي بن أبي طالب يبحث عنه ، حتى وجده مقتولا في بطن الوادي ، وقد شق بطنه عن كبده ، وجدع أنفه وأذناه . فلما قدم إلى رسول الله بالخبر ، مشى إلى مكان الجثة حتى وقف عليها ، فلما رأى [illegible] شر فعل ، «ما وقفت موقفا قط أغيظ إلي من هذا الموقف ، ولن أصاب بمثلك أبدا . لئن ظفرت بقريش لأمثلن بثلاثين منهم !» . كذلك فإنه لما رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلاهم من تغيير المعالم والمثلة الشنيعة ، فقالوا : «لئن أظفرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم ، ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط ، ولنفعلن ونفعلن» .

فأنزل الله على رسوله هذه الآيات الكريمة تبين أنه عبث لا يليق بالمؤمنين أن يجعلوا سلوك المشركين في سلوكهم المشين ، وتنهى عن المثلة ، وتأمر بالصبر على الأذى ، والتجلد عند النوازل .

بل إن الآيات لتمضي إلى ما هو أبعد وأعظم من ذلك . فالنبي صلى الله عليه وسلم حزين غاضب ، كما لم يحزن أو يغضب من قبل . والمسلمون قد ملأ صدورهم الغيظ مما صنع أعداؤهم من أهل مكة ، ولابد أنه غلبت عليهم الرغبة في الانتقام ، لما أصاب أجسادهم وأقاربهم وأحوالهم في الدين ، ثم

تأتي الآيات لتذكرهم أن القوة مهما بلغت فالأحقاد الشخصية لا ينبغي أن يكون لها مكان ، وهم في سبيل تحقيق الهدف الأسمى الذي حدده سبحانه وتعالى لهم ، وهو نشر مبادئ الدين القويم ، ولا ينبغي أن تنسى المؤمنين ـ مهما بلغ حنقهم وغضبهم بكفر الكافرين ـ أن خير طريق الدعوة إلى هذا الدين هو الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدل بالتي هي أحسن .

ولقد نسي مسلمو زماننا هذا ـ من بين ما نسوه مما أمرنا به الله عز وجل ـ ورغم تلاوتهم القرآن صباح ومساء ، وربما حفظهم هذه الآيات الكريمة من تعاليم ، لا تجد من يقابلهم في الدين مخالفاً ، بل وتجد غيرهم من المسلمين أيضاً . فما من خلاف في الرأي يدور حول مسألة تتصل بالدين ، إلا كان من الصعب على عامة الناس صبحاً وعلى علمائهم وفقهائهم على السواء أن يتناقشوا الأمر في هدوء ، ودون انفعال ، ودون سباب وتجريح ، وأن يجادلوا بالتي هي أحسن . وقد أصبح من النادر أن يصبر مسلم على الاستماع إلى وجهة نظر دينية من مسلم يخالفه ، وأن يعرض نفسه عرضاً موضوعياً نقدياً . وطغى الأسلوب الشائع عندنا في الجدل والنقد من أن يتهم الكاتب صاحب الرأي بأنه جاهل أو مبتدع أو ملحد ، أو يتهمه بأنه يعوق تقدم الأمة في دينها ودنياها وأنه يعمل على تمكين الأعداء من النيل من المسلمين ، وتشجيع كتابهم ومساندة أوطانهم ومحرماتهم . .

كما نستطر في المجتمعات المتحضرة منذ أمد بعيد ، مفهوم يرى المفكر والناقد شريكاً في مهمة واحدة ، هي توسيع مدارك القراء وتهذيب وتنمية معارفهم ، وتمكينهم من تكوين نظرة سليمة إلى الأمور . والمفكر في تلك المجتمعات يدرك حقيقة ـ ما لم يكن متمرداً متعصباً ـ أن عليه أن يكون شديد الامتنان للمساعدة التي يقدمها الناقد له ، حين يلفت انتباهه إلى أخطائه رغم ضيقه ، أو قد يدفعه إلى تطوير تفكيره ، كذلك يدرك الناقد أن الاحتكام إلى الموضوعية في مجال الفكر أمور كفيلة بأن تدعم سمعته لا سمعة موضوع النقد . أما في بلادنا فإن المشاحنة التي لا يستثنى منها غير القليلين ، هي أن الناقد الهادم مأجور ، والناقد المادح مسعور . فلما شاع النصح الناصح عن المتطرف متصل بجهة أو ترتيب لتفضيل له ، وأكثره يسير القدم ، إنما النصح المسعور ، والتسبب مع المأجور ، والتشنيع إزاء الفكرة الجديدة ، والمبادرة إلى الاتهام بصلة المعتقدة ، والانتقال من نقد الفكرة إلى النقد الشخصي دون مبرر ظاهر غير اختلاف الرأي ، فأمر يتعذر فهمه إلا على ضوء طبيعة تكويننا ، وإغفالنا لتعاليم القرآن الكريم ، ووصاياه الصريحة بأن ندعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن نجادل من يخالفنا في الرأي بالتي هي أحسن .

لقد سبق للشيخ محمد عبده أن وصف الأوروبيين بأنهم قوم غير مسلمين ، وإن التزموا أنفسهم بما أوصى الإسلام به ، ووصف أهل القطر بأنهم مسلمون قد جافوا عن تعاليم الإسلام . وما أحسبه إلا كان مصيباً فيما ذهب إليه . ◻

لا تشاور هؤلاء

قال قيس بن ساعدة الإيادي

لا تشاور مشغولاً وإن كان حازماً ، ولا جائعاً وإن كان فهيماً ، ولا مذعوراً وإن كان ناصحاً .



الثروة السمكية

[illegible]

كانت الشركات الأجنبية ترسم للدول النامية بأن مواردها من الثروات السمكية غير محدودة ولا تتأثر بالاستغلال ، وتقوم تبعاً لذلك بالتركيز على سواحلها وممارسة الصيد دون رقابة تذكر ، فهل حقاً أن الثروة السمكية غير ناضبة ؟ وإلى أي مدى يصدق هذا الافتراض ؟



بقلم : علي عبد الأمير*

إن ما شهدته السنوات الماضية أثبت عدم صحة هذا الافتراض ، وذلك من خلال انخفاض معدلات الصيد في الكثير من المناطق ، وتدهور مخزونات بعض الموارد البحرية بشكل كبير ، بحيث وضعها على حافة الانهيار .

استهلاك .. واهدار

إن هذا الانخفاض في معدلات الصيد السنوية يعزى لعاملين رئيسيين هما :

- التركيز على اصطياد الأسماك القاعية ، وعدم البحث عن أنواع جديدة أخرى ، بحيث أن إجمالي الكمية المصطادة سنوياً من الأسماك القاعية تقدر بحوالي (٥٠) مليون طن من إجمالي الإنتاج السنوي الكلي ، الذي يبلغ حوالي (٧٣) مليون طن ، أي أن نسبة الأسماك القاعية المصطادة سنوياً (٧٠٪) من إجمالي الإنتاج الكلي .
- تجاوز الكميات المصطادة السنوية ، بحيث يتم تكثيف الاصطياد على مناطق محددة ، وبالتالي يتم استنزاف مراعي الأسماك وتعرية قيعانها ، نتيجة استخدام قوارب الجر الحديثة والكبيرة .

وعلى سبيل المثال انخفض إنتاج منطقة شمال غرب المحيط الأطلسي ، من ذروته عام ١٩٦٨ ، حيث بلغ (٥.٤) مليون طن إلى (٣) ملايين طن عام ١٩٧٣ .

وفي منطقة البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود ، انخفض إجمالي الإنتاج من (١.٣) مليون

* باحث في علوم الأسماك ومصادر الثروة البحرية بوزارة الثروة السمكية - عدن

طن عام ١٩٧٦ الى (٣٫١) مليون طن عام ١٩٧٧ وبنسبة (٩٪) .

وفي منطقة شمال غرب المحيط الهادي تكالبت الشركات الاحتكارية لاصطياد - بلوق الالاسكا - والذي ازدادت كميته المصطادة بشكل انفجاري ، من (مليون) طن عام ١٩٦٥ الى (أربعة) ملايين طن عام ١٩٧٣ . ويعتبر ذلك أقصى استغلال لهذا السمك ، حيث تدهور الانتاج في السنوات اللاحقة لعام ١٩٧٣ .

وهناك نموذج واضح للاستغلال المفرط - وهو ما جرى في مصايد - الروبيان - على طول سواحل الخليج العربي . حيث اخذ محصول - الروبيان - في المنطقة الذي شهد زيادة كبيرة بعد عام ١٩٦٢ - ١٩٦٣ من (٣) آلاف طن الى (٣٠) ألف طن في عام ١٩٦٧ - ١٩٦٨ . وبسبب كثافة عمليات الاصطياد فقد انخفض معدل المحصول الى (١٣) ألف طن (الوزن مع الرأس) وذلك لزيادة عدد قوارب الصيد ، وتجاوز الحد الأقصى الممكن اصطياده ، ونتيجة لهذا التدهور في الانتاج فقد اضطرت القوارب الصغيرة الى الاصطياد في مناطق بعيدة ، وفضلت بعض الشركات ايقافها نتيجة للخسائر الناتجة - عن قلة الانتاج .

ان هذا التدهور في مخزونات معظم الأسماك والأحياء المائية والأنواع التجارية منها كان نتيجة طبيعية للاستغلال الجائر الذي لم يراع شيء المخزونات ، أو التأثير السلبي على الاحتياطي عند تجاوز الحد الأقصى المقرر اصطياده ، وهذا يتفق مع الزيادة السنوية المسرعة للفترة ما بين ١٩٥٠ - ١٩٦٩ حيث بلغت الزيادة السنوية حوالي (٧٪) ، اما في الفترة من عام ١٩٧٠ حتى الآن فإن الزيادة السنوية لا تتجاوز (١ - ٢٪) فقط ، بل وتتراجع في بعض الأعوام .

ان هذا الوضع يعطي مؤشرا واضحا على أنه لم تعد هناك مخزونات كبيرة غير مستغلة استغلالا كاملا من الأسماك التي اعتيد صيدها بسهولة ، وتسويقها بطرق متقدمة ، والتي كانت تتيح فرص التوسع السريع في الخمسينات والستينات .

ان التوسع المقبل في مناطق الصيد الحالية يطرح بشدة ضرورة التوسع في صناعة الأسماك والتعليب من أنواع أخرى من الأحياء البحرية ، واستغلال ما هو غير مستغل ، اضافة الى ضرورة تنمية مشاريع تربية الأسماك .

بين البحار والأنهار

وعند تفحص طبيعة الانتاج السمكي في العالم ، يتضح أن حوالي (٨٥٪) من الانتاج يتم الحصول عليه من البحار ، وتشكل الأسماك السطحية مثل (الأنشوجة ، الرنجة ، الماكريل ، التونة) حوالي الثلثين ، أما الأسماك التي تعيش في الأعماق ، والتي تسمى بالأسماك القاعية مثل : (القد ، السمك المفلطح .. الخ) فتشكل الكمية الباقية من الانتاج ، مع نسبة حوالي (٨٪) من اللافقريات ، كالرخويات (الحبار) و (الأخطبوط) و (السبيدج) ، والقشريات (الجمبري ، اللوبستر والسرطان البحري) .

وتوجد معظم الموارد السمكية البحرية ضمن نطاق (٢٠٠) ميل من الشاطيء ، غير أن القليل من الموارد الحية في المحيطات هو الذي يستغل ، ومعظمها من الرنجة والحيتان . كما يوجد بعض من هذه الموارد ضمن حدود الـ (٢٠٠) ميل أيضا ، ويبلغ الانتاج من المياه الداخلية كالأنهار وروافدها والبحيرات والخزانات حوالي (١١) مليون طن سنويا ، وهو لا يزيد الا بشكل بطيء جدا ، لأنه يتأثر كثيرا من استخدام أحواض الأنهار في توليد الطاقة ، وبناء السدود وأغراض الري .

وقد شهدت سنوات ما قبل عام ١٩٧٠ توزيعا غير عادل لكميات الانتاج السمكي ، حسب الجدول بالبلدان العالم المنتجة للأسماك ، والبالغة (١٦١) بلدا ، اذ هناك بضعة بلدان تحتكر الكمية الأكبر من الانتاج ، ومعظمها من البلدان الصناعية .

- على سبيل المثال - يبلغ نصيب البلدان النامية من اجمالي الانتاج نسبة (٣٧٪) ، أما مساهمة البلدان الصناعية (التي لا تتجاوز سبعة بلدان) والتي تحترف الصيد تقليديا فقد شكلت نسبة (٦٣٪) وذلك عام ١٩٧٠ .

وبعد مطلع عام ١٩٧٧ بدأت الفجوة تتقلص



الأسماك . ثروة وغذاء !

بشكل تدريجي . ففي عام ١٩٧٢ كان نصف البلدان العشرة الأولى في مجال صيد الأسماك من البلدان النامية . وتحصل البلدان المتقدمة بحصة الأسماك على نسبة (٥٤٪) من إجمالي متوسط الانتاج العالمي من الأسماك . رغم أن الفجوة ما زالت قائمة نسبيا ، وذلك عند المقارنة بين انتاج الاتحاد السوفيتي واليابان مع البلدان الأخرى . حيث يحصل الاتحاد السوفيتي واليابان على أكثر من (٢٧٪) من الانتاج العالمي .

وعند مقارنة بيانات (الجدول رقم ١) مع إجمالي انتاج العالم من الأسماك والأحياء المائية . تتضح مرة أخرى تناقضات التوزيع ، حيث يبلغ مجموع انتاج خمسة عشر بلدا الموضحة في (الجدول رقم ١)

(٧٠,٤٥) مليون طن ، أي بنسبة تزيد عن (٧٦٪) من إجمالي الانتاج العالمي . والبالغ لنفس العام حوالي (٩٢) مليون طن . وتساهم البلدان الأخرى والبالغة (١٤٤) بلدا بمقدار (٢٢) مليون طن ، وبنسبة أقل من (٢٥٪) من إجمالي الانتاج العالمي ، ومعظمها من البلدان النامية .



صيد الأسماك بالصنارة تثبت جدواه في البلدان النامية

تجارة الأسماك

يتم اصطياد الجزء الأعظم من السمك العالمي بواسطة (٢٠) ألف سفينة صيد ، يتراوح إجمالي الوزن الساحق لكل منها ما بين (١٠٠) و (٢٠٠٠) طن ، ويبلغ إجمالي الأطنان المسجلة (١٢) مليون طن .

وتشكل السفن التي تتراوح حمولتها من (١٠٠) الى (٤٩٩) طنا نسبة (٨٠٪) من الأسطول العالمي . ويتألف الباقي من حوالي (٣) ملايين سفينة وزورق صغير ، يقل الوزن الاجمالي المسجل لمعظمها من خمسة أطنان . وأغلبها غير مزودة بمحركات .

ويوفر مصايد الأسماك في العالم فرصة للعمل لحوالي عشرة ملايين صياد . وليس ذلك فحسب ، بل هنالك العديد من النشاطات المتصلة بصيد الأسماك ، كالتصنيع والتسويق ، التي تضم أعدادا كبيرة من العمالة ، خصوصا في المناطق الساحلية .

وتتبع معظم سفن صيد الأسماك التي يتراوح وزن كل منها بين (١٠٠) و (٢٠٠٠) طن الى البلدان الصناعية . أما البلدان النامية فإن نصيبها الجزء الأكبر من القوارب الصغيرة التي تكون غالبا بدون محركات .

كما أن البلدان المتقدمة بصيد الأسماك لا تسيطر على مناطق الانتاج في العالم فحسب ، وإنما على التجارة الدولية للأسماك ومنتجاتها ، ففي عام ١٩٨٠ أصبحت كندا أكبر الدول المصدرة لمنتجات الأسماك ، إذ اقتربت قيمة صادراتها من (١٠٠٠) مليون دولار أمريكي ، تليها الولايات المتحدة الأمريكية التي زادت صادراتها بنسبة (٣٧٪) عن عام ١٩٧٩ ، وتحتل اليابان المرتبة الرابعة بعد النرويج .

وتصدر بلدان المجموعة الاقتصادية الأوروبية ما قيمته (٣٠٠٠) مليون دولار من منتجات الأسماك سنويا .

وفي نطاق الواردات فإن اليابان تتربع على المركز الأول في العالم ، حيث أنفقت عام ١٩٨٠ ما قيمته (٣٠٠٠) مليون دولار على واردات الأسماك ومنتجاتها ، وتليها الولايات المتحدة الأمريكية في المرتبة الثانية ، كما استوردت بلدان المجموعة الاقتصادية الأوروبية (٣٢٠٠) مليون دولار من منتجات الأسماك للعام ذاته

ويبدو من خلال هذا العرض الموجز أن بضعة بلدان تحتكر انتاج الأسماك ، وتسيطر على تجارتها الدولية

قانون البحار

من المتوقع في السنوات القادمة أن يرتفع الانتاج لدى البلدان النامية ، بعدما يتراجع انتاج البلدان التي تعمل أساطيلها في المياه المفتوحة وسواحل البلدان النامية .

وانسجاما مع ذلك فإن انتاج الأساطيل الأجنبية التي تعمل على سواحل البلدان النامية سوف يهبط بشكل ملحوظ ، بعد أن كان هذا الانتاج يشكل حوالي (٤٠٪) من اجمالي المحصول السمكي العالمي .

لقد بلغ اجمالي الكمية المصطادة من الأسماك والأحياء المائية لجميع بلدان العالم (٦٣ر٩) مليون طن ، وذلك عام ١٩٧٣ ، منها حوالي (٩٦ر٥) مليون طن ، تم الحصول عليها من مصادر غير العالمية ـ في حوض المناطق الاقتصادية للبلدان النامية ، وبلغت الكمية التي تم اصطيادها من سواحل البلدان النامية (٥ر٥) مليون طن (وهذا يعادل حوالي أربعة أمثال انتاج البلدان العربية مجتمعة في الوقت الحاضر) .

إن ذلك يوضح بشكل لا يقبل الشك مدى النهب الذي تمارسه الشركات الأجنبية لثروات البلدان النامية ، وهو جزء من المخطط الاستعماري الاستغلالي ، سعيا لاستنزاف المزيد من موارد البلدان النامية وتجويع شعوبها .

وتسعى الأمم المتحدة منذ عام ١٩٥٨ لايجاد تسوية عادلة بشأن استغلال الموارد المائية الحية على النطاق الدولي ، وحماية سواحل وثروات البلدان النامية .

وكان أول مؤتمر للأمم المتحدة حول قانون البحار هو المؤتمر الذي عقد في (جنيف) عام ١٩٥٨ ، وأسفر عن عقد عدة معاهدات ، تشكل عنصرا هاما في قانون البحار الحالي ، وتتعلق هذه المعاهدات بما يلي :

١ ـ المياه الاقليمية .
٢ ـ أعالي البحار .
٣ ـ الصيد .
٤ ـ حماية الثروات الحية لأعالي البحار .
٥ ـ الجرف القاري .

اضافة الى معاهدة سلمية حول التسوية الالزامية للمنازعات .

إلا أن هذه المعاهدات لم تجد الأرضية الصالحة للتطبيق ، بحكم الهيمنة الكولونيالية للبلدان الاستعمارية ، واشتداد حدة الصراع بين الشرق والغرب .

إلا أن مفهوم الطرف برز بوضوح في الستينيات من القرن الحالي ، حيث حصلت العديد من البلدان النامية المستعمرة على استقلالها ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ففي مطلع السبعينيات أصبحت مشكلة نقص منتجات الأغذية من أهم المشاكل التي تطرح في المؤتمرات واللقاءات الدولية ، نتيجة تحكم حفنة من البلدان في انتاج وتسويق المواد الغذائية ، ورفع الأسعار بشكل جنوني ، سعيا للضغط وإخضاع البلدان النامية ، في هذا الصدد قال وزير الزراعة

الأمريكي بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ بين البلدان العربية والكيان الصهيوني ، لم تجد هو السلاح الأكثر فعالية ضد الدبلوماسية الأمريكية ، ولا يستطيع العرب أن يفقدوه - ؟

وإزاء هذا الوضع الخطير ، وتزايد المشاحنات وتوتر بعض العلاقات الدولية ، بسبب الانتاج السمكي ، واندلاع الحروب التي نشبت بين بريطانيا وايسلندا ، التي سميت بـ (حرب السمك) ، في هذا الوقت بالذات ، اجتمع مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لقانون البحار في (كراكاس) عام ١٩٧٤ ، واستمرت المفاوضات للوصول الى معاهدة بشأن قانون البحار ، تضمن الوصول المتكافئ الى الثروات الواسعة في البحار والمحيطات ، التي تشكل الثروة السمكية احدى مكوناتها الأساسية .

وفي عام ١٩٨٢ تكللت الجهود بصدور قانون البحار ، الذي أصبح معترفا به من جميع بلدان العالم تقريبا .

ولقانون البحار أهمية كبيرة من خلال اتاحته الفرص للبلدان النامية ، لاستغلال ثرواتها المائية بنفسها .

وقد اعتبر الامين العام للأمم المتحدة في خطابه الافتتاحي ، للدورة السادسة لمؤتمر قانون البحار ، المنعقد بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٧٧ ، ان انه (ينبغي النظر الى المؤتمر ، باعتباره جزءا من المفاوضات الجارية في منظمة الأمم المتحدة ، لاقامة نظام اقتصادي عالمي جديد ، والبحث عن نظام اقتصادي أكثر انصافا من النظام الحالي) .

ومنذ صدور قانون البحار وقفت بعض من البلدان النامية في وضع يجعلها تبدو عاجزة عن استغلال الثروة السمكية في مياهها الاقليمية بنفسها ، فبعضها لا تمتلك في الوقت الحاضر لا القدرات الفنية ولا الخبرات اللازمة للاستفادة من الفرص المتاحة امامها بشكل كامل ، حيث تعاني من النقص الشديد في المعدات الحديثة لصيد الأسماك ، والنقص الشديد في التجهيزات وأساليب وطرق الصيد الحديثة ، وكذلك النقص الشديد في الكوادر المؤهلة والمدربة للصيد ، اضافة الى افتقار بعضها الى الموانئ اللازمة لصيد الأسماك الحديثة ، ومصانع التعليب والتجفيف السمكية



في الأزمنة الأخيرة بدأت صناعة تعليب الأسماك تلقى اهتماما في البلدان النامية

الأخرى ، في مجال التصدير على هذه القاعدة القديمة الضرورية للتطور اللاحق.

حذار من الشركات الأجنبية

وفي خضم هذه الأوضاع انتهجت البلدان التي تمتلك أساطيل الصيد في المياه البعيدة [illegible] في [illegible] ، أو [illegible] ، على ترخيص للاصطياد عبر سواحل البلدان النامية.

إلا أن [illegible] هذه الاتفاقيات لا [illegible] ، وتصبح المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية تعاني منها البلدان النامية.

فالشركات التي تنتهج طريق [illegible] الاحتكارية والاستغلالية لمصالح [illegible] ، [illegible] واستغلال مواردها بشكل [illegible] ، [illegible] مرتفعة في الأرباح [illegible] ، [illegible] على حساب تحقيق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية.

كما أن العديد من البلدان النامية وجدت نفسها عاجزة في الاستفادة من مواردها السمكية ، في مقدمة هذه الأسباب قد يكون عدم الاستفادة من جميع الموارد الحية الخاصة في سواحلها ، وحيث أن هذه الموارد تتجدد باستمرار فمن الممكن الاستفادة من منح تراخيص الاصطياد للبلدان الأخرى ، للعمل على سواحلها ، أو العمل المشترك في المرحلة الراهنة على الأقل ، وللأنواع السمكية غير المستغلة ، أو التي لا تستغل بشكل كامل ، ونشير دائما إلى الجهد البحري الكافية لتنمية صناعاتها الخاصة وقدراتها الفنية ، من أجل الاستفادة من تلك البلدان أو الشركات.

إلا أن بعض البلدان النامية التي لا تمتلك الرؤية السليمة لتنمية مواردها السياسي والاقتصادي ، فتحت سواحلها كاملة أمام الشركات ، ويجري استغلال ثروتها المائية الحية بشكل أشد ضررا من السابق مقابل عوائد بسيطة لا تكاد تذكر.

كما تحاول هذه الشركات استغلال الموارد السمكية على سواحل بعض البلدان النامية تحت واجهات ومسميات مختلفة ، منها ـ على سبيل المثال ـ أن هذه البلدان توسيع نطاق مياهها على مسافة الاقتصادية لمسافة (٢٠٠) ميل.

إن هذه الشركات [illegible] الاحتكارية [illegible] على [illegible] من البلدان النامية ، كما [illegible] والمنشآت [illegible].

[illegible] بأي حال من الأحوال [illegible] الأرباح على حساب [illegible] ، [illegible] البلدان النامية ، من [illegible] في [illegible] الشركات الاستغلالية [illegible] ، [illegible] في [illegible] على [illegible] ، [illegible] في [illegible] ، [illegible] على [illegible] ، [illegible] (٥٠٪) من [illegible] الأرباح [illegible].

الأسماك والتغذية

لا تشكل الأسماك في الوقت الحاضر سوى جزء بسيط في الحصول على مطلق البلدان ، ولكنها تسهم بدرجة كبيرة في متحركات الأغذية ذات القيمة الغذائية العالية ، وأيضا في حركة سكان المناطق الساحلية ، والمركبات الغذائية الأخرى.

وإذا كانت البحار والمحيطات المائية تشكل حوالي ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ، فإن الأغذية المستخرجة من هذه البحار لا تتجاوز سوى (١٠٠٠/١) من كمية الأغذية المستخرجة من اليابسة.

ويبلغ متوسط الزيادة السنوية لإنتاج الأغذية في العالم خلال الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٩ حوالي (٢,٤٪) أي أقل بكثير من معدل نمو السكان.

إن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال انعدام إمكانية إنتاج المزيد من الأغذية ، بل هناك إمكانيات كبيرة جدا تسخر الأغراض أخرى غير أغراض إنتاج الغذاء ولعلها سبق ذكرها.

وبالمقابل فقد أخذ النسيج الغذائي العالمي الرديء



النمو السكاني الضخم للأعداد ومواجهة تغذيتها ، فهي أن عدد السكان الذين يعانون من نقص التغذية في بلدان أفريقيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأقصى والأدنى قد وصل ارتفاعه من حوالي (٣٦٠) مليون نسمة في الأعوام ١٩٦٩ - ١٩٧١ إلى (٤١٠) ملايين في الفترة ما بين ١٩٧٤ - ١٩٧٦ وإلى (٤٢٠) مليونا في الفترة ما بين ١٩٧٩ - ١٩٨١ . ويلاحظ أن عدد السكان الذين يعانون من نقص التغذية (الجوع المطلق) يزداد بشكل مطرد سنويا ، وتقدر هذه النسبة بحوالي أن نسبة هؤلاء السكان تشكل (٢٣٪) من مجموع سكان تلك البلدان ، أما بالنسبة إلى السكان الذين يعانون من سوء التغذية فتشكل نسبتهم نسبة أكثر خطورة .

وتحمل هذه الأرقام في طياتها الخطورة المتزايدة ودعمت كل بعد في سنة ، حيث يوجد عدد كبير من السكان محرومين من الغذاء ، بسبب عدم تطابق توزيع المخصص الغذائية وتفاوت الدخل ، كي يزداد خطر الجوع الشامل وخطورة ... بالأسرة ، وتتناسب عكسيا مع دخل الفرد .

إن المواصفات الغذائية الفريدة التي تتمتع بها الأسماك تكسبها أهمية خاصة في مكافحة سوء التغذية ، وبالأخص نقص البروتين والطاقة ، ولا سيما في فترات الطفولة . وقد أثبتت بعض الدراسات أن جسم الإنسان يحتاج إلى حوالي (٤٨) كيلو غرامات سنويا من البروتين الحيواني ، لكي يحافظ على صحته البدنية والعقلية . ومن هنا نسبب ملاحظة تزايد الطلب من البلدان النامية ... اهتماما كبيرا بزيادة توفير الأسماك للمستهلكين .

وتعد الأسماك المصدر البروتيني المهم في تغذية الإنسان .

وتستخدم الأسماك في بعض البلدان بنسبة (٥٠٪) من إجمالي البروتين المستهلك في الغذاء ، وتقدم الأسماك حوالي (٦٪) من إمدادات البروتين في العالم ، وحوالي (١٤٪) من إمدادات البروتين الحيواني ، مقابل (٥٠٪) من البروتين الذي يتوفر في حسب أنواع اللحوم من المحتوى الغذائي .

وتختلف نسبة بروتينات الأسماك باختلاف البلدان ، حيث تبلغ (١٦٪) من البروتين الحيواني في البلدان الاشتراكية ، وحوالي (٣٦٪) في بلدان الشرق الأقصى ، وحوالي (٢٢٪) في بلدان المحيط الهادئ في آسيا .

وتحتوي الأسماك على نسبة عالية من البروتين تتراوح بين (١٥٪) و (٢٠٪) من وزنها الطازج ، وكذلك تحتل الأسماك مركز الصدارة في ارتفاع نسبة البروتين في محتواها ، عند مقارنتها بمصادر البروتين الأخرى ، فهي أكبر (١٠٠) غرام من لحوم الأسماك تحتوي على (١٨,٨) غرامات ، وفي لحوم الأبقار (١٦,٠) ، وفي البيض (١٢,٥) ، ... الجبن المطبوخ على (٣٠,٢٪) من البروتين .

وتتميز بروتينات الأسماك بأنها ذات قيمة غذائية عالية لاحتوائها على الأحماض الأمينية ، التي تحتوي على نسبة عالية من الليسين والأحماض الأمينية الكبريتية الأساسية ، وتحتوي الأسماك على نسبة قليلة من الدهون تتراوح بين (٠,٣) إلى (٢٥٪) ، وهي تختلف تبعا لنوعية الأسماك ، فمثلا تشكل نسبة الدهن في السردين حوالي (٧٪) ، وفي الهرينغ (٩٪) وفي الرنجة (١١٪) .

وفي دهن الأسماك نسبة عالية من الأحماض المشبعة غير المشبعة ، ومن ميزات هذه الدهون أنها لا ترفع نسبة (الكوليسترول) في دم الإنسان . وتحتوي دهون الأسماك وكبدها على كميات مهمة من الفيتامينات الضرورية لجسم الإنسان ، كفيتامين (أ ، د ، هـ ، ب) ، كما تحتوي لحوم الأسماك على العناصر الغنية بالمعادن المهمة ، وخاصة الكالسيوم والفوسفور والحديد وغيرها .

ومع هذه الأهمية الغذائية التي تكتسبها الأسماك ، فقد تزايدت الكمية المخصصة للغذاء البشري ، على حساب الاستخدامات الأخرى ، وهي بشكل أساسي صناعة مسحوق وزيت الأسماك .

فقد تزايدت الكمية المخصصة للاستهلاك البشري من الأسماك من (٣٣) مليون طن عام ١٩٦٠ م ، إلى (٤٠) مليون طن عام ١٩٧٠ ، وإلى (٤٩) مليون طن عام ١٩٧٩ ، وأخيرا (٥٠,٥) مليون طن كمعدل للسنوات الثلاث الأخيرة . □



[illegible] «[illegible]» من [illegible] في صقلية .

عام للفنون والحضارة الإسلامية في السويد

بقلم : الدكتور عفيف بهنسي

في أقصى الشمال .. في بلاد الحرية والصناعة والتقدم .. في السويد .. أقيم مهرجان كبير للاحتفال بعام الفنون والحضارة الإسلامية . فلماذا الاحتفال به ، وكيف كان الاحتفال ، وماذا قدم فيه ؟

كل ذلك يعرضه كاتب هذا المقال .

ما الذي نعرفه عن السويد وما الذي تعرفه السويد عن حضارتنا وفننا ؟



مدخل المعرض الرئيسي ، وترى أعلام الدول العربية والإسلامية تغطي سماء المدخل .

ما الذي نعرفه عن السويد .. ؟ سؤال لابد أن يطرح ، ولا يكون الجواب مرتبطا بما علق بذهننا من ذكريات الدراسة الثانوية أو الجغرافيا .

ما الذي نعرفه عن السويد التي تعد واحدة من أهم أقطار المجموعة الاسكندنافية ، المؤلفة من خمس دول ، والتي يبلغ عدد سكانها ثمانية ملايين ونصف ، وتبلغ مساحتها ٤٥٠ ألف كم مربع ، وعاصمتها استوكهولم المؤلفة من عدد من الجزر الكبيرة والصغيرة .

ما الذي نعرفه عن السويد منذ بداية تاريخها في القرنين التاسع والعاشر للميلاد .. ؟ عندما أقام فيها « الفايكنغ البرابرة » ، ثم عندما ظهرت فيها بعد قرن الكتابة المأخوذة عن الألمانية ، وظهر الدين المسيحي الذي انتشر عن طريق انجلترا .

حديث طويل لابد من متابعته عبر المصادر والكتب ، ولكن السويد الحالية ترى واضحة أمام من يزورها : شعب نشط يحترم الواجب والظروف ، يهتم بالثقافة والفنون والرياضة . وبلد يتمتع بطبيعة رائعة ، الماء فيها أكثر من اليابسة ، والأشجار فيها أكثر من البشر ، والثلج والصقيع يغطي الأرض والمياه أكثر أيام السنة ، والشمس عزيزة مكرمة لا ترى إلا في صيف قصير .

هكذا السويد بكلمات مقتضبة سريعة ، نستطيع أن نعيدها دون انقطاع ، ونستمر نسأل : ماذا عن السويد ؟ تماما كما يسأل السويديون : ماذا عن العرب وماذا عن الإسلام ؟ ماذا عن الحضارة التي يسمعون عنها بأنها مهمة ؟ ماذا عن الفن الإسلامي الذي عرف جيدا في الغرب الأوروبي ، ولم يعرف بما فيه الكفاية في الشمال الأوروبي . لكن هذا السؤال هو الدافع إلى إقامة مهرجان كبير في استوكهولم العاصمة يستمر من أيار مايو حتى حزيران ١٩٨٦ .

لم تكن فكرة الاحتفال بالثقافة الإسلامية والفنون ، مجرد تخطيط سياسي أو اقتصادي سويدي رسمي ، يهدف إلى تقوية العلاقات مع الدول العربية والإسلامية ، بل كانت وليدة الشعور بضرورة سد

ثغرة كبيرة في الثقافة الشعبية السويدية . وإفساح المجال للتعرف على الإسلام والحضارة الإسلامية من خلال الآثار الموجودة في المتاحف وفي المجموعات الخاصة السويدية . ولم يكن المتحف التاريخي في استوكهولم الذي ينضم إلى هذا الاحتفال لعدم تحديد الأبعاد التي يمكن أن يحقق فيها . ولكن وقد أقدم على فتح أبواب حضارة ضخمة ، كان لابد أن يجسم مشروعه ويصبح مظاهرة ثقافية متنوعة . هي واحدة من أضخم التظاهرات التي شهدتها استوكهولم عاصمة السويد .

ذروة الاحتفال هي معرض الحضارة والفنون الإسلامية الذي أقيم في المتحف التاريخي .

ويقول مدير المتحف السيد « ابزاكسون » إن هذا المعرض هو أكبر معرض للمتحف على الإطلاق ، وقد كلف واحداً من أصعب المهام . وخلال عشرين عاماً من عملي رئيساً لهذا المتحف التاريخي أعترف أن عملية إعداد هذا المعرض كانت أكثر إثارة وأهمية من أي مرة أخرى .

لقد قوبلت مبادرتنا في السويد بترحاب كبير فاق ما توقعناه . تم ذلك من السلطات والهيئات والأفراد على حد سواء . ولقد استطعنا أن نسهم في هذه التظاهرة لفيف كريم من الباحثين السويديين المتخصصين في فروع الحضارة العربية والإسلامية ، في توضيح معالم هذه الحضارة ضمن حدود اختصاصهم ، فقدموا أبحاثاً أغنت معارف الشعب ، وقد تداولها من خلال كتب ومجلات ومحاضرات .

« وثمة خمسون ألفاً من المواطنين السويديين يدينون بالإسلام ، كان من حقهم أن يسهم المتحف الوطني التاريخي في التعريف بتراث الإسلام . إن هذا التعريف يعزز وجودهم في تطوير علاقة السويد مع العالم الإسلامي ، كما يعزز وجودهم في المجتمع السويدي نفسه الذي اكتشف لأول مرة أن هذا التراث الإنساني له عمق تاريخي متصل بهم ، وأن الواقع العربي الإسلامي أضخم بكثير مما عرفته الذاكرة ، فثمة ما يقرب من مليار مسلم في أنحاء العالم ، في آسيا وإفريقيا ، بل في أوروبا وأمريكا وأستراليا . وثمة مئة وخمسون مليون عربي تشكل بلادهم أساسيات للسياسة والاقتصاد التي أصبحت تمس العالم أجمع . »

الآثار الإسلامية في السويد :

لقد عرف السويديون أن في خزائنهم وثائق تؤكد الصلات التاريخية الوثيقة مع العالم العربي والإسلامي . إن المكتشفات الأثرية قد أبانت أنه منذ عهد الفايكنغ (القرنين التاسع والعاشر) ، كان العرب قد وصلوا إلى السويد ، وكانت لهم علاقات تجارية ومعارف . إن ثمانين ألفاً من القطع النقدية المحفوظة في دار المسكوكات الملكية ومتحف الآثار ، والتي تم اكتشافها في موقعي بيركا وهيلغو مع غيرها من التحف الإسلامية تبقى دليلاً قاطعاً على حقيقة هذا الاتصال ، وعلى قوة التبادل . كذلك تشير الوثائق المكتوبة والتحف التي عثر عليها في السويد ، وقد انتقلت مع القادمين الأوائل منذ ألف عام ، هي شاهد بليغ على الأواصر التاريخية بين الشعوب الشمالية والشعوب الإسلامية .

ولقد استمرت العلاقات الثقافية قائمة بأشكال مختلفة ، وما هي آثار هذه العلاقات ممثلة في قطع أثرية مهمة انتقلت إلى السويد ، كالجرة الرائعة التي انتقلت من قصر الحمراء في غرناطة إلى المتحف الوطني للفنون الجميلة في استوكهولم ، أو السجادة الحريرية الشهيرة التي تعود إلى القرن السادس عشر ، والتي انتقلت من إيران إلى المجموعات الملكية ، ولقد تجمعت حصيلة طيبة من الآثار جمعت من المتحف الوطني التاريخي ، ومن المتحف الوطني للآثار ، ومن متحف آثار حوض البحر الأبيض المتوسط ، وآثار دار المسكوكات الملكية وغيرها ، لتصبح نواة لمعرض كبير .

لقد انتقلت المجموعات الأثرية إلى المتاحف السويدية خلال ألف عام عن طريق الدبلوماسيين ودارسي اللغات ، وبفضل مكتبة جامعة « أوبسالا » العريقة ، بمجموعات مهمة من المخطوطات والمنمنمات التي تحوي مصاحف مذهبة ومؤلفين شعر مزينة بالمنمنمات وكتب علوم مرفقة بصورة إيضاحية

ومن كبار جامعي الآثار الإسلامية والسويدية ، الملك « فريدريك مارتان » و « كارل جوهان لام » اللذان اهتما بجمع التحف الفاخرة بطرازاتها العربية والإسلامية .

والسيد مارتين (١٨٦٨ – ١٩٣٣) أسهم مع العالم (ساره) في تنظيم أضخم معرض إسلامي في ميونخ، وأصدر كتابه الشهير عن «تاريخ السجاد الشرقي» ١٩٠٦. ثم كتب عن «المنمنمات والمصورين الفرس والأتراك والهنود». والكتابان لا يزالان مرجعين للباحثين، ولقد تنقل مارتين عبر اسطنبول والقاهرة وآسيا الوسطى، واقتنى مجموعات من التحف المعدنية والخزفية والسجاد والنسيج التي نراها اليوم في متحف آثار حوض البحر الأبيض المتوسط، ومتحف الفن الحديث، ومتحف الثقافة الشعبية في استوكهولم.

أما (لام) (١٩٠٣ – ١٩٨٢) فلقد عرف عالميا من خلال كتابه بالألمانية عن «الزجاج الإسلامي» ١٩٢٩ ثم كتابه عن «الزجاج في إيران». وكتب دراسات كثيرة عن المجموعات الإسلامية في المتاحف السويدية، وقدم محاضرات خلال ثلاثة أعوام عن الفن الإسلامي في جامعة القاهرة، وخلالها استطاع الحصول على مجموعة من الأقمشة النادرة.

إن المتاحف السويدية حافلة بالآثار التي وردت إليها عن طرق مختلفة. إما عن طريق التنقيب كالمسكوكات التي اكتشفت في (بيركا). والمجموعة البرونزية التي اكتشفت في أحد المواقع الأثرية، والمحفوظة في المتحف الإقليمي في (غوتلاند) والتي تعود إلى القرن التاسع الميلادي وإما عن طريق الجمع من الكنائس والأديرة، ومنها أثواب تركية وفارسية وقطع من البروكار والمخمل والحرير الطبيعي، جاءت إلى السويد في بداية القرن السابع عشر.

ومن أبرز الآثار المحفوظة في متحف الآثار سجادة صلاة في القرن الخامس عشر صنع الأناضول. والبوق العاجي صنع صقلية في العهد الإسلامي، وهو من روائع الصناعات العاجية الإسلامية، ومن مجموعة القصر الملكي سجادة من الحرير صنع قاشان، القرن السادس عشر.

وفي مجموعة متحف السلاح الملكي أكثر من ألف قطعة أثرية إسلامية هي من أثمن المجموعات السويدية. وفي كنيسة سكوكلوستر مجموعة من السجاد الذي يعود إلى القرن السابع عشر، وثمة ثلاث خيمات تركية من غنائم الحرب، ومن أهم المقتنيات السويدية النادرة التي تسمى «جوهرة الحضرة»

والمصنوعة في مالطا في القرن الرابع عشر.

وفي المتحف الوطني للفنون الجميلة مجموعة من المنمنمات الفارسية، التي تتكامل مع غيرها من المنمنمات في المجموعات السويدية معرضا كاملا للمنمنمات الفارسية والهندية المغولية.

ومن أطرف القطع المحفوظة في المكتبة الوطنية، كتاب صغير فيه رسوم وصور بالألوان المائية لنماذج شعبية تركية، كان السفير السويدي لدى الباب العالي قد أحضرها من استانبول عام ١٦٥٨.

وفي دراسة مفصلة قامت بها بعثة المتحف الإسلامي في متحف الآثار في استوكهولم، عرض واسع للمجموعات الإسلامية الموجودة في المتاحف السويدية، والمكتبات ودور الوثائق، تقدم بعدا عميقا جدا لهذه الظاهرة الثقافية الناجحة.

آثار إسلامية من متاحف عالمية

إن ما بين أيدينا من أنباء هذه المتاحف الأوروبية قد لا يكون كافيا لتوضيح معالم حضارة ضخمة توزعت آثارها في جميع أنحاء العالم، لذلك اتجهت آراء القائمين على هذا المعرض نحو الكنوز الإسلامية في المتاحف الكبرى وفي المجموعات الخاصة الشهيرة.

ولأول مرة يوافق الاتحاد السوفيتي ممثلا بمتحف الأرميتاج في لينينغراد، بإخراج خمسين قطعة رائعة من كنوزه الإسلامية لتعرض خارجا، كذلك أسهم المتحف البريطاني بإعارة المعرض مجموعة مهمة من الآثار الإسلامية، ولم يتردد المتحف الوطني في مدريد بإعارة المعرض بعض الآثار الأندلسية الرائعة التي زينت معرضا للفنون والحضارة الإسلامية.

قدم متحف الكويت - دار الآثار الإسلامية - مجموعة من القطع الجميلة التي تعود إلى مجموعة الصباح، يبلغ عددها ست قطع، منها إبريق نحاسي من صنع إيران يعود إلى عام ١٠٠٠ ميلادي، ومنها الرجل البرونزي المزخرف، والمصحف المملوكي صنع مصر أو سورية ١٣٠٠ م، وقبعة الدراويش الإيرانية ١٦٠٠ م وبعض الصور ومجموعة جامع خصوصي في الكويت، ولقد زين المعرض بقطع جميلة تقرب من عشر قطع، من أبرزها الصندوق العاجي المزخرف

بكتابة وزخارف وهو من صقلية ١١٠٠ - ١٢٠٠ ، وثمة صندوق معدني مزخرف بكتابة نسخية وطيور وزخارف وهو من صنع مصر في العصر الفاطمي ، وشمعدان من صنع شمالي العراق ١٢٠٠م مصنوع من معدن مطعم بالفضة ، وعرضت من دول الخليج الأخرى صور ووثائق تاريخية وشواهد قيمة .

ولقد برزت في المعرض القطع الفنية الإسلامية التي أعارها متحف الأرميتاج في لينينغراد ، ومن هذه القطع إبريق نحاسي رائع يمثل بقرة ترضع عجلها الصغير ، وقد بدا من الكتابة المنقوشة أنها من صنع محمد بن أبي القاسم النقاش من إيران ، وهي مؤرخة في ٦٠٣ / ١٢٠٦ م ، والمزهرية المحززة المشغولة ١٣٠٠ م ، والمزهرية المصرية المملوكية ، والشمعدان المملوكي ، أيضا ، والمزهرية الخزفية الإيرانية الصفوية ١٦٠٠ م ، ومن أبرز المعروضات طاس عليه كتابة ونقوش من صنع المعلم سليمان (١٨٠هـ / ٧٩٦ م) ، وإبريق برونزي يعود إلى نهاية العصر الأموي من صنع العراق ، والإناء الزجاجي المصري (١٠٠٠م) الذي أضيفت له زخارف معدنية سويدية (١٦٠٠م) .

كذلك أغنى المتحف بقطع شهيرة من مقتنيات المتحف البريطاني ، كالمبخرة البرونزية الأناضولية ١١٠٠ - ١٢٠٠م ، والإناء النحاسي الفارسي (١٣٠٠م) ، والكرة البرونزية الشهيرة الشامية ١٢٦٨ م ، والصندوق الشامي ١٢٠٠م عدا مجموعة من المنمنمات .

ومن المتحف الوطني في مدريد عرض عشر قطع من أبرزها مخطوطات قرآنية مغربية ١٢٩٣ م .

وتعتبر مجموعة سامينيغ في كوبنهاجن من أغنى المجموعات الإسلامية الشرقية في كوبنهاجن ، ولقد استعير منها أربعون قطعة تعود إلى كبار رجال الفن ، والقطع الأخرى المعروضة هي من مقتنيات المتاحف السويدية ، في استوكهولم وفي جوتنبرغ ومالمو .

الثقافة الشعبية والحياة في البلاد العربية :

تحت هذا العنوان تستطيع أن ترى صورة من الحياة للمجتمع العربي ، فلقد استعيرت من متحف إطار طرقة كاملة تعبر عن (المجلس) ، ولقد أضيف إلى ذلك صور فوتوغرافية عن الحياة في صنعاء وصور عن البحرين وتاريخه .

وثمة قاعة أخرى تبين العلاقة التاريخية التي كانت قائمة بين أجداد السويديين وهم الفايكنغ وبين المسلمين في عهد الخلافة خلال القرنين التاسع والعاشر ، وفي هذا الجناح بعض القطع والنقود التي اكتشفت في مقابر سويدية .

وفي جناح مستقل عرضت بعض المخطوطات والمصاحف والمنمنمات ، وهي من الأعمال الفنية المهمة ، جلبت من أطراف العالم الإسلامي ، وفي هذه القاعة مصحف يعود إلى القرن العاشر ، وهو واحد من أقدم المصاحف التي كتبت بالخط الكوفي .

ومن بين المخطوطات توافر المنمنمات الفارسية التي تحكي قصة الشاهنامة (تاريخ الملوك) والتي كتبها الفردوسي خلال القرن العاشر .

ولقد خصص جناح مستقل لعرض النسيج الرائع المصنع ، الذي جلبه إلى السويد مع الفايكنغ والجنود المقاتلين من البلاد الإسلامية ، وثمة مجموعة من السجاد الشرقي الذي يعود إلى القرنين السابع عشر والتاسع عشر عرضت مع بعض القطع الرائعة من البروكار صنعت في تركيا خلال القرن السابع عشر .

لقد نجح مصمم المعرض في تخصيص بناء مستقل تابع لأبنية المتحف لكي يكون سوقا مستطيلة مؤلفة من واجهات مفتوحة على جانبي الزقاق ، مخصصة لعرض المصنوعات التقليدية والبضائع الشرقية والأطعمة ، والتوابل والعطور ، وينتهي السوق بقاعة فسيحة رتبت لكي تكون مسجدا إسلاميا ، وفيه محراب ومنبر ومزينة .

المنظمة العربية ومعرض الحضارة :

للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، كانت ذات حضور واضح في مظاهرة الفن والثقافة الإسلامية في السويد ، وتحت عنوان (الألكسو) وهو الاسم المختصر للمنظمة افتتح جناح خاص واسع لألواح كبيرة تحمل صورا ملونة تعكس انجازها ، وتوضح معالم الحضارة العربية بمختلف وجوهها .



ورافق هذا المعرض دليل بالقطع السويدية المعروضة المنظمة هذه المناسبة.

ويعتمد المعرض على إبراز محتوى الإسلام وتطوره ومظاهر الفن الإسلامي ، وقد قام مصمم فني بتنظيم المعرض ، فجاء معبراً عن المرحلة في المجتمع الإسلامي بشكل تصميمي جذاب . وفي زيارة المعرض لا بد أن يلتقي الزائر بهدوء الصوت الذي يعطي صورة عن مكة المكرمة ، وعبر القسم المخصص لأصول الفكرة عن الدين الإسلامي باعتبار التكريم والصلاة ، وثمة لوحات مصممة وصور فوتوغرافية مأخوذة من القمر الصناعي تحدد موقع الكعبة في مكة المكرمة وامتداد الإسلام ، وهي تبدو صورة من موقعه.

ويحتل جزء المعرض من أهم ما يسجل في فترة مخصصة لسجلات سيدنا إبراهيم (عليه السلام) ، ويلي ذلك لوحة مصممة مقسمة إلى مربعات كل مربع عليه اسم سورة من سور القرآن الكريم البالغ عددها مائة وأربع عشرة سورة ، والنسخة التي تم تصميمها للمعرض تركي عن مدى انتشار الإسلام في زمن الخلفاء الراشدين.

ثم ننتقل إلى المقاطع الأساسية المخصصة للفن الإسلامي ، وقد عرضت القطع الفنية مرتبة بحسب تواريخها ، وأول قطعة هي مصحف برونزي مستعار من متحف المتروبوليتان في نيويورك عام ٧٩٦ م . وقطعة أخرى تعود إلى العهد الأموي والعباسي عرضت بشكل فني في مواجهة مكتبة طويلة يقابلها معرض مفتوح لقطع أخرى ، وتنتهي المعروضات بقطع تعود إلى عهود متأخرة (القرن التاسع عشر) .

عام لم ينته بعد

وما زال عام الفنون والحضارة يشكل الساحة في استوكهولم عاصمة السويد منذ أن افتتحه ملك البلاد ، ورئيس وزراء السويد وشاركت فيه غالبية المؤسسات الثقافية والمتاحف والجامعات والمكتبات الجامعة ودور المكتبات ولم يكن لي أن أسلف معرض للحضارة الإسلامية غير ذلك فقط بل في جانب هذا المعرض ، أقيمت معارض أخرى هي:

- معرض المخطوطات المكتشفة في الفسطاط ، مصر ، وبعض القطع الفخارية التي جمعت من مصادر أخرى ، وأقيم هذا المعرض في متحف حوض البحر المتوسط.

- معرض المسكوكات الإسلامية في المتحف الملكي للمسكوكات ، وهو قد ضمت مجموعة المتحف إلى جانب المعروضات مستعارة من متاحف سويدية وفي لندن وبغداد والكويت.

- معرض الفنون الملكية وفيه عرضت الهدايا الشرقية التي قدمت إلى ملوك السويد ، كالمطرزات والخزف والأسلحة والسروج المرصعة.

- وفي المتحف الوطني للفنون أقيم معرض صغير للسجاد الشرقي من القرن العاشر والحادي عشر ، كذلك من مخطوطات القرن الثاني عشر .

- وفي أنحاء السويد ستقام معارض في المدارس الرسمية يضم مجموعات مختارة من المتاحف السويدية ، مع شرح عن الحياة الاجتماعية الإسلامية .

وفي نوفمبر ١٩٨٥ افتتح معرض عربي - إسلامي للعلوم الفلكية في القرون الوسطى ، مع بيان أثرها وأهميتها بالنسبة للعلوم الفلكية الحديثة .

- ويقيم المتحف الوطني تحت عنوان « الإسلام وثقافته » برنامجاً للحفلات الموسيقية تقدمها عدة فرق من مختلف الدول الإسلامية .

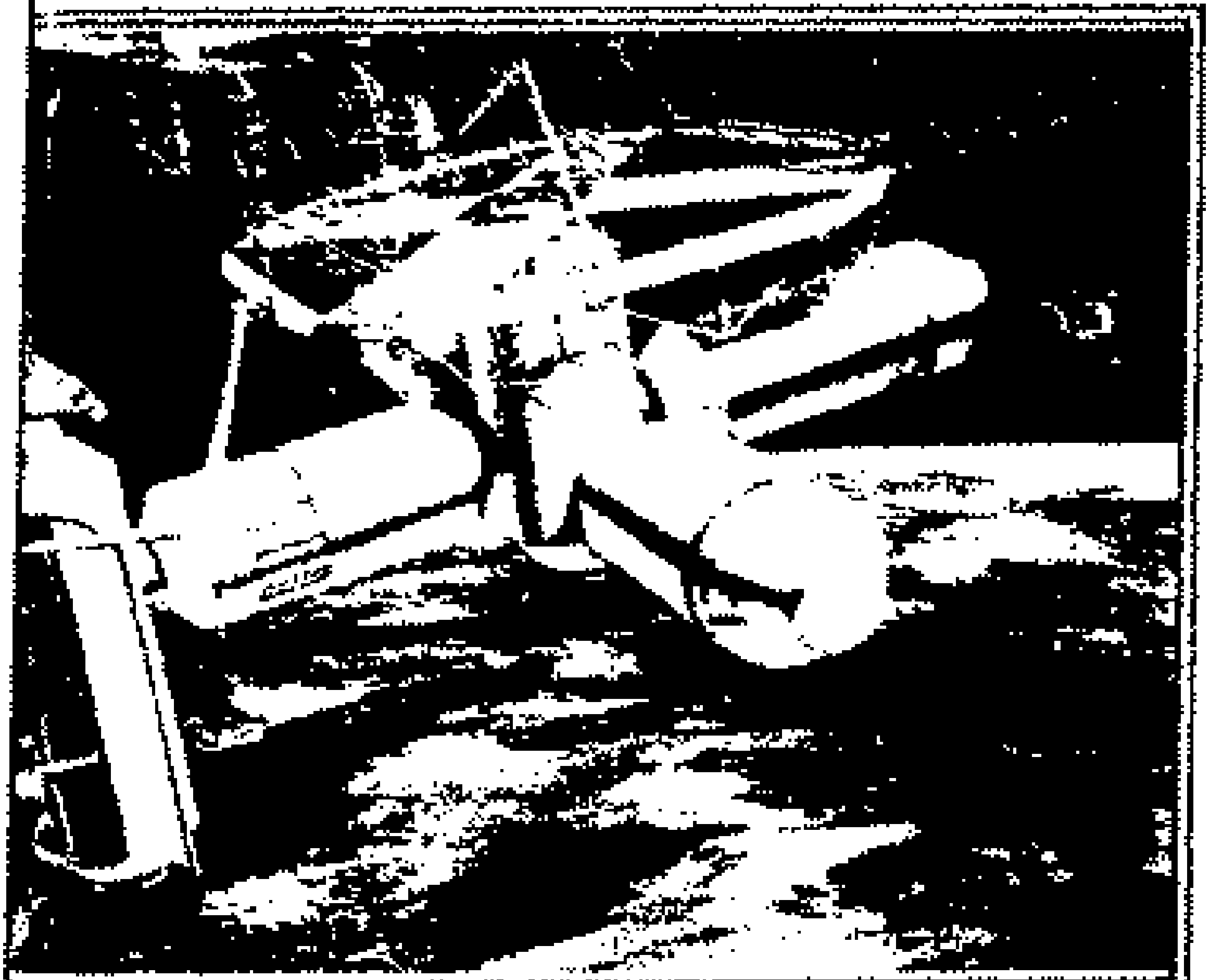
ويقيم المركز الثقافي في استوكهولم معرضاً عن الحياة التقليدية في قرية تركية ومعرضاً عن الخيام وأساليب تغيرها .

وهكذا كانت ، وما زالت ، نشاطات علمية حضارية أسهمت في تنوير العقول وتقديم أمثلة لمشاهدتها واستيعابها بالعقل والتحليل بعيداً عن فوضى العاطفة ومبارزة الوجدان ■

■ إننا نستهلك ثمرات الفكر ونحن أول ثماره . (عبد العزيز البشري)

استراحة العربي





أسلحة الفضاء

رعب القرن الحادي والعشرين

بقلم رؤوف وصفي











أطلق الخبراء العسكريون اصطلاح « حرب النجوم » على مبادرة نظام الدفاع الاستراتيجي الأمريكي الذي يهدف إلى استخدام أسلحة الفضاء ، لاعتراض الصواريخ العابرة للقارات ، والأقمار الصناعية المعادية وتدميرها ، قبل أن تصل إلى أهدافها . .

إن ما كان يعتبر خيالاً علمياً منذ سنوات أصبح اليوم حقيقة واقعة ، فقد أخذ العلماء في تصميم أسلحة فضاء ذات قوة تدميرية مروعة . .

أسلحة الليزر . . الأقمار الصناعية القاتلة . . أسلحة الجسيمات الذرية . أسلحة الطاقة الحركية . . محطات الفضاء الحربية . .

هذه بعض أسلحة الفضاء التي يتوقع الخبراء استخدامها في المستقبل القريب . عندما تنتقل العمليات الحربية إلى طبقات الجو العليا . . حيث يكون ثالث الفضاء وظهارته . .

ما هي أسلحة الفضاء ؟ وكيف تعمل في معارك الفضاء ؟

القمر الصناعي .. عبارة عن أجهزة متطورة ، تطلق إلى الفضاء بواسطة صواريخ ضخمة ، وما إن يصل إلى الفضاء عند ارتفاع معين حتى يتخذ له مداراً ، وليس له محرك خاص يسيره ، بل إنه يعمل وفق الجاذبية الأرضية . لقد بدأ عصر الفضاء في عام ١٩٥٧ ، عندما أطلق أول قمر صناعي « سبوتنيك » ، ومنذ هذا التاريخ أطلق إلى الفضاء ما يزيد عن ٢٠٠٠ قمر صناعي حربي ، وهذا يعني أنه من كل أربعة أقمار صناعية يوجد ثلاثة منها للأغراض العسكرية .

ويطلق كل عام حوالي ١٠٠ قمر صناعي حربي ، منها حوالي ٨٥ قمراً صناعياً سوفيتياً ، وحوالي ١٥ قمراً صناعياً أمريكياً ، والفرق الكبير بين العددين يرجع إلى أن الأقمار الصناعية الأمريكية تبقى في الفضاء مدة أطول من الأقمار الصناعية السوفيتية . فالقمر الصناعي الأمريكي (بيج بيرد) على سبيل المثال - يمكث في الفضاء حوالي ٢٠٠ يوم ، بينما يمكث نظيره السوفيتي (كوزموس) حوالي ٣٠ يوماً فقط .

وتقوم الأقمار الصناعية بالعديد من المهمات الحربية ، منها الاستطلاع والأرصاد الجوية والملاحة والاتصالات .

وتعتبر أقمار الاستطلاع بالتصوير بمثابة « عيون » لأسلحة الفضاء ، بينما تعتبر أقمار الاستطلاع الإلكتروني آذان هذه الأسلحة ، حيث إنها مزودة بأجهزة إلكترونية متطورة لتلتقط آثار إشارات رادار العدو ، واتصالاته اللاسلكية ، وحتى اتصالاته الهاتفية ، وتعتبر مهمات أقمار الاستطلاع الإلكتروني ، أكثر المهمات سرية في حروب الفضاء .

كما أن بعض الأقمار الصناعية قنابل تصوب نحو الأهداف الاستراتيجية للأعداء ، بحيث تنطلق فجأة لا تتمكن أجهزة الدفاع من صدها ، ويطلق على هذه الأقمار رمز FOBS وهي الحروف المختصرة لعبارة (Fractional Orbital Bombardment System) وتعني بالعربية نظام القنابل المدارية .

وتعتمد القوات المسلحة على الأقمار الصناعية الحربية في أي حرب فضاء في المستقبل ، ومن ثم تعتبر

كل منهم في الأقمار الصناعية للطرف الآخر كأهداف حربية ، ومن ثم يتمكنون من تصميم الأسلحة الكفيلة بتدميرها بدقة وفي أقصر وقت ممكن . وهذا النوع من الأسلحة يطلق عليه اسم « آسات » (Asat) وهذه الحروف اختصار لعبارة « Anti Satellite » أي بالعربية الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية .

وتتضمن هذه الأسلحة الأقمار الصيادة القاتلة Hunter Killer التي تعترض وتدمر الأقمار الصناعية المعادية ، وهي في الغالب أسلحة ليزر ذات طاقة عالية التي تنطلق من محطات فضائية حربية تدور في الفضاء .

جواسيس في الفضاء

تعتمد الدولتان العظميان على أقمار الاستطلاع بالتصوير للتجسس والتعرف على الأهداف الاستراتيجية ، وتدور هذه الأقمار في مدارات على بعد حوالي ٢٠٠ كيلو متر من سطح الأرض . وفي وقت قريب كانت تلك الأقمار مصممة بحيث تقوم بإلقاء الأفلام بعد تصويرها داخل كبسولات مغلقة ، ثم تلتقطها طائرات عسكرية فوق المحيط . وما أن تقترب الكبسولة من سطح الأرض حتى تفتح مظلة تخفيض سرعة الهبوط ، ثم ترسل طائرة حربية خاصة لالتقاط الأفلام قبل أن تهبط في المحيط . وكانت هذه العملية تستغرق وقتا طويلا .

وحديثا تطورت أجهزة أقمار الاستطلاع بالتصوير ، بحيث أمكن أن تحمض الأفلام داخل القمر الصناعي ، ثم يتم فحصها الكترونيا ، وترسل المعلومات بالإشارات اللاسلكية إلى محطات مراقبة فوق الأرض ، فتتحول هذه الإشارات إلى صور مرة أخرى . وتتميز هذه العملية بالسرعة الفائقة إلى حد أنه يتم فحص الصور بعد أن تلتقط مباشرة .

وتستخدم هذه الأقمار نوعين من آلات التصوير ، الأولى ذات مجال واسع ، وتلتقط صورا لمناطق شاسعة قد تتمركز فيها معدات أو حشود عسكرية ، أما أقمار النوع الثاني فتلتقط صورا دقيقة مفصلة مثل سلاح عسكري متطور .

وتسمى أقمار الاستطلاع بالتصوير هي الوسيلة التي تقوم بالتجسس ، فهناك للتفتيش والبحث عن الأهداف الحربية في المحيطات مثلا ، وهي التي تختص بمراقبة السفن الحربية وتحركاتها ، وتستخدم هذه الأقمار الرادار المزود بمفاعل نووي صغير يزوده بالطاقة .

التجسس على الأعداء

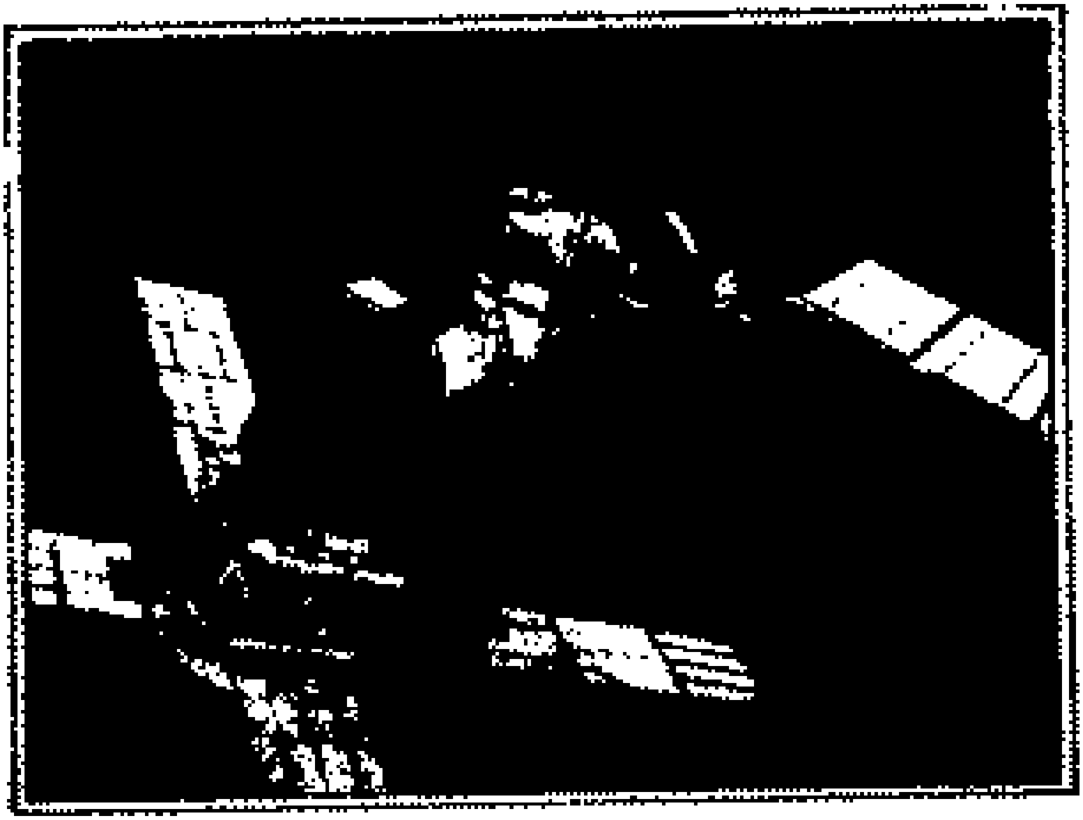
تعتبر أقمار الاستطلاع الإلكتروني من أكثر الأقمار الصناعية تعقيدا ، فهي تحوي معدات الكترونية متطورة ، وتختص بمسح وتمييز الموجات اللاسلكية المتعلقة بالقوات المسلحة ، ومن أهمها تلك التي يتم تبادلها بين الوحدات العسكرية ، وكذلك تلتقط هذه الأقمار كافة الإشارات الرادارية الخاصة بنظم الدفاع الجوي ، ومن السفن الحربية ، ومن نظم التحكم في الصواريخ وتوجيهها ، ومن مراكز الأبحاث النووية وغيرها .

ويمكن عن طريق إطلاق أقمار الاستطلاع الالكترونية ، الحصول على هذه الإشارات الالكترونية الصادرة عن القوات العسكرية المعادية ، وتحليل المعلومات التي تحتويها . ونتيجة لهذه المعلومات يتم تصميم أسلحة تتغلب على حقول دفاع العدو .

وتدور أقمار الاستطلاع الالكتروني على بعد حوالي ٥٠٠ كيلو متر ، ومنها أقمار « فيلا » Vela الأمريكية ، التي تقوم بمهمة اكتشاف الانفجارات النووية في الغلاف الجوي للأرض ، وهي تدور حاليا في أعماق الفضاء .

الأقمار الصناعية .. القاتلة

تطلق الألغام الفضائية في الفضاء أقمار صناعية قاتلة ، وقد أطلق عليها هذا الاسم لأنها تقترب من القمر الصناعي المعادي ثم تنفجر بالقرب منه لتدميره . ويقترب القمر الصناعي القاتل من هدفه بعد أن يكمل دورتين حول الأرض ، وينطلق هذا القمر من مركز إطلاقه فوق الأرض ، فيقترب من هدفه مستخدما أجهزة الاقتراب التي تم تجهيزه بها ، ثم تتم عملية التدمير ، ويتحطم القمران معا . وقد قام



مرايا
في الفضاء
لسلاح الليزر

سلاح
الجسيمات
الذرية



السوفييت بتجربة ناجحة للأقمار الصناعية القاتلة في يونيو ١٩٨٢ بالقمر الصناعي (كوزموس ١٣٧٩).

أما الخبراء العسكريون في الولايات المتحدة فقد صمموا أسلحة مضادة للأقمار الصناعية تختلف عن الأسلحة السوفيتية. ويتمثل السلاح الأمريكي بقذيفة صغيرة، تحملها طائرة مقاتلة نفاثة متطورة (ف - ١٥ النسر) وتطير على ارتفاع ٢٢ كيلومترا، ثم تطلق القذيفة التي تحمل رأسا نوويا نحو القمر الصناعي المعادي. وبعد فترة ينفصل الرأس النووي، ويتجه نحو الهدف، حيث يستخدم جهاز استشعار في مقدمته، يكون قادرا على التقاط أثر الأشعة تحت الحمراء، التي تصدر عن القمر الصناعي المعادي. وهو اما يتفجر فيدمره، أو يصيبه بشكل مباشر. وفي هذه الحالة الأخيرة قد لا يحتاج لمواد متفجرة ليحقق هدفه ذلك. ان الأقمار الصناعية يمكن أن تفقد فاعليتها اذا اصطدم بها أي جسم معدني بسرعة كبيرة. وقد طور الأمريكيون سلاحا بهذه المواصفات، أطلقوا عليه «الأسلحة الدقيقة المضادة للأقمار الصناعية».

عصر الصواريخ العابرة للقارات

بدأ عصر الصواريخ قبل نهاية الحرب العالمية الثانية، عندما أنتجت ألمانيا سلاحا مرعبا هو الصاروخ ف - ٢، الذي كان يطلق على أهداف محددة داخل انجلترا وفرنسا. وكان هذا الصاروخ يرتفع الى حوالي ١٠٠ كيلومتر في الفضاء.

وكان نجاح الصاروخ ف - ٢ حافزا للعلماء المختصين في تطوير صواريخ عابرة للقارات تحمل رؤوسا نووية، وهي قذائف ذاتية الدفع، ويطلق عليها IBM وهذه الحروف اختصار لعبارة تعني بالعربية الصواريخ العابرة للقارات. وبينما كان مدى الصاروخ ف - ٢ حوالي ٣٠٠ كيلومتر، فإن مدى الصواريخ العابرة للقارات حوالي ١٣٠٠٠ كيلومتر، وهي ترتفع في الفضاء الى مدى يبلغ ١٩٠٠ كيلومترا.

وهذه الصواريخ منتشرة في قواعد المعسكرين الشرقي والغربي. ويقدر الخبراء العسكريون عددها في العالم اليوم بأكثر من ٤٠٠٠ صاروخ.

الليزر أشعة الموت

الليزر هو شعاع من الضوء. ان المصباح الكهربائي مثلا يصدر شعاع أشعته في كل الاتجاهات، وينتشر كثيرا، أما الضوء الذي ينتج عن جهاز الليزر، فهو ينطلق في اتجاه واحد فقط، ومن ثم توجد طاقة هائلة في شعاع الليزر حتى أنه يكفي لثقب لوح من الصلب بسماكة عدة سنتيمترات.

ولذا يمكن لشعاع الليزر أن يصطدم بقذيفة عابرة للقارات أو برأسها النووي، فإنه يتمكن من أن يفجرها أو يجعلها غير ذات فاعلية. كما يمكن لشعاع الليزر أن يصيب قمرا صناعيا فيدمره وهو يدور في الفضاء. كما تجري حاليا عمليات تجريبية لأشعة الليزر لتكون سلاحا فعالا ضد أي هجوم بالصواريخ أو بالأقمار الصناعية.

وقد اقترح بعض العلماء الأمريكيين منظومة للدفاع ضد الصواريخ السوفيتية العابرة للقارات باستخدام أشعة الليزر.

وتتلخص هذه المنظومة في اقامة سلاح ليزر على قمة جبل، يرتفع عن سطح الأرض بحوالي خمسة كيلومترات أو أكثر. وتطلق الى الفضاء، على قمر صناعي، مرآة عاكسة تعكس أشعة الليزر الصادرة من قمة الجبل، لتوجه الى الصواريخ السوفيتية العابرة للقارات فتدمرها. وذلك عند حدوث أي معركة نووية.

ولكي يمكن لأشعة الليزر أن تؤثر في الهدف المعادي، يجب أن تكون شديدة التركيز، حتى تصبح طاقتها عالية ومدمرة، ومن ثم يحتاج الأمر الى معدات دقيقة لتوليد مثل هذه الأشعة المركزة. ولن يكون اطلاق هذه المعدات الى الفضاء أمرا سهلا وستكون التكاليف باهظة.

ووضع سلاح الليزر على قمة جبل فوق الأرض سيكون أكثر سهولة وأقل تكلفة، كما انه يستطيع صيانة واصلاح الأجهزة بشكل أفضل. ومن المشكلات التي تصاحب استخدام أشعة الليزر كسلاح في المعارك الحربية هو أن هذه الأشعة عندما تنطلق خلال الهواء الجوي تتشتت، ومن ثم تصبح أقل فاعلية في تدمير أهدافها، ولهذا يفضل العلماء

وضع أسلحة الليزر في محطات فضاء حربية ، ذلك أنه لا يوجد هواء في الفضاء ، فيبقى لأشعة الليزر قوة تركيزها وطاقتها المدمرة .

وربما كان وضع هذه الأسلحة فوق قمة جبل مرتفع يقلل من تشتتها بسبب تأثرها بالهواء الجوي .

أسلحة الجسيمات الذرية

تعتمد هذه الأسلحة على تعجيل تيار من الجسيمات الذرية المشحونة كهربيا [1] بسرعة هائلة من مدفع خاص ، فتخترق أهداف العدو وتدمرها ، ويطلق على هذا المدفع (المسرّع) (Accelerator) وفي المختبرات أمكن زيادة سرعة هذه الجسيمات الذرية الى أكثر من ٩٩٪ من سرعة الضوء ، [2] بواسطة أجهزة ضخمة قد يبلغ طولها حوالي ثلاثة كيلو مترات ، وعرضها حوالي ستة كيلومترات .

إن الأجهزة التي يمكن أن تسارع بالجسيمات الذرية الى نصف سرعة الضوء قد يبلغ وزنها حوالي حمولة طن ، ومن ثم يكون من الصعب وضع مثل هذه الأسلحة في الفضاء .

كما أن الجسيمات الذرية تتأثر بالمجالات المغناطيسية والكهربية ، ومن ثم تنحرف عن أهدافها ، وحيث انه تحيط بالكرة الأرضية مجالات مغناطيسية هائلة ، فقد وجد العلماء أنه من غير العملي وضع مثل هذه الأسلحة في مدارات حول الأرض ، ولكنهم ما يزالون يجرون التجارب للتغلب على هذه الصعوبات ، ومن أهم أسلحة الجسيمات الذرية المشحونة شعاع الالكترونات ، حيث يمكن أن يصل الى طبقات الجو العليا ، والى مناطق قصيرة المدى ، وتقوم فكرة العلماء حاليا على وضع مدفع هائل فوق سطح الأرض بالقرب من الأهداف الاستراتيجية المطلوب حمايتها ، وعند اقتراب الصواريخ المعادية للصواريخ تطلق الأشعة الالكترونية فتدمرها ، قبل أن تصل الى أهدافها .

ويخطط الخبراء العسكريون لاستخدام مدافع تطلق أشعة كهرومغناطيسية على الأهداف المعادية فتدمرها ، خصوصا تلك المدافع التي تستخدم الموجات الدقيقة المعروفة بالميكروويف .

أسلحة الطاقة الحركية [3]

تتكون تلك الأسلحة من قذائف سريعة جدا ، تطلق على الصواريخ النووية المعادية فتدمرها بمجرد الاصطدام بها ، وهي ذات فاعلية بعيدة عند انطلاق هذه الصواريخ من قواعدها العدو أو عند طريقها ، أي المرحلة التي تعبر الأرض بعد رحلة في الفضاء الخارجي ، ويتوقع الخبراء العسكريون أن يتم استخدام هذا النوع من الأسلحة في التسعينات من هذا القرن .

ولكن يعيب على هذه الأسلحة بأن مداها لا يتعدى الكيلومترات ، كما أن سرعتها لا تتجاوز أربعين كيلومترا في الثانية ، وبالمقارنة بسرعة أشعة الليزر أو أسلحة الجسيمات الذرية ، فإن أسلحة الطاقة الحركية بطيئة جدا .

ويمكن استخدام هذه الأسلحة بواسطة أقمار صناعية ذات مدارات منخفضة ، حيث تطلق صواريخها على القذائف النووية المعادية ، وتسارع تلك الصواريخ لتصل الى قرب الأهداف المعادية ، حيث تطلق قذائف يتم توجيهها بواسطة أجهزة استشعار (Sensors) لتصطدم بالقذائف النووية وتدمرها .

كما يمكن اطلاق صواريخ من قواعد فوق الأرض الى طبقات الجو العليا ، ويمكن لكل صاروخ اطلاق سيل من القذائف يطلق عليها اسم « الصخور الذكية

---

(١) الذرة أصغر جزء من المادة وهي تتكون عادة من نواة مركزية تحتوي بروتونات (ذات شحنة كهربية موجبة) ونيوترونات (متعادلة الشحنة) وحول النواة تدور الالكترونات (ذات شحنات كهربية سالبة) أما الجسيمات الذرية فيقصد بها مكونات الذرة ، أي الالكترونات والبروتونات والنيوترونات .

(٢) سرعة الضوء حوالي ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية ، وبالتحديد (٢٩٩٧٩٢ كيلومترا) .

(٣) الطاقة الحركية هي الطاقة التي يكتسبها الجسم بسبب سرعته .

Smartrocks ذلك أنها عبارة عن قذائف صغيرة مزودة بأجهزة دفع ذاتية، وتوجهها أجهزة استشعار دقيقة جداً لتدمر الصواريخ عابرة القارات المعادية، كما يمكن إطلاق الصخور الذكية من مدافع ضخمة مثبتة فوق محطات الفضاء الحربية.

محطات الفضاء الحربية

يقوم السوفييت منذ عدة سنوات بإنشاء عدة محطات فضائية، مستخدمين الأقمار الصناعية في نقل رواد الفضاء والمعدات بين الأرض والفضاء، وهذه المحطات الفضائية.. أطلق عليها اسم سويوز.

وتفكر الولايات المتحدة في بناء محطة فضاء ضخمة بواسطة معدات يتم نقلها في رحلات للمكوك الفضائي.

ويمكن أن تستخدم محطات الفضاء للأغراض الحربية، حيث يتم فيها تطوير أسلحة الفضاء وتخزينها، بالإضافة إلى اتخاذها مقراً للقوات المسلحة، ويتوقع الخبراء العسكريون أن تصبح محطات الفضاء الحربية منتشرة في طبقات الجو العليا.. في القرن الحادي والعشرين.

مكوك الفضاء.. العسكري

يتوقع الخبراء أن تستخدم رحلات مكوك الفضاء في أغراض عسكرية، حيث يمكن أن ينقل مكوك الفضاء أفراد القوات المسلحة إلى الفضاء لأداء مهمات حربية معينة في طبقات الجو العليا، كما قد يستخدم في نقل المعدات إلى مدارات مناسبة لبناء محطات الفضاء الحربية، ثم توصيل الأسلحة المتطورة إليها فيما بعد.

ويطير مكوك الفضاء الأمريكي في مدار يرتفع حوالي ٢٥٠ كيلو متراً في الفضاء، وهو مجهز بحيث يمكنه أن ينتزع الأقمار الصناعية المعادية من مداراتها، كما يتمكن من إصلاح وصيانة الأقمار الصناعية الأمريكية وهي في مداراتها.

وحيث أن مكوك الفضاء الأمريكي يمكنه أن يختطف قمراً صناعياً سوفيتياً، فإنه يمكن اعتباره أفضل سلاح لاقتناص الأقمار الصناعية، إلا أنه انتبه السوفييت إلى هذا الأمر فوضعوا قمراً صناعياً خاصاً أو كما يطلق عليه «قمر قاتل»، فبمجرد أن تمتد الذراع الآلية لمكوك الفضاء نحو القمر الصناعي لاختطافه، سينفجر القمران معاً وينتشر الحطام في الفضاء.

حرب الفضاء

تقوم حرب الفضاء على استخدام الأسلحة المختلفة في ثلاثة خطوط للدفاع، تمتد من سطح الكرة الأرضية حتى أعماق الفضاء.

وتبدأ المعركة على مسرح القتال برصد صاروخ سوفيتي عابر للقارات، يحمل رأساً نووياً، ويتجه إلى هدف في الفضاء، يصدر أوامره إلى خطوط الدفاع العليا في أعماق الفضاء (خط الدفاع الأول) لمواجهة هذا الصاروخ بمجرد انطلاقه من القاعدة السوفيتية، أي وهو مازال في الغلاف الجوي، قبل أن يصل إلى الفضاء الخارجي، وإذا استطاع هذا الصاروخ النجاة من أسلحة خط الدفاع الأول، فإنه تتصدى له خط الدفاع الثاني لمواجهته، وإذا لم تتمكن من تدميره، فإن خط الدفاع الثالث المتمركز على الأرض يواجهه ويدمره عندما يهبط الصاروخ من الفضاء الخارجي إلى الغلاف الجوي، محاولاً الوصول إلى هدفه.

وتتكون الأسلحة في خطي الدفاع الأول والثاني من محطات فضاء حربية تحمل أسلحة الليزر، أما خط الدفاع الثالث فيتكون من أسلحة متطورة مضادة للصواريخ عابرة القارات، ويجب أن تكون الأسلحة ذات سرعة فائقة حتى تتمكن من تدمير الصواريخ المعادية، قبل أن تصل إلى أهدافها في الولايات المتحدة.

وخلال هذه المعركة الفضائية، يتم رصد كل تحركات الصاروخ السوفيتي بواسطة أجهزة رادار متطورة تعمل بالكمبيوتر، كما أنها ستقوم بتوجيه إطلاق الأسلحة بدقة بالغة.

هذه ملامح بعض أسلحة ومعارك الفضاء... كلنا نتمنى ألا تحدث وقائعها.. وأن يسود السلام فوق الأرض.. وفي الفضاء... □



طقوس بيع وزير سابق

بقلم الدكتور محمد المنسي قنديل

كانت الأندلس إبان الحكم العربي - على أمجادها - مسرحا لتنافس الحاكمين والطامعين في ملكهم، ومن هؤلاء المتنافسين من كان على قدر كبير من الفصاحة والدهاء في مصانعة الملوك، والتسلل إلى تحقيق مآربه، وفي هذه السبيل قد تعثر خطواته، ويصابحه حظه من يد طالما التصقت بها، وتصرف في أمورها.

وبأسلوب شيق نتبين ذلك في هذا الموضوع.

لم تكن هناك بيع عجب في الأندلس إلا وتحمل خبر بيع ابن عمار.. عبر السهول المنبسطة كالحلم، والحصون التي ضاعت بلا ثمن، والممالك التي تفتتت ثم عوت كالشهب المحترقة، والقلاع التي تختفي مقابرها تحت زهور النرجس، والجبال الصامدة تحت رذاذ المطر. كانت الريح تحمل الخبر.. فمن الذي يرغب في شراء ثمين هكذا.. ومن الذي يملك ثمنه؟

مشتر حقيقي.. ولكن..!

وصل الخبر إلى ذي الثروة حاكم طليطلة وهو في مجلس حكمه.. حدق في الرسول مندهشا وهو يستمع إلى كلماته:

ابن عمار وقع أسيرا في يد أصحاب حصن شقورة وسوف يبيعونه لمن يدفع الثمن، تلك هي كلمات عن الفرو.. ما دام أسيرا فهو لا يساوي خردلة.. ثم

صمت قليلاً قبل أن يسأل . .

كم يطلبون ؟ . .

قال الرسول :

سوف يطلبون مبلغاً في الحصن . . ومن يدفع الأكثر فهو له . . فسحك ذو النون في سخرية . .

ـ مبلغ . . يا لها من نهاية لا تليق إلا بابن عمار . .

أما المعتمد بن عباد فقد كان نائماً ، وكان اليهودي الذي جاء إليه بالخبر مفوضاً بالدخول إليه في أي وقت مادام يحمل خبراً عن ابن عمار ، وكان المعتمد أسير كابوس مخيف . . وعندما استيقظ ورأى اليهودي على رأس فراشه حسب أنه امتداد لهذا الكابوس .

صرخ فيه :

ـ أنت تلاحقني . .

قال اليهودي بهدوء

ـ أحمل خبراً عن ابن عمار . .

وقبل أن يفيق ابن عباد كان اليهودي يواصل كلماته . . اضطجع ابن عباد وظل ينظر إلى وجه اليهودي وهو يتحدث بنوع غريب من التشفي . .

ـ سوف لن يخدع أحداً « شقورة » كما خدع أصحاب حصن « سرقسطة » ولكنهم عرضوه في المزاد . فالتف حولهم حياته . .

وغمغم ابن عباد بعضه وهو يفرك في أسى :

ـ هناك إذن من هو أذكى من ابن عمار !

رفع عينيه وقال لليهودي . .

ـ كنت أنت أيضاً الذي أحضرت القصيدة التي يهجوني فيها ابن عمار ويمتك عرض زوجتي . . أليس كذلك ، لماذا كنت تكرهه إلى هذا الحد . ؟

لم يتلعثم اليهودي . .

ـ إنني أكره كل أعدائك يا مولاي

قال ابن عباد كمن يحدث نفسه . .

ـ كلا . . أنت حقاً تكرهه . . أما أنا . . فقد أحببته ذات يوم . . أحببته كثيراً ، قال اليهودي . . هل أشتريه ؟ . .

قال المعتمد : اشتر الحصن كله إذا لزم الأمر . .

ووصل الخبر مختصراً إلى قرية « شقوب » ، ولم يخطر ببال أحد أن في تلك القرية النائية غرباً الأندلس من يهتم بمصير الوزير ابن عمار . . ولكن المرأة العجوز التي تسكن بها سمعوا إن أسمال الجمل لم تنسه لحظة واحدة ، كانت مهالة تعيش ذرية له . . وعندما سمعت الخبر المحزون من جيرانها صمتة وهي تتمتم : كنت أعرف . .

ذهبت إلى السوق . . . حملت كل الثياب التي نسجت السنين في حياكتها . وآخر ما بقي من حليها ، وسيف الأب الملكي وحلق ومرج حصانه . ومصباحاً عتيقاً وشالاً مزركشاً . وأحذية وجوارب وأقلاماً مخصوصة وصناديق موشاة وعباءة وسجادة للصلاة . . وأبيرا للغزل . . وظلت جالسة ثلاثة أيام متواصلة حتى باعت كل هذه الأشياء ، ولم يبق إلا ثوب واحد كانت واثقة من أنه سيرتديه ، وسارت إلى حصن « شقورة » .

الحصن لا تشتري شيئاً . .

بدأ المزاد ذات صباح بارد . وكان الحصن رابضاً فوق تل صخري لا تؤدي إليه إلا طريق وعرة يصعد فيها المسافر وحيداً . أما بوابة الحصن الرئيسية فلا يدخلها أحد إلا مصعداً بالحبال . .

وقد تقرر عقد المزاد أسفل الحصن ، فلم يكن أهل الحصن يرغبون في غرباء بأية صفة ، وكان الحضور كثيرين . . ثلاثة مبعوثين من ملوك الطوائف ، ومبعوث من ملك الفرنج ، وسمسار متجول ، يهودي صامت ، وطرطوس سحري ينفق في سخاء ، وقائد عسكري مرتزق ، وثلاثة من البربر ، ومخاص واحد ، وبعض التجار المتقين يربطون استعدادهم بضائعهم في مقابل أي سلعة ، وامرأة عجوز حضرت متأخرة لمتابعة المزاد بقليل ، وظلوا جميعاً واقفين في جو البارد والريح تهب بعنف اتقف تلحمن ظهورهم بصوت أشبه بالنحيب . .

في البداية هبط أصحاب الحصن في خصي خشبي ، ثم تجاوزوا النهر واحداً تلو الآخر . . ثم هبطوا إلى المجتمعين ، كانوا ثلاثة أخوة من أب واحد ، متشابهين تماماً ، رحبوا أولاً بالحاكم ثم بالقافلة ولم يعيروا الحفلة أية أهمية بعد ذلك ، ثم أشاروا للحراس أن يهبطوا « بالبضاعة » .

وتدلى ابن عمار من أعلى الحصن وهو مربوط من قدميه ، ورأسه إلى أسفل ، وشهقت المرأة شهقة عالية . . وقالت : « يا ولدي . . يا كبدي » . . ولم يلتفت إليها أحد ، كانوا مشغولين به وهو يهبط مثل

ظل طريق نصفه .. وسمعوا بوضوح صوت ارتطام رأسه بالحجر الصخري، ثم تلقفه الفرسان وفكوا قيوده وقادوه الى المعتقل .

رغم الدم الذي كان يغطي وجهه كانت عين ابن عمار دون شك، عزولا أثبتت الشهادة ترى الى الجثة . حين تركه الفرسان لم يستطع الوقوف وسقط جاثيا على الأرض وانكشفت سماته فبدت فيها آثار الجهد واضحة، وتقدم واحد من اخوة بني سهيل وصرخ بفرح :

- ها هو ابن عمار عند الجميع وقد اوقعه الله بين ايدينا .

وكانت المرأة العجوز هي اول من فتح المزاد .. لقد اسرعت وبركت تحت اقدام ابن سهيل وهي تهتف :

- دعه لي يا مولاي .. اليك كل ما تطلبه .. مائتا درهم هي كل ما املك .. سوف تحمله مني الى «شلب» ولن يسمع احد منكم عنه بعد الآن .

وفتح ابن عمار عينيه بصعوبة . وصوت المرأة يرن في اذنيه .. يقظ .. مازلت على قيد الحياة .. حاول ان ينهض .. ان يتحرك، ولكنه كان متعبا مقهورا، وسمع ابن سهيل وهو يضحك، ثم بقية المتضاحكين وهي تتصاعد .. قال ابن سهيل :

- لقد افتتحت هذه المرأة المزاد دون ان تدري .. ها قد بدأنا .. مائتا درهم .. وتقدم الثلاثون حاكم طليطلة فقال :

- عشرة الاف .. بل .. مائة الف .

ولم يكن يفكر احد فيما يزايد به على هذا المبلغ، تقدم حاكم سرقسطة وقال في صوت صارخ متوتر ..

- الف الف ..

وشاهدت عيناه بعض ابن عمار في نظرة عاطفة، وتذكر صاحب سرقسطة كأن ابن عمار يحاصره من جديد تماما كالمرة الاولى عندما جاء بجيوش ابن عباد وفرض عليه حصارا قاسيا حتى ارغمه على ان يشتريه بوله، من جديد وبدأ المساومة لا تفارق فمه ..

وتقدم الحاكم الثالث وضاعف الثمن، وبدا للمتفرجين ان الصفقة سوف تكون نتيجة المقامرة في المزاد .. وظل يتصاعد والمرأة العجوز حائرة، كانت قد تخلت منذ البداية الاولى آخر رقم لديها، كذلك تعثر الحضرمي ربما عليه الترتيب الشديد، وتبارك فقد الارتياح بصفقة ربما كلفه بها يدفع بلا ثمن .

وصرخ للمرة الاولى انه لن يدع الملك تابت مرة ثانية يطلقه تجارة رخيصا هزيلة، وقال لهم حارس العرش .. انه يحمل وصية رجل يحتضر انفته الاخيرة ان يقتل ابن عمار بيديه قبل ان يموت، وعندها اليهودي يزيد المبلغ، وانسحب المنافس بعد ان اخذ مطالبا متعبا، وكشف الوزير لاول مرة الظلم عن وجوههم واخذوا يطالبون بثأر المرابطين، وتدخل واحد من اخوة بني سهيل فجأة في المزاد واعلن انهم احق بقتله لانهم اكثر من عانوا من مؤامراته .. واخرج اليهودي صكا من الجلد عليه بمستطيل الدراهم الذهبية، وانتهز الثالث الفرصة وتسلل الى داخل الحصن .. كذلك انتهزت المرأة العجوز الفرصة وقبلت جبهته ولمسها وحاولت ان تعطيه بعضا من الماء ولكن حارسه منعها في خشونة . وثار ملوك الطوائف الثلاثة وقالوا انهم سيعلنون الحرب على بني سهيل .. وصرخ فيهم اليهودي ... :

من منكم احق بقتله من ابن عباد .

فصمتوا جميعا . ورفع ابن عمار رأسه ببطء، وتقدم اليهودي وألقى الصكاكين في حركة سريعة فسقطت على الارض وتناثرت الدراهم وصاح بصوت عال :

- هذا هو الثمن .. الجسر من قيمة حصن «شقورة» بكل ما فيه ..

زمن البراءة والخوف ..

كان ابن عباد واقفا يحدث بين جوانبيات قرطبة .. وحين جاءوا به لبست احشاء الركبة ذراعه وجلست في ركن ..

- انت ترتعد يا مولاي ..

- غضب لي ضيق ..

- لم اكن اتوقع ان اراه هكذا ابدا ..

كان ابن عمار مربوطا من قدميه ومن يديه .. وسلكا على صهوة بغل، والرحلة كلها خرجت الى الشوارع .. نفس الشوارع التي شهدت مجد انتصاراته، شهدت كل الذين تسابقوا للسير في ركبه او تمني تقبيل ثوبه او القاء التحية بين يديه، كانوا يصيحون في وجهه شاتمة ويقذفونه بالحصى والطين والقاذورات .. لا عدوه .. عندما تحل اللعنة عليه فلا يدوم ..

كم لطمة لطمها على وجهه .. كم بصقة .. كانوا أكثر غضباً من ابن عباد نفسه كأنه عاقبهم هم .. وهجاهم هم . القصيدة كلها في سطر غريب ، ثلاث سنوات مرت منذ أن جاءها طالعاً .. منذ أن دانت له أسوارها ووطئ عليه بأسه سيده ابن عباد حاكماً لقرطبة واشبيلية وما يلي من المدن الفتية .. وسمعه الرميكية وهو يقول من بين أسنانه :

- لماذا خنتني يابن عمار ؟ لماذا خنت طاعتي ؟ ..

حين تعرفا للمرة الأولى .. كان ابن عمار على رأس جيش ضخم .. أضخم جيش جهزه ابن عباد طوال غزواته .. كان في طريقه لفتح مرسية ، وحين وقفا وجهاً لوجه رأى في عينيه نظرة غريبة ووجد نفسه يقول له :

- أنت أهلتني كثير يابن عمار .. أكثر من مرسية وحصونها .. وإني لمتطوع . وقال ابن عمار وهو يبتسم في صراحة :

- أنت لست مطوعا .. أنت مضطر ..

لكن يجب أن يعرف أنهما وصلا معاً إلى نهاية الطريق ، كان يجب أن يعرف أنه حين حنث طاعته بعد فتح مرسية ، كانت هذه أمراً طبيعياً . لقد تباعدت الطرق كثيراً يابن عمار ..

أمير أحمق .. وأحمق يطمح للإمارة .. وكان توافق الأسماء غريباً ، والأندلس مرة .. ومغامرة .. كل مدينة مملكة .. وكل وال ملك .. وكل من على أرضها مغلوب ، ولا غالب إلا الله . وعندما توجه ابن عباد وهو ما زال ولياً للعهد ليفتح قرية ، شلب ، كان قدره أن يقابل ابن عمار ويرتبط مصيرهما معاً .. تركا أهليهما وضربا في الأرض معاً .. وقطعا الطريق حتى أوشكا على الموت جوعاً ، وعبرا النهر فقبض عليهما الحراس وظنهما أنهما شاعران صعلوكان ، أحبا جارية واحدة .. وناما على فراش واحد في حانة مترية .. وتبادلا طرفيهما على جواد أعرج ، وتقاسما حزنهما مريراً ولقمة عيشة واحدة . وحين وصلا إلى أسوار اشبيلية كانا قد أصبحا شيئاً واحداً ، وصرخ فيه أبوه :

- أنت ولي عهدي وسوف ترث عرشي فابتعد عن هذا الأحمق ....

علم بقصر .. وتحولا ليلة كاملة في الليلة يكتشفان



مواهبه للأيام المقبلة ، وفي الصباح أصبح ، عباد ، أميراً تخلى ابن عمار عن الميلة حتى لا يصيبه شيء .

وكانت أيام المنفى طويلة على الاثنين معاً ، وزهد ابن عباد في العرش حتى أوشك أن يتركه لولا أن الموت عاجل الأب الصبور ، وعاد ابن عمار إلى اشبيلية وزيراً .. ونامت اشبيلية وهي تتحدث عن عشق أبي زيدون لولادة ، واستيقظت وهي تتحدث عن عشق ابن عمار .. وغابت النجوم وتألقت النجوم واستيقظ ابن عباد وسقط من سريره وقال له :

- لم تجبرني على نفسي الموسيقة لتكون وأملك لحبيبي رأسي ..

كانت الرؤيا صافية .. وتحمل معها بالبراءة ، ولكن أين تلك الطيوف ، علم ابن عباد ولم يستطع ابن عمار النوم .. صاح فيه هاتف مجهول :

- لا تنفر أيها المسكين .. سيقتلك رأس بعد حين ..

يا لها من نبوءة مريرة أيها الشاعر الأندلسي ، وحاول ابن عمار أن يطرده ولكن بلا جدوى ، عادت النوم على الموسيقة الحريرية ، وكبر ابن عمار

الغريب .. لو أنه نجح لصار كل شيء ولما أصبحت قشتالة بهذه القوة ، تجرد من ملابسه والتف في حصير القش ، وهزم التسلل من بوابات القصر .. ولكن ابن عباد استيقظ ولم يجد وزيره فنادى الحرس وانتشروا في القصر يبحثون عنه .. وأمسك ابن عباد شمعة وقادته المصادفة أو الغريزة إلى الحجيرة التي كان يختبئ فيها ابن عمار ملفوفا بالحصير .. ووقف يتلفت حتى سمع أنفاس ابن عمار اللاهثة وقال :

ـ إني أعرف أنك مختبئ في هذا المكان .. نفسك دلتني إلى هنا .. ولم يجد ابن عمار بدا من الخروج عاريا وقال دون مواربة :

ـ علمت أنك سوف تقتلني بيديك ..

نظر ابن عباد إلى عريه وإلى ارتجافه فقال وهو يضحك ..

ـ يابن عمار .. هذه أضغاث أحلام .. ألم تحدق فيه طويلا وقال لي جنية ؟

ـ كيف أقتلك .. أرأيت أحدا يقتل نفسه ؟

وهنا هي النفس قد انقسمت على نفسها يابن عمار .. فمن الذي يدري؟ أي شيء في هذه النفس المسكينة يراقب .. وأي شيء يتلقى الضربات الموجعة ... ؟

دخل الوزير ابن زيدون وقال :

ـ جئنا بالخائن يا مولاي .. هل تريد أن تراه

قال ابن عباد دون أن يلتفت إليه حتى لا يلمح اختلاجات وجهه :

ـ ليس الآن .. اجعلوه يقطع هذه المسافة إلى إشبيلية .. صورة أخرى من صور العذاب .. عندما دخل نفس المدينة ليتسلم الوزارة ، فرش الطريق من بوابتها حتى القصر بالورود والرياحين ، وخرجت أجمل الفتيات يلوحن له .. وقالت له اعتماد الرميكية ضاحكة :

مرحبا أيها الوزير .. ظل زوجي يحدثني عنك حتى ظننت أنني تزوجتكما معا .. فانتظرت ثلاثا بإشبيلية . لتشتري عصاتي وحولي العسكر .. فمتى تنتهي دورة العذاب ؟

من الذي يقتل .. ؟

كان السجن مظلما ـ مثل كل السجون ـ ولكن كل واحد منهما كان يرى الآخر بوضوح . لم يكن معهما أحد .. وعندما نظر ابن عباد في عينيه .. أدرك أنه طوال هذه الأيام الماضية لم يكن يزيد في عقابه بقدر ما كان يقسو على قلبه ، لقد انتظر أن يهبط إليه في هذا المكان ، في هذه الساعة من الليل ، بعد ليال طويلة من الأرق .. حتى إن الرميكية قالت له :

ـ اقتله ونم ..

ولكنه لم يقتله ولم ينم ، كلما أراد أن يراه في السجن ، في أشد حالات الإهانة ، أحس أنه يصرخ في وجهه بالسؤال الذي قاله طويلا :

ـ لماذا خنتني .. لماذا عرضت علي .. لقد أعطيتك كل شيء .. ؟

وبقي ابن عمار يحاول أن يكسب وقته بعضا من الاعتدال وأن ينظر من خلف انكسارات الأيام الماضية ، أدرك أن ابن عباد لن يقتله .. اللحظة على الأقل .. قال :

ـ كنا نقتسم أصدقاءك الكثير .. المملكة التي تحكمها .. والمرأة التي تحبها .

أهوى ابن عباد على رأسه بالعصا التي يتوكأ عليها لتشج رأسه .. جرح جديد آخر لم يكن يتوقعه ولكنه سقط على الأرض .. ونهض ابن عباد قليلا ثم جلس بجانبه ومد يده يتحسس الجرح ..

ـ هل كانت مؤلمة ..

ـ جرح فوق جرح .. لا أدري أيهما أشد إيلاما ..

قال ابن عباد وقد انكسرت نفسه :

ـ أكانت مرسية تغريك إلى هذا الغدر ؟

قال ابن عمار :

ـ لم تغرني مرسية يا مولاي .. ولكننا اقترفنا أول ذلك .. تحت أسوار قرطبة .

ما أبعدك يا قرطبة . كان الاستيلاء على قرطبة هو حلم المعتضد ، وحلم أبيه .. ولكنها مثل غيرها من ملوك الطوائف وكانا عاجزين أمام أسوارها ، كانت المدينة قد انفصلت عن أمثال هؤلاء الملوك والمتنازعين من حولهم أفضل الفقهاء والعلماء ليحكموها . وعندما جاءها ابن عمار أدرك أن هذه المدينة يجب أن تخترق من الداخل أولا ، وبدأت رحلة المؤامرة بين الذين يحكمون .. والذين يملكون .. وعندما استولى على المدينة رجل واحد أدرك أن خطته قد نجحت .. ذهب

إلى ذي النون حاكم طليطلة وأغراه بغزو قرطبة ، وذهب إلى حاكم قرطبة وأغراه بطلب المساعدة من ابن عباد . وفي وقت واحد جاء الجيش الذي يريد الغزو .. والجيش الذي ينوي الإنقاذ . وتلاقيا أمام أسوار المدينة المنكوبة .. وابتلع ذو النون الطعم أولا حين جمع جيوشه وقرر الانسحاب والتراجع .. فإذا بالجيش يعود ويقتحم المدينة الآمنة على غرة .. واحتلت قرطبة .

لم يكن ابن عباد يتصور أنه ينال قرطبة بهذا الثمن الرخيص . وعندما قال لابن عمار .. لقد انتصر جيشي .. رد عليه مصححا :

- بل انتصرت حيلتي وانتصر عقلي .

وصمتا . كانا سعيدين لدرجة لا تسمح لهما بالتلاقي .. وكانت المدن تتهاوى بين أيديهما كأوراق الخريف .. والمملكة تتسع .. وكانت هناك نقمة تترقب ابن عمار مع كل غزوة ناجحة .. وأصبح ابن عباد الرجل الأول في الأندلس .. وظل ابن عمار الرجل الثاني .. دائما الثاني ..

هتف ابن عباد في مرارة :

- كنت تريد أن تصبح ملكا ..

قال ابن عمار :

- ولم لا .. لقد جربت عقلي .. أهو من عقول الرعاع ؟؟

عاشا معا عصرا غريبا يحتاج إلى مهارة خاصة .. مهارة تجعلها يحتاط بعملات ثقيلة من ذهب مزيف ليتلقاه ابن المعتضد من أمير الفرنجة ، وشروط جعلته يلعب الشطرنج حول مملكة ، ومهارة تجعلهما يوقعان المعاهدات بصدق ويخالفانها بنفس العزيمة ، وكان ابن عمار يفكر دائما .. ما دامت هذه الرقعة المحشورة من الأرض ممتلئة بالملوك فإلى متى أظل عاجزا لا أكون ملكا أنا الآخر .. مثلهم

قال ابن عباد :

- لكنك أحببتني .. قاتلت بجواري . كتبت القصائد تجري فيها أنا وزوجتي .. !

قال ابن عمار :

- كانت حربا بيننا يا مولاي .. وطوال عمرنا معا لم تنطفئ حربنا لدقيقة واحدة .

ورفع ابن عباد العصا مرة أخرى وأهوى بها على رأسه :

- بل أنت الذي جررتني إلى ذلك .. حروبي كلها كانت شريفة قبل أن أراك .

تلوى ابن عمار وتسال خيط رفيع من الدم . وهذه المرة لم يسأل ابن عباد بل وقف غاضبا وهو يقول :

- كف عن التسول .. إن الملوك الذليلة جميعا صعلوكات .. عليك أن تستغفر وأن تبدي قليلا من الندم ..

قال ابن عمار :

- وهل كنت ستتراجع عن قتلي ..

قال : لا أعرف .. لا أعرف .

وأسرع يغادر الزنزانة .. وبينما يصعد الدرج فكر في أنه قد خدع بالفعل في قتله

طقوس مقتل وزير سابق ..

في صباح اليوم التالي أصدر ابن عباد أوامره فأخذ السياف سيفه وأخرجوا ابن عمار بقميصه الدامي وصرخت الثياب حول رقبته . ثم عبر ابن عباد وحده في الحجرة الأخيرة ، لا يدري كيف تذكر عجلة تلك الليلة التي نام فيها وإياه على وسادة واحدة ، صعد إلى غرفة الرميكية ونام في حجرها وكان يرتعد .. تتذكر رحلات الصيد .. وكل القصائد التي كتباها معا .. وكل المؤامرات والمعارك الصغيرة . قالت الرميكية في صوت مشحون بالأسى :

ماذا تقول .. ؟ إني عاجز عن فهمه .. وعن العفو عنه ..

ردت الرميكية عجلى :

- من الصعب أن تجد صديقا يا مولاي ..

نظر إليها في دهشة وتساءل :

أنت تنصحينني بالعفو عنه . لقد كنت تنفرين منه .. تتهمينه بأنه يأخذني منك دائما .

قالت الرميكية : ربما لأنني لم أرك ترتجف من قبل يا مولاي ..

كان ابن عباد عاجزا عن التفكير ؟ وقت طويلة اعتقد أنه ملك كل شيء .. المرة الأولى حين نبذه ابن عمار .. والمرة الثانية حين قتل عجز الشعر عن الحياة حتى جاءت اعتماد الرميكية واحتضنت الهيئ وصبت لبه . وعندما أحس أنه ملك

الحب والصداقة والصبر .. ضيع احساسه الى «المعتمد» من أجلها .. وضيع كل طموحاته الشخصية من أجل ابن عمار ..

والآن ماذا يحدث ؟ .. أعيان اشبيلية وعلى رأسهم الوزير الشاعر ابن زيدون يتحدثون في قتله ، حتى الفونس أرسل له رسالة ساخرة يقول له فيها اذا كنت عاجزا عن قتله أبعث لك شاعرا يقتله ، حتى الأطفال يهتفون .. وعندما يخرج الى الأسواق يسمع همسات الناس كلها تحرضه .. اقتله .. اقتله .. ولكنه لم يعد يستطيع ..

بدأ ابن عمار يرسل له قصيدة كل يوم .. كل صباح يستيقظ على قصيدة جديدة .. لا يدري كيف يحصل على الورق والأقلام داخل السجن ولا هذه الكلمات المؤثرة داخل ظلمة السجن .. لا يخاطب الملك .. ولا الصديق .. انما يخاطب ذلك الشاعر الكبير الموجود في داخل ابن عباد .. القصائد تحاصره .. والآخرون يلحون عليه .. والسيف يسمع اسم القتل ويلمسه في ظلمة والحاح .. قصيدة في الصباح .. وكوابيس في الليل ..

من الصعب ان يكون لك صديق صدوق في هذا الزمان الغادر .. كانت الرميكية تلح عليه أن يراه مرة أخرى .. ولم يستطع مقاومتها فأخرجه من السجن . وجاء به الى مجلسه مقيدا . نفس المجلس الذي تعود أن يدخله وزيرا ومستشارا .. كل شيء [?] لم يكن يبكي .. تساقطت الكلمات المعينة من كبريائه .. لم يكن لديه رد حاضر ولا إجابة ذكية .. ونظر الى وجه الرميكية فوجدها أيضا ترقب في [?] بالخروج . ولم يستطع ان يقول له سوى كلمات .. كلمات قصيرة ولكنها موجعة .. لعلها كلمات الوداع الوحيدة التي سمعها ابن عمار منذ بداية محنته . وأمر بردّه الى حبسه في الصباح . وعندما التفت الى الرميكية للمرة الثانية أدرك كالعادة ان ابن عمار قد أفلت بحياته .

في اليوم التالي كان ابن زيدون في المجلس الى العصر .. لم يكن الا بعد ان أرسل اليه المعتمد رسالة عن سبب تأخره المتعمد هذا :

- حسبتك قد استغنيت عن خدماتي يا مولاي ..

قال ابن عباد في دهشة ..

- ماذا تعني .. ؟

قال ابن زيدون :

- المدينة كلها تتحدث عن أنك سوف تفرج عن ابن عمار وتعيد اليه كل مناصبه .

- من الذي قال هذا .. من الذي أشاع الأمر .. ؟

- كتب بذلك ابن عمار لأحد أصدقائه ..

وأخرج ابن زيدون رسالة من جيبه . نفس الخط . ونفس ورق القصائد . كانت الرسالة تروي تفاصيل ما حدث في المجلس ليلة أمس .. ويأمر تابعه بأن يجهز قصره وجواده وملابس الوزارة . كان يروي له كيف بكت الرميكية في رجوعه لأنها تدين بذلك [?] .. حين وضعها في طريق ابن عباد .. وحين زوجها ببيت الشعر الذي تكمل به بيته .

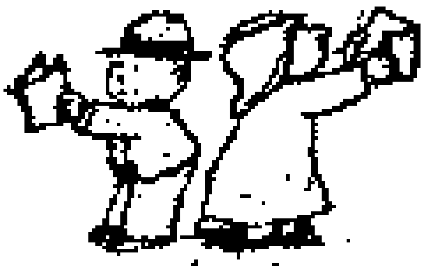
يا لله .. خديعة أخيرة .. ألا تنتهي تلك الخدع أبدا يا ابن عمار .. ؟ حتى متى .. الوحش الذي عاش .. تزوّدها الصغيرة التي أسرت قلبه ، كانت عاطفة متبرمة . عندما اشتاقت للمشي حافية في الطين كالفلاحات .. عجن لها الملك ماء الزعفران وتركها تسير فيه .. وكان هذا اقتراحا من ابن عمار .. حين اشتاقت لتساقط الثلوج .. زرع لها أشجار اللوز على الجبال المواجهة للمدينة ويملأ الأزهار البيضاء وهي تتساقط أمامه بنصف الثلج .

اقترب أكثر من ابن عمار .. يا الله .. أي شيء آخر لم يكن خدعة .

كان يلهث وهو يهبط درج السجن الحجري وفي يده مطرقة ذهبية ، وقف أمامه للمرة الأخيرة .. ما أكثر الأكاذيب يا ابن عمار .. حتى الشعر .. لم يقل شيئا .. أهوى على رأسه .. وحاول ابن عمار ان يتحرك .. ان يحمي نفسه .. أهوى على رأسه . تفجر الدم . أهوى .. ضربة للخداع .. وضربة للخيانة . وضربة لفقدان الثقة في كل شيء . وصرخ ابن عباد :

- اقتلوه جميعا ..

كان الجسم ساكنا . والأصابع مشرعة مكسورة بالدم . وكانت المرأة العجوز في انتظاره . تحمل الثوب الذي غزلته بيديها . غسلت جسده . ومسحت الدم الغزير . ولفته في الثوب .. وحملت حتى حملته على جذعها الهزيل وسارت بعيدة ... عن اشبيلية .



حكايات شرق وغرب

صحوة الضمير

● عندما اقتحم اللص بيت السيدة العجوز التي اقتربت من عامها التسعين ، شعر لأول مرة بأن القدر قد أراد أن يعوضه عن الحرمان الذي عاش فيه طفولته التعيسة ، فقد كانت الثروة التي خرج بها من مغامرته تزيد على مليون دراخمة يونانية .. أي حوالي عشرة آلاف دولار أمريكي تقريبا

وكانت المشكلة الوحيدة التي واجهت اللص أوديسيوس موسخوس (١٩ سنة) هي أين يخفي هذه الثروة حتى يبدأ المغامرة ، ولم يجد أمامه إلا أن يضعها في لفافة يريح عليها رأسه ، في ظلال شجرة بإحدى الحدائق العامة في أثينا

ونام أوديسيوس فوق الكنز الذي جمعه دون أن يشعر بأي عطف على السيدة العجوز ، التي جردها من كل ما تملك ، فقد كانت أيام معاناته من الفقر والوحدة تعيش معه ، وهو يرى مظاهر الثراء التي لم تنته في موكب شيء مع صباح كل يوم

ولكن ما كادت شمس النهار تشرق في اليوم التالي حتى كان أوديسيوس يجلس تحت شجرته يبكي .. فلم أحس بمرارة ؟ [illegible] السبب الذي كانت تمثل له السرقة ، بأنه ارتكب أبشع جريمة يمكن أن يقدم عليها بشر .

كان قد قرر أن ينعم بوجبة شهية في أحد مطاعم المدينة ، وأن يشتري لنفسه بدلة جديدة ، ثم يخرج في نزهة بحرية يزور فيها جزر اليونان التي كان يحلم أن يراها وهو صبي صغير .. ولكنه لم يفعل شيئا من هذا .. فقد ظل في مكانه حتى غابت الشمس ، ثم حمل اللفافة التي تحوي النقود ، وذهب إلى بيت العجوز التي سرق منها أموالها ، ووضعها هناك فوق الدرج ، ثم راح ينتظر في الظلام بعيدا عن البيت ، حتى رأى الباب يفتح ، ويد العجوز تمتد إلى اللفافة وتسحبها إلى الداخل ، [illegible] دون أن يشعر به أحد .

ماذا حدث ؟ ماذا غير اللص في لحظة ؟ كيف استيقظ ضميره فجأة ؟

قال أوديسيوس لرجال الشرطة الذين تمكنوا من إلقاء القبض عليه بعد أن تخلص من المال الذي [illegible] إلى صاحبته مليون دراخمة : أحسست برأسي يكاد ينفجر عندما قرأت في الصحيفة أن [illegible] كان من القدر أن تلك السيدة العجوز هي [illegible] ملجأ الأيتام في المدينة .. وقرأت اسم [illegible] أنه نفس الملجأ الذي [illegible] طفلا صغيرا منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، عندما قتل والدي في حادث سيارة ، ولم يقبل أحد من أسرتي أن يتولى رعايتي .. لقد كان هذا الملجأ هو الذي وجدت فيه الدفء والحنان وسط مئات الأطفال من أمثالي .. ولم أستطع مجرد التفكير في حرمانه من مال كان من الممكن أن أسهم به معهم .

وقدم أوديسيوس للمحاكمة وحكم القاضي عن

لمعترفاته الكاملة ، ثم انتقل بحصره إلى حيث كان القاضي الشاب يقف في قفص الاتهام . وقد عانق وجهه بابتسامة تحمل كل معاني الرضا والارتياح ، وقال القضاء كلمته : « إن صحوة ضميرك هي التي شفعت لك . ولذلك سوف نعاقبك فقط ستة أشهر ، ولكن مع وقف التنفيذ » .

وفي الخارج ، كانت مديرة المصنع تنتظر أوليمبوس ، لتعرض عليه وظيفة محترمة لتمنح الذي دخله طفلاً جاهلاً يتيماً .

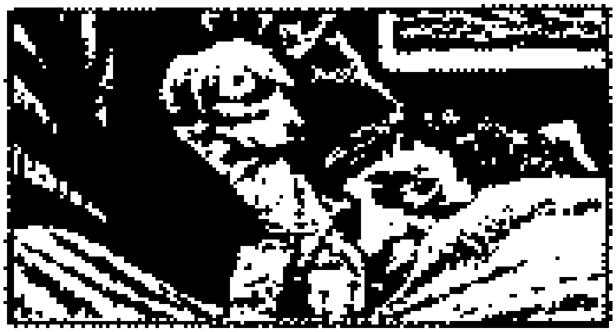
عندما رق قلب القاضي

● الأطفال ثم الكلاب . « أمر منه قلبت المرأة السويسرية ، اقرأوا هذه القضية : وقفت الزوجة تبكي أمام قاضي محكمة الطلاق بمدينة زيوريخ عاصمة الاتحاد السويسري ، وقالت والدموع تسبق كلماتي : « لقد احتملت الحياة مع هذا الرجل . إنه يعاملني بقسوة . إنه رجل مريض بأنانية القاضي .. إنه لا يريد أن تنجب له طفلاً يملأ حياتنا ، لأنه يخاف المستقبل » .

ويحكم القاضي لوتز ستام للزوجة بالطلاق .. ولكنه ما كاد يترك قاعة المحكمة في طريقه إلى مكتبه حتى فوجيء بالزوج ، وقد وقف منهاراً ، يجلس على مقعد صغير في الردهة ، واقترب منه فإذا به يجده يبكي ، كما يبكي الأطفال . وتوقف القاضي ليقول للزوج الحزين : « لماذا كنت تحبها بهذا القدر فعلماً تسيء معاملتها ؟ » .

وكانت مفاجأة عندما قال الزوج : « لا أبكي ، إنني لا أبكي من أجلها .. وإنما أبكي حزناً على « ريكي » الصغير الذي حكمت بحضانتها له .. إنني لا أحتمل فراقه ، لقد كنت أجد فيه دائماً الصديق الوفي » .

ولم يكن ريكي هذا سوى الكلب الصغير الذي



عاش مع الزوج وزوجته وحطاً زواجهما القصيرة التي لم تدم لأكثر من أربع سنوات .

وراح القاضي يربت على كتف الزوج الحزين ، ويحاول أن يخفف عنه ، ثم مضى في طريقه إلى مكتبه .

وفي اليوم التالي تلقى الزوج مكالمة تليفونية من مجهول يعرض فيها عليه قبول هدية صغيرة لم يجد فيها ما يعوضه عن طفله . وقبل أن يرفض صاحب الهدية .. وانطلقت بعد ساعات قليلة أن يسمع طرقاً على باب بيته ، وعندما ذهب ليفتحه فوجيء برسول يحمل سلة صغيرة ، بداخلها كلب من نفس النوع الذي حكم للزوجة بحضانته .

ولم يكن صاحب الهدية سوى القاضي نفسه الذي رق قلبه للزوج الذي حرم من صديقه وجلس يبكيه !

حدث ذات يوم منذ ٤٢ عاماً

● لم تعرف جلاديس بين يوم لقد وضعوها في هذا المكان الذي كان مخصصاً لها ، عندما كانت فضولاً .. كانت وقتها شابة في الخامسة والعشرين من عمرها ، وكانت تعيش مع أسرتها في إحدى مدن ولاية كونكتيكت بأمريكا ، عندما قرر الأطباء أنها مصابة باضطراب عقلي ، وأنها متخلفة ذهنياً ..

وحملوها إلى إحدى دور رعاية المرضى التي تشرف عليها الدولة ، وهي تضم بين المرضى عادة

للمستطيقين عقليا .. وفي هذه الدار عاشت جلاديس ٤٣ عاما .

وخلال هذه الأعوام الطويلة كتبت الفتاة عدة رسائل ، تستعطف فيها الممرضين ، متوسلة إطلاق سراحها .. وكانت كلها تحمل صرخة إنسانة تشعر بالظلم الواقع عليها ، وتقول عذابها . وقد كانت بعض رسائلها قطعا أدبية رائعة ، تعبر عن كتابتها لأديب موهوب ، ومع ذلك لم تستطع المسكينة أن تحرك ضمير أحد من الممرضين أو من هذا المصحى الذي وضعوها فيه ، حتى عندما كتبت مرة بخطوطها تشكو الضرب والتعذيب الذي تتعرض له بلا سبب واضح " .

وجعلت الأعوام والقضايا تأتي تطلب محاميتها لا يكف عن مطالباته لإطلاق سراح موكلته من مصحة العقلية ، إلى أن جاء عام ١٩٧٨ ، عندما اكتشف المسؤولون في الولاية بعد ٤٣ عاما أن جلاديس المسكينة لم تكن في يوم من الأيام مختلة عقليا ولا متخلفة ذهنيا ، وقرروا أن يعيدوا إليها حريتها ، ويعيدوها إلى الحياة الطبيعية التي حرمت منها .. ومع هذه الحرية حكم لها القضاء بتعويض قدره ٢٢٥ ألف دولار عن السنوات التي حرمت فيها من حقها في الحياة .

ولكن المحامي لم يعجبه هذا الحكم الجائر ، فقد رفع دعوى ضد حكومة الولاية يطالب فيها بتعويض لموكلته قدره ١٢٥ مليون دولار ، لحرمانها من حقوقها المدنية ، وتعريضها لأشد أنواع القسوة والإذلال . وقال في دعواه : « لا يجب أن ننسى أنها المرأة التي حرمتها هذه الخطة من أن تعيش أحلى سني عمرها .. ترى من الذي يستطيع أن يعيد لها اليوم سنين عمرها التي أمضتها مرتكلة في هذا المصحى الكئيب .. من كانت فتاة جميلة ، وكان من حقها الآن أن تكون أما وجدة لعدد كبير من الأطفال والأحفاد .. لقد ظلمنا جلاديس .. ظلمنا روحها وشبابها وحريتها » .

وتنتظر جلاديس الآن أن تصبح من مواطني الولاية والقصيدة إلى حصوله على التعويض الذي طلبته من أمريكا .

روميو وجولييت

● أحبها وأحبته ... وكان حبا بريئا ، فقد كان الشابان من الأقليات ... حضراتهم في الخيال .. بدأت قصة حبهما مع بداية الربيع ، قبل أن يبلغ أحدهما الخامس عشر .. وكانت بعدها الأيام التي تمنيا لو ... عقد الزوجية .. فلا بد أن ينتهي من دراسته أولا .. ولا بد أن يجد الشاب عملا حتى يستطيع أن يستقل بأسرته الصغيرة .. إلى آخر الطريق الذي يسير فيه كل الشباب قبل الزواج .

ثم حدثت المفاجأة عندما علمت أسرة كل منهما بقصة حب بين ابنيهما .. وكانت الأسرتان متخاصمتين وتكررت قصة روميو وجولييت ، ولكن النهاية جاءت مختلفة تماما .

لقد افترق الشابان الصغيران .. وذهب كل في طريقه ، ولكنه لم يكن وحده ، كان يحمل معه ذكرى تجيد صورة حبيبه ، وقصة الأحلام التي عاشها الحبيبان والتي لم تتحقق .

ومضى الربيع وعرف الشابان ... تزوجت الفتاة في مرحلة العمر بعد خمسة وثلاثين عاما .. وعاشت مع زوجها سعيدة ، فقد كانت هي المرأة المخلصة الذي يؤكد لها أنها هي الملكة المنتصرة التي ما زالت تحتل صورتها في قلبه .. وعرف أيضا من أسمه أنه ... رجل ... ولكن ... كان ..

وفي صيف هذا العام وقف الحبيبان يتقبلان تهنئة أحفادهما الذين أتوا ليحتفلوا بزواجهما .. احتفالا بهما مع الكعكة الكبيرة التي كانت تحمل ثمانين شمعة ، هي عدد سني عمر كل منهما الآن ، فهما سوف يستقران ليقضيا شهر العسل ، ويبحثان في مستقبل حياتهما المستقبلي ، بعيدا عن ازدحام المدينة وضوضائها ...

الجديد في العلم والطب

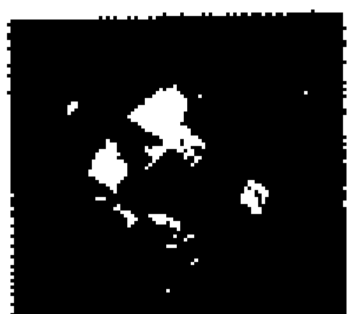
إعداد : يوسف زعبلاوي

لقاء بين قمر صناعي أمريكي والمذنب جاكوبيني - زنر

المذنبات في الفضاء كثيرة ولا سبيل إلى حصرها .. منها مذنب هالي الذي يزداد اقترابا من الأرض يوما بعد يوم، والذي سيلتقي في شهر مارس القادم بخمس سفن فضاء .. اثنتين باسم فيجا Vega التابعتين للاتحاد السوفييتي .. واثنتين يابانيتين .. وخامسة أوروبية باسم جيوتو (Giotto) التابعة لوكالة الفضاء الأوروبية، أيسا ESA، ومعنى هذا أن الولايات المتحدة تغيب عن الحفول المتطلعة لمذنب هالي ... فالسبب أن السلطات المعنية في واشنطن حرمت وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) المخصصات المالية التي تتطلبها الأعداد لاستقبال هالي .. وهي كبيرة أصلا .. وقد يبدو الأمر بكثير مما هي نظرا لأن طلبها جاء في أعقاب (العشرة الآلاف مليون دولار) التي أنفقتها ناسا على صنع مكوك الفضاء؟

وصعب على (ناسا) أن تكون متخلفة في نفس المجال الذي طالما تزعمت غزوه وريادته .. مجال الفضاء .. ويذكر أحد مهندسيها أن ثمة مذنبا آخر غير هالي آخذا بالاقتراب من الأرض، هو مذنب جاكوبيني - زنر Giacobini- Zinner فهذا المذنب السابق يقترب من الأرض مرة كل ٦.٥ سنوات ويكون قد بلغ اقترابه منها شهر سبتمبر ١٩٨٥ الماضي أي قبل اقتراب هالي من الأرض بستة شهور .. أضف إلى ذلك أن مذنب (جاكوبيني زنر) هذا أصغر بكثير من مذنب هالي، وأنه يقترب كثيرا من الأرض حتى لا تزيد المسافة التي تفصله عنها على (٤٤) مليون ميل .. أي نحو نصف المسافة التي ستفصل بين هالي والأرض في شهر مارس القادم ..

ويذكر مهندس وكالة الفضاء الأمريكية واسمه روبرت فركوهار (Farquhar) أحد الأقمار الصناعية الأمريكية العاملة في الفضاء واسمه الجديد: ICE .. فهذا قمر صناعي جرى إطلاقه في ١٢ أغسطس سنة ١٩٧٨ مع قمرين آخرين وذلك للقيام بمراقبة الرياح الشمسية وتأثيرها على مجالات الأرض المغناطيسية .. ويذكر أيضا أن هذا القمر الذي أطلقوا عليه اسم (ISEE-3) في السابق قد قطع مسارا من ٣٠ بليون ميل .. وأنه صغير الحجم ولا يزيد على ٥ أقدام طولا و ٥.٥ أقدام قطرا .. ويذكر المهندس أن محاولة إعادة توجيه القمر الصناعي بحيث ينطلق في مسار جديد ليلتقي بالمذنب جاكوبيني في شهر سبتمبر محاولة مثيرة للغاية، وقد لا يكتب لها النجاح نظرا لقدم العهد حتى في أجهزة القمر الصناعي، وقد مضى على إطلاقه نحو ثماني سنوات .. ولكنه قرر في النهاية



القمر الصناعي ICE



لوب التحدي والقيام بتلك المطاردة . .

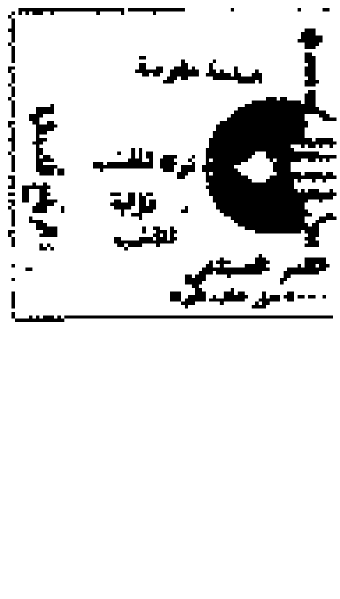
وكانت الخطوة الأولى في حزيران سنة ١٩٨٣ . فقد عمد فركوهار وزملاؤه إلى اطلاق بعض الصواريخ الصغيرة التي يحملها القمر الصناعي ICE وذلك بأوامر أصدروها إليها بالكمبيوتر . . وأحدثت تلك الصواريخ تحركات في مسار القمر الصناعي قربته من القمر الطبيعي ٥ مرات (انظر الرسم) . . ولم تزد المسافة التي فصلته عن القمر الصناعي في شهر ديسمبر ١٩٨٣ على ٧٥ ميلا فقط . . وهكذا نجح مهندسو الفضاء الأمريكي في استغلال جاذبية القمر الطبيعي لمضاعفة سرعة القمر الصناعي ICE حتى بلغت ٤٠٠٠٠ ميل في الساعة فأصبح في مقدوره التوجه إلى مذنب جاكوبيني والالتقاء به . . . .

وتم الالتقاء في حوالي منتصف شهر سبتمبر الماضي . . . . ولكن كيف جرى وما هي حصيلته . . . ؟

تسلل القمر الصناعي عبر موجة قوسية (bow wave) وهي احدى موجات الصدمات التي يطلقها المذنب لدى تغلغله في الرياح الشمسية وكان القمر على بعد ١٢٠٠٠ ميل من نواة المذنب حين اقتحم

وراح القمر الصناعي بعد ذلك يخترق ملتفة الذنب حتى أصبح على بعد ٥٠٠٠ ميل فقط من النواة . . وحينئذ اكتشف القمر فيما اكتشف أن عرض ذنب المذنب يبلغ ٣٠٠٠ ميل لا ستمائة كما ساد الاعتقاد سابقا . وتبين له وجود غيوم من الماء وغاز أول أكسيد الكربون وأن تلك الغيوم مشحونة بالكهرباء . . وأخيرا وليس آخرا ثبت للقمر الصناعي ICE أن المذنب لا يعدو كونه كرة ثلجية قوامها الغازات والغبار . .

والطريف أن مهمة هذا القمر لم تنته بعد . . وأنه سيواصل رحلته حتى يقترب من مذنب هالي في شهر مارس القادم ثم ينطلق في فلك حول الأرض ليقترب منها ثانية بعد ٣٠ عاما . . وحينئذ يجري استرداده إلى سطح الأرض في ٢ أغسطس من سنة ٢٠١٢ على وجه التحديد . وبذلك يحصل بعض العلماء على الغبار الذي لابد وأن يكون على سطح القمر الصناعي الذي اخترق المذنب . فهذا الغبار هو بمثابة عينة من أقدم المواد بالمذنبات عامة . ومذنب جاكوبيني وهالي خاصة . فهم يعتقدون أنه من الغبار الذي ساد الفضاء حتى قبل أن يتم خلق المجموعة الشمسية .



مكتشفون ومخترعون

الأخوان رايت Wright واختراع الطائرة

ولد ولبور رايت سنة ١٨٦٧ في مدينة ملفيل في ولاية أنديانا . وولد أخوه أورفيل بعد ذلك بأربع سنوات سنة ١٨٧١ . وذلك في مدينة دايتون بولاية أوهايو .. وكان أبوهما قسيسا ، ورغم التحاقهما بإحدى المدارس ، ولكنهما لم ينالا شهادة منها .. ولم يلتحقا بأية مدرسة أخرى بعدها .. إلا أنهما واصلا المطالعة والدراسة بالاعتماد على جهودهما الذاتية ، وبدون مساعدة من عالم أو معلم . ولعل ما نجحا في غرسه في أنفسهما من شغف بالمعرفة والإقبال على طلب العلم ليضاهي كل ما يمكن غرسه في النفوس شتى المدارس والجامعات ..

أضف إلى ذلك ما فطر عليه الأخوان من دأب وجلد .. فقد كانا على استعداد لإعادة تجربة ما عشرات المرات ، حتى يصححا ما وقعا فيه من خطأ .. وتيسر لهما استكمال ما بدأ صنعه أو اختراعه على أكمل وجه .

ولقد فطر الأخوان أيضا على الميل إلى صنع الآلات والأدوات .. وفكها وتركيبها .. وإصلاحها في حالة تلفها ، لا عجب إذن إن كانت صناعة الآلات الطابعة هي العمل الأول الذي مارساه . وصناعة الدراجات - فضلا عن الاتجار بها - هو العمل الثاني الذي احترفاه سبيلا إلى طلب الرزق .

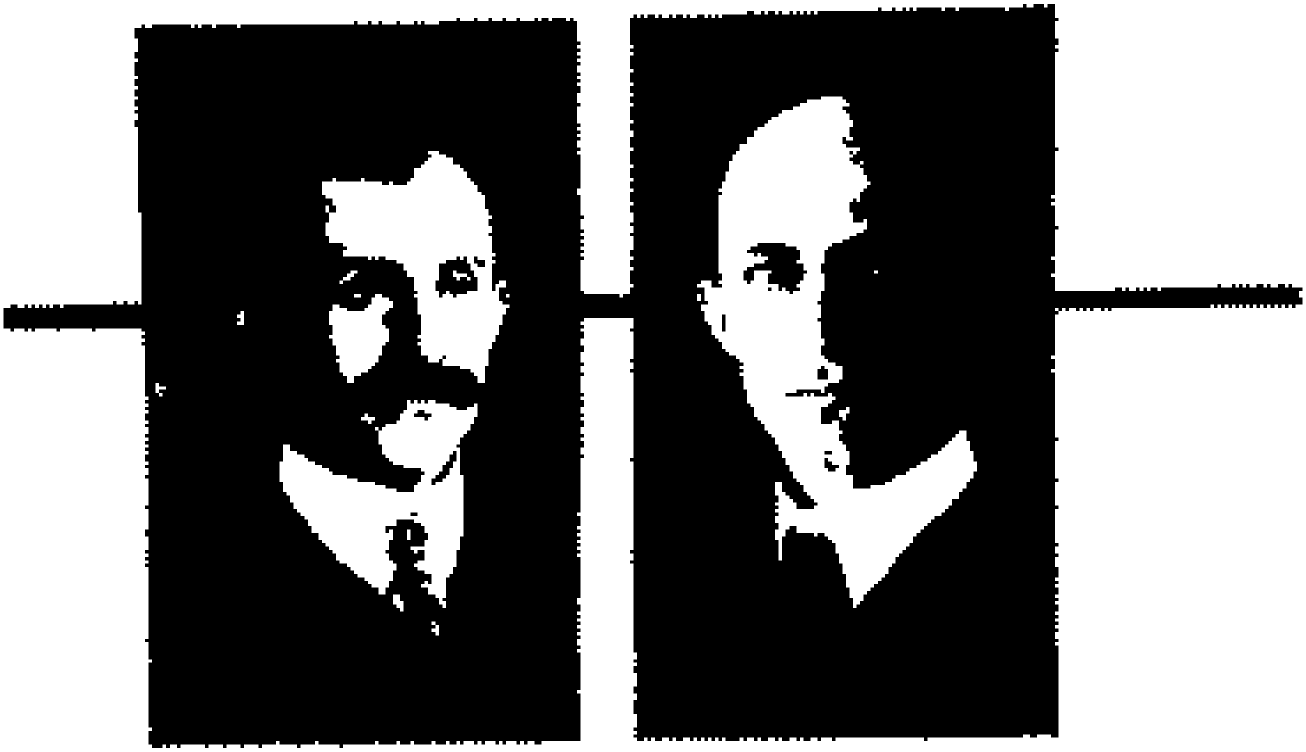
ثم كان التحول الجذري من الدراجة إلى الطائرة .. ومن صنع الدراجة إلى اختراع الطائرة .. فقد حقق العلماء الفرنسيون نجاحا في اختراع البالون ، وهو يقوم على مبدأ الطيران في الهواء بما هو أخف من الهواء .. ونجح الألمان في اختراع الطائرة الشراعية التي تطير بدون محرك معتمدة على الهواء وضغطه .. وأولى الأخوان رايت هذه الطائرة الشراعية جل اهتمامهما . فانصرفا إلى الإحاطة بأعمال أوتو ليلينتال وتجاربه .. لقد كان هذا العالم الألماني المعاصر هو رائد الطيران الشراعي ، وقد صنع ما يزيد على ألفي طائرة شراعية . سقطت إحداها به ، فلقي حتفه سنة ١٨٩٦ .

واتفق أن ظهر في أمريكا في تلك الأثناء كتاب بعنوان التقدم في صنع الآلات الطائرة Progress in Flying Machine .. وكان مؤلفه العالم الأمريكي المعاصر أيضا أوكتاف شانوت .. وقد بلغ من اهتمام هذا العالم بأعمال أوتو ليلينتال وبمنجزاته أن ضمن كتابه تفاصيل ما نجح في تحقيقه العالم الألماني ، وتفاصيل ما أخفق في تحقيقه أي الطائرة ذات المحرك ..

وأقبل الأخوان رايت على التهام ذلك الكتاب وهضم محتوياته ، وراسلا مؤلفه ، وطلبا منه المزيد من المعلومات .. حتى إذا فرغا من ذلك الكتاب اتخذا قرارهما الخطير .. قرار اختراع الطائرة ذات المحرك .. تلك التي عجز عن صنعها الكثيرون ، والتي ظلت حلم البشرية المنشود .

وفطن الأخوان إلى ضرورة الأخذ عن معلم آخر غير ليلينتال وشانوت .. ولم يكن ذلك المعلم سوى الطيور .. والصقور منها على وجه التعيين . وهكذا انطلق كل من الأخوين (الخبيرين) يراقب الصقور في طيرانها يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر .. وذلك سنة ١٨٩٩ . وظل يتابع مراقبتها وملاحقة حركات أجنحتها حتى أدرك السر في قدرة الصقور على الاحتفاظ بتوازنها في الهواء .

وعمد الأخوان بعد ذلك إلى العمل على تنفيذ قرارهما الخطير .. وقد اتضح لهما منذ البدء أن إطلاق



العمل ينقسم إلى مرحلتين .. مرحلة الطيران بمجرد الطيران واستيفاء شروطه بحيث يتسنى لهما صنع طائرة شراعية مقننة (بدون محرك ومروحة)، ومرحلة المحرك والمروحة اللذين يصلحان في تلك الطائرة، فيضمنان لها الاندفاع في الاتجاه الذي تريد، والسفر وقطع المسافات حسبما تشاء.

واستغرقت المرحلة الأولى بضع سنوات (١٩٠٠ - ١٩٠٢)، وقد نجح الأخوان في نهايتها بصنع طائرة شراعية مجهزة بأجنحة مزدوجة، تكفل لها الإقلاع والهبوط، ومزودة بدفة في الذيل تحمي الطائرة الانحراف إلى الاستدارة ذات اليمين وذات اليسار، هذا إلى جانب تغيرات في الأجنحة التي ساعدت الطائرة على التحكم بتوازنها في الهواء.

ثم كانت المرحلة الثانية، وقد بذل الأخوان إلى صنع المحرك والمروحة الملائمين، ولم تتوفر العثور عليهما في الأسواق.. وتكللت تلك المرحلة بصنع الطائرة الأولى التي صنعاها (فلاير ١) Flyer والتي طار بها أحد الأخوين في كيتي هوك في كارولينا الشمالية بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣.

ومن طريف ما يذكر عن تلك الطائرة الرائدة أن وزنها لم يزد على ٧٥٠ رطلا انكليزيا، وقوة محركها لا تتجاوز ١٢ حصانا وأن ارتفاعها في الجو لم يبلغ أكثر من (١٠) أقدام، وأن المسافة التي قطعتها بلغت ١٢٠ قدما فحسب. وكانت كالطائرة الشراعية التي سبقتها، ذات أجنحة مزدوجة علوية وسفلية وبلا دواليب.

ومهما يكن من أمر فقد كانت (الفلاير ١) هي نواة الطائرات المحسنة التي صنعها الأخوان رايت بعد ذلك، ومنها (فلاير ٢) و (فلاير ٣)، وكانت نواة الطائرات العادية والصواريخ وسفن الفضاء والأقمار الصناعية، ولو ذكرنا أن تقنية الطيران لم تكن بحاجة إلى أكثر من ٦٦ عاما ليتمكن الانسان من الهبوط على سطح القمر سنة (١٩٦٩) لأدركنا مدى التقدم الهائل الذي أحرزته تلك التقنية.

وتجدر الإشارة إلى أن أي طائر من الأخوين لم يطر حتى سنة ١٩٠٨، حين وقعا عقد الشراء مع سلاح الجو الأمريكي وإحدى الشركات الفرنسية. ولعل أهم العوامل التي أدت إلى ذلك التأخير خوف حرص الأخوين على التكتم على سر اختراعهما، والامتناع عن عرض طائرتهما قبل ضمانات معينة. ومات ولبر رايت بحمى التيفوئيد سنة ١٩١٢، ومات أخوه أورفيل سنة ١٩٤٨ □



سلامة البشرية من سلامة البيئة

الهاربون من رجال (الجرين بيس) والتجارب النووية الفرنسية في المحيط الهادي

منذ العاشر من شهر يوليو الماضي والمجابهة قائمة بين السلطات الفرنسية وبين أنصار البيئة .. فهؤلاء يصرون على ضرورة وقف التجارب الذرية والنووية ، الفرنسية وغير الفرنسية سواء كانت في المحيط الهادي .. أو في سائر المحيطات والقارات .. وأولئك يصرون على حقهم بمتابعة التجارب التي يشاءون ، حيثما يشاءون من المناطق الخاضعة للنفوذ الفرنسي دون السماح لأي كان بمراقبة تلك التجارب ..

وقد أدت تلك المجابهة الى غرق سفينة (وريور WARRIOR) أي المحارب ، وموت أحد ملاحيها وكان مصورا هولندي الجنسية .. وتبين أن غرق السفينة في مياه نيوزيلندة الاقليمية ، وفي أوكلاند احدى موانئها بالذات كان نتيجة القنابل والمتفجرات التي وضعها في السفينة بعض رجال الاستخبارات الفرنسية .. وألقت السلطات النيوزيلندية القبض على أولئك العملاء وكانوا رجلين وامرأة) بتهمة القتل والتآمر والتخريب .. وترتب على تلك الأحداث أزمة سياسية كبيرة في العاصمة الفرنسية شبيهة بأزمة ووترجيت الأمريكية ، وأدت تلك الأزمة الى استقالة وزير الدفاع الفرنسي ، وطرد رئيس المباحث والمخابرات الفرنسية ، وتردد اسم (جرين بيس) (Green peace) أو السلام الأخضر منذ نشوب تلك الأزمة ومازال يتردد .

فما هو هذا السلام الأخضر ؟؟

انه الاسم الذي يطلق على احدى المنظمات البيئية التي لا تهتم الا بالاحتجاجات البيئية .. وتبذل الجهود في سبيل وقف صيد الحيتان ومنع التجارب الذرية والنووية .. ومكافحة التلوث بكافة صوره .. على أن منظمة الجرين بيس تتجنب العنف ، ولا تسعى الى تحقيق أهدافها بالقوة .

والمنظمة بريطانية ومقرها الرئيسي قائم في بلدة لويس في انكلترا .. وقد تم تأسيسها قبل ١٥ سنة في كولومبيا البريطانية في مدينة فانكوفر بكندا .. وبلغت ميزانيتها (٢٦) مليون دولار لهذه السنة (١٩٨٥) وهي تعتمد على التبرعات ، تبرعات الأفراد ، الى حد كبير . وتعتمد أيضا وبقدر محدود ، على عائداتها من بيع السلع التي تصنع لحساب المنظمة وتحمل اسمها (الجرين بيس) ، وللمنظمة فروع عديدة منتشرة في ١٥ دولة من دول العالم .. منها الولايات المتحدة ، وهي التي تمد منظمة السلام الأخضر بتبرعات تقدر بنحو ثلث ميزانيتها ... وتملك المنظمة حاليا ست سفن .. كانت سبعا ، حتى العاشر من شهر يوليو الماضي ، حين أغرقت السلطات الفرنسية سفينة المحارب السالفة الذكر. ذلك أن أعمال المنظمة تكاد تكون محصورة بالبحار والمحيطات .. فهي تسعى من أجل وقف تلوث البحار عامة ، وتلويثها بالمواد الكيماوية السامة ، بصفة خاصة .. وهي تعمل أيضا من أجل حماية الأحياء البحرية وخصوصا الحيتان ، وقد تعرضت



قارب مطاطي تابع لمنظمة جرين بيس في مواجهة مع إحدى السفن الحربية الفرنسية .

للإبادة والانقراض في مناطق عديدة في الآونة الأخيرة ، وذلك بسبب صيدها العشوائي الجائر .

وتهدف منظمة السلام الأخضر كذلك إلى وضع حد للأسلحة النووية ووقف تجاربها في شتى البحار والمحيطات . .

أما الجهود والإجراءات العملية التي بذلتها هذه المنظمة خلال السنوات الخمس عشرة الماضية فكثيرة جداً ، ولا سبيل لحصرها . . وحسبنا الإشارة العابرة إلى بعض تلك الجهود والأعمال .

* سنة ١٩٨٣ هبط فريق من أعضاء الجرين بيس في سيبيريا ، وذلك بقصد لفت النظر على نطاق عالمي إلى أعمال صيد الحيتان العشوائية في تلك المنطقة التي هبطوا فيها . . وقد اعتقلتهم السلطات السوفياتية لدخولهم البلاد بصورة غير شرعية . . ثم أطلقت سراحهم بعد احتجازهم طوال ٥ أيام .

* وفي سنة ١٩٨٣ أيضاً حاول بعض أعضاء المنظمة منع تصدير ٢٤ طناً من النفايات النووية ، وذلك في ميناء شيربورغ في فرنسا . وألقت السلطات الفرنسية القبض على القارب المطاطي الذي قام بتلك المحاولة .

* وأوقفت السلطات الأمريكية (الولايات المتحدة) إحدى سفن الجرين بيس في فصل الربيع الماضي (١٩٨٥) وهي تحاول (بوينت بلازانت) في ولاية نيوجرزي . . ومنعت رجال المنظمة من القيام بإغلاق أحد الأنابيب الذي كان ينقل النفايات ويقذفها في البحر فيسبب تلوثه . .

* وفي سنة ١٩٨٢ أطلقت إحدى سفن المنظمة ٢٠٠٠ بالون ، وذلك أثناء رسوها في ميناء لينينغراد ، وبقصد الاحتجاج على التجارب النووية التي كان السوفيات يقومون بها . . ومازالوا .

* والآن (أي بين شهري أكتوبر ونوفمبر ١٩٨٥) تذهب بعض سفن وقوارب منظمة الجرين بيس في عرض المحيط الهادي . وعلى بعد ١٢ ميلاً من الجزر المرجانية (موروروا وفانجاتوفا) التابعة للحكم الفرنسي ، والتي تجري السلطات الفرنسية إجراء التجارب النووية الخطيرة فيها ، جرياً على عادتها . . ولا يعرف بالضبط متى ستجري هذه التجارب ، ولا ما قد يترتب على هذه المجابهة الجديدة بين الفرنسيين والبيئيين . . وأغلب الظن أن السفن الحربية الفرنسية الموجودة في المنطقة لن تتعرض لقوارب المنظمة وسفنها بسوء ، مادامت هذه السفن والقوارب لا تتجاوز حدود المياه الإقليمية الفرنسية ، ولا تقترب من الجزر المرجانية أكثر من ١٢ ميلاً . وتجدر الإشارة إلى أن البيئيين والفرنسيين تبادلوا الزيارات ، وقد قدم الضباط الفرنسيون لرجال السفن والقوارب البيئية مجموعة مناظير من الجيش الفرنسي .

رسالة المغرب الثقافية

أصوات روائية مغربية جديدة

بقلم: علاء الدين محسن

عام ١٩٨٥ هل هو عام الرواية في المغرب؟ لقد صدر أكثر من عشر روايات إلى الآن ، أكتوبر ١٩٨٥ ، وهكذا تجد الفنان طريق بالقصة القصيرة ، والنقد والتنظير وفق أحدث المدارس الغربية ، يظهر أن جنس الرواية قد استبد بالكتاب المغاربة .

إن الكم لا يعني غالبا مؤشرا صحيحا على حيوية مسار الحركة الثقافية ونضجها ، وتنوع اهتماماتها في بلد ما ، إلا أن الملاحظ للانتباه أن نسبة الأعمال الجيدة وسط هذا الكم الروائي المغربي الذي صدر هذا العام ، هي نسبة عالية ، والملاحظة الثانية أكثر أن أغلب الأعمال الروائية جديدة تعود لكتاب يقدمون رواياتهم الأولى . وهو أمر يجعلنا مباشرة إلى التساؤل : هل بدأت تلك ملامح الجيل الروائي المغربي الجديد بالتبلور أو بالتشكل؟ ويستتبع ذلك تساؤل آخر عن تفاصيل هذه الملامح .

يمكن اعتبار عبد الجبار السحيمي ومحمد زفزاف وإدريس الخوري ومحمد شكري وعز الدين التازي وأحمد بوزفور الأسماء التي ظلت الأكثر اشعاعا وتألقا طوال خمسة عشر عاما تقريبا ، بجيل القصاصين والروائيين المغاربة ، الذين ظهروا بعد عبد الكريم غلاب وعبد المجيد بن جلون والطيبي وعبد الرؤوف ربيع ، الذي يمكن اعتباره جيل من جائزة . هذه الأسماء الجديدة التي جاءت لتبحث عن كتابة روائية وقصصية جديدة ، مغايرة لكتابات أولئك الرواد ، ظهرت بعد استقلال المغرب عام ١٩٥٦ ، وكانت انطلاقتها أساسا من الصحافة الثقافية ، ويمكن للمؤرخ الحصيف أن يلاحظ كيف كان ملحق جريدة العلم الثقافي خلال الستينيات وبداية منتصف السبعينيات يشجع على صفحاته هذه الأسماء الجديدة كلها . لقد كانوا في هذه المرحلة موحدين في هموم إبداعية وثقافية مشتركة ، ولم يفترقوا ثقافيا وسياسيا إلا بعد ذلك ، عندما عرفت الساحة السياسية في المغرب استقطابات جديدة ، وتحولات لم تكن موجودة من قبل للجميع

واليسار ، شخصت ظهور استطلاعات ثقافية جديدة ، فقد ظهر ملحق جريدة المحرر الثقافي ، ومجلات ثقافية تحت توجه يساري ، ووجد عدد كبير من هذه الأسماء أنفسهم أكثر قربا من هذه المنابر الجديدة فالتصقوا بها ، حتى أصبح لكل مجلة ثقافية ، وملحق ثقافي كتابه . نخلص من هذا الاستطراد إلى القول إن جيلا غير السبعيني مثلا حين أصدر مجموعته الأولى « مولاي » عام ١٩٦٥ من القاهرة ، ومجموعته الثانية « فلسطين من المستحيل » عام ١٩٦٦ من الرباط ، لم يكن اسما غير معروف أو لا تاريخ له ، فهو قد بدأ بالنشر عام ١٩٥٧ في جريدة « العلم » المغربية ، و« الآداب » البيروتية ، « عربيا » ، والملاحظة نفسها يمكن أن نطرحها بصدد محمد زفزاف الذي أصدرت مجموعته « حوار في ليل متأخر » من دمشق عام ١٩٧٠ .

لكن الأسماء التي تشكلت أصواتها ملامح ١٩٨٥ الروائية ، فهي أسماء في غالبها ليس لها حضور ثقافي قبل إصدارها لأعمالها الأولى هذه . هل هو تأكيد حول تهيؤ لاستيعاب المنابر الثقافية المغربية الموجودة حاليا ، والنخبة في المعمق عن اختيارات سياسية ، أم هو حيوي لأن صمت المنابر ومحتوياتها الثقافية والسياسية ؟ من السابق لأوانه ، ونحن إزاء ظاهرة كهذه لا تزال في طور التشكل ، تقديم إجابة قاطعة عن هذه الأسئلة . فقد أصدر « نور الدين وحيد » روايته « لعبة الأرض » دون أن يكون اسمه قد ظهر أو تردد في الساحة الثقافية المغربية ، و« أيام من حنين » هي الرواية الأولى لكاتبة لم تنشر في الصحافة الثقافية من قبل هي جوكي بنحيد ، و« المصطفى عبد الإله » أحد كتب « حفلة » هو الآخر اسم يتقدم إلى الساحة دون مقدمات ، وكذلك إدريس بلمليح الذي صدرت له رواية « الوردة والبحر » .

إن هذه الملاحظة قد توحي بأن هناك نوعا من القطيعة بين جيلين اختارا طريقتين مختلفتين للظهور ، ولكن هذا الإيحاء هو مجرد وهم ، فالقراءة المتأملة لأعمال هذه الأسماء الجديدة الروائية تكشف عن استمرارية ، مثلما تكشف في بعض الأعمال عن ظلال أسماء لا تزال حاضرة من الجيل السابق ، كمحمد زفزاف وإدريس الخوري . وبالطبع ، فهذه الاستمرارية وهذا التأثر ليس بالاكتشاف ولا بالأمر



المدهش ، نظرا لحداثة الإبداع المغربي المكتوب بالعربية نفسه .

إن قراءة روايات ـ هي الأعمال الأولى لكتابها ، تؤكد تشكل مغايرا ، فنحن هنا إزاء شخصية كتابية لا تزال في طور التشكل ، الأمر الذي يجعل من إصدار أحكام نقدية عملية محفوفة بالمخاطر . إلا أن ضرورة استيعاب مختلف التفاعلات والمستجدات والمتحولات المتلاحقة على الساحة الثقافية المغربية اليوم تدفع إلى خوض مثل هذه المغامرة .

لقد اخترنا هنا قراءة روايتين لكاتبين جديدين ، ورواية أخرى لكاتب ثالث ، هو محمد عزيز ، سبق له أن أصدر عددا من المجاميع القصصية والروايات من قبل ، كشفا للمشترك والمتغير في كتابة جيلين ، وينبغي الإشارة هنا إلى أننا ، تلافيا للتحفظات والأسئلة التي وردت سابقا ، وكذلك تجنب الإجابة عنها ـ سنكون هنا بصدد انطباعات نطرحها أكثر تتطور من بعد إلى تحليل ونقد .

الوردة والبحر

يمكن لعنوان هذه الرواية لإدريس بلمليح أن يذكرنا بعنوان رواية « المرأة والوردة » ـ ١٩٧٢ ـ لمحمد زفزاف ، إلا أنه تشابه يظل محصورا في إطار العنوان فقط . فبلمليح يختار كتابة روائية مختلفة عن

كتابة وتزاوج . كتابة تبتعد عن مجرد الوصف الخارجي والرصد الفوتوغرافي للأحداث والشخصيات بلغة عادية باردة ، وتجنح نحو كتابة أقرب لمشهد بناء الواقع الروائي ، وتشتغل بتركيب التفاصيل ، لترقى بالمشهد الروائي من ملامسة الواقع البسيط . ولغة ادريس بطبيعتها مكثفة ومرحة ومكثفة تعابير وتشي بشعرية .

إن الثنائية التي يحملها عنوان « القرية والبحر » تتحول في الرواية إلى ثنائية نقيضة : « الضحية والجلاد » . فنحن إزاء رواية تتركب من قصة شخصيتين تتشابكان في حلقة لعبة التصعيد الروائي ، وتتوزع من حولها عدة شخصيات أخرى ثانوية ، تعمق من دلالة هذا التقابل ، عندما نكتشف أن كلا من السجين والسجان ، الضحية والجلاد ، هما في سجن أكبر .

في الرواية ثنائية أخرى متجلية في الأعمال الروائية المغربية ، هي ثنائية الريف والمدينة . فالسمار يهاجر من أرضه إلى المدينة مع زوجته فاطمة ، التي تجهض بجنين مشوه بسبب عاهة ملوثة تركتها به . المدينة تفترس السمار ، وتقتل أحلامها وبراءتها وأرواحها ، يعجز عن العثور على عمل ، وفي النهاية وعن طريق زيتون موسى من أقربائهم ، يعثر على عمل كحارس في السجن ، عمله يعيد إليه حريته التي استلبتها منه البطالة . ولكن المفارقة أن عمله سيكون على حساب حرية آخرين « المسجونين » . يجيد إدريس بطبيعة استغلال هذه المفارقة وتصعيدها دراميا : ففي صبيحة عثور السمار على عمله الجديد تصاب زوجته بالذكرى الباقية من ماضيه بالشلل ، والتعويض في هذه القطيعة مع ماضيه يلغي السمار نفسه إلى بطاحين . إلا أن هذه القطيعة مع الماضي تظهر كطموح مستحيل ، فحسن لا يمكنه إلا أن يكون سجانا فظا في تعامله مع سجنائه ، فهو يتعاطف معهم ، يستمع إليهم ويتعلم منهم ، ويرتبط بعلاقة حميمة مع أحدهم ، سيكون مكملا لثنائية الجلاد والضحية التي تنهض عليها الرواية . إنه سجين مهم الأسمر ، جذوره في الريف أيضا . فقد بيع أرضه ليوفر له امكانية دراسة الحقوق . لكنه يفصل عن دراسته بالاشتغال بالسياسة ، التي تؤدي به إلى السجن ، حيث يتعرف على سجانه حسن . حميمية عالمنا تنتهي أحلامها أيضا ، وتتحول إلى سجين ظلام الذكريات الغابرة ، حيث تصبح مشلولة . فتعيش بفقد لبعض عينيه عطل مشترك بالحاضرة ، وفي غمرة هذه الانكسارات تطل عليه واحة تحتية ووحدة الضوء الوحيد الآتية من عالم فيه مسحة من التفاؤل . ويكرس بطبيعة خديجة أخت السجين رمزا للأمل ينبثق من الظلمة التي تمور فيها أحداث روايته ، فهي تلتقي بفاطمة زوجة السجان ، وتكون بالنسبة لها بشارة ولادة طفل جديد لها بعد طفلها الذي مات مشوها . إنه طفل موحى بالتطهير ، فنحن إزاء شخوص كالمعتقلة تبحث عن وسائلها ، أو كما تقول خديجة « كتب علينا أن نموت ونبعث لنتطهر ثم نبعث » . دورة حياة الشخوص هذه هي نفسها دورة حياة الرواية ، التي تتخذ شكلا تركيبيا متداخلا ، حيث القطعي نهاية كل فصل من فصولها إلى بدايتها التي تنتهي بدورها إلى نهاية مفتوحة على تجدد الحياة . والرموز التي أعطاها بطبيعة القاهرة على تشقق عنوانه والنص العربي .

الحالم

ويظهر ما كشفت القرية والبحر رواية متعددة الشخصيات وغنية بالأبعاد ، تتقاطع فيها مستويات الروائي وتتعدد ، يختار المنصوري عبد الإله في عمله الأول « الحالم » كتابة رواية أحادية الشخصية ، تتوالى فصول حكايتها بتسلسل وسلاسة ، مختلفة إلى بساطة موضوعها . إن ضمير المتكلم فيها كاملة السرد ، وحيوية التفاصيل من تفاصيلها يجعلها أقرب لسيرة ذاتية .

تتحدث الحالم عن « عبد » الذي يحمل أبوه عاملا في منجم ، « في رأسه أحلام » ، وحيث تتطلعت إلى حياته التي يتصورها ، تكمن في مكانة تمر عبر حياته اليومية التي يعيشها . إنه يحلم بقدر عظيم مناسب يغير العالم وثروته وعلاقاته القبلية . إلا أن موت أبيه يجعله يعيش قسوة الواقع ، ويترك أحلام التربية ليلتحق بالمدرسة في « تطوان » في مركز تكوين المعلمين .

وفي هذه المدينة يعيش تجربة العاطفية الأولى التي يخطرها عشقا ، عندما تتزوج زميلته التي لا تبالي بحبه



من أسطقصة . وتستغرق قصة حبه هذه صفحات كثيرة من صفحات الرواية القليلة العدد في الأساس وذلك القطع الصغير . وبعد تخرجه يشتغل محمد معلما في قرية منعزلة عن العالم ، على قمة جبل ، يقول له الناظر وهو يسلمه قرار تعيينه : « من ريتك مالك كلمة : تلاقيك هنا بين جبال شاهقة ، ساعي مسافات من الطباشير لمدة سنة . لا يمكن أن أزورك أبدا ، وضميرك هو مديرك . أنت أول معلم في التاريخ سيصل إلى قبيلة « بني مرطش » » .

ويشكل هذا الجزء من الرواية الذي يتناول تفاصيل حياة محمد في قرية منعزلة الجزء الأكثر جاذبية وغنى في رواية الظلام . إنه يتحدث بتأنٍ عن العلاقة بين سكان العالم الجديد الذي دخله : « كانت علاقتي بسكان القبيلة تتميز بنوع من الجفاء والقطيعة ، ولم يكن ذلك ناتجا عن عداوة أو حقد ، وإنما لكوني أتعمر بالظل ، وتجنبا أحاديثهم عن مظاهرهم للسيرة المتكررة ، التي تنتهي عادة بشرحه للعيني بالبلس . كنت أجد دائما حقدا لأمشي حراقي ، حيث أنه بين الجبال ، أعشاب الأشجار والأحجار والطيور ، أنيسها لوني وحناني ، وكان الفراغ الهائل الذي يجثم على حياة الجبل يعطيني حلولها لقيلة أي شخص متخلف ، وبما أن هذا الشخص غير موجود ، فقد توجب على خلقه . إلا أن علاقته العدائية بمحيطه الذي يعد مكانا كبلور من أقرب حضري متسلت ، تتحول نحو الإيجاب ، عندما يمرض ويحس بعواطف سكان القرية المتعاطفين معه في أزمته . فيبدأ بالاندماج في حياة القبيلة ، يحل مشاكلهم البسيطة ، ويعلم لهم الرسائل صحيحة ، ويحبه هذا الصغار الأبناء والبنات . وتكبر شخصيته وسط السكان حتى شيخ القبيلة الذي يجبر له عن أسرة يحال بسببها على التحقيق ويوقف عن عمله . ويعود إلى تطوان مقلسا ، ليتم أمرأة يصطادها حبيبه القديمة ، تصحب طفلا ، أحس محمد أن ذلك الطفل كان يجب أن يكون طفله . بل اعتبره فعلا ، طفله الذي سرق منه ، كما سرقت أحلامه في أن يكون زوجا صالحا . وبلا شعور وبحركات متهورة هرول نحو الطفل ورفعه من عربته واحتضنه بقوة ملحة ، حتى أن أمه من فرط الصدمة صرخت صرخة مدوية ، جعلت جحافل المتأملين تهب مسرعة متلهفة لتحيط بالمرأة التي تبكي بحرقة ، وتحاول نزع طفلها من حضن رجل غريب ، يبدو كمجنون فر من « البرستكي » . وعند هذا المشهد تنتهي رواية « الظلام » .

إنها رواية بسيطة وصغيرة . ولعل في هذا يكمن تميزها . فهي تحسن عرض الاعترافات التي تتابع بتلقائية ، وينبغي أن نوجه الملاحظة نفسها إلى لغة الظلام التي حافظ عليها المساوي عبد الإله ، وهو يلخص اضطرابات الجيل الشرعي الشاب بعد الاستقلال بطاقة روحية .

السنوات العجاف

طبعت رواية « السنوات العجاف » عام ١٩٨٩ ، إلا أنها وزعت خلال الأشهر الأولى من عام ١٩٩٠ . وولد مؤلفها محمد عروب عام ١٩٥٠ ، وبدأ النشر أواخر الستينات ، إلا أن أول مجموعته القصصية صدرت عام ١٩٨٦ بالقاهرة بالمغرب ، وكان عنوانها « أوراق » ثم أصدر بعدها مجموعتين قصصيتين وروايتين . نحن إذن أمام كاتب غزير الإنتاج ،

ويتمرس في الكتابة القصصية والروائية .
« والسنوات العجاف » هي روايته الثالثة . إلا أن المثير للانتباه أن اسمه لم يحظ بما حظيت باهتمام النقاد والدارسين والقارئ ، فدرجة أنه يكاد أن لا يكون معروفا خارج المغرب ، رغم أنه من جيل أسماء أصبحت نجوما في بلدها ، كمحمد شكري وزفزاف والخوري والمديني . والمثير للانتباه أكثر أن هذا التجاهل أصابه رغم تميزه بين جيله بالقدرة ، على صعيد تقنيات الكتابة والموضوعات التي تتشكل منها قصصه ورواياته .

يفتتح محمد صوف روايته العجاف بمشهد ولادتين : في الدار البيضاء تولد مسعودة التي يأخذها عمها لتربيها زوجته التي لا تنجب ، وفي منزل خديجة تولد ابتسام التي تصرعها لقدها والزغاريد . وتسير الرواية في متابعة مصير الولادتين في عالمين مختلفين طبقيا : مسعودة تكبر على يد زوجة العم ، وابتسام تدرس الفرنسية وتسافر لاستكمال دراستها في باريس . نحن الآن في مغرب ما قبيل الاستقلال . عم مسعودة يعمل مع الوطنيين ضد الاستعمار . فطفلة تشتغل بدور الوسيط ، وتحمل المنشورة لمول موسى الوطنية عندما يعود العم من معتقله وقد فقد إحدى عينيه . تترك المدرسة ويزوجونها لعاملها من معمل لأنها ، فيما تعيش ابتسام حياة الطبقة الراقية المتميزة بسلالات من نوع آخر . مسعودة تؤلفها صلاتها ثلاثة : أخو الحسين شقيق زوجها ، ومصطفى الشقيق الآخر للزوج بعمها . إلا أن الحسين يرحل إلى فرنسا ، كما مسعودة تقرر أن تتعلم القراءة والكتابة . في باريس تلتقي ابتسام بالحسين الذي يجد بالعمل من أجل التعريف بقضية استقلال المغرب . لكن المناضلين الذين ظهروا منفصلين ومبعثرين في الرواية يتوالون إلى أن يلتقوا بالاستقلال . وقد استقل المغرب الآن . ويموت زوج مسعودة في موجة التصفيات التي سادت بين فرقاء الوطنيين بعد الاستقلال . ويعود الحسين منتشيا بباريس والعودة للوطن لاحتلال مكانه . ويعمر بذلك بعد مرور تعوض حبه مع ابتسام في بداياتها . في وطنه يعيش الحسين وضعا كاريكاتوريا . فهو يطالب بالثأر لأخيه الذي لا يعرف قاتله ولمن قتله ؟ . ولكن يجد أنهم يريدون منه الانتقام بتصفية أحد خصومهم . وفي وطنه أيضا يتعرف على « الشرقي »



التي يتحول حبه إليها بدلا من ابتسام التي تعود إلى زيارة المغرب مع صديقتها . على أمل اللقاء بالحسين الذي لا يجدونه في استقبالهم بالمطار : فقد ذهب ليثأر لأخيه ، فقتل القاتل الذي لا يعرفه ، ولكنه يجد نفسه محاصرا بين بطشه للقيام به ، وإلا اعتبر خائنا وجبانا . نهايته يدل عليها الموت المأساوي الذي لا تصرح به الرواية ، ولكن نهايتها المفتوحة توحي به .

السنوات العجاف التي يتناولها محمد صوف روائيا إذن هي تلك السنوات التي تلت استقلال وطنه ، وحفلت بتصفيات سياسية لم تقدم حولها وجهة نظر نهائية إلى الآن . وهي بذلك تنضم إلى مجموعات روايات مغربية تناولت المرحلة والموضوع نفسه . ويتميز صوف هنا عبر إجادته التعامل الروائي مع موضوع صعب وسهل في نفس الآن . سهل لأنه يتناول مرحلة قريبة من تاريخ المغرب ، غنية بالأحداث والتفاصيل ، وصعب لأنه موضوع يتضمن جوانب سياسية لا تخفى ، يمكن أن تذهب بالعمل الروائي بأكمله صفحة أيديولوجية مباشرة . إلا أن السنوات العجاف عبر القصص حسب شفافة ومتعددة تمت بأصوات متعددة استطاعت الإحاطة فنيا بالشخصيات شخوص هذه المرحلة الحساسة في تاريخ المغرب المعاصر ، دون السقوط في لغة الشعارات والكشف أو في مجرد التوثيق . □

قضية

الكتابة فن ولكنها أنبل الفنون وأخطرها

بقلم: الدكتور أديب نصور

جاء في قول سقراط قبل أن يتجرع كأس السم: «إن حياة لا تنقد ولا تفحص غير جديرة بأن تعاش .. وأنا كالذبابة التي تلسعكم، وهذه اللسعات ضرورية لخيركم ولخير المدينة».

فهل الكتابة لسع فقط؟ لنقرأ معا هذه القضية.

«عندما كنت شابا، كنت أكتب لأعيش. والآن أكتب لكي لا أموت. مثل شهرزاد. أستمر في الحياة ما دامت لدي قصة لم تروَ بعد».

ذلك اعتراف الكاتب البرتغالي كارلوس فوينتس. هناك الكتابة كعمل لتحصيل الرزق. وهناك الكتابة من أجل الحياة، أو كمبرر للبقاء على قيد الحياة.

والتفرغ، منذ البدء، من المطامح الملحّة، والعنصر الملحّ في المشروع ينطبق أكثر ما ينطبق على الكاتب المحترف. مثل ممارسة الطب أو الهندسة. قد تكون الكتابة صناعة أو احترافا. وهنا كان الكاتب يتقاضى أجرا كبيرا على عمله فذلك مما يشجعه إلى الكتابة ويشجعه على الانتاج.

بعد الحرب العالمية الثانية كان ونستون تشرشل يتقاضى دولارا عن كل كلمة ينشر له في الصحافة الأمريكية. بعدها الزعيم العمالي موريسون أن يقول في مجلس العموم، جادا في المداعبة «إن المستر تشرشل المحترم - زعيم المعارضة يومذاك - هو أكبر محصل للنقد النادر في بريطانيا». وإن بعضا من الشخصيات السياسية في الولايات المتحدة اليوم يأخذ نحو أربعة عشر ألف دولار على محاضرة واحدة لساعة من زمان. وذلك هو أجر كيسنجر، وزير الشؤون الخارجية للرئيس نكسون وللرئيس فورد، وفاقت أرباح ما نشر عليه مذكراته من ملايين.

أما الكتابة للأدب والفن والجمال، أما الكتابة

• أستاذ قانون وكاتب عربي سوري له العديد من المؤلفات منها: «دستور وبرلمان»، «بين الرأسمالية والاشتراكية»، «رجل الدولة» وغيرها.

للبحث والتغيير . أما الكتابة للصحافة وللخطابة فمسألة في المفرقة ، فلها شأن آخر .

الكاتب أسير فنه

ومعنى ذلك أن الكاتب الأصيل ليس مطلق الحرية في أن يكتب أو لا يكتب . إنه لا يملك وحده كل أمره ، وإنما الموهبة و « الحالة » هي التي تملك عليه الأمر كله ، [illegible] . وربما فرضت عليه وهو راضٍ دوره المحتوم . على الكاتب أن يكتب كما على الطائر أن يطير بجناحيه ، وكما على [illegible] الحديث الشريف :
« كل ميسر لما خلق له » .

أرسل مكيافلي ، صاحب كتاب « الأمير » و المطارحات ، رسالة إلى صديق يقول فيها ، بعد أن صرفته حكومة فلورنسا من خدمتها ومشاورتها : « إني لا أحسن تجارة الصوف أو الحرير ، فلا بد أن أكتب في السياسة أو أصمت » .

ثم إنه في كل زمان حيز فكري أو روحي يحتوي البلاد ، وفكرة كبرى أو فكرة رئيسة تهيمن على العصر . في هذه الحالة لابد للفكرة الناشئة من أن تجد لها تعبيرا ، ومن يمهد لها أو يترجمها للناس . فكرة الحرية في القرنين السابع عشر والثامن عشر في أوروبا وأمريكا ، والديمقراطية البرلمانية أو التمثيلية ، وفكرة القومية ، والدستور المكتوب ، وسيادة القانون : فكر ومبادئ تطرحت لها أقلام كبار المفكرين السياسيين ، من لوك الانكليزي ، إلى جفرسن الأمريكي إلى جان جاك روسو مواطن جنيف الفرنسي .

تلك الأفكار سبقت ، أو رافقت ، الثورات الثلاث الكبرى في انكلترا وأمريكا وفرنسا .

وقد يكون الكاتب أكثر من معبر بليغ عن أفكار العصر . في المنعطفات التاريخية الكبرى يكون مفكرا مبدعا أو موجها رائدا ، يطلق قضايا العصر ومشاكل البلاد ، كأنه أول من فكر أو عالج أو كتب . ويسهم في نقل الحالة الاجتماعية من طور إلى طور ، والوضع السياسي العام من مرحلة إلى مرحلة ، متقدمة أو متخلفة . . .

وفي بعض الأحيان يصير الكاتب وكأنه ضمير الشعب أو الأمة ، ويصبح « الكاتب تاجرا كثيرة » يمثل رغبتهم وشعورهم ويقود بالرأي والبيان .

في أيام نابليون بونابرت والهيمنة الفرنسية على القارة الأوروبية ، وجد في ألمانيا مفكر سياسي - استراتيجي اسمه فريدريك فون غنتز كان يعده من أحسن الكتاب وأشهر الكتاب في أوروبا . وكانت تمثل الرأي العام كما يقال عنه الخاصة من الأوروبيين . وقد سجل هو نفسه ما يلي : « أود أن أقول ، وأستطيع القول بدون مبالغة ، إني واحد من [illegible] للعمل العام في القرن الحاضر . . . » .

بروسي الأصل ولد في بريسلو سنة ١٧٦٤ وبدأ دراسته في برلين وأنهاها في جامعة كونيغزبرغ حيث تتلمذ على الفيلسوف « كانت » ، وقد تحمس للانتصارات العسكرية التي أحرزتها الثورة الفرنسية ، وأقام في فيينا منذ سنة ١٨٠٢ محتجا على سياسة بروسيا المتساهلة مع فرنسا . وبرز بكتاباته ضد امبراطورية نابليون ، كواحد من أكبر الكتاب السياسيين في أوروبا كلها ، إن لم يكن أكبرهم على الإطلاق . ويقال في أدبه أنه رفع تأليف الرسائل السياسية والتعليقات الصحفية إلى مستوى الفن ، وقيل إنه كان يصوغ ويصقل التقارير أو المذكرات السياسية كما لو كانت قصيدة شعر .

« ضمير عول عصره »

لم يكن لغنتز سلطة سياسي ، ولا كان يحتل في الدولة منصبا رئيسيا . أقصى ما بلغه في الحكومة النمساوية أنه كان سكرتيرا للمستشار الشهير مترنيخ . لكنه استطاع بقلمه (كلمته) أن يحلل تحليلا عميقا الواقع الأوروبي ، ويظهر تعبيرا صحيحا خطر نابليون والامبراطورية الفرنسية على حريات أوروبا واستقلال دولها . وكان يرى أن فرنسا الثورة وسيدها نابليون قد أخلا بميزان القوى في أوروبا ، وأن على دول أوروبا أن تتحالف ضد العدو المشترك لترد التوازن الدولي إلى نصابه . وقام بحملة فكرية متواصلة إلى أن تألف التحالف الكبير الذي هزم نابليون . ولم يخف امبراطور الفرنسيين حنقه على « هذا الشقي وشطحاته . . . »

وفي مؤتمر فيينا (١٨١٤ - ١٨١٥) ضمنه مفكر

أوروبا غنية جدا بجميع الدول ، ويعرف بسكوتشير أوروبا . وينال أعلى وسام روسي مع كتاب من القيصر إسكندر الأول أطلق عليه فيه لقب (مسترس أوروبا) . واقترح مرة الوزير الفرنسي تشكيل لجنة تؤسس لغة أوروبية عالمية في فيينا ، وأن يعهد إلى مترنيخ بإدارتها . وكتب عنه مؤلف معروف يقول : « مترنيخ فكر المفكر زمانه ، كانت له مسحة من العظمة ، وربما من العبقرية . هنا كان هو بوصلة الأوروبي وعلة كانت ساعته . »

ولنسب مترنيخ تلك الصور المطلة دون تكليف من أحد الكتاب للتقدم بعده بالية تلزم صاحبها كتابة الفرسان أو نبالة الرهبان ، تصحب السيف وأصحاب التشريع . ألم يتحدث المتحدثون عند العرب عن أرباب السيف وأرباب القلم !

بينما نعني كان على الكاتب واجب وسمو ولها مثل واجب الطبيب نحو المريض والجندي نحو حدود الوطن يدافع عن الأرض والأهل والكرامة .

وعلى الكاتب أن يمضي في أداء الواجب فلا يهرب من القيام بما عليه . فإن الواجب لا يعطي لكي يهمل . ولكن عندما يأتي يكون شديدا ، لتقوم بوظيفة اجتماعية لا بد منها ، كالقدر .

حرية الكلمة .. في أثينا

عندما ولدت كلمة (الديمقراطية) كان أستاذه سقراط قد بدأ يتحدث بطريقتها في الفلسفة ومع تهمة الشباب يقال من تلك الدولة ، أرادت أن يرحل عنها سقراط ويمضي نفسه ، فلما أبى اعترضت عليه المحكمة ، فلما أن كانت له فرصة الهرب من السجن ، فلما أبى ذلك حكمت عليه بالإعدام ، وشرب سقراط السم عملا بأحكام القوانين . قال للقضاة : « إن حياة لا تُنقد ولا تُمحص غير جديرة بأن تعاش ، والموت أحب إليّ من الهجرة إلى بلد غريب . ولكنا كنتم أنتم أهل مدينتي العظيمة لا تطيقون كلامي فكيف يطيقه الآخرون ؟ وإنما هي الخطابة التي تأخذكم ، وهذه الحيل ضرورية تحرككم وهي للمدينة . » وبقي سقراط أمام محكمة الشعب يعقد حكومة أثينا ويسخر من رجالها . في معرض الدفاع عن نفسه .. كان ذلك

الكاتب شاهد على عصره وشهيد . ليس له أن يصمت في موضع الكلام . ليس له أن يتجنب الخطر ويهرب منه عندما يكون الخطر قضية موت أو حياة ، عربيا ، بالنسبة إلى قومه وبلاده .

هناك من يأثم لو يخون بالصمت . وهناك من يأثم لو يخون بالتعبير . (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون) .

في سنة ثلاثمائة وثلاثين قبل الميلاد ألقى ديموستين خطبة التاج أمام ايسخين الأثيني صاحب السياسة في الدولة مدافعا عن سياسته في مقاومة الملك فيليب المقدوني ، ومهاجما منافسه أسخينيس الخطيب الذي يرى خطيئة أثينا التي تطلب تحريم ديموستين من تقدير الشعب الأثيني . ويعتبر النقاد خطبة التاج لديموستين مثالية لأعظم خطيب في التاريخ .

وكان الخطيب عند الإغريق رجل دولة ، مثل (السيد) عند العرب (سيد القوم وخطيبهم) .

وكانت الخطابة تدرس عندهم كما يدرس القانون وعلم السياسة في وقتنا ، وموضوعها الأصلي عن الدولة وشئون الحكم . وحجة ديموستين أنه بينما كانت جميع المدن اليونانية ضد توسع فيليب ، وبينما كانت تحشد الجيوش للدفاع عن حرية أثينا واليونان ، كانت أثينا غائبة موقعا أو متفرجة تترقب : « أهناك أمر جوهري لم يظهر للشعب ؟ أثينا أضحى أبكم أعمى . أهناك عمل ، فرصة ، أو كارثة ؟ إلى الأمام يتقدم آخرون ، شأنه شأن الجراثيم تنشط عندما يضعف جسم الإنسان . »

وبعد انتصار فيليب المقدوني ، انتحر ديموستين لكي لا يقع في يد الأعداء .

الكتابة .. سبيل إلى البناء والثبات

ويعلم الكاتب أن كلامه الملتزم بالمسؤولية ، فإن يتكلم ليس مجرد كلمات ، وإنما هو فعل من الأفعال . كان كلام تشرشل يعادل معركة للقتال ، أو هو الفعل الحربي ، أو وسيلة رجل الدولة في الحرب والسلم جميعا . ورجل الدولة العصري يخطب ويكتب ويلقي دروسا مثلما كان يفعل تشرشل في الحرب العالمية الثانية ، وهو رئيس الوزراء في بريطانيا ، ومثل جواهرلال نهرو في الهند بعد

بطلاقة .

وهناك مثلا أكثر من طريقة واحدة لقول الشيء الواحد . وعند العرب أرفع الأدب هو الخطابة والبلاغة ، وتلك القواعد القرآنية الخالدة ، والحث على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة و « جادلهم بالتي هي أحسن . » وليس أول تعليمات « ديبلوماسية » معروفة ، وقد وردت فيها نص ، أعطيت لموسى وهارون أخيه : « اذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى . »

وتعرف الفلسفة ، وتعرف الأدب العظيم ، قضايا لم تتح لهم فرصة العمل في الحياة العامة ، أو لم يكن لهم سلطات ، أو أنهم لم يجدوا مهنة ، فلجأوا إلى الوسيلة الخفية لهم وهي الكتابة والتأليف . وها هو جان جاك روسو حيث كتب : « يقولون لي أنت مالك لم تجد السير حتى تكتب في السياسة ، وأجيب لو كنت أميرا لما أضعت وقتي في الكتابة ، ولكنت فعلت بدل أن أقول . »

وفي القرن الرابع قبل الميلاد وجد أفلاطون أن أبواب أثينا لا تناسبه ، بعد إعدام معلمه سقراط ، فانصرف عن السياسة ، ترفعا وخشية بنفسه ، وأنشأ الأكاديمية ، نواة أول جامعة في التاريخ ، وراح يكتب ويعلم .

ثم لا ننسى أن فريقا من الكتاب والشعراء ، في عصور مختلفة ومن حضارات شتى وجدوا في الكتابة طريقة للتغلب على الموت بالأثر الباقي ، ونوعا من الخلود .

وفي المثل اللاتيني القديم « الكلمة المكتوبة تبقى وتدوم » وقد تردد هذا المعنى في الشعر العربي بصيغ مختلفة ، مثل قول أحدهم :

وقـافيـة مـثـل حـد السـنـان
تـبـقـى ، ويـذهـب مـن قـالهـا

لكن المتنبي أبلغهم جميعا على طلاقته :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي
إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

واخيرا ، أليس في الكلمات المكتوبة تحملها الصحف ، وفي الكلمات المسجلة المحكية تحملها موجات الأثير ، صفة مثل النسيم العليل وريح الصبا التي كانت تحمل التحيات والأشواق عبر المسافات والحدود . فيكفي أن نقول أن نكتب « هنا » وأنه « ما زال » على العهد . »

إن الذي كان يصفه بحق : « أوتيت جدلا » و « أعطيت جوامع الكلم » ، هو الذي استطاع في خطبة الوداع أن يوجز الكلمات الخالدة النبوية في التاريخ : « ألا هل بلغت ؟ ... اللهم فاشهد » .



منتدى العربي
تعقيبات

قسطنطين الأفريقي ١٠٢٠ - ١٠٨٧م

قرأت مقال : « سالرنو ... جسر عبرته المعارف الطبية الإسلامية إلى أوروبا » بقلم الدكتور حسن فريد أبو غزالة في العدد ٣١٩ من « العربي » لشهر حزيران ١٩٨٥ (ص ١٢٩-١٣٦)

وقد استغربت كيف أن الأستاذ الباحث لم ينسب لقسطنطين الأفريقي حقه في تأسيس مدرسة سالرنو الطبية ، مع أنه كان العمدة في تأسيسها ، ولولاه لما كانت مدرسة طبية في سالرنو ، واستغربت كذلك

من اضطراب وغموض للنبذة التي أوردتها الموسوعة البريطانية عنه فلم يكن «مضطربا» ومقلقا لكاتبة النص في الموسوعة علماً بأن هناك بعض الأساتذة والباحثين في الجامعات البريطانية من يرفعون فوق «الموسوعة البريطانية» كمرجع في الدراسات العلمية وكتابة البحوث للدرجات الأكاديمية، وربما كان السبب هو عجزهم عن احتمال هذه المتناقضات في شأنها!.

لقد كان قسطنطين رجلا عربيا من تونس، اشتغل بالتجارة، وقيل إنه كان في الأصل مسلما، فاعتنق المسيحية، وتسمى بقسطنطين الأفريقي، ولم نعثر على اسمه الحقيقي يوم كان مسلما، وربما كان «عبد الله» أو «عطاء الله» حسبما ورد في بعض الروايات، وكلا الاسمين شائع في الشمال الأفريقي. وانخرط قسطنطين في سلك الرهبان البندكتيين.

واعتكف في ديرهم في «مونتي كاسينو» وبقي هذا الدير إلى الحرب العالمية الثانية، حيث هدمه الحلفاء الألمان، أثناء المعارك التي جرت في إيطاليا. مع ذلك فأنا أشك في أنه مرتد عن الإسلام. كما يحلو للمستشرقين أن يزعموا، بل إنه في الأصل من مسيحيي الشرق المهاجرين إلى الشمال الأفريقي، وحمله تيار الهجرة إلى جنوب إيطاليا، ولكنه احتفظ باسمه العربي «ابن أفريقيا» لترويج أعماله في الغرب، على نحو ما يفعل بعض العرب الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأمريكا، ومعهم أسماؤهم العربية. وحقيقة استبدال قسطنطين باسمه العربي اسما لاتينيا ذهب الوهم بالباحثين الغربيين إلى أنه كان مسلما فتنصر!.

ولما وجد قسطنطين أن الأوروبيين متخلفون علميا، عاد إلى الشرق العربي فدرس الطب لسنوات في بغداد وحلب وجمع العديد من المخطوطات الطبية، وتوجه راجعا إلى سالرنو، وفي طريقه البحرية هبت أعاصير أتلفت العديد من كنوز المخطوطات التي جمعها، مع ذلك فإن ما تبقى منها كان كافيا لإيجاد نهضة طبية في جنوبي إيطاليا، وبالتالي في أوروبا برمتها، ويقال إنه ترجم ٣٧ كتابا إلى اللاتينية التي كان يجيدها، بالإضافة إلى اليونانية. وقد نسب إليه الكثير مما ترجمه من مؤلفات ابن سينا والرازي خاصة، والذي عاش فترة في صقلية. ويقول بعض الروايات أنه من مواليد قرطاجنة بتونس، وهو ما نستبعده، ونرجح كونه من مسيحيي المشرق أصلا، وربما مولدا أيضا، وإن كانت ثمة روايات مخالفة كما سنذكر فيما بعد.

ولعل ما وقع فيه الدكتور أبو غزالة من استصغار لمكانة بعض الشيء يرجع إلى المستشرقة زيغفريد هونكة، التي جعلته رابع أربعة في تأسيس المدرسة الطبية بسالرنو، مع أنه كان شيخهم ومرشدهم جميعا.

وكان حريا لو أن الأستاذ الباحث ذكر الاسم الكامل لمؤلف الكتاب «كامل الصناعة» الذي ترجمه قسطنطين الأفريقي، وهو علي بن العباس وليس مجرد «المجوسي»، كي يعرف القارئ أنه لم يكن مسلما. ولقد أعطى الأستاذ أبو غزالة - سامحه الله - روجيرو السالرني أهمية أكبر من قسطنطين في الترتيب، من حيث الاطلاع وتدريس الموضوعات الطبية.

وقد أشاد المستشرق العلامة «إدوارد براون» بذكر قسطنطين الأفريقي في كتابه «الطب العربي».

(المطبوع بكمبردج سنة ١٩٢١م) فقال في الصفحة ٣٨ ما يلي:

«عندما كان ابن سينا في ذروة شبابه ولد في شمال أفريقيا وبالذات في تونس، رجل لا نعرف إلا القليل عن تاريخ حياته، ولكنه قيض له أن يصبح مشهورا باسم قسطنطين الأفريقي، كأول من عرّف أوروبا الغربية على علوم العرب عن طريق اللغة اللاتينية. ولقد التحق بمدرسة طب سالرنو الشهيرة، وتوفي في مونتي كاسينو بعد حياة حافلة بالعطاء العلمية. وذلك حوالي سنة ١٠٨٧. وقبل ظهور المترجم جيرارد الكريموني بقرن كامل بالضبط. وإلى هذين الاثنين وإلى الطبيب فرج بن سالم الذي أكمل ترجمة «الحاوي» للرازي سنة ١٢٧٩، تدين أوروبا في معرفتها الوسيطة بصورة خاصة بمعلوماتها عن الطب العربي».

وباعتقادي أنه بقدر ما يمكننا أن نقول إن الحضارة العربية مدينة لترجمة حنين بن إسحق للطب اليوناني إلى العربية فإن الحضارة الأوروبية مدينة لترجمة قسطنطين الأفريقي للطب العربي إلى اللاتينية.

وقد أشار إليه الدكتور عبد اللطيف البدري في

كتابه القيم « الطب عند العرب » ما يلي :

« وقيل إن تاجراً من قرطاجنة مرموقاً في الطب وفي الترتيب اتصاله بأمير سالرنو ، أكمل دراسته في الطب في وطنه ، وجمع كتباً كثيرة تتعلق بفنه » . . . . ولا ندري بالضبط ما يقصده الدكتور البيطري بلفظة « وطنه » .

هل يقصد « قرطاجنة » التي قيل إنه ولد فيها ، أو يقصد الرها (على الأرجح) مسقط رأسه حسبما ، لأن قرطاجنة يومذاك لم تكن مشهورة بالطب قدر بغداد وحلب اللتين درس فيهما قسطنطين . ولعله يقصد بالكتب الكثيرة تلك المخطوطات التي ابتاعها من بغداد وحلب ويستأنف البيطري كلامه ليقول :

« ثم أبحر إلى جنوب إيطاليا آخذاً معه الثمينة من المخطوطات ، إلا أن عاصفة هوجاء هبت عليه في البحر فأغرقت قسماً من كنوزه الأدبية ، فلما قدم إلى سالرنو اعتكف في الدير البندكتي في مدينة مونتي كاسينو ، وسمى نفسه قسطنطين ، وانهمك في ترجمة ما تبقى معه من العربية إلى اللاتينية وقدمه للأمير . ولا شك في أن عمل هذا التاجر كان نواة لمدرسة سالرنو الطبية ، التي اتجهت فجأة إلى دراسة الطب العربي ، فحصلت بسببه على شهرة أكبر من ذي قبل ، ودفعت جميع مدارس الطب الأخرى إلى التجديد » .

لم تكن مدرسة سالرنو الطبية موجودة في إيطاليا قبل قدوم قسطنطين إلى إيطاليا ، فهو الذي وضع أسسها ، وأنشأها من العدم ، ولذلك بدأت بداية عربية ، ولم تتجه فجأة إلى دراسة الطب العربي ، وتشهد بهذا وجود مدارس طب أخرى يومذاك في أوروبا لتنضم معها إلى التجديد ، بل نشأت بعدها وعلى غرارها .

ويستأنف الدكتور البيطري بحثه القيم فيقول :

« لقد ذكر أن قسطنطين ترجم نسخة « كبيرة من « الكتاب الملكي » لعلي بن العباس ، وكتاب « المسافرين » لابن الجزار ، وكتاب « طب العيون » لحنين بن اسحق ، وكثيراً من كتب اسحق في « البول » و « الحميات » والحمية و « الأدوية المفردة » ، كما ترجم من العربية كتباً ذات أصل يوناني ، مثل تقدمة المعرفة والصناعة الكبيرة والأثرة . وذكر بطرس دياكونس ٣٧ كتاباً عليها أثر من ترجمة قسطنطين .

وقد أثر قسطنطين في أحد تلامذته « يوحنا الفارسي » وهو من أصل عربي أيضاً ، فساعده في ترجمة « الكتاب الملكي » وفي وضعه باللاتينية الأصغر ، فصنف كتابي « الصناعة الصغيرة » و « تفسير البول » .

ومن تأثير العرب في مدرسة سالرنو الطبية اعتماد كتاب « العرض التشريحي للخنزير » وكتاب « التشريح » وهما من ترجمة قسطنطين أيضاً .

لقد رغبت في ذكر رأيه ورأي الآخرين في قسطنطين الافريقي ، مع ابداء بعض الملاحظات والتعليقات ، وما ذلك إلا لقرب حلول ذكرى مرور تسعمائة سنة على وفاته ، وذلك في سنة ١٩٨٧ .

ويعود الفضل في ذلك إلى الدكتور حسن فريد أبو غزالة ، فله مني جزيل الشكر لعطائه القيم عن التعليق والتلاقي . ◻

الدكتور صفاء خلوصي

العجلة أم الندامة

قال بعض الحكماء : إياك والعجلة ، فإن العرب كانت تكنيها أم الندامة ، لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ويقطع قبل أن يقدر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ويذم قبل أن يخبر ، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة واعتزل السلامة



قصة قصيرة

أخير

للكاتب اليوناني* : جيوزاس يالتوسيس

ترجمة : المحامي سهيل أيوب

كانت قد طلبت من الكثير عنه . واستقبلته هنالك جالسة على مقعد مريح بسطت يديها فوق مسنديه . واستفسرت في عفوية :

ـ ماذا يمكن أن نعمل من أجلك ؟

أخبرتها أني أصبت بمرض عضال منذ زمن مديد . وأني عرفت أن هنالك في شفائه أملاً ضعيفاً في نجاتي . وأني سمعت عنها الكثير الكثير ، هي التي مارست الطب على مدى سنين طوالاً . وأني وجدت استشارتها .

قالت :

ـ كففت عن ممارسة الطب . انقطعت عن ذلك من طويل زمن . أننا اليوم متقاعدة . ألم تعرف ذلك ؟

ـ بلى ، عرفت . أنتِ طبيبة . ولكني لا أرغب في الموت . لا أرغب فيه وأنا عارف أن هنالك من يمكن أن ينقذني بعد الموت .

افترت شفتاها عن بسمة . واسترسلت ، وقد طلب حتى صوتها الوقور :

ـ ثمة وفرة من الأطباء على الأيام . وثمة عدد كبير من العيادات والمستشفيات والمستوصفات . ولكنك

---

* يونانيا إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي تقع على بحر البلطيق وعاصمتها مدينة فيلنوس .

حتى تراني أنا .. لماذا ؟

جهلت ما أقول ، وكيف أشرح هذا الأمور . وجدتني - هي الأخرى ، إلى الصمت ، ونطلعها على مستوى ملامحها . كانت ذات جبهة بارزة شاهقة ، وشعر أبيض كالثلج ، وعينين زرقاوين صافيتين في قسماتها المتغضنة ، وهي أشبه بمخلوقات أزل ولغز مقهورها . ليس ثمة غطرسة بل وقار . أرغمت نفسي في جهد على النهوض ، واتخذت ناحية الباب .

بسرعة :

- حسبك من تعجل . قل لي ماذا كان تشخيص أطبائك .

- ذبحة صدرية حادة .

- حادة ؟

- نعم ، أيتها الطيبة .

أمضت ضاحكة .

- يشخص هذه الناس متفسلين في أمور الغيب عند الألم . هلا ناولتني عصاي . رجاء .

كانت العصا في زاوية الغرفة . ثخينة كثيرة العقد مصنوعة من خشب السنديان . اتكأت عليها متأنية وحدقت نظراتها .

- قطعاً بمعظم فحوصك .

راحت تدور حولي ، مستندة على عصاها ، قارعة بها الأرض مع كل خطوة من خطواتها . لمست أذني ، ورقبتي ، وضربت على صدري وظهري ، وجست نبضي ، وجستني كتفي ، وأجلستني ، واستلقتني ، وأنهض من جديد ، وانتقدت من قلبي ، وأمعائي .

- في مقدورك ارتداء قميصك الآن .

اضطجعت في غرفة مجاورة وهي تضرب الأرض بعصاها ، وقعدت بيديها وتلك بعض الأوراق الضخامة هنا وهناك . وكانت صاحبة متشحة بالغموض مثلها أبداً .

قلت ، وأنا أستوي الطاهر بالإحساس :

- أيتها الطيبة .. . لن أموت ، أليس كذلك ؟

- بل ، ستموت .

- أأموت ؟

- نعم .

كنت أعرف أنني لو كنت في برهة أخرى لفقد أصابني بنوبة ، نوبة أخرى من تلك النوبات الرهيبة التي لا تطاق . وأنني أمضي الى تفسير الموت . وشعرت في الوقت ذاته بغضب يتفاقم ضد هذه المرأة . ألم تكن تعرف ، وهي الطبيبة الخبيرة ، أن



المريض بمرضه في كتم الحقيقة المريرة عنه ؟ ما أهمية أن أكون مصاباً بمرض عضال عجز عنه ... والموت نفسه يشحذ منجله وراء ظهري ؟ ولكنه - أيتها الطبيبة - يجري على الدوام أن طرق التي سرعان ما تحصن حياتي من جديد ، ولذ عمري سيكون مبهماً . وبعد هذا كله ، فيا أسهل أن أموت وأنت تؤمن الإيمان كله بأن آخر لحظة أملك ستبقى على قيد الحياة . أفلا تعرف من هذا ؟

أصابت الذهول ، وكأنما خنت ما يطوف في خلدي :

- بلى ، لسوف تموت .
- لكن ، أيتها الطبيبة . . .
- جميعنا صائرون الى الموت .

رجعت الى مقعدها ، وعقدت يديها على صدرها مرة أخرى :

- ليس هناك من يموت بدلاً منك ، أو بدلاً مني .

بلغت الى الصمت برهة ، ثم أضافت :

- اذهب الآن وارجع اليّ بعد أسبوع . أحتاج الى وقت للتفكير .
- للتفكير ؟
- نعم . فالأطباء يفكرون أحياناً . وكثيراً ما يحتاج الى زمن يفكر فيه . لا تنس أن العصر يملك جميع المسائل والقضايا داخل الطب . أريد أن ألقي عليها نظرة . الأطباء لا يفكرون وحسب . أحياناً هم يفقدون النظر أيضاً .
- لكن ، أيتها الطبيبة ، أفلا تؤمنين بالطب الآخرين ؟
- أتؤمن أنت بهم ؟

وابتسمت ، وهي تشعر ارتباكي .

- كل ما أعرفه هو أنني لا أعرف شيئاً ... كما قال قديماً سقراط لو حكيم آخر . يجب أن ألقي نظرة بنفسي . فالطبيب إنسان أيضاً ، وهو بدوره يمكن أن يرتكب الأخطاء .

على هذا القرار تعارفنا . بعد أسبوع فحصت جميع وصفاتي الطبية مرة متمعنة ، وقرأت جميع نتائج الاختبارات مرات عديدة ، وفي النهاية كوّمتها بعضها فوق بعض ، وأبعدته :

- تستطيع أن تأخذها الى بيتك وتغسلها بالأساليب التي يطيب لك .
- لكن ، يا دكتورة . . .

أسكتته ، وهي ترفع اصبعها :

- مهلاً لحظة . لنوضح بجلاء شيئاً واحداً منذ البداية . ففي مدارستنا الطبية نجد على الدوام مثلثاً : المريض ، ومرضه ، والطبيب . ثمة وحدة المريض والطبيب غرضها يتغلب على المرض . أما حين يعارض المريض الطبيب ويصطف الى جانب مرضه ، فالمرء يفقد الطبيب وحيداً . وعندها تذهب جهوده كلها هباء . وما الطبيب معرفته هو في جانب من الآن . الى جانبي ، أم في جانب مرضك ؟

- يا له من سؤال ؟ تكلمي وحسب . سأفعل كل ما تطلبين مني .
- نعم . لتشاركني جرعة نقل .
- جرعة ؟

وذهبت بي الأفكار مذاهب شتى .

- هذا أول شرط من شروطي قبل أن نشرع في علاجنا .

لم أستطع أن أصدق أذنيّ .

كان هناك مجموعة من اثنتي عشرة درجة توصل الى شقتها في الطبقة الثانية من بناء قديم ... طابقين ، وكان عليّ أن أتوقف أربع مرات خلال صعودي كي أستعيد أنفاسي اللاهثة . وقد صعدت السلم ، وجعلت دوائر سود تسبح أمام عينيّ .

- أتريدين أن أموت ، أيتها الطبيبة ؟
- أبداً لا أحد سيموت على هذه العتبات .

نهضت ، وضربت الأرض بعصاها ، ودلفت الى الحجرة الأخرى . وسرعان ما عادت حاملة كأسين تلمعان طيفين من البلور الصافي ، ثم جاءت بزجاجة من الخمرة وقليل من البسكويت في طبق ، صبت السائل المخضر في القدحين ، ورفعت أحدهما ، وقالت :

- والآن ، لنشرب نخبنا ونشرب .
- أيتها الطبيبة . أواثقة أنت من أنه تفعل هو عين الصواب ؟ لا بد أن أشرب مقتنعة بأن كل قطرة جرعة .
- اشرب ما في قدحك .

بدا أن رقصة أجسادنا تتعلى معلقة في الهواء ، والتفت الى حافة القدح فمي .

من أجل أي سبب يجب هذا ؟ انتشر في جسدي دفء

للنهاية ، وما أسرع ما طافت في ذهني مرة بعد يوم كنت لا أبرح في أحسن حال ، حين التقيت لأول مرة أيام العطلة مع أصدقائي ، أشرب نخب المستقبل ، نخب حياة طويلة ، رائعة ، عامرة بالفرح والمغامرة . وشعرت فجأة ، على حين غرة ، أن تلك الأيام لم ترحل بعيداً أو يمكن تعويضها .

- أيتها الطبيبة ، ساعديني أنت !

- والآن ينبغي أن تعشق !

- ماذا ؟

- هذا هو ثاني شرط من شروطي قبل أن نبدأ علاجنا .

حدقت في عينيها ، وشككت أن بسمة طفيفة ارتسمت على شفتيها ، لكنها لم تكن تمزح . كانت عيناها الصافيتان تنظران إليّ باستقامة . ولم تكن هيئتها تنطق بأي أثر للريبة في كلامها .

- لكنني ، أيتها الطبيبة ، لكنني رجل متزوج .

- لا علاقة لزواجك بالموضوع . هذا ما كان ينبغي أن يكون . لكنه ينبغي أن تعشق من جديد .

واسترسلت قائلة :

- ولديّ أطفال ، أيتها الطبيبة . ثلاثة أطفال .

- هذه أول مرة أسمع فيها أن الأطفال يكونون حجر عثرة في طريق سقوط المرء في الحب .

فقدت القدرة على الكلام . فهذه المرأة لا تشبه في شيء أي طبيب عرفت . أو أي شخص آخر . ووسائلها في العلاج لم تكن أبداً غير قويمة .

- وفضلاً عن ذلك ، فإن قلبي ضعيف . ولا يفترض فيّ أن أكثر انفعالي . لا يجوز لي ذلك .

- ليس قلبك ما يزعجك .

- ليس قلبي ؟ ولكنني مصاب بذبحة صدرية .

طافت على شفتيها بسمة .

- يشكو منه الناس المشغولون في الحب هذه الأيام !

لم أستطع الامتناع عن الابتسام لسماعي هذه الكلمات .

- لكنني عرفتك ، يا دكتورة .

قالت :

- هذا هو السبيل الوحيد الذي يتيح لنا متابعة العمل .

- افترض أني اتبعت نصيحتك وعشقت .

- أجل ، افعل هذا .

- لكن من هي الفتاة التي يمكن أن تعشقني ؟ فأنا لم أكن وسيماً قط ، وها أنا الآن مريض ومتزوج . وقد تخطيت سن الشباب وتجاوزت الخمسين كما تعرفين .

- لا أقول بالضبط أي فتاة تعشقك ؟

- حسناً ، المثال الذي عثرت عليه . . . . لنقل أني عملت بنصيحتك وجربت عملي من تحميلي . لكن ، ماذا بشأنها ؟ أيمكن أن تحبني هي أيضاً ؟

- لكنني لم أشر إلى فتاة بعينها .

- لم تفعلي ذلك ؟

- تحدثت عن الحب وحسب . يجب أن تعشق .

- ومن أعشق ؟

- تلك هي مشكلتك .

- أوه !

- ولا يجدي مشكلتك أن تجد من يعطيه وداً بود . يا للطريقة العجيبة في النظر إلى الأمور : أعطيك شيئاً ، ويجب أن تعطيني شيئاً مقابله . أنت من ينبغي أن يعشق . وهذا كاف .

وهكذا بدأ علاجها طريقه . كانت متعسفة لا يصدق . وكلما تقدمت فيه ازدادت الوصفات المعقدة . ألغيت الفوضى في أسلوب حياتي ، وغذائي ، وجدول أعمالي . والتفت من الفطنة بنظام صحي .

- كل ما تشتهي وتستطيب ، ويظهر ما يروق لك أن تأكل .

قالت إنه يجب أن أكون صحوياً قدر استطاعتي ، وأن أمتنع تماماً عن أي عمل في طريقي . طبيعي أنه يجب عليّ أن أبقى في الراحة بين حين وحين ، وأن ألزم بجميع التمرينات في ظروف مطلقة . يجب أن أستنشق هواء نقياً على مدى ست ساعات في كل يوم . وأن أنام والنوافذ مفتوحة .

- ولكن النوافذ تقفل في الشتاء .

- افتحيها . هل تقوم بالألعاب الجمبازية في الصباح ؟

- ألا يمكن أن تكوني جادة ؟

- سيكون لديك متسع من الوقت للمزاح فيما بعد . وفي هذه الأثناء ينبغي أن تقوم بالتمرينات كل صباح . ابدأ بخمس دقائق وتزيدها تدريجياً إلى عشر . وسأخبرك بالتمرينات التي تقوم بها .

ـ لكن يا دكتورة .. ألا تفترضين أن لا أرتاح بوجود أحد من خلفي .

ـ هذا صحيح تماماً . يجب أن ترفعي رأسك من نعلك . ستشعرين أن عنقك يؤلمك . وستتابع نظرك في سرعة الحلاج اليابسي في فيلموس . ولقد أنك سمعت به .

ضحكت في سري لا يمكن الاعتراض عليه أو الارتياب فيه . لم أعطي أي وصفة . ولكنها دلت على زجاجة جرعات الأدوية التي وصفتها للمساء . قالت :

ـ الجسد البشري يعرف كيف يدافع عن نفسه ضد المرض . لكن الجسد يجب أن يتم بالصوت . أن يتم بالصوت . لا أن يصحو بجرعات مسكنة من الأدوية . على ما يبدو أن بعض الأطباء يرونه ضرورياً ، فهم يعالجون أحد الأعضاء ويدمرون نسقاً آخر :

ـ لكن هذا ما يقوله دكاترون الطبيون .. أليس كذلك ؟

فأجابتني قائلة :

ـ وهكذا فهل أفواجاً كبيرة من الناس متخصصون في تخفيف هذه الأوبئة ؟ لا تحصى الكتب والمجلات الطبية .. فثمة شيء جديد في جعبة العلم الطبي .

ـ أنا أحب

ـ على المرء أن يلتمس أعذاراً لرغباته

كانت .. في كل مرة أزورها .. تعيد إلي مخصصي مخصصاً كاملاً .. وتمشي حولي .. فتقرعه الأرض بعصاها . وتخبرني عند الفراق :

ـ ارجعي في غضون أسبوع .

رجعت .. وفي كل مرة كنت أجد تلك العجوز الوحيدة النشيطة جالسة في مكتبها على طاولتها ، ورداؤها على مسندها . كانت الغرفة مسيجة الأثاث وثمة رفوف ملأى بالكتب على الجدران . ومسندة ومطرزة بالقهوة تتوسطها بصحف ومجلات طبية وأجنبية . فهي تجد متعة لمهنتها ، مثل كثير من الأطباء ، كأنها فارة نشيطة . متلهفة لمناقشة الكتب التي قرأتها . وإلى الصفحة تصل إلى الكلاب أو شاشة التلفاز .. ولقد حدث في بعضها ثمة يابانية من الجميع كان منطوياً غريب الطلعة : صغير الحجم .. له ملامح حيوان ضخم مرعب .. وأنيابه الطاحنة تبرز من فمه المفتوح .. في حين انطلقت عيناه إلى الوراء .

ـ سأكون مرة .. وعدت إلى أخيراً لنظرة ثم .. أضحكت منه الشيب ؟

ـ حسبت أن شيء من روحك :

ـ ماذا .. من الأصلاني ؟

ـ يسرني أنه لا يصيبك

وأضحكت بعد برهة من صمت

ـ أنه ليست تعني شيئي .

ـ لكن عليها أن تصمت مرة أخرى .. وحين تلك أن أعنيت في شيء من غضب مكبوت

ـ ما أنتِ ستعيدين بعضك ؟

ثم أضحكتني سؤالها :

ـ هل عارضت من ذلك ؟

ـ هكذا ؟ لكن .. يا دكتورة .. كنت لا أعرف . .

ـ فلست ينبغي أن تعيش

وضحكت في سره .

ـ لم تستطع العثور على امرأة مسنة .. فأعطي من ثقة في مختلف العمر

وأجبت وجهي المشلولة بعد عنفوان

ـ ينبغي أن أستند مرضاي بين فترة وأخرى

وهكذا انقضى شهر كامل . وأعطيه أسبوعاً آخر إليه . وحدث يوم حللت في عيني بعد أن فحصتني فحصاً شاملاً دون أن تنبس بحرف . فرجت فلتها يرتفع ارتفاعة خفيفة .. وثمة تشبث في أعماقه تلك بتطلعك بعمق .

ـ ثمة شيء ما يجري الآن .

قلت أحسست بذلك .. لم نصل طبيعيه .. ولكنه موجود . فهي متيقنة منا من أحماقي .. والحقيقة في لا وعي ثمة شيء جديد يتحرك ويشرع في التطور .. شيء غير عادي يصعب وصفه في كلمات .. فإن أشبه شيء به .. أشبه بيقيني من سعادة مفقودة .. وشهدت في داخلي رغبة في الحركة .. في العمل .. رغبة قوية في الاختلاط بالناس والتحدث مع جديد

نهضت .. وضربت بعصاها الأرض ضربة قوية .. وتألقت التماعة في عينيها من جديد .. قالت :

ـ ارجعي في غضون أسبوع

ورجعت .. سكتت على هذه الحال أسابيع طويلة .. كنت أسمعها كل مرة تقول : ستمشين أسرع من قبلاً .. ويبدو أن ثمة جديداً يتحقق في تدريبي .. ولكن قلبي

عنايتي بصورة منتظمة ، وإن حبي لزوجتنا يتسرّب ويملأنا .

- أيتها الطيبة ، لماذا أحس حيالك غريباً ؟

- ترجع بعد أسبوع .

- ولكنني أشعر ، أيتها الطيبة ، ألا تخجلين ، إلى الحسن !

- وهكذا ظلت الواجبة أكثر من الناس متسامحون في أمور تغلب عليه الأيام .

ومهما يكن الأمر ، فقد اخترت أمراً شيئاً جميلاً يحدث فيه ، يحتويها على شيء من شجاعة . قلت :

- أتشربين قدحاً من القهوة .

- بكل سرور . لكن ، هل يعترض أن تشاركني القهوة ؟ لماذا تسيء إلى قلبي .

- أوه ، أنني كذلك ؟ فقط . لم ألحظ هذا الأمر . كنت أشربها طوال حياتي ، غير أنني لم ألحظ هذا الأمر أبداً .

وما أسرع أن وُضع فنجان من القهوة على الطاولة ، صببت في فنجانها وصببت لنفسي أيضاً . حدقت أنها ترتدي بلوزة بيضاء لم يسبق أن ارتدتها ، وأن شعرها الأبيض جُز بصورة مختلفة أمسك به مشطاً مشط منسوب . صببت القهوة في فنجانها وأمسكت وجنتها على يدها وابتسمت في ابتسامة فاتنة يصعب على المرء أن يصدق معها أن هذه المرأة عرفت على الشاطئ مدة زمن طويل جميع أصدقائها إلى قبورهم ، وأنها تعرف أن اليوم الذي سترحل فيه إلى الأبد عن هذا المنزل لم يعد بعيداً . وبدا لي أن ما ينشر النور في كل مكان ليس قميصها الأبيض وابتسامتها وحدها ، بل عيناها الزرقاوان الصافيتان ، وجسدها بأسره صغيراً منتصباً للغاية . بدت شابة الطلعة ، جميلة الشباب ، عجولاً كصبية في ريعان الشباب .

- ترجع بعد أسبوع . لا تنس .

مرت سنة كاملة . نسيت تماماً أنني اضطررت مرة لانتظار وانتظار أقدامي على درجها الخشبي . لقد ذهب ذلك الماضي الرهيب حيث أقبل نوبة تحس بالحر ، وشعرت أنه ليس أعظم من عمر ، وأن الموت يتربص بي في كل مكان ، وأنني أحمله في داخلي . وهذا كله بسبب من هذه المرأة ، هذه المرأة الطيبة الوحيدة المشعة .

قالت مبتسمة :

- هذا ليس صحيحاً . إنك تحسك رغبة في الحياة . هذا هو الجواب .

- ألا يرغب كل إنسان في الحياة .

- لا .

- أنا لم ألتق ، مرة واحدة من لم يرغب في الحياة .

- وأنا التقيت . وأعداداً كبيرة أيضاً .

مرت سحابة على وجهها . ثم استندت على يدها وغرقت في لجة من الصمت .

استمر صمتها طويلاً مستغرقة في التفكير ، وكأنها تخاطب نفسها :

- هم لن يشيروا عن الطريق حتى يصلوا بالمصير مصيرهم .

- من يفعل ذلك ؟

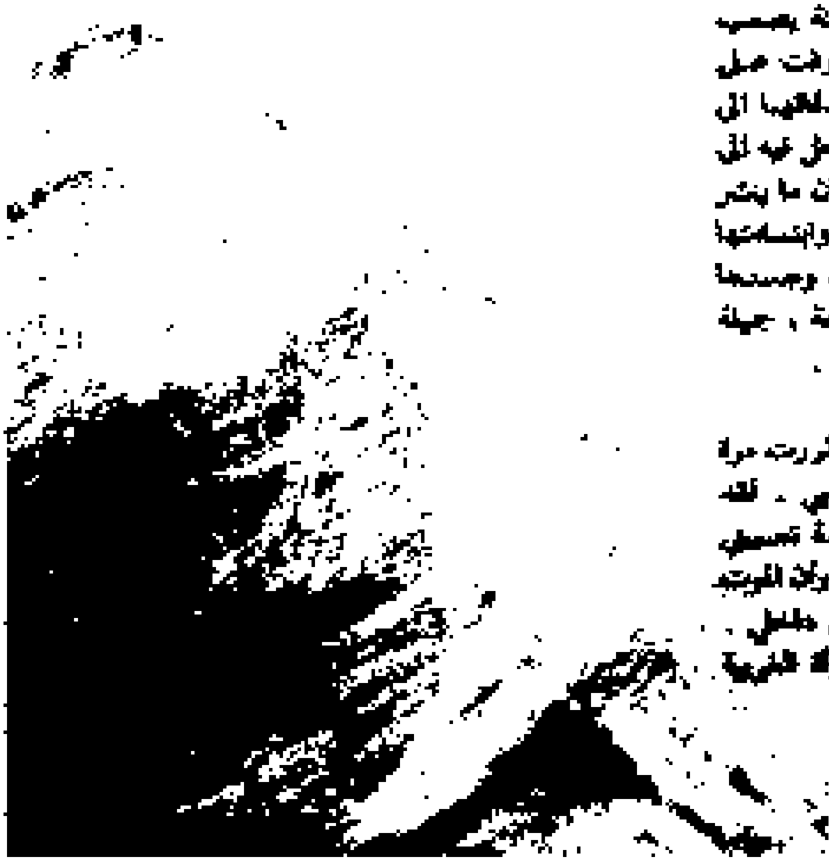
قالت في أسى :

- الناس . يدخنون ويشربون أكثر من المألوف ، ويسهرون في الليل ، وينامون في النهار ، ويأكلون بسرعة ، ولا يأكلون بما يأكلون ، يكفيهم كله جوع طعام . ويتضررون جميعاً !

- لكن . . .

قالت ، بنبرة حنونة ، وفي صوتها رنة الطيب :

- وأنت واحد منهم . بل أنت أسرة واحد فيهم .





أنت وعدت أن تعيش.

- هذا ليس صحيحاً.

- هل تذكرك إلى الطبيب، يوم جئت إليّ للمرة الأولى كنت هزيلاً مرعوباً. ولمرة من هذا كله لم يكن قد تبقى لديك شيء من الطيب لأطرافك البشر، بل لنفسك. وكان من الجلي أنك بت لم تحتمل، صابر إلى الموت. وفي خلال فترة قصيرة من الزمن

أتذكر حديثنا. جلست في صمت زمناً طويلاً، وذراعاها، مثنيتان، مرتاحتان على المقعد. وأخيراً التفتت إلي بنبرة رقيقة:

- الموت يفتش دائماً عن أمثال هؤلاء الناس، يفتش عن أولئك الذين فقدوا الرغبة في الحياة. هذا هو الوخز الذي يدفعه إلى التحرك.

وأضافت في نبرة [illegible] لا [illegible] تمر على [illegible] صمتها:

- [illegible] مرتين في الأسبوع لن [illegible] كل ذلك.

- أصدق هذا بكل سرور. ولكني كنت أشعر بالحسن [illegible] لم تعد هناك حاجة لإضاعة مزيد من أموالك.

- أنت [illegible] لا تصدر [illegible] صمتك. هلا [illegible]؟

ورفعت [illegible]

نهضت من [illegible]، وضربت بعصاها على الأرض ضربة قوية.

في كل مرة كنت أزورها أجد غلاية القهوة تغلي برفق تحت غطاء كثيف من القماش. وأجد هناك طبقاً صغيراً من البسكويت وطبقاً آخر من الفواكه. وأجدها جالسة إلى المنضدة وقد ارتدت أبهى ثيابها، وارتسم الخجل في ابتسامتها. لم تكن تنتظر إلى مبادرة، بل تشرع في صب القهوة. وكنا نتبادل الحديث. فقد كانت ثمة أمور كثيرة تحدثت عنها. وكلما كان موضوع الحديث يتعلق عن وجهة نظرها بخصوصه بصورة ملحة. ولكن هنالك موضوع واحد لم تتطرق إليه على الإطلاق، حياتها الخاصة، ماضيها. كنت أدعوها ناتاليا نوفيكوفنا (?)، وناتاليا اسم روسي. وسألتها مرة:

- أروسية أنت؟

- وهل هذا مهم؟

وحين لمحت ارتباكي، أضافت:

- اشرب قليلاً من القهوة، والبسكويت لذيذ، سأنتظرك يوم الثلاثاء أيضاً. هل تجيء؟

كانت الأمور على وشك أن تأخذ زيارتها [illegible] ضرورية بالنسبة إليّ. لقد اشتد عودي الآن، انقطعت عن أسلوبي القديم [illegible] في [illegible]. وبدأت أشياء كثيرة [illegible] في هذه الأيام، أشياء كثيرة لم أعرفها. ودخل حياتي أشخاص جدد [illegible]. وأصبحت [illegible] زيارة الطبيبة [illegible] بصورة ملحة. وذات مرة أخرى [illegible] أن [illegible] يخطر على بال المريض [illegible] الذين [illegible] الطبيبة التي [illegible] مرضه. ولكنها [illegible] في صمت، وفي [illegible] على [illegible] ترتدي أبهى ثيابها، وتجلس إلى جانب غلاية القهوة وطبق البسكويت والفواكه.

قالت مرة بعد أن لبثت صامتة زمناً طويلاً:

- [illegible] أكثر [illegible]. وقد [illegible] القهوة [illegible] مرة أخرى.

لم أستطع [illegible] في ذلك الشهر. ومر أسبوع، وأسبوع آخر، وأسبوع ثالث، ودون أن [illegible] في الوقت لزيارة تلك المرأة، التي [illegible] في طريق العودة إلى الحياة جديداً.

في النهاية حل الربيع، وتفتحت أشجار الزيزفون كلها في [illegible] بأوراق خضر لطيفة، [illegible] الحدائق [illegible]. وراح [illegible] يعمل في الساحات المركزية، [illegible] سلطة [illegible] فوق المدينة. [illegible] جميعاً [illegible] في [illegible] الربيعية. وكان الربيع يتخطر عبر الشوارع والساحات، [illegible] كل ما كان [illegible] وكئيباً، ويغني [illegible] ضحكات الأطفال [illegible] الشوارع، [illegible] في [illegible] كل [illegible] من القلب.

في مثل تلك الأيام طرقت بابي امرأة غريبة، ووقفت في منتصف الغرفة، وأمسكت [illegible]، وقالت:

- تطلب إليك ناتاليا [illegible] أن تزورها إن استطعت.

يخيل أحياناً أنك تلتقي شخصاً لم تقع عليه عيناك

زمنا طويلاً ، ويتأكد لديك في حين منه أنك تنظر إلى غريب ، إلى شخص لا يربطه أي رباط بالشخص الذي تعرفه ، الشخص الذي كان صديقك ، الشخص الذي جئت لتراه . وهذا ما جرى معي .

صعدت الدرج ثانية ورأيت امرأة عجوزاً يحمل وجهها ظلال الموت السوداء . حدقت في بعينيها الرماديتين الغائرتين وهمست :

ـ شكراً .

ضحكت ، ولقد هزني منظرها :

ـ أيتها الطيبة ، أرجو أن تصغي إلي .

انحسرت أصابعها وكأنها تقول : لا ضرورة لأي تفسيرات .

تناولت صحيفتين من الورق عن طاولتها . كانتا مملوءتين بالكتابة . وقالت ، وشفتاها لا تكادان تتحركان خلال حديثها :

ـ كتبته هنا كل شيء . كل ما علمته خلال حياتي فخذيه لتعرفي ما ينبغي أن تعملي .

ـ لا ، أيتها الطيبة . لست في حاجة إلى هذه التعليمات . سوف أجيء صوره صحيحة من [illegible] واستقراره .

فحدقت بي الكلمات متسارعاً من [illegible] في عينيها دهشتين [illegible] [illegible] .

ـ من أجل مرة أخرى .

ـ لماذا ؟ لماذا لا شيء ؟

صمتت لفترة بعطيل [illegible] في شيء . ثم بعثت إلي خاطب داخلي ، واستدرت لي حنق .

ـ أستطيع ... أن تعطيني ؟

انحنيت ونظرت جبهتها ووجنتيها ويديها اللتين تركتاني حقداً ولطفاً .

قالت ، ولقد أشرقت ابتسامة على عين [illegible] :

ـ اذهبي الآن ، وشكراً لك . شكراً على كل شيء .

ـ تشكرينني ؟

ـ اذهب .

لم يكن السر يحوي على عنوان أسرها . حينما وصلت إلى الوصية شعرت أن علي أن أعود . كانت ذاتها تواقتين تنظر إلي ، وحدقت بسمة طفيفة في شق شفتيها طريقاً خلال الظلال الأشهب الشفر

بالوجه المريض على وجهها . صرخت :

ـ دكتورة ؟

ـ اذهب !

هبطت من الدرج ، هذا الدرج ذاته الذي ما أكثر ما عانيت من الصعود عليه في المرة الأولى . وتوقفت لديك ، ولقد سيطر علي شعور غريب ، وجهلت ما الذا كان علي الاستمرار في الهبوط أم العودة اليها .

ظننت أني سمعت ولكن صوتها من الأعلى .

ـ لا أستطيع سماع خطواتك . أريد أن أسمع خطوات رحيلك . اذهب .

فذهبت .

في تلك الليلة جاء شتاء الشيخ والمدة الأكثر ظلمة والسنابل المتحجرة في الحقول . وذكرتني تلك المرأة الغريبة بوجوه أخرى . نظرت إلى في جبهة مثلها بوجه لم أعرفه ، ثم تركتني بعد ذلك صغيرة وقالت .

ـ هذه لك .

لتحت الأرض وأعطته كتب صغيرة من تلك الكتب الباقي الذي المنسي الأسماء الكبرى الغبي . وكانت معه رسالة بخط مألوف لدي .

« أعطني هذه الكتب قبل سنوات عديدة رجل شيخ . عجوز مثلي الآن . جاء في مرحلة الأخيرة . وطلب مني أن أعطيه إلى مرحلتي الأخيرة لشخص ما بعده . عندما أبلغ العمر الذي بلغه ، والذي كان صغيراً . ليحيي الكتب . نظري جميعاً إلى مجموعة مكتبته ، مع تحية الى مرحلتك الأخيرة ، الى آخر شخص في حياتك جعلتك ترغب في الحياة ، والحق ، والحب . ولم نتقابل حتى الآن من جيل إلى جيل مثلما تتقاسم الشمس ونسائم البحر والأنهار والجبال » .

وضعت عيني [illegible] المرأة العجوز قد جعلتني في بيت أعطتني هذه الكتب ، ليث ... [illegible] ... البؤس .

وحينها عرفت أن ستأخذ رحمة ذاتها . وأني في يوم من الأيام ستعطي الكتب إلى شخص آخر . فسوف يكون هنالك من أعطيه لها ، ذلك أن الكتب لا تبرح مدينة الماضي ، بطيوفها وشرها ، ومسافاتها وصراعها ، واحزانها .

كل شيء لا يبرح مدينة الماضي .



سليمان الشيخ

ن لبنان في شهر حزيران يونية في سنة ١٩٨٢ غزت القوات

الاسرائيلية لبنان. وبعد أن حاصرت القوات بيروت مدة مما أدى إلى هزيمة قادتها سقطت

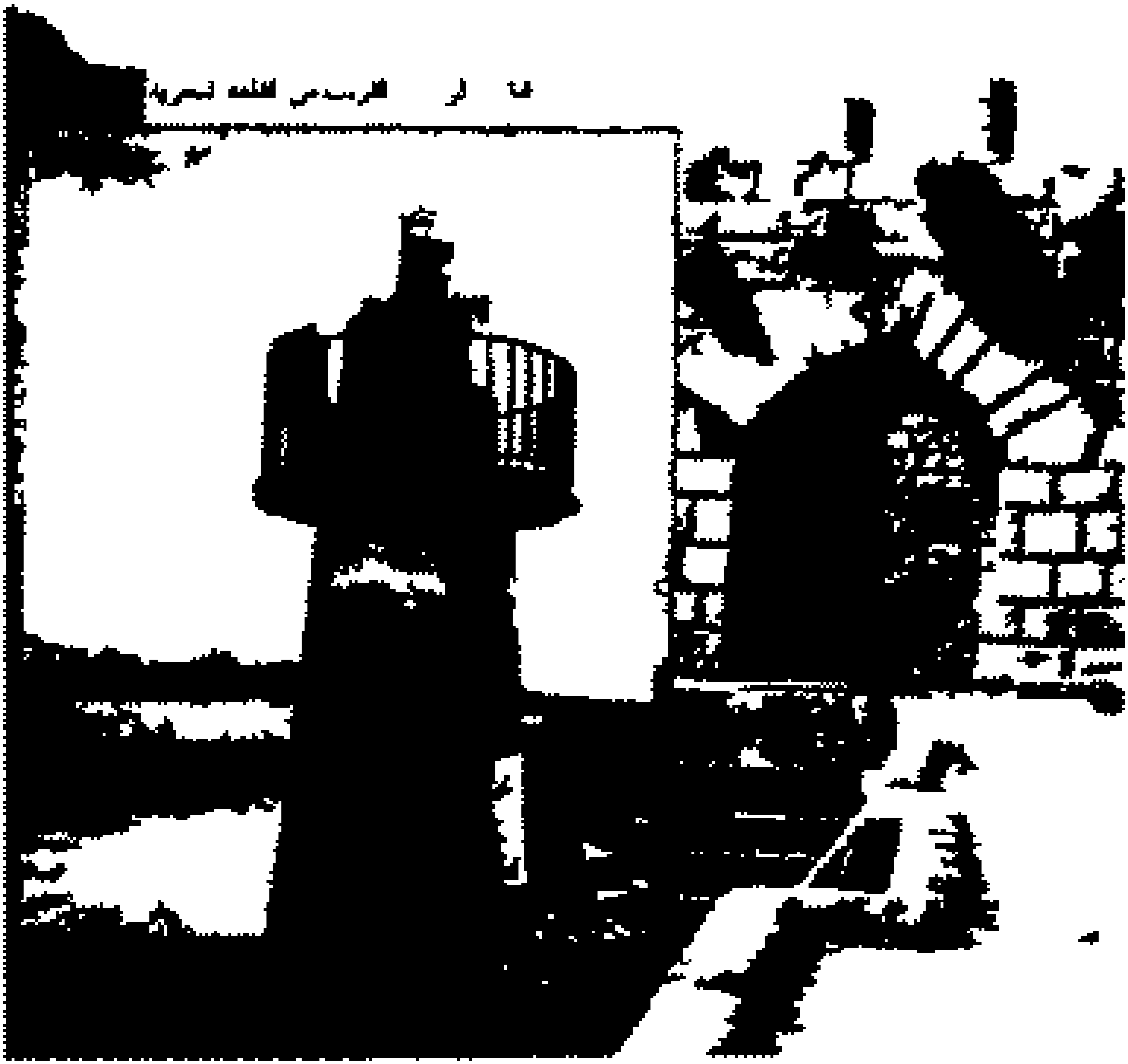
الاحتلال جنوب لبنان لأن القوات لم تستكن وحتى هذا الاسرائيليين

سيطروا إلى أن أجبرتهم على الانسحاب من منطقة منها عدا أن أشهر قليل

في سنة ١٩٨٥

فكيف عاش الناس تحت ظروف الاحتلال؟

وكيف كانت المقاومة؟



هذا برج قريب من القلعة البحرية

« ما يبقى في الوادي إلا حجارة »

أي لا يبقى في الأودية بعد السيل إلا حجارتها .

هكذا اختزل الأمر ، وكتبه الكاتب الجزائري (الطاهر وطار) في روايته الشهيرة « اللاز » .

وهذا القول يفيد بأنه مهما تجبر المستعمر وطغى ومارس كل صنوف الإرهاب ، فإنه سيجلو عن الأرض مهما طال الزمان ، وإنما ستبقى لأبنائها .. وحجارتها وصخورها ونباتها وأهلها أرضها . وإذا سيله مهما تعاظم وخرب ودمر ، فإنه سيمضي ويزول ، بعكس حجارة الوادي التي تبقى وتستمر !

تذكرت الرواية ، وهذه الجملة بالذات وأنا في قلب « وادي جهنم » في بقايا معسكر « أنصار » الذي كان مدرسة للتعذيب من مناضلي الشعب اللبناني والفلسطيني وغيرهم . وتم الانتهاء من إقامة المعسكر الرهيب على أرض بلدة أنصار ، بتاريخ ٢٨/٦/١٩٨٢ . وأنصار تقع في محافظة النبطية في الجنوب اللبناني ، وتبعد عن بيروت ٨٠ كم . وقد أزيل المعتقل بتاريخ ٣/٤/١٩٨٥ م .

لم يبق من آثاره إلا الأسلاك الشائكة ، وكتابات عبرية على بعض الصخور والمباني ، والأرض حرثتها البلدوزرات « والبلدوزرات » . كي يتم إخفاء معالم المعسكر الرهيب ، الذي حشر فيه آلاف المناضلين ، منذ الغزو الصهيوني للبنان في شهر يونيو - حزيران من عام ١٩٨٢ إلى بداية الربع الأول من سنة ١٩٨٥ م .

● نسأل عصمت سكيني ، المسؤول العسكري في التنظيم الشعبي الناصري ، الذي شطب من مدينة صيدا الملاصقة له ، ما تبقى من الغزو الإسرائيلي .

- يجيب .

لقد تركوا بقعة حراسة وبصمات تعذيب على أجساد الآلاف للشباب ، وتركوا رهبة وإصرارا على المقاومة في نفوسنا ، وخرابا في الاقتصاد ، وأوهمنا مثلما يلوحون به - كالمزاحمة كل يوم باسمه « جيش لبنان الجنوبي » عملائهم ومخبط عملائهم . وتركوا أيضا كتابات على بعض المباني ومفارق الطرق ، كي ترشد قوافلهم خوفا من أن يضلوا الطريق ويقعوا في كمائن المقاومة .

● وصيدا منك ؟

- إنها أكيدا ستتحرر كل شبر احتلوه ويحتلونه .

بعد مضي على انسحاب الإسرائيليين حوالي سنة من مدينة صيدا والمنطقة التي تحيط بها (انسحبت القوات الإسرائيلية بتاريخ ١٦/٢/١٩٨٥ من المدينة) .

ومن حق صيدا عاصمة الجنوب اللبناني علينا متابعة رحلة نضالها ومقاومتها ضد الغزاة ، ومحاولة استرجاع أيام وشهور السنوات الثلاث التي عاشتها المدينة تحت كابوس ونير الاحتلال .

نزهة لم تستمر !

اعتقدوا في البداية أنها نزهة ... لكنهم لاقوا أهوالا من الرعب ، وتوالت طلقات « الطيوكيتر » تقتل أبطالهم وجرحاهم ، صحيح أنهم احتلوا صيدا ، لكنهم عاشوا شبحا قلقا ، واضطروا أخيرا للخروج منها .

هكذا قال لنا الدكتور نبيل الراعي سكرتير اللجنة المركزية للتنظيم الشعبي الناصري في صيدا .

ويضيف : اقرأ معي صيدا تضحياتهم ، وستجد

المراقبين لا تنقصهم الصراحة والوضوح ... في كتبهم وأبحاثهم الذين يعرفون عن صيدا، حيث الإسرائيلي فيها.

« إسرائيل » يبقى « من صلاح المشروع الصهيوني » حروب خطيرة في صيدا. يحكي عن الحكايات المرة: « معارك الشوارع التي دارت داخل صيدا كانت معارك عنيفة جداً. أقول عنك وأنا وغيري نستطيع أن نقول، إنك شاركت في عدة حروب وأعمال عسكرية في السابق، لكن هذه كانت أول حرب أخوض فيها قتالاً في مناطق مأهولة ».

ويعلق الدكتور إبراهيم ...

صحيح أن القوات المشتركة الفلسطينية واللبنانية أبدى بعضها استبسالاً فائقاً، إلا أن المدينة سقطت أخيراً في قبضة العدو، وسيق الكثير من شبانها ورجالها إلى المعتقلات، واضطر بعضهم إلى مغادرة المدينة.

تحرك الإسرائيليون في الأيام التالية براحة، وأوغلوا في تمشيط المدينة، وتابعوا حصارهم للمخيمات الفلسطينية التي بقيت فيها بعض المقاومة، بل إن الإسرائيليين المحتلين جابوا بالسيارات الكبيرة شوارع، وأخذوا يتنقلون من مكان إلى آخر، معتقدين أن الأمر قد استتب لهم تماماً...

لكن المقاومة، أي مقاومة الاحتلال وقوته وجبروته، كانت هناك من يعرف تجاوزها، وينطلق الإطلاق من جديد...

جاء في كتاب « المقاومة الوطنية في الجنوب اللبناني » لمجموعة من الكتاب مثل:

« في ٨ تموز نقل مراسل وكالة رويتر ... تقريراً من صيدا عن « معاناة » جنود الاحتلال من السكان المحليين، جاء فيه: « بعد شهر من احتلال الجنوب تجد القوات الإسرائيلية المقاتلة أن وجودها كجيش احتلال في هذه المنطقة التي تتواجد فيها فئات مختلفة، هو أمر مرهق، بل إنه محفوف بالأخطار.

ويروي رودجرز حادثة يقول إنه شاهدها بأم عينه: عندما كان الرقيب الإسرائيلي يقود شاحنة خفيفة من دون أبواب، أصيب بحجر رمته كانت إلى جانب الطريق. وعندما سأل عن سبب وجهه ومن هو ... أجيب: لا ... النسبة



صيدا عاصمة الجنوب اللبناني في خريطة مليئة بالصراعات

يمكن أن تكون إسرائيلية ... أما الفاعل، فهو مجهول حتماً ».

الحرق لا التسليم !

تعتبر صيدا من أهم المدن الفينيقية، ولعبت دوراً مهماً في التاريخ القديم، ويقال إنها أول مدينة أسسها الفينيقيون سنة ٢٨٠٠ ق. م.

والفينيقيون من الشعوب السامية التي انضمت بتوالي هجراتها من اليمن والجزيرة العربية والجزر العربية منذ ابتداء من ٣٥٠٠ ق. م.

وقد تقلبت على صيدا خلال حقب التاريخ قوى كثيرة، فتارة كان الفينيقيون وحكام صيدا بالذات يمارسون نفوذهم وسطوتهم على غيرهم من ممالك وشعوب، وفي أحيان أخرى فإنهم كانوا يخضعون للقوة الغاصبة، ويوظفون مهاراتهم التجارية والبحرية في خدمة تلك القوى.

لكن التاريخ يسجل للمدينة موقفاً يفخر به ذاكره .

ترعرعت زمان القوة الفارسية المنطلقة من الهضبة الإيرانية في القرن السادس قبل الميلاد . والصيداويون خضعوا كغيرهم لهذه القوة المتسلطة التي وصلت سيطرتها إلى مصر .

إلا أن بعض ولاة الفرس أساءوا معاملة الشعوب التي حكموها .

والصيداويون كانوا من بين تلك الشعوب . كما أن الفرس أخذوا يستريبون بالشعوب التي حكموها ، ومنهم الفينيقيون الذين شكوا بهم . واتهموهم بأنهم لم يقدموا العون الكافي في حربهم ضد اليونان فشددوا الخناق عليهم وساموهم سوء العذاب .

ولما أعلن ملك صيدون استراتون الأول استقلاله التام عن الدولة الفارسية سنة ٣٦٢ق.م وشكل قوة حربية أطلق عليها اسم « جيوش التحرير » .

كما أعلنت مصر استقلالها أيضاً ، مما حمل الفرس إلى تجريد حملة لإخضاع الولايات الثائرة . فترأس ملك الفرس ارتحشستا الثالث الحملة ، ونوى الانتقام من صيدا شر انتقام .

وبينما كان الصيداويون يحاربون ، ويحرصون على مهاجمة الحصار على شرف القتال ، فإن مليكهم كان يعد عدة الاستسلام ، إلا أن الملك الفارسي لم يقبل استسلام المدينة ، وقتل خمسمائة من وجهائها ، جاءوا يفاوضون لأجل تقديم الطاعة .

عند ذلك ، وعندما رأى الصيداويون الخطر المحدق بهم وأن خيانة مليكهم جعلتهم فريسة لأعدائهم . أحرقوا المراكب بأيديهم وأسطوله حتى لا يعود تفكير الهرب ، فيقدروا بإحراق بعضهم حتى لا يتمكن أحد منهم أن يهرب منها ، ثم اجتمعوا وأغلق كل بيته بنفسه وأولاده ونسوته ، وأشعلوا النار ، فباتوا بها حرقاً بعد أن صارت أتوناً من النار الملتهبة ، واحترق فيها زهاء أربعين ألف نسمة مع كنوزهم وأموالهم . فكانت هذه الملحمة الانتحارية أعظم ما دونه التاريخ في صفحاته المجيدة لبطولة شعب كما جاء في كتاب منير الخوري « صيدا عبر حقب التاريخ » .

حوصرت هذه المدينة سنة ٣٥٠ ق.م وصمدت لم

بقي الفرس في البلاد ، فهزمهم فاتح أكبر هو الإسكندر المقدوني ، فسقطت دولة الفرس أمام جحافله ، ودانت له الولايات التي كانت تابعة لها .

ومحطات أخرى

ويختزل حمزة عليان في كتاب « الذاكرة الوطنية في الجنوب اللبناني » تاريخ المدينة اللاحق على تلك الفترة فيقول :

استسلمت للإسكندر المقدوني الكبير سنة ٣٣٣ ق.م ، ثم حكمها السلوقيون والرومان والبيزنطيون .

استولى عليها يزيد بن أبي سفيان بلا عناء ، وفتحها العرب سنة ٦٣٨م ، وألحقوها بجند دمشق ، وكانت الميناء العسكري لهذا الإقليم .

استولى عليها الصليبيون عام ١١١٦م . واستعادها صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧م . ثم استولى عليها الصليبيون ثانية سنة ١٢٢٨م . وفي سنة ١٢٥٣م ملكها لويس التاسع ملك فرنسا ، وحصّن قلاعها وحصونها ، (أطلق اسم لويس على القلعة البرية بعد أن رممها ، وكانت فيما مضى تعرف باسم قلعة المعز نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمي ، الذي حصّن القلعة ورممها في زمن سابق) .

استعادها المماليك عام ١٢٩١ لآخر مرة بعد سقوط مدينة عكا ، ودمروا تحصيناتها وجعلوها على الأرض قاعاً .

أعاد بناءها الأمير فخر الدين المعني الكبير بعد أن سيطرت على الشرق الدولة العثمانية ، اعتباراً من سنة ١٥١٦م .)

وفي عصرنا الحاضر

ويضيف حمزة عليان في اختصاره لتاريخ المدينة فيذكر سيرة بعض رجالاتها فيقول :

« شهدت صيدا في بداية القرن العشرين مواقف وطنية وقومية إزاء الحركات التي تعرضت لها السلطنة العثمانية ومرحلة الانتداب الفرنسي ، وبرز فيها رجال وطنيون عرفوا بمواقفهم وإسهاماتهم العلمية

وقف بجانب الشعب العربي وانتفاضته ضد الانجليز واليهود .

وتابعت صيدا مواقفها القومية والوطنية ، فشارك بعض رجالاتها وعلى رأسهم معروف سعد في ثورة سنة ١٩٣٦ ، عن طريق منع الشاحنات من الخروج من لبنان لنجدة اليهود ، وفي حرب ١٩٤٨ شارك سعد في معركة المالكية مع الشهيد محمد زغيب وغيره من المقاتلين .

وتابعت المدينة وأبناؤها بعد ذلك نضالها مع كل معارك العرب التحريرية ، في قناة السويس ، وحرب التحرير الجزائرية ، واحتضان الثورة الفلسطينية ، وسقط قائدها الشعبي معروف سعد شهيداً بتاريخ ٦/٣/١٩٧٥ ، بعد أن أطلقت عليه النار قبل ذلك بحوالي تسعة أيام ، أي بتاريخ ٢٦/٢/١٩٧٥ ، وهو على رأس مظاهرة لصغار الصيادين ، كانت تحتج على منح احتكار شركة بروتين لصيد الأسماك ، ومصادرتها لأرزاقهم (أصحابها من كبار المتمولين في لبنان) .

وقد كانت الرصاصات التي أطلقت على هذا القائد هي الشرارة الأولى لقيام الحرب الأهلية ، التي لم تخمد نارها حتى الآن في لبنان .

رحلة في المكان

تقع مدينة صيدا خلف رأس ممتد في البحر الأبيض المتوسط الشرقي ، وتبعد عن مدينة بيروت حوالي ٤٠ كيلومتراً ، وتشتهر بساتينها الغنية بالبرتقال والليمون والأسكيدنيا والموز والخضروات ، وتشتهر بصناعة الحلويات وماء الزهر والمفروشات ، وتعليب الفاكهة وتصديرها ، وصناعة السفن الصغيرة ، كما يشتهر ميناؤها بتصدير الحمضيات والمزروعات والخضار والأسماك وغيرها من منتوجات الجنوب . ويكرر البترول السعودي في ميناء الزهراني الذي يبعد حوالي عشرة كيلومترات عن المدينة ، ويستقبل ميناء صيدا مواد البناء والسيارات والقمح وغيرها ، وقد أخذ الميناء بعد أن تطورت مدينة صيدا ، باستقبال السفن متوسطة الحجم ، بعد أن تم بناء حاجز من الصخور للأمواج قرب القلعة البحرية ، والحركة النشطة لبناء ميناء ثان جنوب المدينة .



رياض الصلح — د. نزيه البزري

والوطنية ، تذكر منهم توفيق البساط والذي شنقه جمال باشا السفاح في ساحة البرج مع غيره من وطنيي بلاد الشام الذين طالبوا بحرية واستقلال العرب من الدولة العثمانية سنة ١٩١٦م) .

والشيخ أحمد عارف الزين الذي انشأ فيها مجلة العرفان سنة ١٩٠٩ (ما زالت تصدر حتى الآن) وكان من الذين نشروا الوعي العربي واليقظة الوطنية من خلال كتاباته ، ورضا الصلح ووالد رياض أول من رفع العلم العربي على سارية الحكومة الوطنية التابعة للثورة العربية الشريف حسين أمير مكة ، ورئيس حكومة الدولة العربية في الفيحاء حوالي ٨ أيام قبل أن يسيطر عليها الفرنسيون وأصبح رئيساً لوزراء لبنان بعد الاستقلال) وقامت فيها مظاهرات وطنية تهتف للاستقلال باستقلال سوريا وبتتويج فيصل ملكاً عليها وتطالب بجلاء الفرنسيين عن البلاد . وأثناء إعلان الجنرال غورو دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠ وضم الأقضية الأربعة إلى الدولة ، رفضت صيدا مع بقية الأقضية هذا الالحاق مطالبة بالعودة للوحدة السورية .

وقامت المظاهرات الصيداوية في الأعوام ١٩٢٦ و ١٩٢٩ تضامناً مع الشعب الفلسطيني ، وتأكيداً على مواقفها القومية ، حيث خرجت المسيرات تهتف

من أشهر الأماكن الأثرية في المدينة ، القلعة البرية والقلعة البحرية ، ويوجد بالقرب من الأخيرة جزيرة صغيرة يطلق عليها اسم « الزيرة » أي تصغير جزيرة .

تبني عليها منار المدينة ، وهي غير مسكونة وتعتبر مقصداً لبعض صيادي الأسماك وعشاق السباحة أيام الصيف .

وتذكر المصادر أن القلعة البحرية يعود بناؤها الى عصور قديمة ، فلم مكانها في الماضي هيكل للإله ملكارت الفينيقي ، وقد أقام عليها الصليبيون قلعة سنة ١٢٢٧ .

ورممها بعد ذلك المماليك سنة ١٣٣٠م ، وأضافوا إليها البرج الذي ما زال قائماً حتى الآن ، وأصلحها الأمير فخر الدين المعني ، وأضاف إليها مسجداً في القرن السابع عشر ما زالت قبته قائمة حتى الآن أيضاً .

شوارع المدينة القديمة ، وعلى الأصح سككها ضيقة وملتوية ، ويتداخل بعضها مع البعض الآخر ، وتفضي الى بعض الساحات المكشوفة ، وهي منطقة قلما تصل اليها الشمس ، وبيوتها متلاصقة ومتشابكة ومسقفة بقناطر وعقود ، وعجز الاسرائيليون عن إحكام سيطرتهم عليها في البداية ، الا أنهم وظفوا جواسيسهم لمراقبتها ، ومع ذلك ظلت المقاومة الوطنية عندما اشتد ساعدها ، سيطرت على هذا القطاع من المدينة خصوصاً في الليل .

يحد المدينة من الشمال نهر الأولي ، وينبع من مرتفعات جبال الباروك ، وطوله ٤٨ كيلومتراً ، ويحدها من الجنوب نهر سينيق ، وهو من الأنهار الصغيرة التي تجف في الصيف ، وهناك أنهار أو جداول صغيرة في شمال المدينة وجنوبها مثل « البرغوث والقملة » . عدد سكانها يصل الى حوالي مائتي ألف نسمة .

عودة الى الزمان

يقول الدكتور نبيل الراعي : هل تصدق أن العدو كان يخشى حتى أعشاش الطيور على رؤوس الأشجار بل يخشى الأشجار نفسها ، فقد كان يخشى أنها قد تكون ملغومة بالقنابل !

وهل تصدق أنه كان يخشى أية كومة تراب ، خوفاً من أن تكون كميناً .. لذلك فإنه كان .. والمراقبة الاجراء يبدأ صباح كل يوم بإطلاق النار على طول شارع معروف سعد .... وقد ذهب بعض الضحايا من جراء هذا الاجراء الغريب . كما أنه جرف الكثير من البساتين وخربها ، كي لا تكون مأوى لرجال المقاومة . ومع أنه جند القوى الانعزالية في المنطقة - واشترى بعض ضعاف النفوس في المدينة ، وجمعهم تحت اسم الحرس الوطني ، واعتقل الآلاف الشبان وفرزهم على شاطئ البحر ، وحقق معهم في معتقل صيدا ثم نقل الكثير منهم الى معتقل أنصار ، أو حتى الى فلسطين المحتلة ، ومع ذلك فإن دورياته كانت هدفاً سهلاً لرجال المقاومة .

لقد ركزت المقاومة على ضرب أفراد الجيش الاسرائيلي ، لأنهم هم السبب للوجع في البيئة ، وأخذت حسابها مع العملاء الى ما قبل خروج الاسرائيليين بأشهر قليلة .

وهنا أتذكر ، لذلك عرفت العدو أن عملاءه أرادوا مرحلة صعبة في قيادتها وتركيبتها ، خصوصاً أنهم انطلقوا المعتبر للقوات الانعزالية بشن حرب على المدينة بعد خروجهم منها . فوضعوا سيارة مفخخة أمام بيت الأمين العام للتنظيم الشعبي الناصري المهندس مصطفى معروف سعد ، بعد أن أزعجهم كثيراً باستدعاءاتهم وتحقيقاتهم المتكررة مع معظم القيادات الصيداوية التي كانت موجودة في المدينة أثناء الاحتلال . ففجروا السيارة قبيل خروجهم بأسابيع قليلة (في ٢١ / ١ / ١٩٨٥ أي قبل خروجهم بحوالي شهرين) .

صحيح أن عين القائد أصيبت واستشهدت ابنته ناتاشا ، وأصيبت زوجته .. لكن الله سلم وها هو قد عاد الى ممارسة أعماله النضالية ضمن تنظيمه وضمن المجلس السياسي لمدينة صيدا ، الذي يرأسه نائب صيدا الدكتور نزيه البزري ، والذي يضم كل القوى والتنظيمات الفاعلة في المدينة .

وهذه التجربة ، أي تجربة المجلس السياسي للمدينة ، ووجود جيش موحد بها ، من التجارب التي تفخر بها مدينة صيدا ، وهي التي جنبتها حتى الآن المعارك الداخلية ، وجعلت جيشها ، جيش التحرير الشعبي - قوات الشهيد معروف سعد يفرض

لمعاركه مع القوى الانعزالية التي هجمت على شرق صيدا في نهاية شهر آذار مارس وبداية شهر ابريل نيسان سنة ١٩٨٥ . وقد استطاع مع رجاله بمساعدة الحلفاء ليتوقف عند حدود شرقي لبنان وصولاً الى مواجهة القوى الانعزالية والصهيونية المتمركزة في كفر فالوس . وقد تم التوقف عند حد المواقع لاتاحة الفرصة على مشكلة بلدة جزين ومحاورها سلمياً . الا ان الانعزاليين ومن ورائهم الاسرائيليين ، لا يريدون حل الامور بالطرق السلمية .

بعض الوقائع

■ في ٢٩/٩/١٩٨٢ أي بعد الاحتلال بحوالي ثلاثة أشهر وعشرين يوماً شهدت مدينة صيدا تظاهرة نسائية هي الثانية منذ الاجتياح ، انطلقت من قرب عين الحلوة ، وضمت أمهات وزوجات المعتقلين اللبنانيين والفلسطينيين في معتقل أنصار ، وقد حاولت تخترق الحواجز الاسرائيلية . فما كان من عناصرها ـ أي عناصر الحواجز ـ الا أن أطلقت القنابل المسيلة للدموع ، واعتدت بالضرب على من استطاعت القبض عليهن .

■ في ١٧/٣/١٩٨٣ انطلقت داخل شوارع صيدا تظاهرة ضمت آلاف عمال وطالب ، وعدداً من الشيوخ رددوا شعار « لا اله الا الله يبقى جند الله » وقد اطلق جنود الاحتلال النار على المتظاهرين . كما أوقع ستة جرحى من بينهم .

■ نقلت وكالة فرانس برس الفرنسية أن القوات الاسرائيلية اعتقلت أكثر من مئة لبناني وفلسطيني ، بالاضافة الى اعتقال ٥٠ امرأة في سجن النبطية في النبطية . وقد ربطت الوكالة بين حملة الاعتقالات وتصاعد العمليات المسلحة ضد قوات الاحتلال التي تعترف بتعرضها لثلاث وثلاثين عملية عسكرية خلال شهر مايو « أيار » من سنة ١٩٨٣ ، وأدت الى مقتل ٨ جنود وجرح ٢٣ آخرين .

■ بتاريخ ٣/١٢/١٩٨٣ ، ورداً على الاجراءات القمعية التي تمارسها قوات الاحتلال ، وتعبيراً عن الرفض المطلق لوجودها ، أعلن الاضراب العام في صيدا والجنوب ، واستمر لمدة يومين ، وتحول مهرجان شعبي أكد على مقاومة الاحتلال .

■ بتاريخ ٢٩/١٢/١٩٨٣ شهدت مدينة صيدا اضراباً عاماً شجباً للاعتقالات وتنديداً بمراكز العملاء ، وحداداً على شهداء مقاومتها الوطنية ، الشهداء حرك والشريف وزهرة البقين مضوا في معركة خاضوها وجهاً لوجه مع قوات الاحتلال في أحد شوارع مدينة صيدا الرئيسية .

والجدير بالذكر أن مدينة صيدا عاشت منذ ٢٣/١٢ وحتى ٣١/١٢/١٩٨٣ حالة غليان شديدة . كما شهدت عدة عمليات عسكرية ضد قوات الاحتلال .

■ ظهر يوم ١٩/٦/١٩٨٤ وفي شارع رئيسي من شوارع صيدا تصدى الفتى نزيه القبرصلي (١٤ سنة) برشاشه لقوات الاحتلال فقتل منها وقتل .

■ أعلنت جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية أن مجموعاتها المقاتلة في الجنوب والبقاع الغربي نفذت خلال شهر آذار ـ مارس ـ من سنة ١٩٨٤ ، ٣٩ عملية مسلحة ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي . أدت الى اصابة ٩٣ جندياً بين قتيل وجريح . اعترف العدو بـ ٣٦ منهم .

■ اعترف الناطق الرسمي باسم العدو الاسرائيلي بأن المقاومة الوطنية قامت بـ ٩١٤ عملية عسكرية ضد مواقعها في الجنوب اللبناني ، وذلك في سنة ١٩٨٤ ، أما عدد القتلى الاسرائيليين منذ الغزو حتى خروجها من منطقة صيدا فقد بلغوا ٢٣٢ قتيلاً اسرائيلياً .

شهادات حية

الشيخ يوسف صلحاني أمين سر لجنة معتقلي أنصار في مدينة صيدا الذي اعتقلته القوات الاسرائيلية مرتين : الأولى بعد غزوها مباشرة ، ولبث حوالى سنة وأربعة أشهر في معتقل أنصار .

وأطلق سراحه مع آلاف المعتقلين الذين تم تحريرهم بعد عملية تبادل الأسرى التي تمت بتاريخ ٢٤/١١/١٩٨٣ .

ثم تم اعتقاله بعد ذلك ولبث في المعتقل حوالي سنة وشهرين ، وأفرج عنه بتاريخ ١٨/٤/١٩٨٥ من معتقل عتليت في فلسطين المحتلة .

كتب الشيخ في احدى رسائله التي وصلت الى أهله وذويه عن ظروف العذاب الأحمر والأزمة في



[illegible] قرية ضربتها الطائرات الاسرائيلية [illegible]
[illegible] . وطنية صامدة .

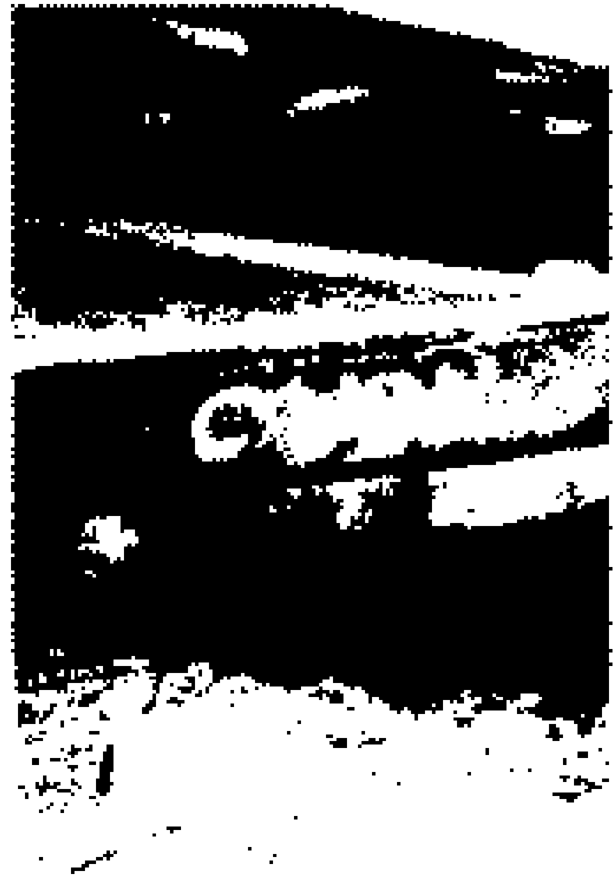


تمثال الشهيد [illegible] معروف سعد





معسكر صبرا للمخيمات . كان مركزاً لاعتقال الفلسطينيين



ثكنات حربية . وسجون عربية . هذا ما تبقى من معسكر أنصار



٢٨/٦/١٩٨٣ ما يلي :

« أيها الأحبة ، إن الدم الذي سال ويسيل من أبناء شعبنا في المعركة التي ستحرق الخونة والعملاء والمستوطنين ، وهو النور الذي يضيء الطريق للأجيال القادمة . لقد تحول معتقل أنصار إلى مدرسة لرفض الذل والهوان ، وحب الشهادة . في أنصار معتقل الكرامة والشرف قد أرادوا لنا الذل في العذاب ، وصلابة في مواقفهم ، وسموا في معنوياتهم .

إن طريقنا الذي نسير عليه مفروش بالأشواك ، وطريق النضال والكفاح والتحرير كانت هكذا على مر التاريخ » .

سألت الشاب خليل صاحب هذه التفجيرات الحوادث التي حدثت بالضبط ... قال :

هي أيام تذكر .. وكأنها لم تمض .. كانوا كالكوابيس ..... وأيامهم كانت أيام رعب حقيقي ..... لا أذكر متى حدثت العملية الفدائية بالضبط ، لكنها ربما حدثت قبل خروجهم بأسابيع ....

لم نره .... وربما كانوا أكثر من واحد ، المهم أنه في ظهيرة ذلك اليوم خرج أو ربما خرجوا من بيت القبور المواجهة . وأطلقوا النار على دورية إسرائيلية فوقع أحدهم من السيارة مضرجا بدمه ، وجرى الثاني قتيلا فيها .. أما الثالث فإنه ظل يصيح من خلال جهاز بيده . أصيبت المنطقة برعب وارتباك .... واعتقل الإسرائيلي الثالث يطلق النار كيفما اتفق ... لم نستطع مغادرة المنازل خوفا من تهمة ما .. فبقيت مسمرا في زاوية المنزل ، إلى أن جاءت مجموعة من الجنود الإسرائيليين فحصروا كل من وجدوه في المنطقة ، وأركبونا وأخذونا إلى فوق بالقرب من جدار المقبرة الذي تراه ... اعترض طبيب أعرفه يعاني من مرض في القلب ، فما كان من الجنود إلا أن أوسعوه ركلا وشتما ، وأجبروه على الركوع في منتصف الشارع ... كانوا عصبيين ومتوترين ومستفزين ... لكنهم ...... خرجوا وأيامهم تذكر ... لكن لن تعود

هكذا تتابعت العمليات الفدائية ، وتتابعت دوريات العدو في الجنوب واحدة تلو الأخرى ، ثم مع بعضها البعض ، وهكذا فإن حجارة الأرض قاومت

محصول جيش الاحتلال غضب الجنوب وخيبة خطيرة !

عين الحلوة .. وطائر الفينيق

طائر الفينيق هو طائر خرافي ... تقول عنه الحكايات إنه كلما احترق ، عاد وطلع من رماده يجدد حياته من جديد .

وعين الحلوة .. أصبح اسم عين الحلوة فيه بعض صفات طائر الفينيق .

لقد دكته الطائرات والزوارق البحرية والمدفعية الإسرائيلية ، اعتبارا من يوم ٦/٦/١٩٨٢ ... آلاف الأطنان من القنابل . وتقدر المصادر أن أكثر من ٩٠٪ من بيوت المخيم لم يبق فيها حجر على حجر .

مع ذلك فإن هذا المخيم لم تمت فيه مقاومة بعض الفدائيين الذين وجدوا للإسرائيليين بعض الشر الذي كانوا يتوقعون بها المخيم .

ولقد بثت إذاعة الجيش الإسرائيلي بتاريخ ١٦/٦/١٩٨٢ الخبر التالي .. حسب ما جاء في كتاب لمشاهدي الأسبوع - عن الوارد ذكره من قبل .

« الجريح فلسطيني ، وهو مصاب بجروح وحروق يجول ممسكا على المطرقة التي مازالت قرب صيدا .

« في البداية قيل لنا بأنهم يعيشون في عشرات الملاجئ المقامة داخل المخيم - المقصود هو عين الحلوة - تحت ذلك صلات القصف المتوالي على المخيم من الجو والأرض ، ولم يكن أحد منا يعلم بالضبط كم كان عدد رجالهم ، إلا أن بعض الجنود سمعوا من القادة بأن هناك ما يزيد على الألف فلسطيني مسلح ما زالوا يتمترسون داخل الملاجئ ، ولكن حين دخلنا المخيم واصطدمنا معهم وجها لوجه كان عددهم يقل كثيرا عما قيل ، فإذا كنت تسألني ماذا كان هؤلاء الفلسطينيون قد قاتلوا فأعلم أن كل واحد منهم ... لقد كانوا جميعا من المقاتلين المخلصين ولكل الاحترام للمحارب المجيد ! » .

واستمر الكر والفر .... ولم يدخل الجيش المخيم إلا بتاريخ ٢٤/٦/١٩٨٢ .

أوسعوا من يتوسط بالاستسلام ، أو حتى تعرض من المخيم عن الاستسلام ، فإنهم لم يخرجوا ...

فكان الجواب : « لولا أنكم كبار في السن .. لكنت أبنائكم كما تهدمهم » .

استعملوا الحروب النفسية بواسطة المناشير ومكبرات الصوت ...... ، إلا أن ذلك لم يجد في شيء ، فبقي الحصار وشح زاد البشر والسلاح ، ليلتهم الأرض في شرقيها وغربيها .. فلم يلبثوا بعد ذلك ليجدوا أن المخيم مجرد ركام تساقط على الكثير من البيوت !

ومن بين الشواهد والركام نبتت مع الأيام قصص تحكي بطولة المقاتلين ...... والقادم ، سطروا حتى من نجي حتى إلى شاطئ البحر ، وبلغت حصيلة الغزو ... هذا « عرب » من هذا التنظيم ... ومن ذلك ... ومن غيره ... هكذا كانت سيرة رأس المخيم الصيدلي تلعب حنان وآلاف الشباب والكهول إلى المعتقلات والسجون . في أحد الأيام ..... يروي عملي ... كان الصيدلي جالسا بين الإسرائيليين ليوزع قرص الناس وهو مقنع . فإذا كان من امرأة من المخيم بعد أن علق الضم في مرواحها إلا أن هجمت عليه وكشفت قناعه وبصقت عليه . صحيح أنه نالت ولهى وشتم .... لكن الصيدلي سقط مضرجا بدمه بعد أيام .

أعطوهم تحية أشعرها الأطفال والنساء

قالت امرأة من عين الحلوة لأحد الصحفيين :

« يريدون منا العودة إلى الخيام كالمهجرين .. حتى المخيمات لا نقبلها اليوم ، نريد منازل كمنازلنا التي هدمت . لقد تهجرنا بعرق زنده وحياتنا وأبنائنا » .

شيء من الجغرافيا والتاريخ

يقع مخيم عين الحلوة جنوب شرق مدينة صيدا على مسافة لا تتجاوز « كيلو متر » . ويبلغ عدد سكانه حوالي أربعين ألفا ، خاصة وأنه استقبل بعض سكان المخيمات الفلسطينية التي هجرت إثر مجازر تل الزعتر وجسر الباشا ، أو الاعتداءات الإسرائيلية على المخيمات الفلسطينية بالقرب من مدينتي النبطية وصور . أنشئ المخيم سنة ١٩٤٩ ، ومعظم سكانه من قرى ومدن الشمال الفلسطيني ، الذين أجبرتهم القوات الصهيونية على الخروج من أرضهم ودورهم . تولت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة الإشراف على المخيم ، ووزعت الوكالة الخيام على الناس في البداية وسكنوها فترة

إلا أن المخيم كانت فيه ظروف في مواجهة حر الصيف وبرد الشتاء . فلجأ سكانه إلى بناء بيوت من طين ، وصولا إلى البيوت الحجرية المسقوفة بالتوتياء والزنكو ، ثم لجأ المخيم إلى سقف بيوته بالباطون ، فجاءت القوات الإسرائيلية لتدمره عن بكرة أبيهم . جاء في صحيفة هيرالد تريبيون بعد أن دمرتها القوات الصهيونية أثناء الغزو سنة ١٩٨٢م ما يلي : « من يعرف كم من الملاجئ المتاهية تحت هذا المخيم بعد تحصينها بالكامل ؟ والآن أصبحت الجرافات والبلدوزرات الضخمة تكمل هدم ما تبقى من مخيم عين الحلوة ، في عملية تدمير وإبادة منظمة » .

لكن ذلك زمن مضى وانقضى ، صحيح أنه يمكنك أن ترى بعض البيوت مدمرة حتى الآن في المخيم ، خاصة وأن القصف الإسرائيلي استمر في قصفه ، بل حاولت الصهيونية بعد انسحاب الإسرائيليين في ١٩٨٥/٢/١٨ ... « مظاهر التعتيم » خرج من رماد دماره والخراب ليعيد بناء الكثير مما تم تدميره .

عمل الكثير من سكانه في المرحلة الأولى من حياتهم في البساتين المجاورة أو في البناء ، ثم عملوا بشتى المرافق الصناعية الصغيرة في مدينة صيدا .

شارك سكان المخيم في شتى النضالات الوطنية والقومية . وانتشرت في المخيم تنظيمات وطنية فلسطينية ، أو فروع لتنظيمات عربية لعبت دورها في شتى مراحل حياة المخيم . وتبنت مطالب سكان المخيم الحياتية وصولا إلى حمل السلاح ، والمشاركة في العمل النضالي ، خصوصا بعد اتفاقية القاهرة المعقودة سنة ١٩٦٩م . بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية - التي وضعت في مؤتمر القمة العربي الأول الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٦٤ - قد نصت في بنودها على تنظيم العلاقة بين الطرفين ، وتنظيم حمل السلاح خاصة .



جانب من [illegible]



ما زالت الشعار شاهدا على وحشية ما حدث



[illegible] يجلس ما بعد المجزرة



قادتنا وشهداؤنا ... رموز للمرحلة

بعد الغزو

قال لي الكثير من سكان المخيم الذين التقيت بهم من النساء والأطفال والرجال : كان كل شيء على الأرض . ولم يبق في المخيم أحد . معظم الرجال في المعتقلات (حوالي ٥ آلاف شاب وطفل) ومن بقي حياً من النساء والأطفال والشيوخ توزعوا على المناطق المحيطة ، كالقرية المغازية ، ومدينة صيدا وحارة صيدا ، وبقيهم لفترة وجيزة ..... وصولاً إلى قرى اقليم الخروب أو الشوف .... البعيدين .

ضاعت معالم المخيم وطمسها الركام ، لكن ظاهر المستوى تقضي الركام .... تدريجياً .

عادت بعض النسوة إلى المخيم .... والأطفال والشيوخ وبعض الكهول من الرجال ....

أحضروا لهم بعض الخيام ، فسكنها الأطفال والنسوة ، قالوا نريد رجالنا وشبابنا .

أحضروا لهم بيوتاً خشبية جاهزة .. ولكنهم هم أيضاً . ثم انطلقوا إلى مدينة صيدا يتظاهرون بالآلاف : « نريد شبابنا محررين » فأطلقت على بعضهم النيران .

وسقط عليهم العدو الصهيوني بالطائرات الاحترازية ، اعتدوا على بعضهم بالضرب ، ومنعوهم من مغادرة المخيم ، وطلبوا من كل الفلسطينيين في المنطقة العودة إلى المخيم حتى لو كانت لهم أملاكهم الشخصية خارجه ، بل تم القتل من لم يستجب للأوامر .

جاء في تقرير نشر في شهر آذار - مارس - من سنة ١٩٨٣ « انه تم العثور على ٨١ جثة لفلسطينيين من أبناء عين الحلوة ، وجدوا مقتولين في مناطق محيطة بالمخيم في شهر شباط - فبراير - من عام ١٩٨٣ » .

ونصب العدو أيضاً حرساً وطنياً من بين عملائه الخونة من الفلسطينيين واللبنانيين داخل المخيم .. لاعتقال كل من وجد لديه أدنى بادرة للمقاومة ، ثم لجأ إلى النهب والسلب ... وحتى الاعتداء على الأعراض !

تتصدى هاجر ، النسوة ، فكانت كتلة بشرية على

دورية إسرائيلية راجلة .... فتم استدعاء من هناك من شبان وكهول المخيم للتحقيق وتم اعتقال بعضهم .

في ليل الخامس والعشرين من شهر تموز - يوليو - من سنة ١٩٨٢ أطلق الرصاص على فيصل أبو سليم المعروف بأبي حسام .. وتوزع بيان يومها جاء فيه أن أبا حسام كان عميلا للإسرائيليين .

تحسس العملاء رؤوسهم ... وتواروا عن تحليقهم ، وازدادت دوريات الاستخبارات والصهاينة .

أطلق مقاومون النار على دورية إسرائيلية في جهة المخيم الشرقية . ثم تم تفجير عبوة ناسفة صوبها لاسلكيا أثناء مرور دورية أخرى عند مدخل عين الحلوة ....

تزايدت العمليات .. وكثرت الاعتقالات والاعتداءات .

خرج أفراد الحرس الوطني ، عملاء الصهاينة ، من المخيم ليحاولوا عيونا لمعلميهم في الخارج .

نشط بعض الجواسيس المدربين لتقصي أخبار حركة المقاومة في الداخل .

تم قتل الأول والثاني والثالث من العملاء .... وتوالى بعد ذلك قتلهم .

ليل المقاومة

أصبح الليل ليل المقاومة .... في شعار استعداد وتعبئة ، وعمليات فدائية أو تفجيرية .. نظرا لكثافة الدوريات الإسرائيلية . وفي الليل .. ما أروع تلك الليالي .. هكذا قال لي الكثير من الذين التقيت بهم
- لماذا هي رائعة ؟

هل تصدق أننا كنا نصبح في حي معين حسب أوامر المقاومة التي كانت تصلنا بالميكروفونات ونبدأ بالهتاف وترديد الأهازيج وتعداد الشبكات .

عدم التصديق يظهر في عينيك ... صدقني أن ذلك حدث وعشرات الناس على ذلك شهود وسيشهدون .. هكذا أكد محدثي .

كان أفراد المقاومة يلبسون أزياء غريبة ويلثمون ، يخفون أصواتهم وسماتهم ، قسم منهم كان يشاركنا الغناء والدبكة ، وآخرون كانوا يرصدون أية حركة غريبة ويسلمونهم المواضيع !

والإسرائيليون والاستخبارات والعملاء ؟

كانوا لا يجرؤون على التدخل . وإلا فإن معركة كبيرة ستقع !

وقد ازدادت قوة المقاومة بعد أن خرج معتقلو أنصار بتاريخ ٢٣/١١/١٩٨٣ ... وعاد الشبان ليمارسوا سيرة التقاتل والنضال .

لقد قامت مظاهرات صاخبة يحرسها المسلحون أي مسلحو المقاومة المتغلغلون في المخيم لمناسبات كثيرة .. منها :

- المطالبة بإطلاق المعتقلين .
- رفض الخيام وبيوت الخشب الجاهزة .
- الاحتجاج على ممارسات العملاء ومطاردة .
- المطالبة بتأمين ما يكفي من مواد .
- وأخيرا الاحتفال بمناسبة انطلاق الثورة .. أو ذكرى وعد بلفور ، أو ذكرى التقسيم ، أو حتى الذكرى السنوية الأولى والثانية للغزو الإسرائيلي .

لكنني أدركت أن الأهل كانوا يتذكرون أبناءهم هؤلاء ما استشهدوا ؟

اختلطت أنفاس الأصوات المتعجبة ... المسألة صارخة :

تلك أيام الأشهر الأولى من الاحتلال .. ولنضرب لك مثلا :-

دوى انفجار كبير في إحدى ليالي الشتاء .... لم يجرؤ أحد على الوصول إلى المكان ... وفي صباح اليوم التالي ... كانت جثة مطروحة قرب إحدى السيارات ... بقيت على وضعها هذا تزيد على ست ساعات .... والإسرائيليون ينظرون ، والعملاء يتلصصون ، ويرصدون معلومات عن الشباب

● ما هي حكاية ذلك الشاب ؟

- تلك قصة يمكن أن نرويها الآن لكنها بقيت غامضة في تلك الأيام .

وملخصها ذهب الشاب مع أحد زملائه لتفخيخ سيارة أحد العملاء ، إلا أن المتفجرة انفجرت بالشاب فقتله واختفى زميله . إلا أنه في صباح اليوم التالي .. شوهدت امرأة متوسطة العمر .... تروح وتجيء بالقرب من تلك المكان ، كانت تختلس النظر إلى حيث تقبع الجثة .. ولا تجرؤ على الاقتراب منها !

يرمونها كبقايا الرعب والموت يتشركان ظلهما حول المخيم .... وأية اشارة الى أن أحدا له علاقة بالمقاومة فان البيت كان ينسف ، ويتم اعتقال أهله للتحقيق ثم يسوقونهم الى السجن .

لقد عرفنا فيما بعد ... أنها كانت أشبه ... بصور مأساوية تخلفت بالنظر والواقعة !

أبـو حيـط

تحدثت عنه وكالات الأنباء الأجنبية أسطورة ، صوّرته وصوّرت مجموعته .... وهم يزحفون ويقاومون ، بل وهم متلبسون أيضا ويحملون « الكلاشنكوفات » .

لم يكن ذلك في زمن ما قبل التحرير ، ولا في زمن ما بعد الانسحاب الاسرائيلي ، بل كان في زعمهم زمن الاحتلال . فكيف حدث ذلك ؟ ولماذا ؟ وهل هو صبي يتحاور مع القوات الاسرائيلية أم هو حالة جديدة من حالات الانبعاث التي يتميز بها « طائر الفينيق » ؟

جاء رجل شبيه بفتى من ترعب البناء ... وعلى عينيه بريق وغبار ، فتى لوحت يداه وبشرته الشقية شمس المخيم ، فبعثه أبوه لي مسحة البرونز ، جلس متجهولا ! رحبت به ولمست فيه عليها ...... فيه شيطنة وتساءلت كلهم الذي يحمل ملامح الرجولة في سن مبكرة . قال : أنى أستعد بعض الشيء في بيته منا بعيدا الأعداء . سألت :

هل قرأت ما كتبته عنك الصحافة الأجنبية ، وما ترجمته الصحافة العربية عنها ، وهل رأيت صورك وصور مجموعتك ؟

ارتسمت ملامح السعيدة على عينيه وتكلف المرح .

ـ قال : لم أقرأ ذلك ... بل قيل لي .

ـ ولماذا لم تقرأ ؟

ـ ارتبك ثم قال : لقد انتهت علاقتي بالمدرسة بعد الصف الثالث ابتدائي . وها أنا أكاد أن أنسى تعلمه على ذلك . صارت مهنتنا المتفجرات وحمل الرشاشات في يوم كهذا .

تبدو صغيرا ؟

أنا من مواليد سنة ١٩٧٠ ..... والقضية تحتاج الى كل .

● لماذا لم تلتحق بالمقاومة قبل التحرير .

ـ كنت صغيرا !

ـ ما هي حكايتك مع المجموعات التي كنت تدربها في قلب المخيم أو خارجه ، مع أن الاسرائيليين والعملاء موجودون ؟

سقوط القلب على السؤال ، حرك الكرسي الذي يجلس عليه تشبك كفيه على مؤخرة رأسه ، وتحدث في شرود ... لمعرفته حركة وتحليله .. كان يريد السلاح وصنع الاجابة ، كررت السؤال .... وبدأ بعض الحضور يذكرونه ببعض الاعمال .

صرح قليلا .... فاطلق .... ثم قال :

ـ كنت صبيا .

● فسكت .. وعلقت : لا زلت كذلك !

ـ قال ... نعم لكنني كنت أصغر .. كان عمري ١٢ عاما عندما حدث الغزو الاسرائيلي ....

ـ فعلقت عليه ما كان ينوي قوله وسألته : ما هي حكاية اسم « أبو حيط » .. هذه ؟

ـ قال : اسمي جمال مفلح علاء الدين من قرية صفورية في الشمال الفلسطيني .

● وأين أبو حيط في هذا الاسم ؟

ـ أجاب : كانت أمي متزوجة قبل أبي من رجل آخر ينتمي الى عائلة « أبو حيط » وعندما توفى ، تزوجها والدي فجاءت ومعها ولد من زوجها السابق ، وعندما ولدت أنا وكبرنا معا أنا وأخي من أمي الذي التحق بالمقاومة ، وبعد الغزو الاسرائيلي قتل ، فبقي اسم عائلته عالقا بي لأننا كنا دائما معا ، وعرفنا نحن الاثنين باسم عائلته .

● وحكايتك مع المجموعات ؟

ـ احتل الاسرائيليون شبان المخيم الى السجون ، ولم يبق الا الاطفال منهم في المخيم ، بيوت المخيم مهدمة ، والقليل منها بقي صامدا ، ويذكروه بالخوف والرعب فيه .. يومها .. فكرت .... ولمست في حالة فبكيت عليها .. ثم قررت أن أفعل شيئا ...

وجدت لعبة كبيرة فصنعتها وأعلنت أنني فيها بالمخيم حاملا حول صبيانه وفتيانه المعسكرات ....

أراه معهم وأتكلف .. المرح ، وبالحروب كاننا سويا مسلطة على الراهبة ..... فقلت في نفسي : لماذا لا

ترد عن الناس وأعيد لهم البسمة ؟!

عزيزي القارئ .... إنه ما أسجله هنا ذلك الذي حدث، ورغم هذا لم أتدخل إلا في صياغة الجمل والألفاظ فقط.

المقاتلون الصغار

● وبعد ذلك يا جمال ؟

- وجدت بين الأنقاض رشاشات كثيرة محطمة ومخربة، فأصلحت بعضها وجربتها.. ثم وزعت ما أصلحته على بعض أطفال حيّنا، وعلمت أكبرهم عليها.

● هل أصبحت الرشاشات صالحة ؟

- لا.. كانت عتيقة وحديدها مصدأ.

● فلماذا فعلت ذلك ؟

- كما قلت لك... أريد أن أعيد بعض الثقة للناس.

- أعدت السؤال كي أتأكد من الجواب.

● فأعاد التركيز على الجواب وأضاف.. ثم بدأت أخرج بالأطفال والفتيان إلى شوارع السوق.. فيبتسم الناس ويضحكون. وبعضهم كان يحسبني بطلاً أحمل سلاحاً صوبته من أجل الإسرائيليين وعملائهم.

● ماذا فعلت بعد ذلك ؟

- لبست القناع ولبسه أطفال غيري... وخرجنا نجوب شوارع المخيم.

● والإسرائيليون ؟

- جاءوني في إحدى الليالي.. طرقوا الباب وسألوا والدي عني فأجاب: هو عندي نائم.. أخرجوه من فراشه، وكشفوا عني الغطاء فلمحت مرتعداً، وسألوني عن اسمي.. فذكرته لهم.

- ثم سألوني: ألست أنت أبو سعيد ؟

● قلت: نعم هو أنا.

- نظر بعضهم إلى بعض... وقال أحدهم: غير طفل.... وخرجوا.

● وماذا فعلت أيضاً ؟

- اتصل بي بعض رجال المقاومة، وأخبروا يطلبون مني المساهمة في الدعوة إلى الإضرابات والمظاهرات في أيام يحددونها لي.

● والعملاء والإسرائيليون.. ألم تكن تصلهم التقارير عنك ؟

- جاءوني مرة ثانية وفي الليل أيضاً.. وكرروا نفس ما فعلوه في المرة السابقة.... فتركوني طفلاً أيضاً.

● كم عدد الأطفال الذين كنت تعمل معهم ؟

- عشرة ربما عشرين أو ثلاثين... وفي أحيان أخرى أكثر من ذلك.

● هل اقتصر نشاطكم على ما ذكرت فقط ؟

- كنا نتابع ونتعقب العملاء في الليل، إلى درجة أننا أمسكنا في إحدى الليالي بسيارة إسرائيلية، فأطلقت النار عليها وكانت لأحد العملاء.

● وغير ذلك ؟

- كنا نقوم بتوزيع المنشورات وتهريب بعض ملصقات النسور، أو نوصل بعض الرسائل لرجال المقاومة، وغيرها من أعمال.

ولقد ساهمنا في رد هجمة الإسرائيليين التي قصدوا فيها اعتقال المخيم بعد خروج الإسرائيليين. صحيح أن السلاح كان قليلاً بين أيدينا.. لكن الشبان والفتيات خرجوا بكل ما ملكوه لمواجهة القوة المعادية. وكنا من بينهم، فانحسرت القوة الغازية وتخلص المخيم من كابوسهم.

● ما هي حكاية الحمار الذي ركبته بالمقلوب وطفت به المخيم ؟

- ضج الحضور بالضحك... شاركهم جمال، ثم قال...

● أحببت أن أفرّج عن هموم الناس.... فأحضرت الحمار بالمقلوب وكتبت على يافطة وضعتها عليه: قوات الاحتلال.... فضج الناس بالضحك وتبعني أطفال كثيرون.

● والآن يا جمال ؟.. ماذا تعمل.. وبعد أن كبرت ؟

● إنني أسعى لاستعادة ما فاتني من تعليم، كما أنني أصبحت عضواً في إحدى المنظمات الفدائية.

● عزيزي القارئ... إن الأساطير حكايات... من طابع بطلي جسدت الأبطال وأحداث لا تعد ولا تحصى... أما أنا فهي حكاية المخيم الفلسطيني الذي لم أر [illegible] في هذه الأيام فلذلك إنني أصدق أنه [illegible] ستكون فقط كذلك ركضنا وتقاتلنا!.... □

تجميد سريع.

مع نظام Toshiba للتبريد المباشر.



نظافة مستمرة.

مع غسالة Toshiba الكبيرة جداً.

TOSHIBA



وتسألني؟

شعر: جهاد الصانع

وتسألني طفلة حلوة
وتبسم مثل فراش الحقول
وتكتب اسمي بحبر الصغار
وتضحك برقى صراع الليالي
كسألتك قليلا: قلب الهوى
فقلت أنا مثل هذا الوجود
ولست أرى الدرّ أقصى لها
فكم أشتهي ذكر بعض الفرح
إذا البشر أشرق صار الصباح
وإن ضر أضحى لك البرهاء
بعيدة عن المرء كبرة الحياة
وكل محب بهذا الوجود
نهاية أحبابنا حسرة
ضمنا إذ غفونا إلى حولها
أنيروا مصابيح على الدروب
لنا ما مضى الحب من كونها

أحبك مثل الصغار - الصغار
ونضحك كالطفل لم يخلق
وترسمني حيثما جئتها
وكنت تخرج الأبيض الأسود
وقلب الصبوح وجسم ندى
ب الحلو والمر ثم عبرتها
ولا أنتقي أصلاً ولا أحيدا
وكم قلت للحلو كم أبتدا
نصحت الطلال القدماء الهدى
وهات المحبة لست أدري
لنا كيان كبرة الوردي أيضا
بكون الوجود به أسعد
ظلام الليال أنسيتنا حنى
سيخفق فيها الظلام الشديد
بحب وتذكروا بها الموعد
لقد قارب الخطى البعيد

أول فبراير ١٩٨٦

موعدك مع

مجلة العربي الصغير

للفتيان والفتيات العرب

٦٤
صفحة مصورة
بالألوان

مع مجلة
داخلية خاصة
في ٨ صفحات للصغار

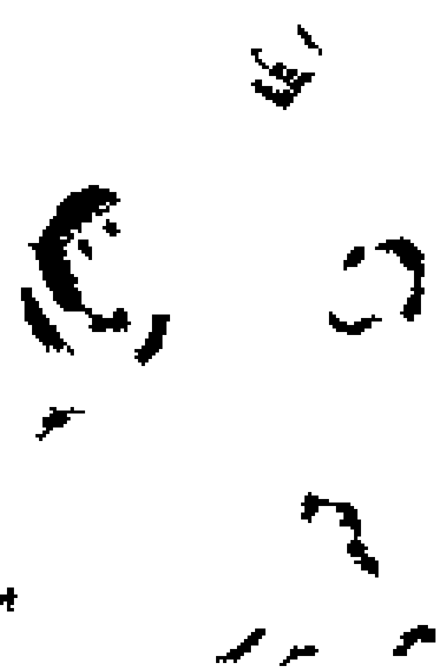
تصدر أول كل شهر

احجز نسختك من الآن لأبنائك

لا تدفع أكثر من
٢٠٠ فلس كويتي
أو ما يعادلها
للنسخة الواحدة

---

١٠٠ جائزة قيمة
تنتظر طفلك
شهريا في مسابقة
العربي الصغير







منى السعودي:

الفنانة التي كشفت سر الحجر

بقلم صلاح حزين

[illegible]

[illegible]



حجر - ١٩٨٣ - جرانيت - ارتفاع ٢٣ سم

الحوار الهامس - نحت

ويلاحظ مشاهد منحوتات منى السعودي من صوفية مفرداتها الفنية والتشكيلية وعمقها الفني في الوقت نفسه. أما قصة العلاقة بين الفنانة والحجر الذي تصرع منه أعمالها النحتية فتعود الى عشرين سنة مضت، عندما ذهبت منى السعودي الى باريس لتدرس الفن وتكتشف سر الحجارة.

في معظم معارضها تحرص الفنانة منى السعودي أن تعرض بعض لوحاتها الى جانب أعمالها النحتية التي تنتشر بانتظام نحتي داخل قاعة العرض. ويمتد النظر الى مجموع تلك الأعمال ويكون لدى المشاهد الانطباع الفوري بأنه أمام نحت، وبعض اللوحات المعروضة تبدو كأنها مخططات لأعمال نحتية قادمة.

تفجر الأمومة :

ومن بين أعمالها جميعاً يلفت النظر ذلك العمل النحتي المصنوع من الرخام الأسود بصلابته الصخرية التي تميز أعمال الفنانة كما ذكرنا، وبتلك الخطوط البسيطة التي تخترق الجسم الأملس للصلب بدقة. وقد أعطت الفنانة ذلك التزيج الفني اسم «تفجر الأمومة».

تدور معظم أعمال منى السعودي حول فكرة مركزية واحدة هي فكرة الأمومة التي تشمل أفكاراً فرعية أخرى مثل النماء والإخصاب والانبلاج. وهي تعتقد بأن أسماء اللوحات لا تعني الكثير بالنسبة للعمل الفني، إلا أنها تعترف أن الأسماء التي تتراوح بين الأمومة وأمومة الأرض هي تنويعات على فكرة الخصب التي هي أصل كل شيء. وهي في هذا واضحة الى حد كبير من حيث خصوصية مفرداتها. فهذه المفردات التشكيلية المختصرة هي جزء من محاولات منى لاختزال عالم المحيط الى مفردات دقيقة يلتقطها حسها الفني، فتخرج على شكل خط منحن أو دائري، ولكن ليس متعرجاً. وهذه الخطوط تأخذ أشكالها المختلفة الموحدة في الوقت نفسه، وتتوزع على جسم العمل، ثم تتبادل أمكنتها وتقاطعاتها وتوازنها في أجسام الأعمال الأخرى. ويمكننا تمكن منى من اختزال العالم عبر مفرداتها الفنية هذه بحيث يبقى محافظاً على تماسكه وانسجامه ونقائه. وتفسر منى السعودي ذلك بقولها: «إن لكل فنان مفرداته الخاصة وعناصره التشكيلية، التي قد يعمل عليها طوال حياته، قد تتجدد، وقد تختلف بطريقة ما، لكنها تبقى تعطي الفنان خصوصيته وشخصيته».

الدائرة والخط المنحني

ولكن لماذا الخط المنحني والدائرة، وليس الزوايا أو الخطوط المستقيمة المنكسرة الحادة؟ تجيب منى «إنه الخط المنحني، الذي تحول في أعمالي الأخيرة الى دائرة متكاملة هو محاولة من جانبي للوصول الى مطلق

الاختصار ، ومطلق البساطة ، وربما لا يكون إلا من خلال الخط البسيط » .

والخطوط المنحنية وأنصاف الدوائر والدوائر الكاملة التي تبدو وكأنها تلتئم جسم المنحوتة بعد أن تطلقه في الفضاء الرحب ، تتكامل وتتلاحق مع الحجم الصغير لمعظم تماثيل منى السعودي . لكن الوحدة والتداخل بين حركة الخطوط وسطحها المطلقة وبين حجم المنحوتة هي عناصر أخرى لمفهوم الشكل والمضمون ، الظاهر والجوهر وما إلى ذلك من أشياء تطلق على هذه المشكلة الفنية . وليس لكشفه عن دلالات ومقولات وصيغة إلى الرمز ، رغم أن أي تفسير لتلك الخطوط لا يمكن أن يهمل هذه الجوانب . وتتحرك منى متحررة من التساؤل الذي لم يوجه إليها مباشرة ، وتجيب « الانحناءة في الأعمال الصغيرة الحجم نتيجة متطلبة للطابع الخصوصي لتلك الأعمال ، إنها ليست من تلك الأعمال الضخمة الكبيرة ، التي تنصب في الشوارع والساحات والحدائق العامة . بل ربما كان أفضل مكان لها هو مكتبة خاصة ، تتحمل التفرد عليها بالتراسيم والاستغراق » ، وتضيف « نحن تطورا حدث أخيرا على أعمال تستدعي تغيرا في الأسلوب نفسه . وقد بدأ ذلك عندما خرجت أعمالي إلى الشارع ، ووضعت في أماكن أخرى . وطبيعة المكان الذي تعرض فيه الأعمال مهم جدا في التكوين الذي تسعى إليه » .

وهكذا ربما يسلط أعمال منى السعودي ، ومن خلالها نجد أنفسنا ننتقل من تلك الأسئلة الكبيرة لندخل في محاولة حل المشكلة الأزلية لفن النحت ، مشكلة تناسب حجم المنحوتة مع الفراغ . الفضاء فسيح جدا ، والمنحوتة هنا عنصر ضمن هذا الفضاء الفراغي .

ليس هناك أبلغ من العبارة الشهيرة القائلة (كأنها انبعثت فرزا وأضافت العبارة) هذا ما قالته منى وهي تعلق على المنحوتة في مكان بارز من معرضها في عمان بالأردن .

بين الساحات العامة والمتاحف

ورغم اعتزاز منى بأعمالها النحتية الصغيرة هذه ، فإنها ترى فيها ما يشبه المخططات لأعمال كبيرة الحجم ، تنصب في الساحات والشوارع والأماكن العامة . وقد كان أحد أحلامها على الدوام أن ترى أعمالها تلك في الأماكن التي ذكرتها . وعلى أي حال فإن هذا في الواقع هو مفهومها لفن النحت ، أي أن يكون العمل نحتا كبير الحجم ، يساهم بخلق نوع من التواصل مع المشاهد الذي قد يكون عابرا أو متجولا أو طالبا لبعض الراحة . « اعتقد أن أفضل معرض للأعمال النحتية هو الشارع ، وليس المتحف أو المعرض الذي قد يضفي على الأعمال الفنية نوعا من القداسة ، لكن وجودها في الأماكن العامة يعطي نوعا من تعميم الجمال والفن ويمنح حتى نفسها وجعلها أكبر » .

وترى منى أن هذا الانتقال من مرحلة الأعمال الصغيرة لطبيعة ذات الاستعدادات الفكرية السابقة بالقياس مركز العمل ، لأن الأعمال الكبيرة تتطلب تغيرا في الأسلوب وفي المعالجة . لقد بدأت مرحلتها الجديدة منذ شهر مضى ، عندما نصبت العمل الأول



تكوين - ١٩٨٤ - حجر أردني

لها في المعرض الشخصي في العاصمة الأردنية في العام ، ولم يكن صدفة أن هذه العمل كان تكبيرا لمشروع صغير من أعمالها الأولى . وكان في ذلك تأكيدا لعنصر الاستمرارية ، ونفيا لأي انقطاع بين المرحلتين .

لكن التغيير في الأسلوب والمعالجة يتطلب بالضرورة تغييرا في المفردات الفكرية والفنية . وهكذا نتدرج من إطار اللوحات الصغيرة ذات الأسماء الموحية مثل (أمومة) و (أمومة الأرض) إلى أعمال مثل (الشجر) و (نمو) التي تأخذ فيها الخطوط المنحنية تجمعها . وتشكل أجزاؤها البارزة مشروع حوار مع الفضاء . منطلقة من حالة الانسجام التي تميز معظم أعمالها .

سر الحجر

لقد كشفت منى السعودي سر الحجر . بعد أن اكتشفت سر النحت ، واختبرته هو الأصعب ، فليس في الحجر أسرار كما تقول ، السر في النحت ، وعندما نكتشف سر النحت نكتشف تلقائيا أسرار الحجر بمختلف أنواعه » .

وربما كانت من عناصر المفارقة أن هذا الفن الذي يستعظم دوره في حياتنا ، كلما تقدم الزمن وتطورت بنيانه أمكن الوصول إليه من خلال أقدم الأدوات التي اخترعها الإنسان ، وهي الأزميل والمطرقة . أما مادة ذلك الفن فهي الحجر القديم نفسه . الذي صنع منه المصريون تماثيلهم وأهراماتهم ، كما صنع منه الآشوريون والكلدانيون آلهتهم ذات الرؤوس الحيوانية والأجنحة المجنحة . تقول منى السعودي « الأزميل والمطرقة اليدوية والحجر هي عناصر النحت الأساسية ، وحتى المطرقة الحديثة التي تعمل بقوة الضغط تقوم على فكرة المطرقة اليدوية القديمة . أما صواني الحفر الأخرى فكلها عوامل مساعدة ، ويحدث أحيانا أن أصنع عملا نحتيا بكامله مستخدمة الأزميل نفسه دون أن أغيره » .



منى السعودي .. وعلاقة مع الحجر

علاقة حارة مع الحجر

ولاحظت في أثناء حديثي مع الفنانة منى السعودي أنها تتحدث عن تلك المادة الصماء الصلبة بحميمية غريبة . وتساءلت عن سر تلك العلاقة وروعتها لنا . وتحدثت منى بحرقة عن علاقة عملها بالتجربة . « الحجر هو أقدم مادة وأقساها . ويوحي اختلاف طبقاته بأن لكل منها خصوصيته وجماله . وعندما يأخذ الفنان تلك المادة الأرضية التي يمكن العثور عليها في أي مكان يبدأ بينهما نوع من العلاقة الحميمة . فقد يضع الفنان الحجر في مكان ما من مرسمه فترة من الزمن يمر به ويراه ويتأمله كل يوم قبل أن يبدأ العمل به . وعندما تبدأ مرحلة جديدة من العلاقة مع الحجر نفسه . يأخذه الفنان ويضع فيه كل تجربته الفنية والفكرية السابقة ، وربما الفلسفية ، ويصبح للحجر قيمة خاصة به وربما له تاريخ جديد يكتشف مني ، ولا تنتهي العلاقة هنا ، بل يصبح الحجر جسرا للتواصل بين الفنان والناس من خلال عرضهم التي تراه بتطلعات مختلفة ، وتعيد اكتشافه كل يوم وتكرر عملية الخلق التي عليه إلى ما لا نهاية » .

هكذا تحدثت منى السعودي ، الفنانة التي ولدت في عمان بالأردن ، ثم رحلت إلى باريس لتدرس فن النحت ، وعاشت في بيروت سنوات حرب لبنان ، وعانت تجربة الحصار عام ١٩٨٢ ، وعندما عادت إلى عمان ، إلى حيث انطلقت قبل عشرين سنة لتصنع المستقبل من الحجارة التي عشقت لها مثالياتها واكتشفت سرها الخفي .

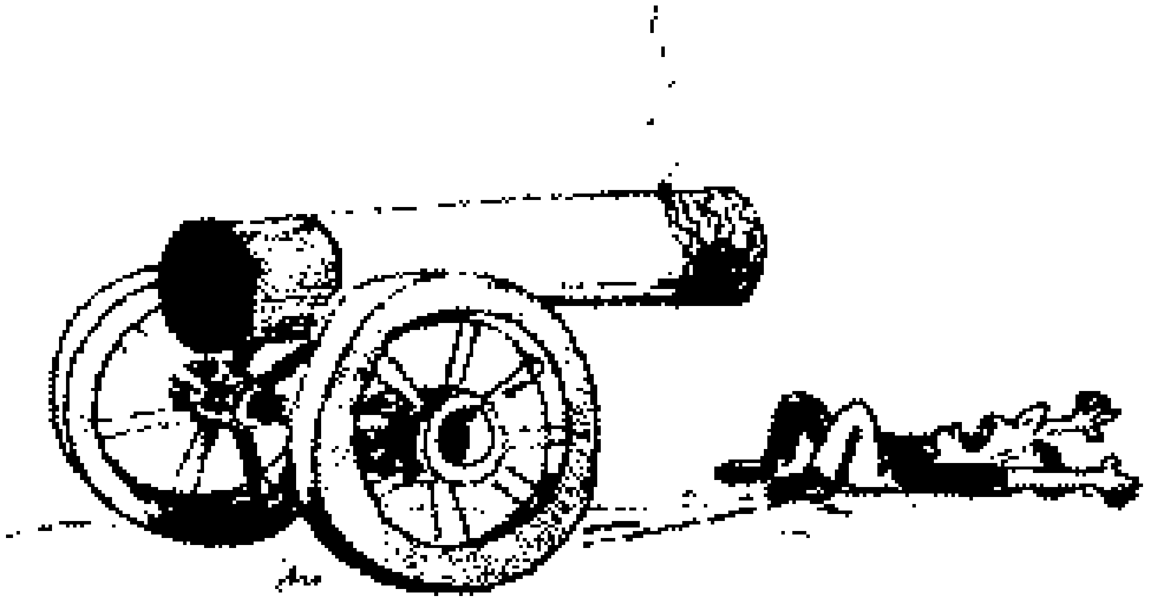

مشكلات الأسرة والمجتمع

التدخين

اختراع نسّاف

بقلم الدكتور ابراهيم ابو طاحون

[illegible]



للمضروبات وكثير من الفاكهة .

وخلال تلك الأيام التي سيحاول فيها ترك التدخين ستشعر بالعصبية ، القلق ، الأرق والأغماء ، الدوخة ، التعرق وتغير الشهية .

كذلك فقد تشعر بالخدر وآلام العضلات ، التعب ، الإرهاق ، النعاس ، والرغبة في التدخين .

والشيء الذي يجب أن يثير قلقنا هو نتائج الإحصائيات والاستفتاءات الأخيرة التي أثبتت أن النساء يتفوقن على الرجال في معدلات التدخين (بينما في الفترة ١٩٦٠ - ١٩٧٠ كانت نسبة المدخنات بين ٣٠ - ٤٠٪ بينما كانت نسبة المدخنين من الرجال ٥٠٪) وهنا علينا أن لا ننسى أن تهمة التدخين هي [illegible] وقد قدرت بعض الأبحاث أن كمية ما يستنشقه المدخن من سيجارة واحدة تعادل نفس كمية المواد الكيميائية السرطانية التي كان يمكن أن يستنشقها لأسبوع أو أسبوعين في أحد المدن الكبرى الملوثة ، وهو أمر يعني أن من يدخن ١٠ سيجارة يوميا يستنشق يوميا ما يستنشقه خلال عام كامل في إحدى المدن الملوثة .

ويحتوي دخان السيجارة الذي يستنشقه المدخن على أكثر من ٢٠٠٠ مادة كيماوية وسرطانية سامة مثل أول أكسيد الكربون ، النيكوتين ، أكسيد النتروجين ، الفينول وغيرها .

وفي اليونان فقد ارتفع معدل تدخين الفرد من ١٧٠٠ سيجارة سنة ١٩٦٠ (في عمر فوق سن الخامسة عشرة) ليصل إلى ٣٦٠٠ سيجارة سنة ١٩٨٣ . أما في النرويج وبعد عشر سنوات من تنظيم حملات المكافحة فقد هبط استهلاك السجائر بمعدل ٢٥٠٠ سيجارة للفرد الواحد ، ونفس الأمر يسري على الولايات المتحدة حيث هبطت نسبة المدخنين من ٤٠٪ سنة ١٩٦٥ إلى ٣٢,٦٪ سنة ١٩٨٠ ، بينما سجل هبوط عام في الاستهلاك بمعدل ٢٥٪ كذلك ثبت بأن احتمال تدخين الأبناء في حالة تدخين أحد الأبوين يصل إلى ٤٠٪ ، بينما يرتفع حتى ٧٠٪ في حالة تدخين كلا الأبوين .

وهكذا فلم تكن مضحكة العبارة التي كتبت قديما في سيارات الأجرة في الولايات المتحدة ، والتي تقول : حريتك تنتهي حيث يبدأ أنفي .

وقد أثبتت الأبحاث بأن التدخين السلبي أو الثانوي أي الاستنشاق غير الإرادي لدخان المدخنين يحدث كذلك عواقب سلبية وخيمة على الصحة تصل حتى حدوث سرطان الرئة .

وحتى لا يكون قولنا مبالغا فيه نوضح هنا بأن المدخن يستنشق خلال تدخينه لسيجارة واحدة فقط ما

مجموعه ٢٠ ثانية ، لكن الدخان وجزيئاته تتحرك في الهواء لتعبر مناطق كاملة ، وهو أمر يعني أن الدخان المتسرب يفوق المدخن بكثير .

وقد أثبتت أبحاث أجريت في اليونان ، أن الدخان السلبي يحتوي على كمية أكبر من المواد التي تعتبر ضارة ، وخصوصا النتروزامين التي تعتبر أكثر مادة مسببة للسرطان ، حيث يزداد تركيزها في الدخان السلبي بمقدار ٥٠ مرة لمن يعملون أو يعيشون مع المدخنين » .

وبالطبع فذلك يعتمد على عوامل أخرى مثل المسافة التي يبعدها الشخص المعرض للدخان ومدى تهوية المكان . وتشير الأبحاث تقريبا أن الكمية ذكرة عالية أيضا في واشنطن التي قدرت بأن ٥٠٠ ، ٥٠٠٠ شخص من غير المدخنين يموتون سنويا في الولايات المتحدة من سرطان الرئة الذي يسببه التدخين غير المباشر ، بينما يموت ١٠٠٠ شخص ويقضي السبب سنويا في بريطانيا ، كما أعلن ذلك البروفيسور هايكل واشولد .

وقد أكد بحث أجري في بريطانيا على أن خطر الإصابة بالسرطان يزداد لكل شخص بازدياد أعضاء العائلة الذين يدخنون في منزله . وبالنسبة للأطفال فالتدخين يسبب تعرضهم لأمراض تنفسية وأخطارا بالإصابة بأورام الأطفال وسرطان الرئتين .

كذلك فخطر كبير على البالغين للإصابة بنفس الأمراض ، لتعرضهم خلال سنين طفولتهم لتدخين أعضاء عائلتهم . كذلك فمن الجدير بالملاحظة هنا ذكر القابلية الكبيرة للإصابة بهذه الأمراض للأجنة ، من كانت أمهاتهم يدخن خلال فترة الحمل ، وذلك لأن المواد السرطانية يمكنها اختراق المشيمة .

وقد خلصت هذه الأبحاث للقول : « إذا كان المدخن السلبي يستقبل كميات أقل من الدخان من تلك للمدخن الفعلي إلا أنه مع ذلك يعتبر نوعا من الدخانية أكثر . وقد عثر على بعض مشتقات الدخان في دم وبول الأطفال والبالغين والأجنة ممن تعرضوا لدخان الآخرين » .

وبالطبع فالتناقض بين المدخنين وغير المدخنين يحتم حتميا ، في الوقت الذي يدافع فيه الأولون عن حقهم في تسميم أنفسهم ، يرفض الآخرون المشاركون عواقبه . ولا حل لهذه المشكلة حتى الآن . وأحدث المواقف غير المتوقعة بهذا الشكل كان ذلك الذي نشرته الصحافة حول قيام أحد الطيارات « إمبتيرن » بهبوط اضطراري خلال رحلة له بين نيويورك وواشنطن ، بسبب خلاف نشب حول مقعد بين الركاب ، وقد ابتدأ الإشكال حين غضب أحد الراكبين ممن لم يعثر له على مقعد « لغير المدخنين » للجلوس مع المدخنين ، حيث طالبهم بعدم إشعال سجائرهم فكان ما كان .

والمسيد للمواقف الأخرى ، أن الأمريكي هربرت بيتري طلب من مكتب الموظفين الفيدراليين تعويضا له على الضرر اللاحق بصحته ، وحيل للتقاعد نتيجة اضطرابات في الرئة بسبب أنه لعمله بين موظفين جميعهم من المدخنين ، ولأول مرة في التاريخ فقد دفع المكتب مبلغ ٧٨٠ دولارا عن الخمسة عشر يوما .

ومثل هذه المحاكمات قد تجري في السويد ، المعروفة أن الخطوط الجوية السويدية قد نظمت رحلات داخلية خصوصا لغير المدخنين ، كذلك فالحكومة السويدية هي الأولى في العالم التي وصفت التدخين بأنه خطر عام ، وبالطبع فقد سنت القوانين الصارمة بحق من يدخنون في الأماكن العامة ، وكان من نتائج الإجراءات في السويد هبوط نسبة المدخنين من ٧٠٪ سنة ١٩٦٣ إلى ٣٠٪ الآن .

ولنفس السبب تقوم بعض الشركات الأمريكية بتعليم وتدريب موظفيها السلبيين بالعصيان عن المدخنين ، بينما تحتوي المطاعم على قاعات خاصة بغير المدخنين ، ومن المعروف أن ثمانين من النيكوتين تكفيان لموت الإنسان ، بسبب شلل يحدثه في مركز التنفس ، وأن دخان الفافة سيجارة يحتوي على ملغ واحد من النيكوتين ، يبقى منه ٣٦٪ في عقب السيجارة ، بينما يمتص المدخن ٢٨٪ منه ، ويتوزع الباقي ٣٦٪ في الهواء الجوي .

وهذا الأمر دليل على أن المدخنين لا يسببون مشكلة لمن يجاورونه بأرواحهم فقط . □

البدانة

صحة .. أم مرض ؟

بقلم الدكتور سامي محمود علي

مشكلة .. لا يخلو حديث من ذكر أخبارها .. والكل يسأل ويبحث عن علاج : ترى ما هي أسباب السمنة وهل هي صحة أم مرض ؟!

متى يمكننا اعتبار البدانة مرضاً ؟ .. وإذا كانت مرضاً فكيف يمكن للمرء أن يشفى من أعراضه التي تثير اشمئزاز وقلق الكثيرين ؟ .. في الواقع أن هناك جانباً ضئيلاً من البدانة يمكن اعتباره مرضياً ، ولكننا نود أن نقول أن الجانب الأكبر من البدانة لا يعدو أكثر من كونه استعمالاً غير صحيح لآلة الجسم ، بالإضافة إلى الفوضى الكاملة لطرق التغذية .. ومن الأبحاث التي أجريت ، ببرلين ، وجد أن نسبة الوفيات قبل سن الخامسة والعشرين تكون متساوية عند البدينين وغير البدينين ، ولكنها تزداد عند البدينين الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٢٥ و ٥٠ سنة .. لذا يمكن وضع النتيجة كالتالي تحديداً ، إن زيادة الوزن بعد سن الخامسة والعشرين ينذر بالخطر ، فكلما تقدم الإنسان في السن زاد الخطر من ازدياد وزنه .. كما أن البدين عرضة أكثر من غيره للإصابة بمرض السكر .. بالطبع نحن لن نستطرد في ذكر هذه الحقائق التي مفادها أن البدانة شر لابد من التخلص منه .. ولكن نتساءل ما هي البدانة وما هي أهم أسبابها ؟ .. وما هي طرق معالجتها ؟ .. وماذا عن الوصفات الشعبية التي تعالج البدانة .. ؟ .. الحقيقة أنها أسئلة كثيرة تتردد لدى الكثيرين ، وسنحاول هنا الإجابة عنها جميعاً ..

أسباب البدانة

البدانة هي زيادة في شحوم البدن ، خصوصاً في النسيج الخلوي تحت الجلد ، وكما يبدو ذلك واضحاً في تراكم الشحوم تحت جلد البطن ، فيما نسميه بـ الكرش ، كذلك تزداد الشحوم في المساحات بين الغشوية وحول أعضاء الجسم الداخلية كالكلية والقلب ..

أما أسباب البدانة فقد ظهرت في الآونة الأخيرة عدة بحوث تعدد الأسباب التي تنجم عنها الإصابة بالبدانة ، ولعل من أبرز هذه الدراسات تلك المدروسة التي قام بها الدكتور « جون هوبكنز » بالاشتراك مع الدكتورة « ماري سيمونسون » صاحبة كتاب « علاقة الصحة بالوزن » .. وفي هذه الدراسة نلمح بوضوح الأثر النفسي الذي يدفع البعض إلى

تناول الطعام بشراهة ، فيؤدي بالتالي الى زيادة الوزن . فالمرأة الحامل التي تتناول المزيد من الطعام ، خوفا من اصابة الجنين بالضعف ، وكذلك المرأة في سن اليأس التي تعاني من اضطرابات نفسية نتيجة انقطاع الدورة الشهرية ، فتلتهم الطعام بشراهة كنوع من التعويض .. أيضا الرجال الذين يفرطون في تناول الأطعمة في فترة حمل زوجاتهم ، كنوع من أنواع التعبير عن الاستياء والاحتجاج من [illegible] الزوجات .. كذلك أوضحت هذه الدراسة .. من وبعض حالات الطوارئ التي تدفع البعض الى الراحة لمدة طويلة تقلل من نشاطهم ، في الوقت [illegible] في [illegible] التي [illegible] على تناول الأطعمة [illegible] في فترة الاسترخاء [illegible] .. هذه هي الأسباب التي أوردتها هذه الدراسة كمسببات للبدانة ، إلا أننا يجب ألا ننسى الأمر الوراثي في البدانة ، فالشخص الذي ينحدر من عائلة كل أفرادها من أصحاب الأوزان الثقيلة ، [illegible] ، فبعض العائلات لديه [illegible] كبرى ، فينشأ أفراد هذه العائلات وهم يعانون من البدانة .

الآن يمكننا وضع كل هذه الأسباب في جملة واحدة هي .. أن السبب الجوهري للبدانة هو الإفراط الشديد في تناول الطعام ، خصوصا الأطعمة النشوية والسكرية ، وذلك في مقابل نشاط أقل وفترات راحة طويلة .

قبل أن تبدأ العلاج ..

أولا قبل أن نشرح طرق علاج البدانة علينا أن نعرف أن العلاج لن يتم في يوم وليلة ، بل هو يحتاج الى مثابرة وكفاح مستمرين .. ان انخفاض الوزن سوف يحدث في بداية العلاج بسرعة ، ولكنه سيبقى ثابتا لفترة طويلة قبل أن يبدأ مسيرة أخرى في الانخفاض ، لذلك علينا ألا نصاب باليأس فنقلع عن العلاج ، ونحن نشير بالمناسبة الى أن انقاص وزن الجسم في أثناء العلاج يجب أن يكون كل أسبوع لا كل يوم كما يفعل البعض .. وفي الحقيقة أن العلاج يقوم أساسا على التغذية ونوعية الطعام ، وهو لا يهدف فقط الى تخفيض وزن الجسم ، ولكن أيضا الى تعديل العادات الغذائية للمريض .. وهناك نصائح عامة نقولها لكل بدين ..

- يجب أن يكون الانسان البدين نشيطا كي يحرك جسمه ، ويجب عليه أن يمشي مسافة معينة في كل يوم .
- تحديد أوقات الطعام وتحديد كمية الطعام في كل مرة .
- يستحسن عدم النوم بعد الطعام مباشرة .
- تخفيض نسبة السكريات والنشويات وملح الطعام في الغذاء .. مع ملاحظة أن الامتناع التام عن تناول السكريات والنشويات وملح الطعام له ضرره الخاص ، وهو شيء غير مرغوب فيه ، فالمطلوب هو التقليل فقط من هذه المواد .
- الأغذية البروتينية كاللحوم والأسماك يمكن أن يتناول منها حتى ٢٠٠ جرام يوميا ، فهي أقل الأطعمة تحولا الى شحوم .

كيف تتخلص من البدانة .. ؟

ان علاج البدانة والتخلص منها يعتمد في الأساس على طريقة التغذية ونوعية الطعام ، فهناك نظام تغذية يشمل وجبات الطعام في الافطار والغداء والعشاء وهو كالآتي ..

الافطار : عصير الجريب فروت من أجل فيتامين ج ، وفنجان قهوة ، وعند الشعور بالجوع تناول بيضة نصف مسلوقة .

وفي منتصف النهار يتناول البدين قطعة من الجبن منزوع الدسم وكوب زبادي .

الغداء : سلطة خضراء ، شوربة خضار بدون ملح ، ويضاف اليها عصير الليمون .. كما يمكن تناول كوب من الزبادي عند الساعة ستة مساء .

العشاء : فرخة كاملة مشوية مع الجزر والبصل بدون ملح أو أي مادة دسمة ، ويمكن تناول بدلا من ذلك كيلو ونصف من السمك ، أو ما يعادل ذلك من



أي نوع من البروتين (البقوليات كالفول والحمص يمكنها أن تحل محل اللحوم ، بشرط عدم استخدام الملح ، أو أي مادة دهنية كالزيت أو السمن) .

● قبل النوم : كوب من اللبن ٤ مرات في الأسبوع .

كما يمكن ملاحظة الآتي :

- تناول كوب من الماء كل نصف ساعة .

● - يجب أن يخصص يوم للصيام مرة شهريًا ، ويومين أو ثلاثة يتناول فيها الفاكهة فقط . . كما يمكن تناول ملعقة عسل نحل خلال أيام تناول الفاكهة فقط .

أما إذا كان الشخص يريد التخلص من عدد قليل من الكيلوات فقط من وزنه ، فيمكن إضافة الفاكهة إلى وجبة الإفطار أو الغذاء ، لكن بشرط تناولها بعد ثلاث ساعات من تناول وجبة البروتين ، والانتظار ساعتين قبل تناول أي نوع من أنواع الأطعمة الأخرى .

وصفات شعبية تعالج البدانة . .

يحاول الإنسان أن يجد من الأطعمة ما يعالج به ما أفسده هو بإفراطه ونهمه على الطعام ، وركونه إلى الكسل والراحة . والحقيقة أن الحمية أو الرجيم لا تشتمل على أنواع معينة من الأطعمة يمكنها به صحة الإنسان ورشاقته . . بحيث يمكن أن نعتبر الوصفات التالية كرجيم لمعالجة البدانة ونكرر القول بأن العلاج لن يؤتي ثماره في يوم وليلة ، بل هو يحتاج إلى مثابرة ومداومة ، فكما أن البدانة لم تظهر فجأة بل تراكمت يومًا بعد يوم ، فإن العلاج كذلك سوف يستغرق وقتًا للتخلص منها . . ومن هذه الوصفات ما يلي . .

● ورق العنب : ينقع ٥٠ جرامًا من الأوراق اليابسة في لتر من الماء البارد ، ثم يوضع على النار حتى يغلي لمدة نصف دقيقة ، ثم يترك لمدة ١٠ دقائق قبل أن يصفى ويغلى ، ويؤخذ بمعدل ثلاثة فناجين في اليوم قبل الطعام ، ويمكن تناول كمية معقولة من العنب في الصباح حتى يرتفع تدريجيًا ، وخلال أسبوعين إلى كيلو واحد .

● خل التفاح : يستخدم خل التفاح لإنقاص الوزن ، وذلك بشرب ملعقتين صغيرتين من الخل في كوب ماء مع كل وجبة طعام ، أما إذا تعذر شرب مزيج الخل مع كل وجبة طعام لأي سبب يتعلق بالعمل اليومي ، فيمكن شرب كوبين من المزيج يوميًا . . الأول في الصباح بعد النهوض من الفراش والثاني مساء قبل الذهاب إلى النوم . . فالخل هنا يحرق الدهن الزائد في الجسم ويمنع تراكمه . . أما طريقة إعداد خل التفاح فيمكن بتقطيع ثمار التفاح دون نزع البذور ، ثم وضعها في قنينة وتركها عدة أيام إلى أن يتم التخمر ، ثم تصفى ، ويستخدم الخل الناتج من التصفية بالطريقة التي شرحناها . . . ☐

هو...

بلا أسرار

أصبحت حياتي جحيما، وصارت أيامي دائرة مغلقة وسترا مفضوحا. العيون تنتهك أسرارها وتفتش خصوصيتها، الأنوف تتشمم تبحث عن أسراري. كل الأسئلة تشاركني مشكلاتي وحياتي.

صحيح أن أسعد البداية، ولكنني شعرت بأنها لم أكن أظن أنه سيصعب الفكاك، وأن ثمنه سيكون بهذه الأشكال التي تطلب حياتي وتفسدها.

كنت صغيرة لطيفتي بثلاث لأم هي أكبر شقيقاتها، ومن هنا فقد كنا نحن الشقيقات الثلاث بمثابة الصديقات الثلاث، نشأنا معا وتربينا معا، كانت بيننا علاقة أقرب إلى الصداقة منها إلى القرابة.

وتزوجت.. وكانت فرحتهن بي لا توصف، وبدأت حياتي مع زوجي، وبدأت تدخلهن في.. شئوني وأحوالي.. ولأنني أنا الصغرى.. المحبوبة والمدللة.. فقد كانت الاستشارات المجانية تقدم لي دون طلب... والمساعدات تنهال علي.. والمتعة تمد لي خطاها وترسمه.. والأخرى تدعوني للطبيخ وتأخذ مكاني.. والثالثة ترتب معي المنزل.. وعندما نجلس تبدأ الأسئلة والنصائح والملاحظات، وأعترف بأنني كنت سعيدة غاية السعادة بهذا التقارب الذي أحيط بي.. فرحة بأن الآخرين يشعرون غيرتهم وحسدهم لأنني محاطة بأناس يشاركونني في تعليم وطلبات حياتي كل أجزائها.. ولكن بعد فترة اكتشفت أنني أعيش كعروس في مسرح عرائس.. فهن يحركن خطانا.. كم ننفق وكم ندخر.. وكم علينا من ديون.. وكم لنا.. وعلاقاتنا مشاكلي، ومن أين، وكيف، وماذا نأكل، وماذا نحب وماذا نكره.. ولماذا نؤجل الإنجاب الآن، وأي وسيلة منع حمل نستخدم.. اكتشفت أن حياتي منتهكة.. وسري مشاع.. وخصوصياتي مفضوحة... ووجدت أنني لم أستطع أن أوقف هذا التدخل.. وربما في منتصف الطريق لا أستطيع العودة.. ولا أستطيع أن أتخذ موقفا حاسما.. فهم أهلي.. ولا شك في حبهم لي... وأنا حريصة على علاقتي معهم، ولكنني أسأم في حبهم من الاحتواء، أعرف أن الحل الوحيد هو أن أقف يوما وأطلب منهم جميعا أن يكفوا عن نصائحهم وتدخلهم، ولكن هذا موقف لا أستطيع عواقبه.

المأزق أن زوجي طرف في القضية، وكثيرا ما يثور لتطفلهم.. هم يعرفون عن أمورهم ويحبهم ويحترمهم، وهو يثور ويشرح أفكاره، ولماذا فعلنا كذا.. ولم نفعل كذا، وراح يحلم بالاستقلال والخصوصية وإخفاء الأمور. صارت الحياة مشاعة وملكا لكل العيون والأنوف.



هي....

إقتحام

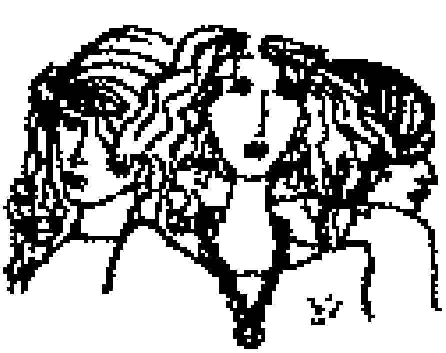
● منذ أول يوم رأيتها أدركت خطورة الاقتراب الشديد، وحاولت أن أبتعد عن حياتنا دون أن أمس مشاعرها أو أسبب لها إحساسا بأن هناك موقفا من أهلها.

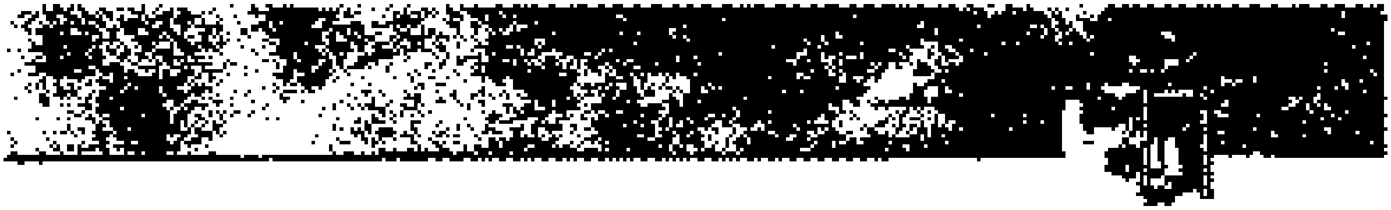
وكانت فكرتي ببساطة أن كل علاقة إنسانية لها خصوصية تكتسي، وأن التجارب الإنسانية ليست متماثلة، ولو وضعنا شخصين في نفس الظروف، وعرضناهما لنفس العلاقات، والمواقف، لجاءت النتائج مختلفة لأننا في النهاية بشر، بيننا فروق واختلافات، ولا يوجد في هذا العالم اثنان متطابقان في العقل والثقافة والطموحات النفسية والوجدانية والوعي.. وغيرها من الفوارق بيننا نحن البشر.

وظلت هذه فكرتي أمنية معي، وكنت في أمنيتنا الرغبة المتبادلة، في أن نصنع حياتنا خصوصية تسمح لنا بأن نحقق ما نريد، وستكون هناك مشاكل.. أكيد، ولكنها ستظل لنا نحن.. وسنتعلم منها، ونستفيد، ونتلافى، ونطور تجاربنا وأحاسيسنا.. وأسوأ ما في الحياة تصالح البعض للبعض، فالتصالح كالشمس لا تكون نورا ولكنها لا تمنع نفسها، وحاولت كثيرا.. بعيدا عن أزواجهم، والزوجي يطلب من الصمت ولهم من الذكاء في توجيه النقاش بعيدا عن الآخرين، وكانت نصيحتي لها رقيقة ولكن دون جدوى. فتحولت الأمور كما تعلم.. الشورى تصبح تدخلا.. والنصح يصير تسلطا.. ووجدت نفسي في وسط لعبة أرفضها وأتحفظ عليها.. صارت المشكلات كلها معي لأنها لم تحصل كيلا، لم أتعثر كيلا، لأنها لا تبيح كيت وكيت و....

وغير منطقي أن أرد بالصمت، وسيل المشكلات يحيط بي، وهنا خطأ وهناك صواب.. أقاصرني.. ولم يكن من المبالغة أن أرد ردا حاسما، وهكذا استدرجت إلى اللعبة وصرت طرفا فيها..

صارت لعبة مشتركة بيننا، زوجي وأنا وأقاربها.. ومن يعلم؟! فقد امتد لتشمل الأصدقاء والصديقات والمعارف.. والإدراكي لمطلب أن يكون الإنسان بلا خصوصية وبلا ذاتية، حاولت كثيرا مع زوجي أن نتخذ موقفا حاسما نحافظ به حياتنا من هذا الاقتحام ونتخلص من كل أسباب التوتر من ضيق أو رفض! ولكنها ولم تحرمها لمسي على لمساتهم ومشاعرهم وصلتها بهم.... لكي أن نحافظ على حياتنا من الصدع.





وَخفق قلبُه بحبِّ الدنيا والناس !

بقلم : عنتر نصيف

امتلأ قلبه بالحقد .. كان يحقد على الناس وعلى المجتمع .. ثم اكتشف فجأة أجمل وأعظم عاطفة في الحياة .. اكتشف الحب !

نحن نعيش في عالم امتلأ بالأحقاد .. لقد أصبح الحقد مرضا من أمراض هذا العصر .. فنحن نحقد لأننا نكره بعضنا بعضا .. ونحقد لأننا نطلب الكثير للحياة .. ونحقد لأننا نشعر بأن الناس الذين يعيشون حولنا لا يقدرون التضحيات ، التي نبذلها من أجلهم .. ونحقد لأنه أساء إلينا صديق ، أو أخطأنا في حقها .. ونحقد بعد هذا لأي سبب ولأنه سبب . ونسوا أنواع الحقد هو الذي يملأ صدر المرء رجلا كان أو امرأة ، بلا سبب ، أو ربما لأنه يشعر بأنه ما زال صغيرا !

وهذه قصة زوج عرف الحقد وتعلم الحب

***

كان يحقد ويحسد بعد أن عجزت زوجته التي شاركته حياته سنوات طويلة ، في محاولة مستمرة مع ذلك الشعور الغريب بالحقد ، الذي كان يملأ قلبه .. الحقد على الناس وعلى الحياة ، وعلى كل رجل يعرفه أو لا يعرفه لمجرد أنه يعتقد أنه سعيد في حياته ، وأنه حقق قدرا من النجاح في عمله ..

ولم يكن هو فاشلا .. كان موفقا في حياته وفي عمله .. وكانت زوجته الشابة تتألم وهي ترى الحقد في عينيه ، وفي صوته وفي تصرفاته ، كلما جمعتهما الجلسة بعض هؤلاء الذين يطلقون عليهم ... في الحياة .. ولكنها كانت تشفق عليه ، فقد كانت تراه يحترق لنفسها ، ولكن لا كما تحترق الشموع التي تضيء الطريق ! كانت تحس أنه يذوب في بحر من الظلام الذي يصبح فيه وحده ، مع تلك الانفعالات التي تطلق بها صدره خلال ساعات الليل .. فهذا هو الطفل تحولت إلى كابوس يطل عليه ليخرب في نومه !!

وعبثا حاولت الزوجة أن تنتزع هذا الشعور من رأسه المضطرب وتفكيره المريض ، الذي كان يصوره له



بالعالم كله ، كما لو كان جيشاً من الأعداء الذين يتربصون به ، وينتهزون الفرصة للانقضاض عليه ، رغم أن أحداً من كل هؤلاء الذين عرفتهم لم يفكر مرة واحدة أن يسيء إليه ، أو يقف في الطريق الذي يسير فيه ، والذي اختاره لنفسه وحده !

وجاءت الزوجة الشاكية متعبة ، وأصبحت عليها في الأعراض النفسية لسأله التعب والتوتر ، وكانت قد اقتربت أمرة .. لا بد أن تهرب من حياته لحظة ، تتركه فيها يعيش وحده ، لعلها تنجح في اكتشاف الأسباب للمرض الذي يعاني منه ، بعد أن عجزت تماماً عن أن تقنع أسرتها على عرض حالة الطبيب !

وجلست الزوجة تتحدث : « سألنا كيف يا سيدتي .. ؟ لم أطق الحياة مع رجل يحقد على الناس وقلبها وجل كل حاجاته وتعب له .. ! إننا أسرة طرف ، ولا ينقصنا شيء ، وهو يشغل وظيفة محترمة ، ولكنه غير قانع برزقه ، إنه يستعجل الثراء ، ويعتقد أن كل رجل ناجح استطاع أن يصل إلى هدفه بسرقة جهوده ! إنه لا يحتمل أن يرى إنساناً سعيداً نسبياً ، فهو يجد الراحة الكبرى في الاستماع إلى شكاوى الناس ومآسيهم !!

وقال الطبيب : « إن زوجك مريض يا سيدتي ، لو أنه يعاني من عقدة نفسية لازمته منذ طفولته .. ربما يكون قد نشأ في جو مليء بالحقد والكراهية عندما كان طفلاً صغيراً ، لم يتمكن معه من رؤية الجانب الآخر للحياة .. الحياة التي تحفل بالحب والتعاطف مع الآخرين ..

وإن الشعور بالحقد لا يكون مشكلة وحده ، لأنه ينبع غالباً الشيء من الضحية ، يتذكر الفرد بصورة دائمة ما سبق أن تعرض له من إذلال ومهانة !

لقد اكتشفت يا سيدتي هذا كلما تسأل من الباحثين لمسيرة حوادث الطلاق في عام واحد ، فوجدوا أن أكثر من نصفها كان نتيجة لأن الزوج لا يريد ولا يستطيع أن يطرد من ذهنه الأحداث التي أدت إلى وقوع الخلاف بينه وبين زوجته ، رغم رغبة الزوجة الصادقة في تناسي ما حدث ، وعطفها رغم الصدع الذي أصاب حياتها مع زوجها ، من أجل أطفالها الذين تحبهم ، وبيتها الذي لا تريد أن تتحول عنه !

زوجك يا سيدتي يعيش حياته في التفكير في أحداث ومشاكل ما زالت بصماتها محفورة في رأسه ، ولو تركها طولها كما يطوي الفرد صفحات الكتاب الذي فرغ من قراءته ، لاستطاع أن يتخلص من هذا الشعور الذي يحرق معه جزءاً ساعات يومه !! ..

وماذا أصنع إذن ؟

اتركيه مع نفسه بعض الوقت ، حتى تلتقطي أنفاسك وتنفسي معه بعيداً .. فقد يكتشف من وحدته أنه يحترق ، وربما ينجح في تحويل تلك الطاقة الضخمة التي يطلقها في الحقد على الناس ، إلى مصدر آخر له يطلق فيه بالحب الذي افتقده !!

* * *

ومرت بضعة أعوام والزوج يعيش في وحدته مع هذا الشعور الذي يلازمه في كل تصرف يصدر عنه .. في كل عمل يقوم به مع نفسه ومع الآخرين ..

إلى أن جاء يوم سقط فيه الرجل مريضا .. وحملوه إلى المستشفى لإسعافه بالعلاج .. كان في غيبوبة عندما وصل الشركة التي أحضرته له .. وعندما فتح عينيه وبدأ يستعيد وعيه .. نظر حوله فوجد مجموعة من أطباء المستشفى والممرضات يحيطون بفراشه .. وأحيطوا واستبد به القلق .. ما هذا؟ من كل هؤلاء .. لماذا جاءوا به إلى هنا بالذات، وكيف عرفوا بمرضه الذي أخفاه عن كل من له علاقة به؟.

وعرف القصة .. لقد كانت الصدفة وحدها التي كشفت حياته، لقد ذهب في غيبوبة منذ ثلاثة أيام .. وحاول زملاؤه في العمل الاتصال به تليفونيا، للاطمئنان عليه .. لقد كانوا يشعرون أن الرجل يعيش في أزمة منذ أن تركته زوجته ورحلت، لتعيش بعيدة عنه مع صغارها .. وعندما لم يجدوا ردا، ذهبوا إليه في بيته، وكان الباب موصدا، فاستدعوا رجال الشرطة، وفتحوا باب البيت، وفي غرفة نومه وجدوه راقدا على فراشه بلا حراك!

* * *

وبدأت رحلة الفحوص الطبية .. كانت رحلة صعبة مليئة بالشكوك والحيرة .. إنه لا يشعر بالاطمئنان على نفسه بين هذه الأيدي الممدودة إليه، وهو راقد على فراش المرض .. من هذا يطمئن إليها وهو الذي لم يسلم قلبه بالثقة على كل الناس!؟

كان ينظر إلى الأطباء الذين يشرفون على علاجه نظرة إلى الأعداء الذين يتربصون به للقضاء عليه .. حتى الممرضات بملابسهن البيضاء كان يصرخ فيهن منه، ويأمرهن بالابتعاد عن فراشه ..! ولكنهن كن يستقبلن تصرفاته الشاذة بابتسامة لا تخلو من العطف المشوب بالحيرة.

وعندما قرر الأطباء في نهاية الأمر إجراء العملية الجراحية التي كانوا يعتزمونها له، صرخ في ذعر: لا .. لن أسمح لأحد منكم بأن يقترب مني .. لن أسلم نفسي لكم، لكي تمزقوا جسدي بمشارطكم .. أريد أن أعود إلى بيتي لأموت على فراشي في هدوء!

ولكنهم لم يتركوه .. كانوا يدركون أنهم أمام حالة خطيرة لا بد من علاجها بحكمة .. وانتظروا حتى ذهب في إغفاءة ثم خدروه بالمخدر ونام، وحملوه إلى غرفة العمليات .. وأجريت له الجراحة بنجاح ..

وبقي الرجل تحت تأثير المخدر ثلاثة أيام .. فقد حرص الأطباء على ألا يتركوه يعود إلى حالته الطبيعية قبل أن يطمئنوا على الجرح حتى لا تحدث أية مضاعفات .. كانوا يخشون أن يقدم المريض على حماقة قد تؤدي إلى عدم التئام جرحه ..

وصحا الرجل من نومه أخيرا .. وعاد ينظر حوله من جديد .. ولكن بوجه آخر وبعينين تحملان معاني جديدة لم يرها من قبل، ولم يعهدها حتى في نفسه .. وراح يفحص الوجوه التي أحاطت به وهو راقد في فراشه .. لقد ذهبت الآلام التي كانت تمزقه في صحوه ونومه .. بدأ يشعر بالحياة تدب في أوصاله من جديد .. لكنها تغمره بمشاعر لم يألفها قبل اليوم ..

وسأله الطبيب: كيف حالك اليوم؟.

ولم يجب .. أسرع يقترب بشفتيه محاولا أن يلثم اليد التي كانت قريبة منه .. ثم قال في همس: «أشكرك يا سيدي .. أنا لا أعرف كيف أرد لكم هذا الصنيع. لقد استطعتم أن تعيدوا إليّ الحياة، رغم أني منعتكم عني، فلقد رفضت أن أسلم نفسي لكم .. أين زوجتي .. أين أبنائي الصغار .. أتوسل إليك يا سيدي أن ترسل في استدعائهم .. إنني في شوق للقائهم!

وجاءت الزوجة تسوق صغارها إلى المستشفى .. حملوا الزهور للزوج والأب الذي استعاد صحته واستعاد معها ثقته بالحياة ..

ظل وهو يدعوها إلى الاقتراب منه ويطبع قبلة على جبينها وراحت تداعب يداه رأسها:

«سامحيني يا حبيبتي .. سامحيني، فلقد أسأت إليك وظلمتك!

وبكت .. ولكنها أحست أنها تبكي في هذه المرة .. لأنها استعادت زوجها!

وخرج الأب والزوج من المستشفى .. خرج بعد أن امتلأ قلبه بحب الدنيا والناس .. كل الناس! □

طبيب الأسرة

الصّيدليّة المنزليّة
محتوياتها وتنظيمها ورعايتها

بقلم : الدكتور عبدالكريم ابو شويرب

● لا يخلو بيت من خزانة للدواء .. أو على الأقل من بعض الأدوية والمطهرات ، ورغم أهمية الصيدلية في المنزل الا أن أحداً لم يقل ماذا يجب أن تحوي ؟ وكيف ترتب ؟ وهذا ما يتناول هذا الموضوع الاجابة عنه ؟

لا يوجد في الموسوعات الطبية أية معلومات حول الصيدلية المنزلية وبالتالي ليس لا أعرف أحداً من أنشأ صيدلية منزلية ، أو وضع لها شروطاً ومواصفات ، ولكن ربما كان الأمر مجرد شكل من المتعارف عليه ويقتضيه كل أسرة أن يخصص ركن في المنزل للأدوية التي يستعملها الكبار والأطفال في تلك البيوت .

والصيدلية الطبيعية التي تبلى مكانك هي تخصيص خزانة أمينة ذات رفوف كافية لوضع الأدوية والمعدات الطبية بداخلها . كما انه تقوم سيدة البيت بتوزيع هذه المحتويات حسب أنواعها : في ركن للحبوب وآخر للمراهم أو الأشربة أو القطرات مثلاً ، فإن ذلك يدل على ذوق رفيع واهتمام خاص من رب أو ربة البيت .

وربما أدركت أهمية صيدلية المنزل كل من ألم به مغص مفاجيء في منتصف الليل أو وجد أحد أطفاله يشكو من سخونة ويعاني ارتفاع الحرارة في الليل وغيرها من الحالات الطارئة الليلية ، أو حتى الأمراض العادية التي لا تستلزم استدعاء الطبيب ، وفي هذه الحالات تبرز لنا أهمية صيدلية المنزل ، ويتطلب أن تضم من أدوية واسعافات أولية حتى يتسنى مراجعة أو حضور الطبيب .

انشاء الصيدلية المنزلية وتنظيمها :

لقد قام رب البيت بحيلة عملية في بيته وجمع علاقة كل ما يلزمه من أدوية وما كان نوعها بدءاً من حبوب البرد والكحة وحبوب الملاريا والفلفل وحتى خزانة

تعرضت للحرارة ، فإن الصيدلية تكون مجموعة لا بأس بها من الأدوية التي تحتاج للفرز واستخلاص الصالح منها للاستعمال ، وهي ستكون نواة لصيدلية المنزل .

ونظرًا لأنه لابد من رمي الأدوية المجهولة الاسم أو القديمة ، أو تلك التي لا تعلم استعمالاتها ، وبعد ذلك لابد أن يعد صاحب البيت خزانة متوسطة الحجم ويجد لها مكانًا مناسبًا في المنزل ، أي بعيدًا ومرتفعًا عن متناول الأطفال وقريب إلى حجرات الكبار في المنزل .

ويفضل توزيع أرفف صغيرة داخل هذه الخزانة وترتيب الأدوية بها حسب نوعها : حبوب ، شراب ، مراهم ، لبوسات ، كبسولات ، حقن .... الخ ووضع المعدات الطبية كالقطن والضمادات في أسفل الرف ، كما توضع المواد السامة كالكحول وصبغة اليود مثلا في أعلى هذه الأرفف لتفادي استعمالها من قبل الأطفال .

ويستطيع رب البيت كتابة بعض التعليمات على زجاجات الأدوية نفسها وتضم هذه التعليمات : اسم الدواء ، اسم صاحب الدواء ، التاريخ الصرف ، وعدد الجرعات في اليوم ومدة استعماله . كما توضع بطاقة حمراء عليها العلامة الدولية للسموم ، وتلصق على الزجاجات أو علب الأدوية السامة أو الخطيرة .

ونفهم من ذلك أن استعمال هذه الصيدلية سيكون من قبل الأبوين أو الأفراد الكبار من يستطيعون القراءة ، وكذلك تمييز علاج كل فرد في الأسرة عن الآخر . ونود الاشارة إلى أن كثيرا من شركات الأدوية تستخدم ألوانًا وخطوطًا معينة على كل مجموعة مما يجعلها بمثابة إرشاد عند من لا يستطيع قراءة اسم كل علاج على حدة ، ويحتفظ كثير من كبار السن بأدويتهم في حقائب صغيرة قرب أسرتهم وهذا أمر طبيعي لأنهم يستعملونها كل بضع ساعات من اليوم ، ويوجد علب تحتوي على أدوية خاصة حسب ترتيب مواعيدهم ويمكن أن تقوم صيدلية المنزل بدور المخزن الاحتياطي من أدوية كبار السن حتى تتوفر لهم متطلباتهم عند الضرورة .

محتويات الصيدلية المنزلية :

قد تختلف المحتويات من بيت لآخر أو حتى من منطقة لأخرى ولكن عمومًا يمكن أن نقسم كل المحتويات إلى نوعين :

أولا : الأدوية التي تستعمل للحالات الطارئة كالسخونة أو البرد أو السعال أو مغص البطن أو الإسهال الخفيف أو وجع الرأس أو أوجاع المفاصل ، ومعظم هذه الأدوية يمكن أن تشترى من الصيدلية حتى بدون وصفة طبية ، ولكننا نعلم جميعًا أننا قد نحتاج إلى استشارة الطبيب في حالة عدم تحسن الحالة في اليوم التالي .

يجب أن ننبه هنا إلى أن هذه الأدوية رغم كونها عامة وشائعة الاستعمال ، ولكن يجب أن نفرق بين أدوية الكبار وتلك المخصصة للأطفال حتى لو كانت لنفس الأعراض كالسعال مثلا . وكذلك التفريق بين الأدوية الخاصة بالآلام : كألم المعدة ومغص الكلية ووجع المفاصل حيث أن الأدوية قد تزيد آلام المعدة إذا أعطيت خطأ لتسكين الألم كالمعدة .

وتنتشر تحاميل الأطفال التي تستعمل لعلاج ارتفاع حرارتهم من ضروريات الصيدلية المنزلية ، ولكن يفضل حفظها في الثلاجة نظرًا لتلين هذه التحاميل إذا بقيت مدة طويلة خارج الثلاجة .

ثانيا : الأدوية التي تستعمل للحالات المرضية المزمنة والتي تستوجب من المريض تناولها بجرعات معينة وتحت إشراف طبي مستمر ، كالأدوية التي يتناولها مرضى القلب والمصابين [illegible] أو الذين عندهم داء السكر أو ارتفاع ضغط الدم وغيره من الأمراض المزمنة .

وتقوم صيدلية المنزل هنا بوظيفة حفظ وتخزين الاحتياطي اللازم لمدة أسبوع أو شهر من هذه الأدوية وكذلك لتوفير كمية تحسبًا لأي [illegible] عن [illegible] .

وكذلك تعتبر بعض المعدات الطبية من مستلزمات صيدلية المنزل نظرًا لأهميتها في الحالات البسيطة كالجروح والحروق وغيرها من الإصابات المنزلية .

ومن هذه المعدات نذكر : القطن ، الضمادات والشاش المعقم ، أو من الآلات : المقص والملقط وجهاز قياس درجة الحرارة (ترمومتر) وحقن البلاستيك المعقمة .

ولتطهير الجروح والحروق الجلدية نحتاج لبعض السوائل المطهرة كالكحول وصبغة اليود ، بالإضافة إلى المراهم المخصصة لهذه الحالات .

وظائف أخرى لصيدلية المنزل :

تعتبر أهم وظيفة لصيدلية المنزل هي تقديم الإسعاف الأولي اللازم للحالات الطارئة كحوادث المنزل وأهمها جروح الجلد بالآلات الحادة والحروق وتوقيف النزيف أو رعاف الأنف أو التشنج حول المفاصل والتواءات المختلفة . ومن الوظائف الأخرى المهمة هنا هي إسعاف الإصابات القلبية كأزمات القلب أو الربو الصدري أو التشنجات أو التشنجات العصبية .

كما أنها مكان لتجميع كل أدوية البيت والتي تستعمل باستمرار كحبوب منع الحمل مثلاً أو تلك الخاصة بمرضى الصرع أو السكري .

طرق العناية بصيدلية المنزل :

الأدوية كالأطعمة هناك فترة زمنية لتناولها ثم يصبح بعضها عديم الفائدة ، وربما ضاراً ، ولهذا يجب تفقد الصيدلية المنزلية من فترة لأخرى وفرز محتوياتها قطعة قطعة ، ورمي ما فسد منها ، وكذلك بشراء مدة صلاحية استعمال العلاج كما هو موضح على غلافه ، كذلك التخلص من زجاجات أشربة الأدوية التي استعملنا جزءاً منها واحتفظنا بالباقي .

وخلال هذا الكشف الدوري على صيدلية المنزل يمكن أن نتعرف على الأدوية التي استهلكت ، والضرورية اللازمة منها ، وذلك لتعويض نقصها والاحتفاظ به حين الحاجة .

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

طبيب الأسرة

ردود سريعة :

■ السيد أ. ب. ع. الزرقاء - الأردن .

- إن عسر الهضم يعود إلى أسباب وراثية أصلاً ، وربما كان للقلق والتوتر دور فيها ، أما اضطراب المعدة بصاحبه أعراض أخرى لا تخفى على عين الطبيب ، فلا حاجة به إلى علاج جراحي نظراً لخطورته .

■ السيد نعيم الحسن - عُمان - صلالة :

- من الأجدر عرض الأمر على طبيب مختص في الأمراض الجلدية التناسلية .

■ السيد فاروق مغاوري - حلب :

- إذا كانت البقع والبثور ترافقان الملكة فلا تأكلها ، والنصيحة هي إجراء فحص للبشرة .

■ السيد م. ح. س. القاهرة :

- لا بد من معرفة السبب في التهاب الخصية ، وهذا يتم بالفحص السريري والتحليلات ، والمختصون في الأمراض التناسلية موجودون في القاهرة ، وننصحك بمراجعة أحدهم بسرعة .

■ السيد عبدالجليل محمد - مدينة الرشيد - المغرب :

- من الأفضل عرض حالتك على طبيب مختص آخر ، ما دام طبيبك الأول قد فشل في العلاج بالرغم من مرور ثلاث سنوات على علاجه . ☐

أصدقاء المقعد

شق طريقه في الحياة بسرعة غير عادية ، اجتاز كل الحواجز والعقبات . بدأ مشوار الحياة العملية مع عدد من زملائه وأبناء جيله ، ولكنه تفوق عليهم جميعا ، وأثبت تميزا مهنيا ولافتا غير عادي ، بالإضافة إلى موهبة متوقدة لامعة .

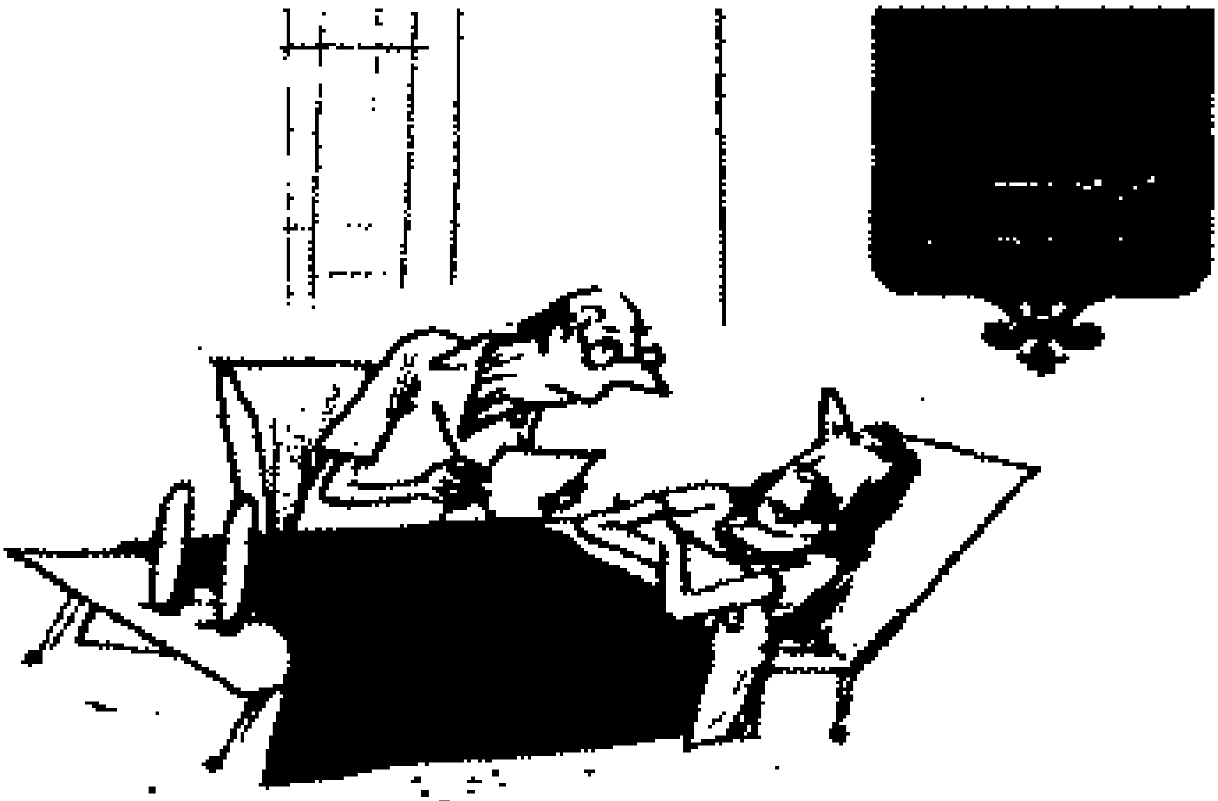
ولم يكن التميز على مستوى عمله فقط ، بل امتد ليشمل صفاته الأخلاقية ، فقد كان أمينا .. عفيفا .. شهما .. ذا مواقف متميزة مع أصدقائه يحمل همهم وغمهم .

وكان حضوره في أي مكان كفيلا بأن يضفي عليه ويضفي للجميع الكثير من المرح والبهجة . وكان ذلك ، رغم صغر سنه علامة فارقة .

بمعنى القول أن التميز كان على كل المستويات . ومن التميز هذا بالذات بدأت مشكلاته ، فقد بدأ كل الفاشلين والعجزة وأنصاف الموهوبين في اختلاق سيل من الشائعات والأقاويل من التشويش عليه ، وتطورت الاتهامات بدءاً من تحميل غيره مسؤولية تفوقه ولمعانه ، وانتهاء بنقد كل ما يتمتع به من صفات ومواهب وتجريده منها .

وظلت الحياة تسير به .. كثير من الهجوم وقليل من الصدق ، إلى أن جاء يوم أصبح مسؤولا في جريدة عربية يومية متخصصة . يومها كانت الدنيا انقلبت رأسا على عقب فقد ازداد عدد المهاجمين .. وكثر عدد الشامتين ، وتورع كثير منهم بأن يسجلوا عيوبا له وآثاما على الآخرين ، وتطوع كثير ليوقعوا بينه وبين أصدقائه القدامى .. وكلما ازداد تألقه ولمعانه ، زاد العاجزون من نقدهم وشكاويهم ، وزادت حملة الشرسة في عرض عيوبها ، إلا أنه على الرغم من كل شيء ... كان يقول : تري ازداد تمسكاً كلما زاد العاجزون من نفث سمومهم ، وكلما تطوع أصدقائه للعتب ، وليس لأصدقائي من تعليم سوء مشورتهم لي !! وللنفسك أني أتهم عجز هؤلاء ومرض هؤلاء وأصبر وأرضى .. لكن إلى متى ؟ .. قالت له : هذه الضريبة يجب أن تسددها .. إنها الضريبة نجاحك وتفوقك ، ولن يكف الناس عنك حتى تقسم اليوم إلى طابور العجزة والفاشلين ! وقتها فقط سيكفون عنك .. وستخسر عندها حتما كل أصدقائك للعتب . لكن طالما أنك متألق وناجح ، فإن عليك أن تدفع ثمن النجاح والتميز والتفوق !

محمود عبد الوهاب



النفس الأخرى

بقلم : الدكتور عبد الرؤوف ثابت

جاءتني سيدة فاضلة ، وشكت لي من حال زوجها .. قالت : « منذ عام وأنا لا أدري ما جرى له .. نفس عيشي ومعيشي حاله ، لم يتغير في ظاهره ، ولكن في باطنه شيء قد تغير ولا أعرفه ، هو زوجي الذي عشت معه ثلاثين عاماً .. ولكن .. ليس هو زوجي الذي عشت به حياتي ، قريب ولكنني شعرت بعيد ، حاضر وغائب . لا يبدو عليه مرض أو هم ولا شكوا علة . لم يعد تشغله أو اضطراب توجه .

ولم يهمل عمله ، بل على العكس زاد اهتمامه به ، خشيت أن تكون في حياته امرأة .. ولكني والله أنه لا توجد امرأة أخرى .

وبعد أن أعياني حال زوجها ثم طلبت مني أن أزوره لأتبين ما جرى له .

وقابلته في بيته .. كنت أسمع عنه ، غير مشهور في مهنته ، وله مكتب معروف بحسن سمعته .

رحب بي في ود غير متكلف . قال إنه يسمع عني ويكاد يعرفني : أنت الدكتور الطبيب ، وشكرني على اهتمامه ويكفه مزاحه : أصابيع صغاراً ..... وأبيح الكلام بطلوس .

وضحكنا ..

لم يخطئ في الموضوع وفسر عندئذ له السبب من زيارتي .. ولم يعترض ولم يبد حرجاً من صراحتي . قال :

أنا مقدر لشعور زوجتي .. ولكني أؤكد لك أنه لا أساس لظنونها ، واقتصرت عليه ظلم الكثير حتى لا أنسى شعوره ، فهذه تخرج من تأثير عواطف ، وخصوصاً عاطفة متزنة .

سألته اذا كان متعباً ، فمتوسطو العمر أحياناً يصابون بنوع من الاكتئاب فلا يحسون به .. وبالتالي لا يشكون منه ، ولا يعالجون .. فيشبه المخفاء ، ويعطي الأطباء جزاهم الله عنّي أحبهم بطاقتهم حال من يصاب به ، فالكئيب لا يبتسم .

قال : إنه لا يعتقد .

وابتسم .. ولكن ابتسامته لم تتناسب مع وجهه أو عينيه .

أدهشتني زيارته لي بهذا الشعور .. واستغربت منه راجياً أن يزورني هذا شكله ، ومر شهران ثم فوجئت به في العيادة .

قال إن زوجته تشكو .. ولكن .. صدقني أني لست مريضاً ولا أشكو من علة أو هم . ولست في حاجة إلى علاج .

أصدقك .. فإذا كان ذلك كذلك ، فلماذا تطلب زوجتك معالجتك ؟!

ضحك . ثم قال متوسلاً !

ـ وهذا هو المطلوب مني لعله حتى تتحقق من مرضي . هذا إذا كنت مريضاً حقاً .

ـ أن تفتح لي قلبك . وتحدثني عن نفسك . هذا إذا أمكنك .

ـ التحليل النفسي ؟

ـ نعم .

واتفقنا على العلاج .

الجلسة الرابعة .

قال ملخصاً الجلسات السابقة :

عجيب أن تستطيع الناس بالتحليل النفسي لكي تصل إلى سر مرضهم . وكأنه الوسيلة التي تبرر الغاية . والأعجب منه كيف تعينهم على فهم رموز ما يحصل في لاوعيهم ، وهو العلاج النفسي . ليس كما يظن الكثير تفسير واستسلام ، بل هو أسلوب في الصداقة ونقب غير مشروط ، فيتحول المريض ليعطيه أي شيء يخطر على باله ، دون تردد أو مقاومة ..

وأحب كما أقول ، أعلى مراتب الصداقة . وليس أن تجد القبول وتتوافق الأمزجة متوافقةً ما بعد جو من تليفونات .. وتنظر تسيهات .

وأنت تعتقد أن في كل إنسان نفسين ، يعرف عن واحدة ويخفي تماماً عن الآخرين ، وأن النفس الخفية



تمثل خيالاً هو عكس خيال النفس الظاهرة ، لذلك يحب المرء أن يهرب نفسه الأخرى .. وإن أنكرها عنه أو اعترض عليها قلت : هو ذلك .. تقريباً .

وسألته : كيف حالك ؟ قال :

أتعرفين أن أسألك أنا عن حالي ؟

وضحكت .

في تلك الجلسة عرفنا سر شغله ، قال :

كان لي صديق مليء بالحياة ، وسط أكثر من عام ، رحل عن الدنيا فجأة ، فأحسست من رحيلها بفراغ في حياتي . كنا صديقين بالمعنى الذي تعنيه بالصداقة ، لم تعني مشاربنا أو تتحد ميولنا .

جمعتنا منذ الصغر جيرة في السكن . كنا ، ونحن أطفال ، نلعب ونمرح معاً نتعقب الأرانب في الحارات . ونتسابق ونقلد الأولاد الكبار . كنا نسرق الفاكهة من حدائق الجيران في الصيف ، ونختبئ من ملاحقة الجيران والأهالي .

كان شجاعاً وكنت جباناً .. أخاف من خيالي .

ضمتنا إلى مدرسة واحدة .. ليحكي والدي ..
فلما بلغنا مرحلة المراهقة والشباب كنت ذلك الشاب الجاد ، وكان هو المداعب الهازل . كنت قصير النظر ، شديد الحساسية ، وكان حاد النظر وسيم الملامح . كنت منطوياً على نفسي ، وكان هو منبسطاً ودوداً . كنت أخجل من البنات والمعلمين ، وكان يخرج عن حيائي له .

كان طبيعي هذا أسرتني التحليل إلى ساحات الرياضة وأماكن اللهو . وباعدت الجامعة بيننا ، فاختار كلية طريقة خفيفة ، واخترت الطب بجامعة ثانية ، ولم نبتعد . وأنا على طقوس التسلية والمرح ، وانغمس في السهرات والعبث ، فما أحببتها والشلة لأصدقاء (لاميزوتزر) وما سبقه وما خلفه . وكان هو نكتة أو ملحة أو إشاعة .

وتخرجنا في الجامعة فلم يفرق بيننا العمل ، وتوطدت صداقتنا وتعمقت ، لم أعرف في حياتي امرأة غير زوجتي . وكانت في حياته نساء كثيرات ، تزوج من واحدة أطلقها وتزوج ، ثم لم يلبث أن طلقها ، فطرت عليه من حياته ومن الشلة .

وكنت لا أمسي إلى الشلة لأرى الأصحاب إلا نادراً . فكان يطرق عليهم أسماري ، ويحمل إلي أخبارهم ، كأنه كل يوم في بيت صديق .. وما أكثر البيوت وأكثرها معه . حتى صار يلمع من البطالة والشيخوخة ، وقد أخذ حياة القرب والأحبة ، نعم لي شرب الخمر ولم أشربها ، حبب لي لعب القمار فلم ألعبه .

نصحني بالفرص حتى ظلت وكنا صاحب عيال ، فلم أعرض عليه .

وشرب هو ، وقامر ، وجمع مالاً ويحنو على ملذاته .. ولكن يقتصد ، لعب هو ما لم ألعب في نفسي .. وأنفقت منه ما لم ينفقه في نفسه ، وكبرنا وأدركنا لصروف الحياة . وكبر رصيد صداقتنا ولم تفت أولادنا ، كان الذي ما يمضي إلى الآخر لسويعات قليلة متباعدة نختلسها من الزمن ، فلم ما تسمح به ظروفنا . ومن العجيب أننا كنا نتصالح .. ونتخاصم لنتصالح ، كان ينصحني مثلاً أصدق بتصالحه ، ولكن وجدت أن أصدق بها . والصحة تختلف في حياته وقد كبر وترهل ، وأصيب بالضغط والسكر ، وكان يجد عليَّ وقد أصبح سريع الغضب يقول :

ـ من حياتك وصحتك علي ؟

وظل هذا حالنا حتى جاءني عبره . وكنت أرقب زيارته .

وهنا يكمل المريض ـ لم يتمالك أبداً . ثم قال :
ـ كان مرآة نفسي .. وكان والمحرم الذي وجدت أن أكونه ، فلما رحل فقدت نفسي بعده .

ثم قال منتحباً :
فرحيل من مات له عزيز .. وكانت نفسه الأخرى ، واستمرت الجلسات .. ولكنها لم تطل . ◘



بالقراءة والمطالعة

يقول أندريه موروا الكاتب الفرنسي : إن الحضارة الإنسانية إنما هي مجموعة المعارف والذكريات التي تجمعت وتراكمت على مر الأجيال ، وإن الانتساب إليها والإسهام فيها لا يكون إلا بالتفاعل بها والتجاوب معها ، والتزود بما تنطوي عليه الحضارة من أفكار السلف .

وإن السبيل الوحيد إلى ذلك الانتساب وذلك الإسهام وهذا التفاعل والتجاوب إنما هو القراءة والمطالعة .

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

تمييز الفاعل من المفعول

تمييز الفاعل من المفعول سهل غالبا ، ويندر أن يقع بينهما التباس ، فالفاعل يدل على من فعل الفعل ، أو من وقع منه الفعل ، كقول شاعر كان يطارده حاكم ظالم ، فهرب إلى الصحراء خوفا على نفسه :

عوى الذئبُ ، فاستأنستُ بالذئب إذ عوى
وصوّت إنسانٌ ، فكدت أطير

فالفاعل هنا « الذئب » و « إنسان » .

وقد يدل الفاعل على من اتصف بالفعل ، مثل : « هلك الطفلُ » ، و « طلع القمرُ » ، و « أورق البستان » ، و « أينع الثمر » ، فالفاعل ، هنا « الطفل » لأنه اتصف بالهلاك ، و « القمر » لأنه اتصف بالطلوع وهكذا « البستان » و « الثمر » .

وأما المفعول فهو الذي يقع عليه فعل الفاعل كما في قولنا « يكرمُ العربيُّ الضيفَ » ، فالمفعول هنا « الضيف » لأن الإكرام وقع عليه ، ولم يقع منه .

ولا بد في تمييز الفاعل من المفعول حين يشتبهان في جملة واحدة أن نلتزم قرينة معنوية ، وقد نحتاج معها إلى قرينة أو أكثر سواها ، كما في الآية « إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ » فالفاعل « هنا العلماء » والقرينة عقلية ، لأن العلماء ، بفضل علمهم ، هم الذين يخشون الله ، أو تقع منهم الخشية له ، وهو - تعالى - منزّه عن خشية أحد .

وكذلك الآية « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمهنّ » فالمفعول هنا « إبراهيم » لأن الابتلاء (الامتحان) وقع عليه ، و « ربه » فاعل مؤخر ، لأن الابتلاء وقع منه ، وهو منزه عن أن يمتحنه أحد .

ومن الملاحظات النحوية في العربية الاعتماد على القرينة العقلية مع إهدار الإعراب ، فالفاعل مرفوع والمفعول منصوب ، ولكن قد يعكس بعض العرب ذلك أحيانا ، ومن أمثلة ذلك قولهم « خرق الثوبُ المسمارَ » مع أن المسمار هو الخارق ، والثوب هو المخروق . ومن شعر الفرزدق في هجاء قوم قوله :

مثل القنافذ هدّاجون ، قد بلغت
نجرانَ ، أو بلغت سوآتهم هجرُ

ومثله ذلك ما قاله العلامة ابن جني « فالقوم كانوا يحترمون المعاني ، فإذا حضرتها تساهلوا في العبارة عنها » . والمعيار للمعاني هو القرينة العقلية . ومثل هذا لا تلزم منه لبسا في الفهم ، فنحن نقول مثلا : « وضعت القفاز في يدي » و « وضعت الجورب في رجلي » مع أن اليد هي التي توضع في القفاز ، والرجل هي التي توضع في الجورب ، بل هما يدخلان ويوضعان في هذين ، ورجلاي توضعان في جوربيّ . ولكن القرينة في عباراتنا الدارجة وفي الفصحى ستجعل كالتي ، تفهمهم المقصود .

ومنها أفعال المشاركة التي تقع بين طرفين أو أكثر ، مثل « صاحبَ » في قولنا « صاحب محمودٌ محمدا في الرحلة » ، فكل منهما صاحبَ الآخر ، فهو فاعل ومفعول ، ولهذا يجوز أن تقدم أيّ واحد منهما أو تؤخره ، مع رفع أحدهما ونصب الآخر ، تمشيا مع قرينة الإعراب ، وهي واضحة ، فالمرفوع هو الفاعل ، والمنصوب هو المفعول ، فالإعراب هنا صنعة شكلية ، لمجاراة نظام اللغة نحويا .

وقد يكون أحد الطرفين أرفع أو أفضل مقاما ، فمن اللائق أن نجعل للفاضل فاعلا ، والمفضول مفعولا ، مثل : « صاحب الوزيرُ الأميرَ » أو « صاحب الابنُ الأب » سواء تقدم في الكلام أو تأخر ، لأن الفاعل تابع ، والمفعول متبوع .

وقد ينعكس وضع الطرفين لنكتة بلاغية مقصودة ، كما في القصة الآتية : في نحو سنة ١٩٣٠ قام أحمد فؤاد ملك مصر برحلة إلى أوروبا ، وصحبه - كما ينبغي - وزير خارجيته محمد محمود باشا الذي كان يعتز بنفسه ، وبمجد أسرته ولا سيما أبوه محمود سليمان باشا الذي كان الإنجليز قد عرضوا عليه ملك مصر فرفضه قبل الملك أحمد فؤاد ، وعند السفر من الإسكندرية سأل صحفي بريطاني الوزير : « هل صاحبت الملك في الرحلة ؟ » فأجابه : بل صاحبني الملك » .

وقد يتساوى الطرفان في الفعل ، فأيهما جعلته فاعلا صلح لذلك ، ويكون الطرف الثاني مفعولا ، مثل « تزوج حاتم هندا » أو « تزوج هند حاتم »

ويمكن أن تأتي قرينة لفظية تحدد الفاعل والمفعول ، مثل « تزوجت هند حاتما » أو « تزوجت حاتما هند » لاقتران الفعل بتاء التأنيث .

ولكن قد يقع الاشتباه بين الطرفين في غير أفعال المشاركة ، ومن أمثلة هذه الأفعال : مسّ ، وأفرح ، وهمّ (أحزن) وأسعد ، وشاق ، وأعجب ، وبهج ، وحلا ، وساء . فإذا قلنا : « مسّ الرجلُ الخبزَ » أو « مسّ الخبزَ الرجلُ » حدث الاشتباه ، فأيهما الفاعل ، فيكون الآخر مفعولا ؟

إن أيا من الطرفين يمكن أن تضع مكانه أحد ضمائر النصب المتصلة ، فيستقيم المعنى معه ، ويكون هو المفعول ، ويكون الطرف الآخر هو الفاعل ، فنقول في الجملة السابقة مثلا : « مسّني الخبزُ » أو « مسّه الخبزُ » أو « مسّهم الخبزُ » ، فالفاعل هو « الخبزُ » ، وهكذا مع بقية الأفعال السابقة ، فنقول « أفرحني النصرُ » و « همّني الأسى » و « أسعدني النجاحُ » و « شاقني البستان » و « أعجبني الكتاب » و « بهجني الكرسي » و « حلا لي الرقص » و « ساءني الفشل » .

ولكن إذا عكسنا الوضع ، فجعلنا بدلا من هذا الطرف ضمير رفع متصلا لم يستقم المعنى ، فلا يصح حينئذ جعل هذا الطرف فاعلا ، ولذلك لا يجوز أن نقول : « بهجت الكرسيّ » ولا « حلوت الرقص » ولا « سؤت الفشل » .

ومنها أفعال مثل : أدرك ، وأصاب ، وأعطى ، يصلح أن تضع مكان أحد الطرفين ضمير نصب متصلا ، فيستقيم المعنى ، فنقول « أدركني الخط » و « أصابني الفوز » و « أعطاني الصواب » ، كما يصلح أن تضع مكان هذا الطرف ضمير رفع متصلا ، فيستقيم المعنى أيضا ، فنقول : « أدركت الخطَّ » و « أصبت الفوز » و « أعطيت الصواب » .

ونقول أخيرا ، مما يدخل في نطاق موضوعنا هذا ، إن العرب يستعملون أحيانا صيغة الفاعل للمفعول فيقولون « بيت عامر » أي معمور ، و « مكان آهل » أي مأهول . وفي القرآن الكريم « عيشة راضية » أي مرضية ، و « لا عاصم اليوم من أمر الله » أي لا معصوم . وقد يستعملون صيغة المفعول للفاعل ، كما في القرآن « إنه كان وعده مأتيا » أي آتيا ، و « حجابا مستورا » يعني ساترا .

جمال العربية

رثاء الأندلس

«لأبي البقاء الرندي»

أبيات هذه القصيدة الأندلسية ٤٢ في الأصل (نفح الطيب للمقري)، وهي أشهر القصائد العربية في رثاء المدن، وبها وحدها اشتهر صاحبها، وهو أبو البقاء أو أبو الطيب الرندي (٦٠١ - ٦٨٤هـ) نسبة إلى رندة من بلاد الأندلس، وبها ولد ونشأ، وقد عاش في عصر اضطراب وفتنة، إذ تمزقت فيه الأندلس دولاً، ووثب على كل منها أحد المغامرين مالكاً على الجماعة، ولذلك سموا في التاريخ «ملوك الطوائف»، وكان بعضهم - وكلهم عرب مسلمون - يقاتل بعضاً لانتزاع ملكه بيده، ولا يبالي أن يحالف بعض ملوك القوط المسيحيين ضد أخيه العربي المسلم، حتى سقطت كلها في يد القوط بعد أن ملكها المسلمون أكثر من ثمانية قرون (٩٢ - ٨٩٨هـ)، وكان آخرها سقوطاً مملكة غرناطة في الجنوب، ومن مدنها رندة. وفيما بين سنة ٦٢٢ وسنة ٦٦٩ سقطت من قواعدها الكبرى قرطبة وإشبيلية وبلنسية ومرسية وشاطبة وجيان وغيرها . . . والشاعر يصور في أبياته محنة الأندلس الإسلامية قبل سقوطها نهائياً.

لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته أزمان

وهذه الدار لا تبقي على أحد ... ولا يدوم على حال لها شان

أين الملوك ذوو التيجان من يمن ... وأين منهم أكاليل وتيجان

وأين ما حازه قارون من ذهب ... وأين عاد وشداد وقحطان

على [illegible] على [illegible]
في على [illegible] أسير لا عزّ له
وصار [illegible] من [illegible] ومن [illegible]
[illegible] أنواع [illegible]
[illegible]
[illegible] أسير لا عزاء له
[illegible] في الإسلام [illegible]
[illegible]
ومن [illegible] ، [illegible]
ومن [illegible] من [illegible]
[illegible] ، [illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] من الإسلام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ، [illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وراء [illegible] في [illegible]
[illegible] من [illegible] ؟
كم [illegible]
[illegible] في الإسلام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] ، [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible]
[illegible] من [illegible]

[illegible] لما [illegible]
[illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible]
[illegible] بالإسلام [illegible]
[illegible] ، [illegible] (١)
[illegible]
ومن [illegible] ثم [illegible]
من [illegible] ، [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible] ، [illegible]
[illegible] إلا [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible] مع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ، [illegible]
[illegible] - [illegible] - [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ، [illegible] في [illegible] (٢)
[illegible] من [illegible]
[illegible] ، [illegible]
[illegible]
[illegible] (٣)
[illegible] ، [illegible] (٤)
[illegible] في [illegible]

---

(١) [illegible]



إنهم يخطفون [illegible] !

آخر وأسوأ الأنباء عن هارولدو كونتي

بقلم : عبدالقادر عقيل

هل عرفت آخر وأسوأ الأنباء عن هارولدو كونتي الكاتب الأرجنتيني المخطوف ؟ ماذا حدث له ؟ وكيف كانت نهايته ؟ وهل تستطيع - كإنسان - أن يختار بنفسه مصيره ؟

يقول الأديب الأرجنتيني جابرييل جارسيا ماركيز الذي تابع موضوع هارولدو كونتي أنه تلقى منه وعن طريق بوغوتا بكولومبيا رسالة يصف فيها سلطة الكوندرة في تلك الفترة ويقول فيها : « عملنا نعيش ، مضى وقتاً - كالشيوعي .. نختفي كرماتنا ، ونتكلم همساً ، ونتكلم بالرموز » . ويذكر في نهاية رسالته : « ان بقيت حيا فستراني مترجماً كتابه « والسنوات الثلاث ١٢٠ » للكاتب فتروريو ، فيلكا كريسبو . وهو البحث الذي استأجره لمواصلة العيش فيه دون أية مراقبة حتى تقتحم بواسطة ستة من المظاهرين المسلحين في منتصف الليل بعد مضي ستة شهور من تسلم الأوراق . أخذوه معهم معصوب العينين ، موثوق اليدين والرجلين ، وجعلوه يختفي إلى الأبد .

كان هارولدو كونتي آنذاك يمتاز بالطيبة والتمسك عن العصر . وخلال هذه السنوات أصدر سبعة كتب ممتازة ، ولم يكن يتمنى أبداً من الظهر حبه للتفكير للحياة . حتى في الليلة كانت لنا طقوس ريفي : يحب الشطط والسمك والكلاب والأطفال ، ويزرع الخضروات والزهور في قطعة أرض صغيرة . ومثل كثير من الكتاب جيلنا كان كاتباً مراسلاً لمطبوعات التي تعلم منه الكثير . التفكير السياسي كان واضحاً ومعروفاً ، سواء عبر عنه بالكلمة المنطوقة أو المكتوبة في « لابسو نيسيا » (كبرى المجلات الأسبوعية الأرجنتينية) ، كما تحالفه مع الثورة الكوبية فلم يكن سراً يخفى على أحد .

الإنسان يختار مصيره

منذ أول أكتوبر تلقاه حصل على دعوة للحضور إلى الأكوادور ، ولكنه فضل ألا يبقى في وطنه . وكتب إلى صديقه جابرييل جارسيا قائلاً : « ان الإنسان هو الذي يختار مصيره » . ولقد كانت حبيبته الرئيسية ان مارتا تحل في شهرها السابع وإن يصبح لنا يجمعه الطفولة . ولكن الحقيقة هي أنه لم يرد أن يخرج من

بلاده : « سأبقى ما ظللت حياً ، وبعد ذلك سيكون الأمر بيد الله » « وسأتوقف عن كل شيء ما عدا الكتابة . وأخشى ألا أقدر عليها أيضاً . فأنا لا أعرف كيف أعمل شيئاً آخر » .

في فبراير ١٩٧٦ أنجبت مارتا طفلاً أسمته أرنستو . وبعد ولادته وضع هاروولدو كونتي ملاحظة في مواجهة مكتبه تقول : « هنا مكان المقاومة ، ولا يمكن أن أتزحزح من هنا » . لكن الذين اختطفوه لم يعرفوا أبداً ما تعنيه الملاحظة لأنها كتبت باللغة اللاتينية .

في ٥ مايو ١٩٧٦ يمضي هاروولدو كونتي الصباح في حجرة الدراسة منكباً على « إلى الموت » والتي كتبها في اليوم السابق . ويرتدي معطفه وربطة عنقه ليذهب لإعطاء دروس في مدرسة عامة . ويعود إلى البيت قبل الساعة السادسة . يغير ملابسه في حين يبدأ الظلام في الانتشار . ويساعد مارتا على وضع سرير جديد في حجرة الدراسة . يلعب مع ابنه البالغ ثلاثة شهور . ويساعد مريم ، ابنة مارتا من زوجها السابق ، في أداء واجباتها المدرسية . في الخامسة يتناول مع مارتا قطعة من اللحم المشوي . يذهبان لمشاهدة فيلم « الأب الروحي » – الجزء الثاني – ، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يذهبان فيها إلى السينما منذ ستة شهور . أما الطفلان فقد تركا في رعاية صديق كان قد وصل في تلك الظهيرة من قرطبة .

يوم الاختطاف

عندما رجعا ، في الثانية عشرة وخمس دقائق ، وجدا رجلاً مسلحاً يرتدي ثياباً مدنية يفتح لهما الباب . ووجدا بالداخل ستة رجال آخرين ، مسلحين أيضاً . وبدأوا في ضربهما بأعقاب البنادق حتى سقطا على الأرض فاقدي الوعي . عندما أفاقت كان مرمياً على الأرض فاقد الوعي ، معصوب العينين ، موثق اليدين ، ووجهه كان قد تشوه بفعل الضربات التي تلقاها . أما الطفلان فقد كانا في حجرة نومهما لا يعرفان شيئاً مما حدث لأنهما كانا نائمين .

هاروولدو ومارتا أخذا إلى سجنين منفصلين ، بينما عبث الظالمون بكل شيء في البيت ، ومن ثم قاموا باستجوابهما بطريقة وحشية . مارتا ، التي لا تزال تتذكر تلك الليلة المرعبة بكل تفاصيلها الدقيقة ، كانت تصغي إلى الأسئلة التي تطرح على زوجها في الحجرة المجاورة . كل الأسئلة كانت تدور حول رحلتين قام بهما إلى هافانا . وهو بالفعل كان قد سافر إلى هناك مرتين ، في ١٩٧١ و ١٩٧٤ ، ففي كلتا المناسبتين كان مشاركاً كعضو في لجنة التحكيم الخاصة بجوائز « كاسا دي لاس أمريكاس » الأدبية . ولكن الذين كانوا يحققون معه أرادوا استخدام هاتين الرحلتين كذريعة لإثبات أن هاروولدو كونتي كان عميلاً كوبياً .

كان زوجها قد ضرب حتى فقد القدرة على الوقوف ، وفقد العديد من أسنانه . وبدا كما لو أنه معصوب العينين فقد كان يوجه أسئلتهم من خلاله بينما كان آخر يركله ويتساءل ساخراً : « هل أنت تلعب الورق مع نسخة ٢٢ » . قبّل هاروولدو مارتا قبلة الوداع ، وحين فعل ذلك أدركت مارتا أنه لم يكن معصوب العينين ولكن الإحساس الذي أرعبها هو أنها كانت تعرف بأن هؤلاء الذين سيرسلون للموت يسمح لهم بمشاهدة وجوه معذبيهم . لقد كانت تلك هي المرة الأخيرة التي يكونان فيها معاً .

بعد مرور ستة شهور على الاختطاف ، والانتقال من مكان سري إلى آخر مع طفلها الصغير ، اتجهت مارتا إلى السفارة المكسيكية وهناك أمضت عاماً ونصف بانتظار حصولها على جواز السفر . ولم يتحقق لها ذلك إلا بتدخل الجنرال البنمي عمر توريخوس الذي التمس من الأميرال إميليو ماسيرا السماح لها بمغادرة البلاد .

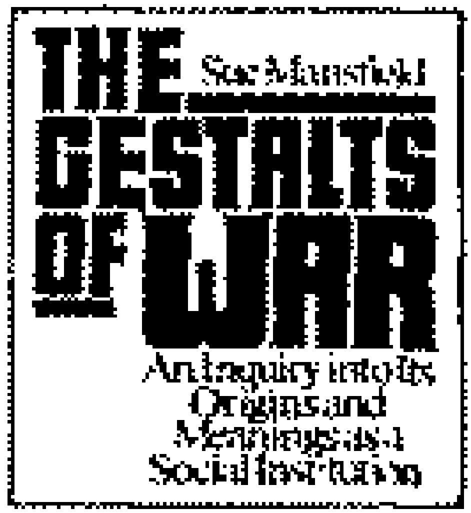
بعد أسبوعين من الاختطاف دعا الجنرال خورخي فيديلا أربعة من كبار الكتاب الأرجنتينيين لتناول الغداء في قصره . ولبى هذه الدعوة كل من خورخي لويس بورخيس ، وأرنستو ساباتو ، وأوراسيو راتي (رئيس رابطة الكتاب الأرجنتينيين) ، والقس ليوناردو كاستيلاني . وهؤلاء الأربعة تساءلوا ، كل بطريقته الخاصة ، وحاولوا إثارة مسألة هاروولدو كونتي مع فيديلا .

إلا أن التوضيح الرسمي الأول الذي جاء على لسان الجنرال فيديلا هو أن كونتي قد مات !! □

مكتبة العربي

كتاب الشهر

مفاهيم الحرب



دراسة في أسباب الحرب ومغزاها كمؤسسة اجتماعية

في ضوء نظريات "الجشطلت"

تأليف : سو مانسفيلد

عرض وتلخيص : بيومي قنديل

كثيرون كتبوا ضد الحرب باعتبارها آفة تطحن البشر، وحاول آخرون التنظير لها باعتبارها فعلا بشريا ملازما لتاريخ الإنسان، أو باعتبارها فنا له قواعده وأصوله. لكن هذا الكتاب ينطلق من نقطة أخرى ترى الحرب مؤسسة ظهرت في مرحلة محددة من مراحل النشاط الإنساني، وهو نشاط منظم يتغير بتحول اجتماعي وله أهدافه المحددة. فماذا يقول هذا الكتاب؟

تبدأ البروفيسورة « مارغريت » بتحديد معنى الحرب كمصطلح محدد فتقول : الحرب نشاط ، منظم منضبط ، مقبول اجتماعياً ، تقوم به جماعات معينة من الرجال ، في اطار عمليات مخططة سلفاً من الهجوم والدفاع ، وتستمر فيه بشكل منطقي لاحراز أهداف معينة . ولكن هذا لا يعني أن الحرب لا تنطوي على العنف ، مثلها مثل العنف في سائر أشكال الأنشطة الانسانية ، بيد ان الاطار العام يسمح بشكل تأكيد صور شن الحرب بشكل منطقي وظيفي ، بحيث يتم فرض احراز هدف الحرب المنشود الى أقصى حد ممكن .

وتمضي البروفيسورة « مارغريت » فتقول ان القبول الاجتماعي العام الذي يكتنف الحرب صيغة تقليدية من حقيقة تاريخية . وهذه القيود تنطوي على أهمية بالغة ، حيث انه بدونها لا يعد حرباً ، ولهذا السبب على وجه الخصوص لم يكن الرئيس الأمريكي الأسبق ليندون جونسون يقصد المعنى الحرفي من لفظ الحرب في وصفه لبرنامجه الاقتصادي بأنه « حرب على الفقر » بل كان يعول على القبول العام الذي يصاحب اللفظ في كسب التأييد لهذا البرنامج على الصعيدين السياسي والاجتماعي . وتضيف « مارغريت » ان القول الذي يذهب الى أن الحرب ليست سوى « قتل جماعي » يغفل أمراً أساسياً ألا وهو هدف الحرب الذي لا يعدو أن يكون فرض ارادة طرف على طرف آخر ، وليس مجرد التقتيل في حد ذاته .

فطرة . . . أم غريزة

وحول موضوع حتمية الحرب تقول « مارغريت » انه يثير مشاكل عديدة ، على رأسها بطبيعة الحال ما اذا كان الانسان مفطوراً على شن الحرب « فالعنف » فطرة في النفس البشرية ، ويستخدم صيغة فطرية مجازية ، ثم تتناول « مارغريت » لفظ « غريزة » وتصفه بأنه أكثر تعقيداً ، فضلاً عن أنه مصطلح « وصفي » فهو يعمل في مثابة الحجة العلمية وجدارة الاحترام ، ومع ذلك تقف « مارغريت » موقف الحذر من استخدام هذا اللفظ في مجال الحرب ، تقول : هناك « كونراد لورينز » الحجة الكبير في طبائع الشعوب لدى ناحية واحدة من القرن العشرين بوجود « غريزة عدوانية » (بمعنى نزعة أو دافع) ورثها الجنس البشري من ماضيه في سلسلة التطور . ويؤكد « لورنز » أن مثل هذه النزعة تلقائية ، وتسعى بصفة دائمة الى الانطلاق والتحقق ، وتشتمل على حاليه « ستخصمس الحروب » الذي يعد أقوى مانع عدواني يحض الانسان على خوض غمار الحرب . الا أنه تصعب رغم أن أغلبية المجتمعات في الأزمنة التاريخية صاحبت الحروب ، مثل أغلبية السكان في تلك المجتمعات لم تشترك في الحرب . وتقارن « مارغريت » بين نسبة الجنود ونسبة المدنيين « يقتلون » في ويلات الحرب . وتؤكد أن نسبة المدنيين تزداد تدريجياً منذ عام ١٩١٤ ، أي منذ بداية الحرب العالمية الثانية حتى الآن ، تتجاوز عن نطاق الحمة واحدة في المائة على أكثر تقدير .

الحرب والبورصة والكنيسة

وتناقش « مارغريت » العلاقة بين غريزة العدوان والحرب ، فتقول ما من حيوان قدر له أن يستطيع البقاء على سطح المعمورة سواء كفرد أو كنوع ما لم تكن لديه القدرة على العدوان ، فمثل هذه القدرة ضرورية « على الأقل » في نواحي مأكله « وحصوله على الغذاء » وتزاوجه « وحفاظه على النوع » ، فضلاً عن أن حيوانية الجنس البشري ، تعود الى جذور أسلافه الأولين ، كامنة في الأعماق ، فطاقته وطبيعته : التقاط الاكل وفرضه واصطياد فرائس الأخرى . والدفاع عن النفس ضد مخاطر الحيوانات الأخرى وعبر الوقت ، ومع ذلك ، تعلم الجنس البشري أن يجتنب المشاكل الدائمة والعصبية ، في سبيل تحقيق الاولويات ، حتى تعلم أيضاً أن يجتنب كافة المعوقات غير المجدية ، التي يقلبها الانسان الى مجده في سبيل خلق الرموز والانماط الطبائع المختلفة . وأدت عمليات المعلومات الحضارية الى توسيع نطاق قدرته على الخلق والتطوير « واكتشاف علاقات عديدة بين الاشياء والظواهر » . وبناء عليه فانه على الرغم من أن النوع البشري ليس أكثر الأنواع عدوانية من الناحية

كتاب الشهر

الجنسية ، فإن بني الإنسان هم الذين استحدثوا ، على وجه اليقين ، وأوسع نطاق من فنون القتال المنوعة التي يتوسلون بها للانتصار على العدوان. وتتحول البروفيسورة ان تشتبت أنه ليس أحد يرغب في استعمال القدرات العدوانية للجنس البشري ، وإلا فإنه لن يستطيع عندئذ أن يبني المجتمع أو يقاوم الأمراض أو يصوغ النظريات العلمية . ولكن الطرق التي استخدم بها الإنسان هذه القدرات في الوصول إلى ما يريد أو الكيفية التي حدد بها ما يريد هي التي لا تزال موضع جدل . فالطاقة العدوانية لدى الإنسان يمكن استخدامها في شق قناة في قلب الصخر ، مثلما يمكن تسخيرها لبناء مجتمع ، أو شن حرب ضروس . بيد أن البروفيسورة « متشيلد » تلاحظ أن توجيه الطاقة العدوانية والإنسانية نحو مجال الاقتتال لم يكن عملا سهلا في كافة الأحوال ، حتى باعتراف القادة العسكريين أنفسهم . ولما كان البشر يختلفون عن الكائنات الحية ، فإن الهم الأكبر لأي جيش هو تدريب الجنود على الانضباط الذي يصل حد الطاعة العمياء . ولكن جماعات البشر تظل باستمرار هي أسراب النحل ، فهم يعرفون أن القتل خطيئة ، وفي هذا الصدد يشير البريجادير جنرال اس . ال . مارشال في كتابه « الإنسان والنار » إلى أن الجندي العادي يميل إلى إطلاق الرصاص على مسافة أو شجرة أكثر من ميله لإطلاقه على إنسان ، ويذكر الجنود الإنجليز الذين شهدوا الحرب العالمية الثانية ، أن خوف الجنود من إزهاق الروح الإنسانية وليس خوفهم من الموت هو الذي يقف وراء خسارة المعارك . وتنتهي البروفيسورة « ... » من وراء ذلك إلى هذه النتيجة : قد يكون البشر عدوانيين بالقوة والاحتمال ، ولكنهم ليسوا قتلة بالفطرة والغريزة .

والحرب ليست ، في واقع الأمر ، حاجة ، بل قد تكون مجرد ممارسة أخرى مؤسسة لإشباع حاجات يعتمدها المجتمع مثلا ، وهي في هذا تتشابه مع سائر المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالدولة والبورصة والكنيسة .

طقوس الحرب

يتعين على كل محاولة جادة لفهم أسباب الحرب ، ومخاطرها أن تبدأ بالاعتراف بأن هذه المؤسسة (الحرب) ظهرت في مرحلة متأخرة من مراحل التطور الإنساني ، وفي إطار بيئي معين . فرغم أن البشر ظلوا يملكون دائما القدرة على قتل كل الآخرين بسهولة نسبية ، بعد أن اخترعوا في مطلع العصر الحجري الأوسط (منذ حوالي ١٠٠ ألف عام) أدوات الصيد مثل الفؤوس اليدوية والعصي ، ورغم أنهم امتلكوا القدرة أكثر على قتل الآخرين بقدر من الأمان والسهولة ، بعد أن اخترعوا خلال المراحل المتأخرة من العصر الحجري الأعلى (أي منذ حوالي ٣٥ ألف عام) للقوس والسهم والحراب ذات الرؤوس الحجرية المدببة ، فإننا لا نملك دليلا حاسما على أنهم كانوا قد شرعوا في ذلك الحين في صنع الأسلحة بصورة متعمدة (أي أدوات مصنوعة ومصممة بشكل خاص للاستخدام ضد بني البشر) ، وبعبارة أخرى ظل الإنسان ـ لفترة تصل إلى ١٠٠ ألف عام على الأقل ـ القدرة الفعلية لصنع (أسلحة الاقتحام) ، كما ظل لفترة تصل إلى ٣٦ ألف عام القدرة على صنع (أسلحة القذف) ولكن غالبية البشر لم تصنع ـ في ضوء ما تحت أيدينا من معلومات أيا من هذه الأدوات بصورة عملية لشن الحرب خلال تلك العهود الطويلة من عصر التطور الإنساني ، رغم إمكانية استخدام أدوات الصيد هذه في بعض الأحيان في قتل الغرماء .

على أن تقدم طفيف يحسبه لنا علم الآثار (الأركيولوجيا) والأنثربولوجيا يكشف لنا أن الحرب لم تبدأ في التحول إلى مؤسسة اجتماعية إلا

عندما حصرت النشاطات البشرية القنص والتجميع كنمط للمعيشة ، وتحولت الى الزراعة والفلاحة . ولكن الحروب ظلت في تلك العهود متقطعة في أغلب الزمن ، بمثابة معارك ، يخوضها محاربون لا جنود ، على حد تعبير المؤرخ الروماني الشهير « تاسيتوس » ، فلقد افتقرت معظم المجتمعات البدائية للهياكل الاقتصادية والسياسية التي تعطي الحرب خصائصها المحددة كمؤسسة اجتماعية : قيادة مرتبة ، وتجنيد اجباري ، انضباط صارم وإعالة منتظمة .

ويضيف « مور » أن الحرب لم تستهدف أهدافاً سياسية في معظم مجتمعات العصر الحجري الحديث « النيوليتي » ، فلم تكن تلك المجتمعات تمتلك أي هيكل سياسي ، من أي نوع فضلاً عن هيكل سياسي تستطيع فرضه على الجماعات البشرية التي تلحق بها الهزيمة ، وفي نفس الوقت لم تكن الحرب تستهدف أهدافاً اقتصادية . وليس أدل على ذلك من أن الأطفال والنساء الذين كانوا يقعون في الأسر ، كانوا يواجهون مصيرين لا ثالث لهما : اما القتل وإما التبني داخل الجماعة الغالبة ، بمعنى أنهم لم يكونوا يواجهون عملية تحويل الى عبيد منتجين ، مثلما حدث في عهود لاحقة ، ولكن لماذا تحولت الحرب الى مؤسسة اجتماعية ؟

ثم يقدم « مور » وصفاً لحرب بدائية ، تكون عنه قبل الاقدام على أي عمل من أعمال الحرب . تقيم القبيلة احتفالاً طقسياً يشمل تقليد المحاربين أنواعاً مختلفة من الحركات ، وأداء رقصات معينة مصحوبة بالغناء ، وبعدما عند هذه الحفلة التزم أبناء القبيلة ثلاثية بعدد من التحريمات على بعض أنواع الطعام والشراب ، وقد تمتد هذه التحريمات في غالب الأحيان لتشمل اتصال الرجال بالنساء . وحينئذ يتوجه المحاربون الى ميدان القتال ، يتقدمهم شيء مقدس وفي وقت لاحق فاته علم . أما الموقعة ذاتها فلا تزيد عن غارة أو كمين أو التحام وجها لوجه ، وما أن يلاقي المحاربون أحد الأعداء بصرف النظر عما اذا كان رجلاً أم امرأة ، عجوزاً أم صبياً ، يقتلونه بالسلاح أو بأيديهم . وعند تحقق القبيلة نصراً ، تقيم احتفالات ، تكون في طقوس الحداد الشفائية ، بينما تقيم القبيلة التي تلقت الموت احتفالاً تعسكرياً حول الجسد المسجى ، قد يتضمن التمثيل طويلاً به ، أو أكله أو الفريق بجميعه الى موضوع شعائري .

ويخلص « ساتسغيند » من هذا الوصف الى أن الحرب كانت تبدو للبدائيين طقساً من الطقوس ، ويرى أن معنى هذا الطقس يكمن في موضوعين « الموت والخصب » ، حيث ينطوي الموضوع الأول على المنشورات الأولى والوسطى من الطقس ، ثم يحضر الموضوع الثاني - الرمزي ليسيطر على النهاية .

انتظام العصر الحجري

لا يستطيع البدائيون أن يفرقوا بين النشاطات الطقسية وغير الطقسية . فالبدائيون لا يفكرون في التفكير فيما يحيط بهم من واقع ، ولا يؤسسون عنه النظريات ، ويكتفون بممارسة النشاطات الطقسية لأنهم كالطبيعيون ضيقون ، بمعنى أنهم غير منفصلين عن الطبيعة وهم لا يفكرون في هذه النشاطات في عمومها . فيرجعون هذه الظاهرة « الحرب » الى حسب الذوق والحاجة الى الانتقام عند الغضب ، وبذلك يتوحدون . كما يذهب علماء الانثروبولوجيا بين الأسباب الايديولوجية والطقسية ، والوظيفيون من هؤلاء العلماء يميلون الى تفسير هذه الحرب بصفتها وسائل لفرض القانون ، بالمقارنة مع النظم القضائية التي فرضتها المجتمعات المتحضرة ، ومن هذا المنظور تعد الحرب بمثابة جزء من النظام القانوني ، أي الوسيلة الموجهة لفرض القواعد التي يتبناها مجتمع لا يزال يفتقر الى سلطة مركزية قوية .

ولكن هذا التفسير ينطوي على أن الانتقام بمثابة العقاب أو الردع ، وهو بذلك يتجاهل فروقاً جوهرية بين هذا وذاك ، فالردع ينطوي في جانبه على تحديد نتيجة ووظيفتها وهي وجه التحديد تحديداً انه يتحمل على رد الفعل ازاء عمل معين ، أن يكون تحقق تكرار ذلك ، أو أن تعزيز كاف بالتحالف المضاد ، وأي عامل ضمن آخر ، حتى يمنعها من العودة اليه . أما الانتقام فيرتكز على احتسابه الارتياح الشخصي الذي يشعر به طالبه الأخذ أن يستشعره خلال استعادة التوازن المختل بين المتعة والألم . وفي القانون الفاني نجد أن المجتمعات البدائية تعزو مفهوم لفكرة نزاع أو تلقي الطرف الآخر أي ضرب من الضرر .

كتاب الشهر

تفسير الفوضى

تصف الأساطير التي يسمعها الفيتيون حول الحرب ، بصورة صحيحة ، عملية الثأر وموضوع الانتقام ، واعتقاده أن المخاطرة والحيل والخداع المعنوي تكشف جميعا عن وحدة شديدة التماسك بين أبناء القبيلة الواحدة ، تسيطر عليها سائر المجتمعات الأكثر تقدما والأكثر ديمقراطية وحداثة في العصر الحديث .

يحكي شعب « يانومامو » وهو شعب يعيش على ضفاف ... في أمريكا اللاتينية ، أصل الحرب في أسطورة ، ويحكي عنه تصورا لحياته الاجتماعية ، هذه القصة حول نشأة هذا الشعب ذاته ، ونشأة الحرب في آن واحد .

في البدء لم يكن هناك سوى الكائنات البشرية ، وهي التي نحتت معظم النباتات والحيوانات والأشياء . وبعد أن اكتسبت الغيصات معظم هذه الكائنات الأصيلة لم يبق سوى « بيريرو » الذي قرر الهبوط إلى الأرض ، كي يتخلص من الأجزاء الروحية من الأطفال ، وكان قد أكل طفلا لدى أول هبوط له ، ولذلك بدأ وضع روحه بين قطعتين من خبز « الكاسافا » وتناوله ، وعاد في المرة الثانية ليأكل طفلا آخر بنفس الطريقة السابقة ، وأخيرا وفي المرة الثالثة استبد الغضب بكل من « أوروبا » و « سوهيرينا » وهما شقيقان ، وصمما على قتله . بدأ « أوروبا » الذي يعرف بالسهام ، ولكنها أخطأته . لم يمي « سوهيرينا » فأطلق سهما مدببا من قصب البوص « بيريرو » في المنطقة التي كان يطير فوق رأسه فأصابه في بطنه . تفجر في جوف السهم جسم « بيريرو » بالكامل ، وتكون الدم يتدفق بغزارة وسال حول « هوتيهري » بالقرب من الجبال المعروفة باسم « ... » وسرعان ما تحولت قطرات الدم إلى أناس محاربين بسرعة بمجرد ارتطامها بالتراب ، الأمر الذي أدى إلى انطلاق عدد هائل من المحاربين من شعب « يانومامو » .

ويحقق « بيريرو » — ... قائلة في الأسطورة تنسب إلى أن الطبيعة الإنسانية بدأت تحس عن العنف ، وبواسطة هذا العمل تمت السيطرة على الفوضى أو الموت غير الطبيعي ولم الشقي منه . ولهذا كان لأحد أن يبحث في هذه القصة عن مغزى تاريخي - موضوعي أو سيكولوجي ، لكن بحثه يعد ضربا من ضروب العبث ، ولكنها تنطوي مع ذلك على تصوير شعري - أسطوري ذي حقيقة مدركة . فالأسطورة تشير إلى انتماء شعب « يانومامو » بالاعتقاد القبلي في الحياة والموت ، والاعتقاد بأن أعمالا معينة بذاتها تستطيع السيطرة على الاحتمال الفوضوي في الاعتماد المتبادل . ونضيف « ... » أن هناك أسطورة مماثلة سائدة في قارة أخرى بعيدة عن قارة أمريكا بين شعب « ... » وهو شعب رعوي محارب في منطقة أفريقيا الجنوبية . ونستطرد « ... » إلى أن كل هذا يعني ، دون شك ، أن الإنسان ... الحروب الطقسية منذ وقت طويل ، وأن الإنسان هو ... الأولى التي لم تتطور بنية الفوضى والتصميم ، ووجهها وجهة طقسية ، ومن خلالها نبتت المؤسسات والقواعد الاجتماعية حياته .

ويمضي « ... » إلى القول بأن ثمة ... الأساطير إلى التاريخ ، وبذلك ننتقل بالفكر الإنساني من الزمن غير المحدود إلى الزمن المحدد . ويؤكد « ... » أنه في المرحلة التي انطلقت فيها الحرب ، من صورتها الطقسية واكتسبت طابعا سياسيا مباشرا ، أصبح من المستحيل أن تقتصر على نمط غير متغير . ولم تعد نتائجها تنطوي على خسائر ضخمة في الأرواح والممتلكات فحسب ، بل انطوت على تغييرات في التنظيم الاقتصادي والسياسي ، بالإضافة إلى نزوح شعوب جديدة وثقافات جديدة ، ولم تعد الحرب ، من ثم ، تأكيدا متكررا على الطابع الرجعي اللازمني

للواقع ، بل أصبحت صنوفاً من تلك الواحدة من أعظم تجارب الإنسان الأشد حيوية من التحول والتغير والانقلاب .

حدود القوة

كبقية الحيوانات بما فيها فصيلة البشر ، فهناك نظرات عدوانية شبيهة كوسائل في سبيل الحفاظ على البقاء والانتصار للفرد والنوع . . وعلاوة على هذا فإن البشر على وجه الخصوص ، وبسبب طول مرحلة الطفولة لديهم ، والنزعة إلى الخلق ونقل الثقافة ، وهي نزعة قائمة على عوامل وراثية ، فهم قادرون على تجسير هذه القدرة العدوانية عن إشباع الحاجات الفسيولوجية البسيطة . والواقع أن كافة المجتمعات البشرية تعرضت لتجربة عبر بعض أنواع الأنظمة ، والعلاقات الجنسية وتوزيع السلع ، والطاقة بشكل رئيسي ، إطار للطاقة الجنسية للبالغين ، وفي نفس الوقت تخلق هذه المجتمعات ، صورا كلية ومخططات ، جمعية تقود الشعور العدوانية نحو أهداف رمزية وقيمية ترى هذه المجتمعات أنها تحقق مصالحها لكن . ولأن العقل الإنساني قابل للتعلم من الناحية الوراثية ، ويستطيع بدرجة كبيرة من التوسعة تحركه عبر الثقافة ، فإنه يمكن دمج المحرمات الاجتماعية بالأهداف التي تحددها الثقافة السائدة كجزء من بنائنا النفسي الأساسي ليعتبر جزءاً لا يتجزأ من قدرة النوع الإنساني على البقاء . وفي حالة تشغيل الطاقة العدوانية في بناء جيد ضخم ، أو الزعم الشامل بالاستقلال الشامل من الكتائب والتوحد ويتحقق بعض التحرر للفرد ، لأنه يكون وظيفيا بالنسبة للجماعة .

ولعله أمر مثير للدهشة حقا أن معظم المجتمعات تعتبر الحروب ضرورية سمة لمجتمعها ، رغم المخاطر التي تنطوي عليها بالنسبة للأفراد . ومثل هذا الحكم على الحرب يستند إلى مستويين تفسيريين من مستويات النوع الإنساني ، ففي المستوى الأول ، نرى أن الوعي الإنساني ينطوي على استعداد ذهني ، لكي يخلق من المعلومات المحدودة التي تقدمها الحواس عن الحقيقة اليومية ، أبعادا تعرض النظام أو البناء المعنوي على فوضى الواقع المادي . فالأحلام والخرافات والرموز واللغة والأسطورة (بما في ذلك ...) الأدب والموسيقى والنظريات العلمية ؛ لكن ذلك يشهد على قوة هذه الاستعدادات والأغراض الخفية والكامنة التي يحملها .

ويبدو أن الحرب ليست واحدة من هذه المنتجات الأكثر إلحاحا والأوسع فسحة بين البشر ، أي بطاقته الخلق والابتكار ، فحسب وإبداعه فحسب ، ولكنها أيضا واحدة من الأنشطة التي تستطيع الإنسان أن يواجه بها وبصورة مباشرة الرعب وعدم التوازن الرئيسيين ، اللذين ينجمان عن الموت والقصر المتعين بطلائع دون متن البقاء . فالإنسان ينظر إلى الحرب منذ مواجهته الأولى في العصر الحجري بوصفها مطلبا حتميا في سبيل إعادة التوازن إلى العلاقات بين البيئة غير البشرية والجماعة الإنسانية . ففي هذه يتعرض فيه البشر ، سواء أكانوا أفرادا أم أعضاء منتظمين في جماعات لضربات الأحداث الأليمة التي تبدو منظمة ومحكمة وخلوا من المعنى ، نهضت الحرب كمحاولة لهذه الآلهة لما يعد استلابا عن طريق رد هذه الضربات . وبناء عليه فإن الطابع التقصي بالقسوة ، غير المتساوي بالاحتمال ، والموسوم بالعمر والجمعية تخفيه طاقة يكتسب مضاعفة واتصالا وتداولها . وقد لا يشبع الرعب والتدمير ، ولكنهما يشعران بالتحرر ، تصيبا أو حيثما ، يستطيع الوعي الإنساني أن يعيد بناء .

أمبيدوكليس وفرويد

يتساءل العالم والمفكر جيرالد هيرلي ، في هذا الكتاب حتى أنه عالج كلا من الفيلسوف الإغريقي أمبيدوكليس والفرويد النمساوي في ... وقد حسب نظرية في تصورهما أن الصراع والموت يتكافآن من القوة والإيقاع مثل الحب والجنس لمنطق الشر . والحقائق التي يقولها من الناحية البيولوجية : ... ولكن النفسية الإنسانية ليست نفسية متوازنة ، بل تتكون من شخصية مركبة ، تهيمن فيها القوى العدوانية والتدميرية على قوة الخلق والتواصل مع الآخر بل تزيحها كلية . وفي صورة نظرية ، اختلفت دون الموقع الحيوانية لدى هؤلاء ، انتقدوا الفكرة قبل اكتشفت وترجمت حسب كدرجات ، بحيث يحرمهم من القدرة على التعرف على أنه يجد التي منه في ... أن يكون تلقائية مطلوبة لم

كتاب الشهر

متوحدا مع الآخر . هؤلاء الجنود يريدون - في حقيقة الأمر - أن تحيق بهم الهزيمة ، فالرغبة في تدمير تلك المخلوقات ليست سوى انعكاس خفي واع لكراهية الذات الراسخة في الأعماق . ويمثل هذا الجندي ليس سوى رجل انتحاري عاجز عن توليف إحساس مناسب بالهوية التي تفصل ذاته عما يحيط به من بيئة مشوهة . وعلاوة يكون بعض الأفراد انتحاريين تكون أيضا بعض المجتمعات . وعند هذا الحد الذي يبدأ فيه العدوان الاجتماعي في التهديد بالرجحان على الدافع الاجتماعي يكف السلوك الإنساني - دون جدال - عن أن يكون شكلا من أشكال التعديل التكيفي ، ويصبح مرذولا بدون قيمة اجتماعية أو بيولوجية . ولسنا نعرف على وجه اليقين عدد المجتمعات الإنسانية التي أرغمت نفسها في مثل هذه المعضلات الشبيهة في الماضي . ولكن ثمة ما يدل دلالة واضحة على أن ذلك حدث فعلا . ومع الأسف يبدو أن مجتمعنا المعاصر القائم على التقنية قد ولد مثل هذا الاتجاه الانتحاري ، في وقت أصبحت فيه قدرتنا التدميرية مبلغا هائلا ، يتمثل في استطاعتنا أن ندمر الجنس البشري ، بل وأن نقضي على كافة أشكال الحياة على ظهر المعمورة في لحظة بيئية مروعة

وتعرض البروفيسورة ، هيو ، أن كافة ظواهر الحروب التي تناولتها بالتحليل في كتابها هذا تنطوي على محاولة ، سواء على صعيد عدم الوعي أو الوعي الكامل - للسيطرة على الطبيعة في سبيل سعادة الإنسان ، ورفاهه وإمتاعه ، وبناء عليه فإن أسلافنا الذين عاشوا في العصر الحجري الحديث اعتقدوا انهم يستطيعون خلال الحروب أن يسهموا بتلك الفاعلية المنظمة في تنظيم الأمور . ومن ثم يستطيعون قسر الموت على لزوم قوانينه المرغوبة ، المناسبة .

ولعل ما يدعو للأسف أن انهيار الحوار يؤدي إلى تلك الحالة أي الحسم بالجنود ، وبالتالي بحقيقة الرعب المحيط بنا . وهكذا يتصور ، صمويل بيكيت ، الكاتب المسرحي الشهير ، الانسان كأسير لانتظار اللانهائي على مسرح خال ، حيث لم يعد للإرادة الإنسانية أو للكون أي وجود حقيقي . وفي ضوء مصطلح السيكولوجيا ثمة دائما صمود من ناحية للكيان العضوي ، وللانفصال من ناحية أخرى بين صفة الكيان ، والبيئة المحيطة ، فالفرد في نفس الوقت كيان ذو حدود حسية والفسحة وعملية بنفسه ، تأخذ الانعكاسات الحسية والغذاء والهواء ، وتخرج المشاعر والزفير والفضلات ، ويكون جانبي المسيرين تتفاعل الحياة بصفتها المعروفة مستقلة

جنود ... أم محاربون

وفي ختام الفصل الأخير تؤكد البروفيسورة هيو ، لتقول : إذا كان تحليل التاريخي صحيحا ، وكان كذلك المنهج المستخلص ، فإن منطق مناقشة أخلاقية ، سوف يطرح نفسه مع ذلك ، وكرد فعل . في سبيل نزع السلاح النووي . سيكون الأمر أن الرجال والنساء الذين يديرون ويمولون تلك الترسانات النووية الضخمة ما هم إلا أفراد يستشعرون الخوف في أعماقهم ، ويبحثون عن الأمان خلف هذا الصرح الشامخ ، ولكنهم شعروا باقتراب الخصوم لزاما يتحصنون على وجه الاحتمال بمخاوفهم التي يختلقون حصونا بها حقيقة ، عن ذلك بدء التمزق ، وظلال مصير الأشياء ، وإنما كنا لا نستطيع أن نشك في تفكيك الردع من النووية عمدا . فينبغي لنا أن نستولي على الأقل على عملية تنظيم الجيش ، بصورة تسمح لكل هذه المخاوف أن تعالج بأسلوب أكثر واقعية . أسلوب يقوم على تحويل الجنود مرة أخرى إلى محاربين بدلا من التوحيد الضخم للمواصفات الحربية التي تخلق التمزق والمخاطر من حولنا . ولكن البروفيسورة هيو مشتركة إلى القول بأن المشكل الأصيل ليس نزع السلاح النووي في حد ذاته ، بل كيفية إزالة المؤسسات والايديولوجيات العسكرية التي استقرت في أعماق ثقافتنا وأغوار نفوسنا .



حكايات من مصر

صلاح عيسى

عرض وتعليق : عبد الرحمن أبو عوف

حكايات من مصر وهوامش المقريزي جزءان من كتاب واحد ، يحمل اسم الجزء الأول للمؤرخ الفنان صلاح عيسى وقد اختار المؤلف من تاريخ مصر الثري الطويل ما رأته عين الفنان فيه ، وصاغها بطريقة تمزج بين جلال التاريخ وجمال الصدق الفني .

« حكايات من مصر ، الجزء الأول » و « هوامش المقريزي » ، وهي المجموعة الثانية من « حكايات من مصر » للمؤرخ الفنان « صلاح عيسى » ، عمل تاريخي أتى له نظرته وصوته الخاص ، يثير قضية علاقة التاريخ بالفن ، كيف يستطيع المؤرخ أن يقدموا على استعادة الحدث التاريخي من الناحية النظرية ، كما كان تماما أو قريبا جدا مما كان ، وبقدر ما يتمكن المؤرخ من تقديم أو إعادة تركيب الصورة التاريخية للحدث التاريخي كما حدث تماما بقدر ما يكون علميا ، أي يقول إن المؤرخ عليه دائما أن يرصد بلغت السؤال الذي شغل فكر المؤرخ الألماني الكبير « ليوبولد رانكه » كيف لا تمنح البحث التاريخي مهمته أن يرصد بالأحداث بالأصوات الصحيحة التي يقدمها إلى الإجابة عن هذا السؤال . كيف حدث التاريخ بالفعل ؟

والكتاب هنا أمام مؤرخ وفنان ـ اختار في السرد لغة روائية ، تبحث في الحدث المفصلة ، وترسم الشخصيات بتعدد جوانبها ، وتستلهم من جزئياته سريان الغموض الخفي ، وهو تناقض يتصارع بين الشعب والسلطة ، والكشف عن المسألة الجمهورين

وطموحاتهم التي لا تجد في الدفاع عن حقوقهم ، حتى سقط منهم الشهداء ، وهزمتهم شراسة القوانين الصراع الطبقي والاستعماري .

الرواية الوثائقية

لقد ساهم صلاح عيسى في تقديم شكل من الرواية الوثائقية ، وربما كانت أبرزها روايته (مجموعة شهادات ووثائق لخدمة تاريخ زمننا) وهي تستحق تقييما خاصا

يعترف (صلاح عيسى) ـ أنه وفق تكوينه ـ كان التاريخ يؤرقه بمشاكله ويثير شوقه ، فهو المعبر عنه . قرأ تاريخ مصر المكتوب : كيف تغير ناس يحكمون ويحضرون صاحبة ، ونسيهم كثيرون . حتى في ثنايا كتب أحمد بهاء الدين (أيام لها تاريخ) المهمة في لغة شيقة (تلك التاريخ في هذا الكتاب شيئا آخر تماما ، غير الذي كان يستعرض القصص المسرود من كتبه وتعليقها على صدر الصحف المصرية ، تتنوع من العفوية مؤلفيها ، كان تاريخا حيا ينبض ودافقا .. أحببت رجالا لا أعرفهم ، وبكيت على مصيرهم ، وأحسست حزنا وقلقا واشفاقا ، وأنا أتابع الحروب وهم يواجهون الخطر ويحضرونه ، ويصنعون التاريخ ويصنعون الهزيمة في الشتات والسجون) . صلاح عيسى من جيل عاصر انهيار التنظيم الناصري في سنواته الأخيرة ـ ووعى بالهزيمة وتربيته الأصولية في حزب الوفد ، ثم قامت الثورة ، وعاش أزمات صعودها وانتصاراتها وانكساراتها ، وخرج من تجربته بعدة مشاريع ، أولها قانون التوحد بين الكاتب والموضوع النسبي الملتزم برؤية فكرية تنتمي للشعب وتتقدم . كتب التاريخ يكتب من وجهة نظر الشعب . كما فعل لويس عوض في كتابه (مصر الحديثة) . ثم يكتب من وجهة نظر الموظفين . ثم يأتي عمل موسوعة المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعي (ويلاحظ تميز تاريخ الرافعي وعي الأحداث في تاريخ الثورة العرابية وثورة ١٩١٩ في وجهة نظر الوطني . وظل تلاميذ الاتجاه على مدارس كشفيق غربال (مدرسة التاريخ الرأسمالي) ثم (مدرسة التاريخ الاجتماعي العلمي) تحدث أنيس ، فهو منظر من وجهة نظر الاشتراكية العلمية في تفسير التاريخ وتطوره ، وقدم عملا متكاملا يعتبر انجازا جديدا في تفسير العرابية وتوثيقها ومرجعا موثقا عن هذه الثورة الخطيرة في حياتنا .

ثم اكتشف نفسه في كتابيه (حكايات من مصر) الجزء الأول سنة ١٩٧٣ و (هوامش المقريزي) ـ حكايات من مصر الجزء الثاني سنة ١٩٨٣ وقد كتب الحكايات بين ١٩٧١ ـ ١٩٧٥ ونشر الكاتب المتوقف فترة ظهرا في الجزء الثاني

لكن المجموعتين تختلفان من حيث الشكل . فقد اختار للمجموعة الأولى خطا أكثر تفجرا وخطورة ، بينما تختلط الكتابة ومضامينه في أرضية قصيرة ومركزة ومكثفة تبرق بسرعة ، ولكنها لا تنطفئ ، فيبقى أثر تفجيره طويلا من بعد بحيوية بكل دلالات عصرها ، ولكن كلتا المجموعتين موضوعهما واحد ، فهي تطبيقات تلك الجزئيات الصغيرة التي تصب في مجرى التاريخ ، وتتحول معه قوانين تطوره .

حكايات من مصر

وتتميز المجموعة الأولى بموضوعات غريبة ربما يصرفها تراكم الزمن ، غير أنها كلها تجري في أحداث تاريخ مصر المعاصر أبلغ تأثير ، وهي تقدم بشكل روائي في نبرة شاعرية تبرز الحدث ، وتستقصي دلالاته ومغزاه ، وتكشف عن عمق في دراسة أشخاصها ووثائق مدونة ، على صاحبه حتى يضعها أمام القارئ والأحداث عن عمد .

الأمير سيف الذي يحاول اغتيال أحمد فؤاد ، مقتل المليونير علي فهمي برصاص زوجته الفرنسية ، حيث جرى بعدها أزمة في السياسة المصرية ، مؤامرة ضد زعيم الأغلبية مصطفى النحاس ، مغامرات عبدالله في سيناء ، صاحبه ابراهيم الهلباوي جلاد دنشواي ، البطريرك في الشعر ، السلطان والحزب وقضية الشرع ، مقتل الأسعد العمري .

انها ملحمة تراجيدية وكوميدية ، فيها تختلط الفضيلة بالرذيلة ، الصحة بالنذالة ، الخيانة بالوطنية ، الشهامة بالجبن ، مع صيحة الاحتلال في سنواته الأولى ، وحقده الشعب المصري بصبر وقدرة على الصمود ، تبرز القارئ وتؤكد أن حقيقة الشعب

الوطني تصيبه بالأسى ، وتصليه الأحزان ، وتحمله ذات يوم إلى قسم في [illegible] .

زيادة على ذلك فالأشياء مركبة ، فمجموعة الوثائق تحقق حجماً من الدلالة لا يعد لأنها تشكل عدداً غير محدود من الأسئلة تجيب عنها الوثائق المتاحة عنها . كذلك سيقوم الابتكار عند المؤرخ على اكتشاف الانحراف الذي تكون عليه مجموعة معينة من الوثائق من قبل اعتقاد الاقتناع بها حيث يمكن أن يكون منطلقاً من خلوه من أي جديد .

ونختار من الحكايات أربعة تمثل فصل النص التاريخي الحي ، ودلالته السياسية على تطور الحركة الوطنية المصرية .

مأساة جلاد دنشواي

كانت حياة ابراهيم الهلباوي ، وهو واحد من أشهر المحامين الذين أنجبتهم مصر إن لم يكن أعظمهم على الاطلاق ، تراجيديا مصرية خالصة ، نموذج للبطل الذي يحمل ثغرة واحدة تقضي به [illegible] . ويظل يجاهد العمر كله لكي يقضي على الثغرات ، فيرصد الشعب خطأه حتى موته ولا يرى فيه رغم طيبة الشعب الذي [illegible] . وكانت غلطته التاريخية التي جعلت نقطة سوداء لم ينسها الشعب ، أنه قبل أن يصبح المدعي العمومي الذي يثبت التهمة على فلاحي دنشواي ، ويعلق المشانق حول أعناقهم ، بعد أن كلفه رئيس الوزراء مصطفى فهمي الذي تعاون مع اللورد كرومر مدة طويلة (وهو أبو زوجة سعد زغلول) . [illegible] وهي المعركة بين الفلاحين وبين البرجوازية المصرية والفلاح البسيط ، [illegible] . [illegible] الانجليز وعملاؤهم في شنق الفلاحين وتعذيبهم [illegible] وجلدهم وهم : زهران ، ودرويش ويوسف وطلاحة [illegible] ثم [illegible] .

ولكن كيف نشأ الهلباوي ؟ وكيف أصبح صنيعة المستعمر ؟ ككل البشر ، ولد الهلباوي في أسرة (مستورة) . كان والده مقرئ الأعيان ، [illegible] وتعلم بالقرية (كتاب) مديرية البحيرة ، وفي الثالثة عشرة من عمره ذهب إلى مركز العلم في هذا العصر (الأزهر) ، وفي بداية السبعينات من القرن الماضي عرف قهوة (متاتيا) حيث يجلس الشيخ الغريب (يوزع السعوط بيمينه والشتائم بيساره) يجلس حوله رجال ، صنع منهم فيما بعد أن يلعبوا أخطر الأدوار في تاريخ مصر ، منهم أحمد عرابي ، ومحمد عبده ، وعبد الله النديم وسعد زغلول وغيرهم . وكم سنوات وهو يتعلم من الأفغاني الفلسفة والمنطق وعلم الكلام والسياسة وتنظيم الأمم والشورى ، والحرية ، ثم لم يجتز امتحان الأزهر ، [illegible] الأزهر . في تلك السنة خلع الخديوي إسماعيل عن العرش بضغط الدول الأوروبية ، وتولى الخديوي توفيق أريكة الخديوية ، وأصدر رئيس الوزراء (مصطفى رياض) بعد شهور من نفي الأفغاني قراراً بتعيين الشيخ محمد عبده في منصب رئيس تحرير الوقائع المصرية ، ويختار الشيخ عدداً من مريدي الأفغاني ليساعدوه منهم : عبد الكريم سلمان ، وسعد زغلول ، وإبراهيم الهلباوي . ويكتب فيها الهلباوي ، ولكنه بعد فترة يترك المنصب نتيجة خلاف مرتبه بالنسبة لمرتب سعد زغلول ، ويترك العمل ويذهب إلى قريته ، [illegible] في البحيرة . ثم يكتب مقالة ملتهبة عن واقعة استغلال نفوذ [illegible] ويرسلها إلى جريدة التجارة ، وهاج رياض باشا [illegible] عنه ، واستطاع باستخدام التلاعب بالألفاظ والمنطق أن ينسلص من تهمة [illegible] في الحكومة التي كانت [illegible] إلى السجن .

المحامي لنفسه

ويسقط رياض في مظاهرة ١٨٨١ ، وتمضي مصر نحو [illegible] الثورة العرابية [illegible] ، ويشترك [illegible] ، [illegible] ، الأفغاني ؟ لا [illegible] . [illegible] . والغريب أن الهلباوي [illegible] في البداية . إنه حدد موقفه من البداية ، إنه مع نفسه فقط ، وكما يقول عبد العظيم رمضان (كان الهلباوي في العشرين ليس مع الثوار ولا مع خصوم الثورة ، بل مع نفسه . فكان الهلباوي في العشرين وفي الخمسين وفي الستين والثمانين يوم يموت ، ليس مع أحد وقد يكون مع كل الناس ! .

وتنقل خطورة . والغريب أن الذي قبض عليه هم الثوار ، وعند احتجازه علي في السجن عن طريق الخطورة لكي يستشهدوا به على أن الثوار عنده في السجن . وأفرج عنه بسرعة ، وتنقل في وظائف كبيرة ، سكرتير السلطان الحاكم الأكبر ، ثم سكرتير للبرنس حسين كامل فيما بعد . وفي سبتمبر ١٨٨٩ وصل في الثامنة والعشرين لسترعى الهلباوي للمحاماة . فقد كان الأمر مصادفة ، فصله البرنس من عمله فوكل غاضبا عنه ، وبينما هو في مقعد المتفرجين قرر مصيره بنفسه ، أن يستغل بلاغته وطول لسانه وأن يصبح أبلغ الأساتذة ، فاحترف المحاماة مهنة . وفي تلك السنوات كانت المحاماة مهنة السفهاء . وكان اسم المحامي مساويا للمزور ، لدرجة أن « سعد زغلول » قال في احدى خطبه بعد سنوات « لقد اشتغلت بالمحاماة متنكرا عن أهلي وأصحابي ، وكأنها سانتي سارق . هل صرت هناك تقول منام الله أن أكون كالنوم حاضرين » .

والغريب انه عمل مع سعد زغلول ، صديقه القديم ، في المحاماة ، والتقيا كثير المرسلين سنوات ، وتناقض مسارات في مفهومي المجد والشهرة ، فريق سعد طريق الثورة ، وطريق الهلباوي قد يصبح أسبح المحامين ، لدرجة أن شهرته وصلت إلى أن يقولوا للمتقاضي « وكله لا كذلك وأجيب الهلباوي » . وجيء لاحتلال المعظم والمتوسلين ، واضطربت الحياة وظهرت طبقات جديدة ، واستعانة الانجليز بالمصري في مجالات الحياة ، ولمع الهلباوي ، وعرض النجم حتى سقط بالبطل . ورفض بشدة التي ما تلقته من منطق ونصفه في يوم « الاقتتال » في البيان الشريف عن فلاحي دنشواي . فلاحي دنشواي ، غير أنه دفع الثمن غاليا ، ولم يغفر الشعب له . سقط بعد أن ارتفع شأنه وذاع صيته . فقد قتل الهلباوي شعبه كله . ومعها بدأ رحلة التوبة . وفي مذكراته التي أملاها عام ١٩٣٩ ولكن لم تنشر ، يحاول أن يبرئ نفسه ، ويدعي أنه كان ينوي الدفاع عن فلاحي دنشواي لولا ضغط تعرض له من بطرس غالي رئيس المحكمة ، ولم تكف الصحافة الوطنية عن الهجوم على جلاد دنشواي . وفي سنة ١٩١٠ حاول أن يكفر عن جريمته ، فتقدم للدفاع عن ابراهيم الورداني الذي قتل بطرس باشا غالي ، رئيس الوزراء ورئيس محكمة دنشواي سابقا ، وفي المحكمة صاح الهلباوي وجاء ، واتهم بطرس باشا غالي بالعمالة للانجليز ، وفي عام ١٩١٢ دافع عن المتهمين في قضية مقتل السردار ، ثم يكف طوال عمره تقريبا عن طلب الغفران من الشعب والشعب يرفض ، ولم يبق من ذكرى الهلباوي كي صورتها غير جملة بسخرية مرة « إلا أن يصبح المصري الانجليزي في خط الجلاد عامة المعركة ، وهو بعد المحامات فيمثل جملة هلباوي » .

هوامش المقريزي

فذلك كتاب معاصر يصحح من التاريخ ونصه في أوفى صوره . والهوامش مجموعة تلخيص عسكري في هذا المجال تشير خطأ فيما ولاتها السياسية ولا سيما والاقتصادية من تجربة حكم الولاة العثمانيين ، والدولة الطولونية ، والدولة الإخشيدية ، والخلافة الفاطمية والدولة الأيوبية والمملوكية والعثمانية . ثم الحملة الفرنسية ودولة محمد علي حتى ثورة ١٩١٩ ، حيث قام الشعب المصري في أعظم ثورة شعبية قومية أسفرت عنها عصرها في حقيقته . ويعد الركائز اليومية من المكتبات والقصص في هذه الفترات « هوامش المقريزي » نحو من كبار المؤرخين : كالمسعودي والمقريزي وابن إياس والجبرتي والرافعي ، وعبد الرحمن زكي وكتب أخرى ووثائق ومخطوطات كانت تنزل في الترتيب ، حتى يستخلصها ويقدمها للقارئ كدليل على أن روح النضال لم تمت ، وأن ثورات الشعب اتخذت طرقا مختلفة ، ولكن ظل الشعب هو المنتصر في النهاية . وهذه المجلدات في التاريخ ليست ميسرة للقارئ العادي ، وربما طرقها المثقفون ، ولكن الشعب ككتاب لا تتيسر له ومن هنا خطورتها .

ن

يقول شاعر حيدري : لا يوجد في العالم من هو مخطئ على الدوام ، فحتى الساعة الواقفة تكون على حق مرتين في اليوم الواحد .

مكتبة العربي

الكتاب : في أفريقيا و[illegible]
المؤلف : د. حازم الببلاوي
الناشر : دار الشروق، القاهرة
عدد الصفحات : ٢٦٠ من القطع المتوسط

تحت هذا العنوان اختار [illegible] د. حازم الببلاوي أن ينشر بعض مقالاته عن [illegible] التي نشر أغلبها في الصحف والمجلات العربية، وتشكل مضمون الكتاب [illegible] والاقتصاد [illegible] والعلاقات العربية [illegible] في [illegible] التي تمر بها [illegible] وهي [illegible] البحث عن [illegible].

الكتاب : مقدمات حول قضية المرأة والحركة النسائية في الأردن .
المؤلفة : سهير سلطي التل
الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر
عدد الصفحات : ٢٩٠ صفحة من القطع المتوسط

تحاول الكاتبة الأردنية سهير التل في كتابها هذا أن تتجاوز العرض المحدود للدراسات المتفرقة، حتى كتب للتعريف بتاريخ الحركة النسائية في الأردن والبحوث الأكاديمية أو رسائل الماجستير والدكتوراه، وتدخل موضوعاً جديداً يتميز بندرة المراجع والأرقام والإحصائيات التي تعين أي باحث في موضوعه . وتبدأ الكاتبة بفصل يضم الخلفية التاريخية للعمل النسائي في الأردن وتطوره إلى أشكال تنظيمية راقية، و[illegible] على [illegible] حقيقية لها، ثم نظرة مستقبلية في ضوء ما طرحت .

الكتاب : [illegible] من النصوص الكنعانية
ترجمة وتعليق : مفيد عرنوق .
الناشر : منشورات مجلة فكر، بيروت
عدد الصفحات : [illegible] من القطع الكبير

يقدم مفيد عرنوق في هذا الكتاب ترجمة وتعليقاً [illegible] عن [illegible] أوغاريت [illegible] الفينيقية على الساحل السوري الشمالي في [illegible].

والترجمة التي يضمها الكتاب هي [illegible] الإغريقي و[illegible] في [illegible] للنصوص الكنعانية [illegible] الكتابات الموجودة على الرقيمات المكتشفة [illegible] المذكور.

[illegible] مهمة لا بالنسبة للمختصين [illegible] المختص العادي [illegible] شيء من التفاصيل في هذا المجال.

الكتاب : [illegible] في ظهور الأمة .

المؤلف : مصطفى بكري .
الناشر : دار جامعة القدس القاهرة .
عدد الصفحات : ٦٦ من القطع المتوسط .

متابعة صحفية لعملية نقل اليهود وتهريبهم من السودان إلى الأرض المحتلة، يرويها الصحفي مصطفى بكري .

في كتيبه هذا يسجل الكاتب قصة واحدة من أكبر عمليات التهجير الصهيوني الثانية منذ إنشاء الكيان الإسرائيلي عام ١٩٤٨ . ويتضمن الكتاب أيضاً الوجه الآخر للعملية التي تمثل تورط رجال النظام السوداني السابق، وتغلغل الأجهزة الخارجية فيه، ومن ضمنها الأجهزة الصهيونية والأمريكية .

الكتاب : الخروج من الكهف - رواية .
المؤلف : عماد الدين عيسى .
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة .
عدد الصفحات : ١٢٨ من القطع المتوسط .

في هذه الرواية وهي الأولى بعد أربع مجموعات قصصية، يرسم المؤلف صوراً لمجموعة من الشخصيات، لا تربط بينها في الظاهر رابطة ما، لكن هناك رابطاً موضوعياً يجمع بين هذه الشخصيات وأحداثها وخلفياتها الاجتماعية، ليكتمل البناء الروائي لهذا العمل الأدبي .

الكتاب : وردة البيكاجي .
المؤلف : عبد الكريم كاصد
الناشر - مطبعة دار الفكر - دمشق .
عدد الصفحات : ١١٠ من القطع المتوسط .

في ديوانه الشعري الرابع هذا يخطو عبد الكريم كاصد خطوة أخرى نحو التكثيف والبساطة واللمحة، وشد الكلمة الشعرية بالعمق والإيحاء في الوقت نفسه .

ونجد أن كتبه الشعرية الأولى التي ترسم جواً شخصية فلسطينية وخصوصية، يصوغ كاصد في قصائد ديوانه هذا تجربة تمزج عمق التجربة بجرأة الاقتراب في لغة شعرية رائعة يتميز بها الشاعر الشاب .

الكتاب : البيروقراطية النفطية .
المؤلف : د. أسامة عبد الرحمن .
الناشر : شركة الربيعان للنشر والتوزيع - الكويت .
عدد الصفحات : ١٩٢ من القطع الكبير .

على غير المألوف اختار مؤلف الكتاب الدكتور أسامة عبد الرحمن أن يكون مدخله إلى موضوعه الذي يتسم بالجدية والتخصص مدخلاً يخفف من جفاف المادة، ويضفي على جديتها، حكايات .. شكل « القصص » التي تقدم للقارئ، ستون منها ترسم صورة البيروقراطية في بلادنا كما يراها المؤلف .

ورغم تركيز د. عبد الرحمن على البيروقراطية النفطية، إلا أنه يربطها بصور البيروقراطية الأخرى، التي تتشابه سلبياتها وآثارها في أقطار الوطن العربي كما يقول .

الكتاب : أنا أريد النهار - مجموعة قصصية
المؤلفة : ليانة بدر
الناشر : دار الحوار للنشر والتوزيع - اللاذقية - سوريا .
عدد الصفحات : ١٠٤ من القطع المتوسط

مجموعة قصصية جديدة للروائية والقاصة الفلسطينية ليانة بدر . بيروت، بيروت، القصف والمراجيح والملاجئ، والكهرباء المقطوعة والمكبرات تشكل خلفية قصص المجموعة التي تمتزج فيها الصورة والقراءة اللتان يمكن قراءتها كقصة واحدة أو كقصتين منفصلتين .

حوار القراء..

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي" بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

عزيزي القارئ .

كل عام وأنت بخير ، وصلاتك بمجلتك العربي أكثر عمقاً ، وحواراتك معها أكثر غنى وثراء ، ودورك في تنميتها وتطويرها أكثر فعالية ، فرسائلك إلينا هي واحدة من أهم المؤشرات على طريقنا المتطور .. هي مرآة تتجلى في صفحاتها وظلالها .

وربما لا نملك أحياناً في هذه المساحة المحدودة لباب حوار القراء أن نرد على جميع الرسائل التي تصل إلينا ، ولكن المعيار الذي نحتكم إليه في اختيار هذه الرسائل ، أن نعطي الموضوعات أو الجوانب التي نلمس فيها أكبر مساحة من اهتمام القارئ ، ما يحقق له أكبر فائدة ثقافية .

ولذا كنا نؤكد هنا ، أننا في حاجة دائماً إلى حواراتك الجادة ، وإلى ملاحظاتك الناقدة ، فنحن أيضاً في حاجة إلى غير القليل من نصائحك وصبرك ، وكل عام وأنت بخير .

لا وراثة في الجنوح

● أرسل لكم رداً على موضوع د. [illegible] العيوني .. عن توريث * المنشور في العدد ٣٢١ لما فيه من خطأ مناقض للمفهوم القرآني .

١ - أرادت الكاتبة أن توضح كيف أن العرب المسلمين كانوا من أوائل من فكر بمفهوم الوراثة ، مستشهدة بالآية الكريمة « ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً » سورة نوح .

وهذه الفكرة منافية تماماً لروح الإسلام ، الذي يؤكد على استقلالية الإرادة في السلوك لكل شخص بالغ عاقل . وهذه الاستقلالية مناط التكليف وأساس العدالة ، ولو كان السلوك وراثياً لما أخذ الكافر به يوم الحساب ، ولما حمل أوزاره إلى الجد الأول الذي ورثه هذا السلوك .

وفي القرآن الكريم « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

وقوله تعالى : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

ومن الشواهد العلمية والتاريخية التي تنفي دور الوراثة في السلوك .

١ - نوح عليه السلام نبي مرسل وابنه من صلبه كافر .

حوار القراء

٢ - آزر كافر وابنه ابراهيم الخليل عليه السلام نبي مرسل.

وأما الآية التي اقتطعها الكاتب شاهدة لها، فهي لا تقرر حقيقة قرآنية، بل هي دعاء نوح عليه السلام على قومه بعد غضبه عليهم، وبعد أن أعلمه الله تعالى: «انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن».

٣ - وردت في المقال تعابير طبية لم تعد مقبولة وفق المعجم الطبي الموحد لاتحاد الأطباء العرب لعام ١٩٨٤ لا بد من تصحيحها.

- انسدال الجفن صوابه تدلي الجفن (Ptosis).
- قصر البصر صوابه حسر البصر (Myopia).
- صفة غالب أو مسيطر صوابه صفة سائدة (Dominant).
- الهيموفيليا صوابه الناعور (Hemophilia).
- البرص صوابه البهق (Vitiligo).

الدكتور ضياء الدين الجماس
دير الزور - سورية

العربي:

- نشكر للأستاذ الكريم اهتمامه ومتابعته، ونعتذر عن عدم ذكر تصويبات أخرى وردت في خطابه، لأنها وردت في تعليقات أخرى لبعض القراء، نشرت في العدد السابق من العربي.

ولنثر القديم أيضاً صفحة ..

● وفي نهاية هذه الرسالة يسعدني أن أتقدم لكم باقتراح أرجو أن ينال حظه من الدراسة، وهو ألا تقتصر المجلة على نشر الشعر القديم، صفحة شعر تختارونها أو تنشرونها، صفحة نثر. ففي الأدب العربي القديم روائع من النثر لا يطلع عليها كثير من الطالبيين، مثل رسائل الإمام علي الى الأشتر، وطاهر ابن الحسين الى ابنه عبد الله حين ولاه المأمون الشام ومصر، ومن الرسائل العربية رسالة النفس الزكية محمد بن عبد الله العلوي الى أبي جعفر المنصور العباسي، ومن قبلها رسالة هشام بن عبد الملك الى واليه خالد بن عبد الله القسري، ومن هذه الرسائل ما يعد دستوراً من دساتير الإسلام.

السيد حسن ثروت
مساكن شيراتون: القاهرة

. . .

تشكر العربي للكريم اقتراحه الجيد، وتعده بأن يكون محل دراسة واهتمام من المسؤولين بالمجلة. ولعلنا قد اكتفينا بنشر هذا الجزء من رسالتك لأن بقية الرسالة كانت موضع التقدير، ونشجعه على أن يواصل متابعة الأعمال، وملاحظاته الواعية، وكتاباته الجادة.

رسالة من قارىء يمني الى شجرة القات

● لأول مرة أكتب إليك أيتها الشجرة اللعينة، وفمي خالٍ من أوراقك الخبيثة، ولطالما كتبت لك وأنا تحت تأثير مخدراتك، وكنت أعيش في مملكة الأحلام أعبدك، أما الآن فأنا أمقتك. كم أنت مدمرة ومضيعة للشعب اليمني، وكم هي مخيفة صفوفك التي تغزو التراب اليمني، تاركة وراءها جهلاً ومرضاً وفقراً!

إنني أكرهك ولا أحبك، لأنك تحتلين تربتنا الخصبة في اليمن، بل تجاوزت الى أن تحتلي حقول القمح والذرة وأشجار الرمان والعنب، وسرقت

الكثير الكثير من سائد وموروث الشعب اليمني . فقد سيطرت قلة قليلة من القشرة الثرية باستلام السلطة والنفوذ وعدم المبالاة . بما يجري في أنحاء المعمورة .

واليوم يحاول أعداء الأمة العربية أن يمسكوا مؤامرة جديدة ضد العرب في المهجر ، وذلك بالسماح لتلك المنظمات في أوروبا الغربية ، وخصوصا بريطانيا ، لنفي المهاجرين العرب وخصوصا اليمنيين منهم إلى دوامة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، ولإبعادهم عن موكب العلم والحضارة والمدنية .

يحق لي أيتها المجلة المتألقة و ... أن أتساءل من حقيقة ، لماذا أطلب من أبناء بلدي ... يطالبون بدولة اليمن الواحدة ، أن يكون أول قرارات هذه الدولة هو تحريم القات واقتلاع أشجارها .

يحق لي أيتها المجلة الطيبة ، أن أشكر كل الدول العربية بعامة والخليجية بخاصة على أنها تحرم دخول القات إلى أراضيها ، وهي بذلك تمنعه من خارج أسوار اليمن ، وبذلك تساعد اليمنيين على التخلص من هذه العادة السيئة والمكلفة .

للمرة الثانية أنا أكرر طلبي ، وعرفانك لن يؤثر على حبي بريحانة الحياة للمريض .

علي صالح علي
أبو ظبي - دولة الإمارات المتحدة

العربي :

- هذه الرسالة ضمن رسالة من القارئ يعلق فيها على موضوع « القات » من القنوات في الصحافة البريطانية ، وقد رأينا أن نكتفي بنشرها لأنها تحتوي على خلاصة تعليقه ، ولنا فيها من ثمرة ... ونحن نأمل أن تصل إلى القارئ .... ولا كان لهم حيناً (إلا في إطار المحيرية) تعليقه طلب اقتلاع الشجرة من أبناء بلده عند قيام دولة اليمن الواحدة !

بلاد تتكلم السريانية

■ كانت مجلة العربي ولا تزال تتسم بدقة المعلومات التي تقدمها للقارئ ، ويحق من المتابعين لمجلتكم والحريصين على صحة ودقة المعلومات الواردة بها ، يهمني أن أصحح معلومة وردت في الصفحة ١٣٦ في فقرة « حتى مسابقة العدد ٣٦٨ » ورقم السؤال (٣) وقد ورد فيه :

اسم البلدة السورية والوحيدة التي ما زالت تتكلم اللغة الآرامية أو السريانية ، وهي بلدة « معلولا » وأريد أن أشير إلى أنه توجد قرى أخرى تتكلم هذه اللغة القديمة منها بلدة « جبعدين » وهي مجاورة « لمعلولا » وأكبر منها مساحة وسكانا ، وبلدة « صرخة » وهذه القرى الثلاث تتكلم اللغة الآرامية أو السريانية ، وليست معلولا فقط ، وأنا أنصحكم بزيارة قرية « جبعدين » والتأكد من صحة هذه المعلومات ، وزيارة ما في القرية من آثار ، وهي تبعد عن العاصمة دمشق ٦٠كم شمالاً .

خالد بكر - دمشق / سوريا

تكريم كبار كتاب العربي

● كنا نعرف أن لمجلة العربي تاريخاً قديماً حافلاً ، جاوز ربع قرن في خدمة المسيرة القومية والمسيرة الثقافية ، والكل يعرف مدى الشخصيات الأدبية العلماء والمفكرون والأدباء والشعراء الذين رافقوا المجلة في تاريخها الطويل من خدمات للأمة العربية - في مجالات الثقافة والعلم والأدب .

أقترح عليكم أن تنشر المجلة لمحات من تاريخ كل كاتب من كتابها القدامى ، وعن تطور علاقته بالمجلة ، وعن أهم كتبه ومؤلفاته مثل الدكتور أحمد زكي ، والأستاذ أحمد بهاء الدين ، والأستاذ حسان ... وغيرهم .

أليس في هذا نوع من التكريم لهؤلاء الكتاب يستحقونه بالإضافة إلى ما فيه من فوائد للقراء ؟

ياسر عبد الوهاب حسينة
دير الزور / سوريا

العربي

- تشكر العربي القارئ الكريم اقتراحه واهتمامه بتعريف الأجيال الجديدة بكتاب العربي الذين رافقوها مسيرتها . ولعله يرى معنا أن في إصدار سلسلة كتاب العربي ما يحقق ما يطالب به القارئ □

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٢٦
يـنـايـر ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة . ترسل الإجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت - مسابقة العربي الثقافية : العدد ٣٢٦ ، وآخر موعد لوصول الإجابات إلينا هو مارس ١٩٨٦ .

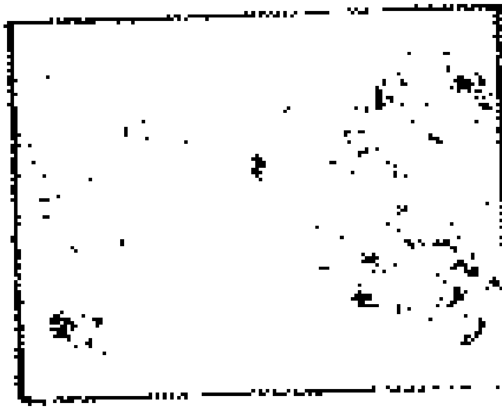
أرفق الحل مع هذا الكوبون



١
في أي بلد يوجد هذا المسجد ؟



٢
تمثل الصورة زمانا ومكانا على وجه التحديد .. فهل تستطيع تحديدهما ؟



٣
ماذا تصنع هذه الفتاة .. وأين ؟



٤
هل هي طائرة للركاب أم طائرة قتالية .. وأين تصنع ؟

كوبون مسابقة العربي
العـــدد ٣٢٦

٥
ي فنادق عالية
ن أي العواصم ؟



٦
هذه بقايا وآثار
سد عظيم في
الماضي البعيد
من صخور
وأحجار ..
أي سد هذا ؟



مسجد كبير يقع
في مدينة تالين
وهي عاصمة
إحدى جمهوريات
بحر البلطيق
السوفياتية ؟
فأي جمهورية
تلك ؟



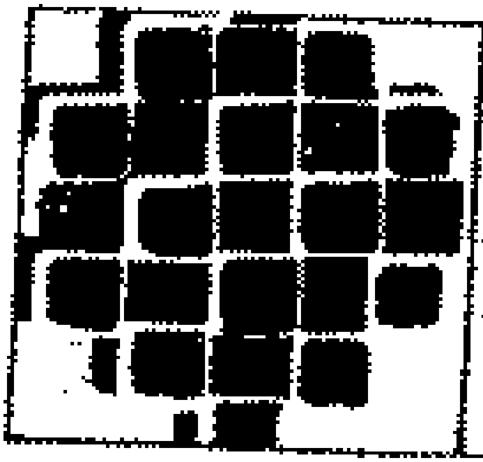
٨
قلعة مسجد
السلطان محمد
على جانب البسفور
ترى أين يقع ؟



٩
أين تقع هذه
الشلالات ؟
وما تسميتها ؟



١٠
الشطرنج من ألعاب
العقلانية .. ما
اسم المركز الذي
ترى أمام هذه
الشطائح ؟



١١
فلاح مصري
ولا ريب ..
ولكن إلى أي
الدول العربية
ينتمي ؟



١٢
حسناء .. في
الصورة الفلكلورية
.. ترى ما هي
جنسيتها ؟



حلول

١ ـ مهاجرة الهجرتين ومصلية القبلتين .. إنها أسماء بنت عميس (ت ٤٠هـ) وهي صحابية من قوم ـ هاجرت إلى الحبشة هجرتها الأولى ، وكانت مع زوجها جعفر بن أبي طالب .. فتزوجها أبو بكر الصديق بعد أن قتل زوجها الأول شهيدا ، ثم تزوجها علي بن أبي طالب لما توفي أبو بكر .

٢ ـ جزر مالفيناس هي تسمية جزر فوكلاند .. فتسمي الأرجنتين ومواطنوها يسمونها مالفينا .. والإنجليز ومواطنوهم يسمونها فوكلاند ..

٣ ـ هنيبال (٢٤٧ ـ ١٨٣ ق . م) احتل أجزاء واسعة من إيطاليا ، وكان يحكم بلا منازع فيها طوال ١٣ عاما .. إلا أنه لم يتجه إلى روما بالذات ، وكان يسعى إلى احتلالها عن طريق محاصرتها … الحصار .

٤ ـ القسي جمع ومفرده القوس من القسي .. وتعني … والنحو .

٥ ـ إميلين بانكهرست (١٨٥٨ ـ ١٩٢٨) هي زعيمة الحركة النسوية في بريطانيا . تلك الحركة التي تكفلت بفوز المرأة الإنكليزية بحق التصويت ، وقد بدأت بانكهرست حركتها هذه سنة ١٩٠٦ ، في نفس السنة التي ماتت فيها نظيرتها الأمريكية سوزان أنتوني .

٦ ـ أمريكا هي موطن حيوان الكاريبو الأصلي ، وقد نقلت … [illegible] …

لقلعتها ، حتى اكتشفت فيها الحضارة عظيما .. والجدير بالإشارة إلى أن الاسم سانتياغو مأخوذ عن اللغة الإسبانية .. فهو الاسم الذي أطلقه الإسبان على … الأغنام … ولعل اللفظ المذكور … مرعى أو مراعي .

٧ ـ جزيرة فيلة Philae والاسم يوناني .. وهي غير جزيرة … الغربية منها .. وعلى الأطلال … معابد إيزيس التي أنشئت على جزيرة فيلة سنة ٣٨٠ ق . م ..

٨ ـ اشتهر اسم الأسمنت باسم بورتلاند ، نظرا للشبه الكبير من حيث اللون بين الأسمنت بعد جفافه ، وبين حجارة بورتلاند الشهيرة في انكلترا .. ذلك أن مكتشف الأسمنت هو البناء البريطاني جوزيف أسبدن

٩ ـ الحروف : ع . ق . غ ترمز إلى الأرقام ٧٠ ، ١٠٠ ، ١٠٠٠ على التوالي

١٠ ـ صناعة السكر تحتاج إلى ٩ أطنان من الماء ، وصناعة … الأرز تحتاج إلى ٦٠٠ طن من الماء ، وذلك لإنتاج طن واحد من كل منهما .

١١ ـ … نسبة إلى أنقرة عاصمة تركيا

١٢ ـ … من الأول … غير مشوي بالنار .. بينما … غير مشوي بالنار .. إنه طبيخ يابس … حتى … .

مسابقة العدد ٣٢٢ أكتوبر ١٩٨٥

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٢ أكتوبر ١٩٨٥

الجائزة الأولى : محمد مصطفى المصري / الإبراهيمية / الإسكندرية مصر .
الجائزة الثانية : يوسف حسين حسن عبد الله / معهد تدريب المعلمين . السودان
الجائزة الثالثة : أمل محمد محمد / الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ وليد سليمان السلوم / دمشق / مؤسسة معامل الدفاع ـ سورية .
٢ ـ زين العابدين الكريم / سوق البسيط / [illegible] . المغرب .
٣ ـ الطاهر بن الطاهر بن إبراهيم / نابل ـ الجمهورية التونسية
٤ ـ منذر محمد عبد الواحد / الشركة السعودية الموحدة للكهرباء في المنطقة الغربية / جدة ـ المملكة العربية السعودية .
٥ ـ عبد العظيم حسان ثابت / كريتر / عدن اليمن الديمقراطية
٦ ـ أحمد بشير عادل بركات / دائرة القضاء الشرعي / أبوظبي ـ دولة الإمارات العربية المتحدة
٧ ـ يوسف عبد الله الشملان / المحرق ـ دولة البحرين .
٨ ـ عبد الله السلمي / كوتيل / منكادا / كيرالا ـ الهند .

معركة بالسلاح

○ بطولات عربية

أخيراً انتهت مباراة العصر بفوز جاري كاسباروف على بطل العالم السابق أناتولي كاربوف (١٣ - ١١) ليصبح أصغر بطل للعالم في تاريخ اللعبة.

جرت الأولمبياد الخامس والعشرون للشطرنج العالمي في مدينة سالونيك باليونان في الفترة ما بين ١٨ نوفمبر و٣ ديسمبر من أضخم التجمعات الشطرنجية لعام ١٩٨٤ ، وقد بلغ عدد الدول المشتركة في هذا المهرجان الشطرنجي الكبير ٨٨ دولة منها عشر دول عربية والتي نذكرها حسب تسلسل نتائجها في المهرجان: الإمارات العربية المتحدة ، المغرب ، مصر ، العراق ، الجزائر ، لبنان ، البحرين ، ليبيا ، الأردن ، وفلسطين .

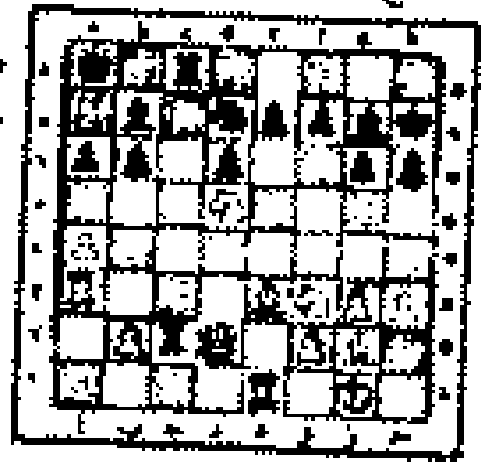
ومن الأبطال العرب الذين برزوا في هذا التجمع الشطرنجي الضخم اللاعب المصري عاصم عبد الرازق عفيفي وهو يحتل المرتبة الثالثة بين اللاعبين المصريين بعد محمد سامح عبد الغني وقنصوه محمد وكلاهما من مدينة طنطا . غير انه تألق تألقا كبيرا في هذا الأولمبياد وبز جميع أقرانه من أبطال الكنانة . وحاز على تصنيف دولي بتقدير ٢٣٠٠ نقطة والذي يؤهله للقب استاذ الفيدي Fide master (٢٣٠٠ - ٢٣٥٠ نقطة) ، ويحتاج حصول عينة الشرنسيم للقب استاذ دولي International Master (٢٣٥٠ - ٢٤٥٠) .

وقد لعب هذا البطل المصري على الرقعة الأولى في الأولمبياد المذكور وكان ترتيبه السابع بين مائة بطلا من مشاهير أبطال الشطرنج في العالم . ومن الأدوار المميزة التي تألق فيها هذا اللاعب المصري الشاب الدور الذي فاز فيه على الأستاذ الدولي الكبير سوتلز من كندا (٢٤٢٥ نقطة) ، فتنتج ألف كتابة بشيها من دفاع ديوك ... . وما يدعو للافتخار بانتصار بطلنا المصري انه هزم اللاعب الكندي في هذه الافتتاحية بالذات والتي تقتضي معرفة طويلة في دراستها وتحليلها والكتابة عنها.

والدور التالي من دفاع ديوك بين البطل المصري عاصم عبد الرازق (أبيض) والبطل الكندي سوتلز (أسود) وهو أحد أدوار الجولة الثالثة عشرة.

عاصم عبد الرازق (مصر)	سوتلز (كندا)
١ . د٤	د٦
٢ . هـ٤	ز٦
٣ . ح - ج٣	أ٦
٤ . [illegible]	ف - ز٧
٥ . ح - ٣ و	ج٦
٦ . ف - هـ٢	ب٦
٧ . ت	ف - ب٧
٨ . هـ٥	ح (٦) - د٧
٩ . هـ × د٦	ج × د٦
١٠ . ف - ز٥	هـ٦
١١ . ف - هـ٣	ت
١٢ . و - د٢	ح - هـ٧
١٣ . و٥	ح - و٦

14. جـ 3 — ح (أ) ـ د 7
15. ر (ز) ـ هـ 1 — ر ـ جـ 8
16. ف ـ ز 4 — ر ـ جـ 7
17. ز 3 — و ـ أ 8
18. ف ـ ز 2 — ر (أ) ـ جـ 8
19. ر ـ أ 2 — ح × د 5
20. ح × د 5 — ر × جـ 2



21. ر ـ د 1 — ف × د 5
22. ح ـ ز 5 — ح × ز 5
23. ف × ز 5 — و ـ ب 8
24. ف × و 7 — ح ـ هـ 5
25. ف ـ د 5 — ر × ب 2
26. ف × ز 5 — ر (أ) ـ جـ 2
27. ر × هـ 5 — د × هـ 5
28. و ـ ز 4 — و ـ د 8
29. و ـ هـ 6 + — يستسلم
(أو 29. . . — ف ـ هـ 6
30. و ـ د 3 — و ـ ز 7
31. ... و 7 مهدداً الوزير ومن ثم كش مات في النقلة التالية)

حل المسألة رقم (30)

1. ح ـ جـ 3	4. ح ـ د 1
2. ح ـ هـ 4	5. ح ـ ز 3
3. ح ـ د 2	كش مات

الفائزون بحل المسابقة رقم

(31)

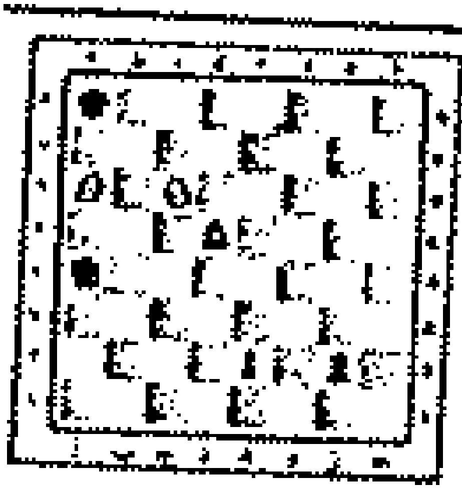
أكتوبر 1985

الفائزون بالاشتراك سنة كاملة :

1 ـ [illegible] ـ الجيزة / ج.م.ع
2 ـ [illegible] ـ [illegible] / سوريا
3 ـ [illegible] فرج ـ حولي / الكويت
4 ـ [illegible] ـ [illegible] / السودان
5 ـ [illegible] ـ [illegible] / الأردن

الفائزون بالاشتراك ستة أشهر :

1 ـ [illegible] ـ [illegible] / السعودية
2 ـ [illegible] ـ [illegible] / الإمارات
3 ـ [illegible] ـ الجيزة / ج.م.ع
4 ـ [illegible] ـ [illegible] / اليمن
5 ـ [illegible] ـ [illegible] / ليبيا



مسابقة العدد

مسألة رقم (32)

مات 3

مهداة من القارئ

حسين الرفاعي

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يناير ١٩٨٦م

الغرب والعالم

"القسم الثاني"

تأليف: كافين رايلي

ترجمة: د. عبد الوهاب المسيري

د. هدى حجازي

مراجعة: د. فؤاد زكريا

٥٠٠ فلس

الكتاب السابع والتسعون

المراسلات:

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

١٩٦ | أول يناير ١٩٨٦

من المسرح التركي

[illegible]

(٢)

تأليف : عزيز نسين
ترجمة : جوزيف ناشف
مراجعة وتقديم : د. إبراهيم الداقوقي


صباح الخير!
NESCAFE
نسكافه
نسكافه قهوة الشباب المصري الناجح